الكلام

على مسألة السماع

تأليف

محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

تحقيق ودراسة

راشد بن عبد العزيز الحمد

دار العاصمة

الرياض

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

دار العاصمة
الرياض - المملكة العربية السعودية
ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١ - هاتف ٤٩١٥١٥٤

الكلام

على مسألة السماع

تأليف

محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

تحقيق ودراسة

راشد بن عبد العزيز الحمد

دار العاصمة - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾(٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٤)

أما بعـــد:

فإن الإسلام جاء بالهداية، واخـراج الناس من الـظلمات إلى النور وتحقيق السعادة لهم في الدنيا والآخرة، وتحذيرهم من مكائـد

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء آية (١).

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٠ ـ ٧١

(٤) هذه خطبة الحاجة وقد رواها الترمـذي في كتاب النكـاح، باب مـا جاء في خـطبة النكـاح (٤٠٤/٣) والنسـائي، باب مـا يستحب من الكلام عنـد النكاح (٨٩/٦) وانـظر خطبـة الحاجة للألباني .

الشيطان ومصائده وايجاد المجتمع الصالح الملتزم بالإسلام في عقيدته وعباداته ومعاملاته وأخلاقه، فكان أن بعث الله محمدا ﷺ ليقوم بالدعوة إلى الاسلام، بدعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة، وتزكية النفوس وتربيتها، ومحاربة كل ما يؤدي إلى فساد المجتمع.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[2].

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء في تبليغ هذا الدين، قام الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح بدعوة الناس إلى الخير وارشادهم إلى سلوك الصراط المستقيم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[4].

وموضوع السماع الممنوع من المعاول لهدم المجتمع، فكم حصل به من مفسدة في الدين والعقل

لذا اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بهذا الموضوع، فألفوا الكتب والرسائل وكتبوا الفتاوى التي تحذر من هذا الداء، وتكشف زيف المبيحين، مستندين في ذلك إلى الكتاب والسنة.

---

(١) سورة الأحزاب آية (٤٥-٤٦).

(٢) سورة يوسف آية (١٠٨).

(٣) سورة النحل آية (١٢٥).

(٤) سورة القصص آية (٨٧).

وكـان لابن القيم نصيب وافر في هـذا الموضـوع، إذ حصل استفتاء عن الغناء في سنة ٧٤١ أجاب عليـه ثمانيـة من العلماء من مختلف المذاهب أطولهم إجابة ابن القيم، فقد أجاب عليه في ١٢٧ ورقة، وأجاب عليه الأئمة السبعة في ٩ ورقات، ولما كان ابن القيم أطولهم إجابة رأيت أن أجعل إجابة ابن القيم هي الأساس المحقق، وإجابة الأئمة السبعة ملحقاً بهذه الرسالـة التي أعدهـا لنيل درجـة الدكتوراه في شعبة الدعوة ـ بالجامعة الاسلامية.

وقد اخترت العمل في تحقيق هذا الكتاب للأمور التالية:

١ ـ إن الكتاب لأحد العلماء المشهورين الذين خدموا العلم فـأثاره العلمية مشهورة.

٢ ـ قيمة الكتاب العلمية، فهو من أهم الكتب التي تعالج موضوع السـماع الممنوع الـذي أصبح راسخـاً في المجتمع حتى أصبـح صناعة للحصول على المال وعلى الألقاب، وخصصت كثير من الصحف والمجلات مساحـات كبيرة تعـرض فيها أخبـار الغناء وأهله، لم يظفر بها العلماء والمصلحون.

٣ ـ قيام دعاة الإباحية في العصر الحاضر بترويج هذا السماع الممنوع عن طـريق الصحف والمجلات والكتب الكثـيرة، مما أدى إلى افتتان كثير من الناس به.

٤ ـ المساهمة في الدعوة إلى الخير والتحذير من المنكر امتثـالاً لقولـه تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٤).

وقد سرت في إعداد هذا البحث على النحو التالي:

قسمت البحث إلى قسمين الأول الدراسة والثاني التحقيق .

١ ـ القسم الأول الدراسة وقد اشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول: حياة الإمام ابن القيم، وقد كتبت ترجمة مختصرة[١] اشتملت على ما يأتي:

١ ـ نسبه .

٢ ـ ولادته.

٣ ـ أسرته.

٤ ـ عبادته .

٥ ـ أخلاقه.

٦ ـ حياته العلمية.

٧ ـ مذهبه.

٨ ـ اتصاله بابن تيمية.

٩ ـ شيوخه.

١٠ ـ تلاميذه.

١١ ـ ثناء العلماء عليه.

١٢ ـ وفاته.

الفصل الثاني: مباحث حول السماع اشتمل على ما يأتي:

١ ـ السماع المشروع.

٢ ـ السماع الممنوع.

٣ ـ اسماء السماع الممنوع.

---

(١) اكتفيت بالاختصار في ترجمته لوجود دراسات عنه وافية أشرت إليها في مصادر ترجمته في الفصل الأول.

٤ ـ حكم الرقص.
٥ ـ المؤلفات في السماع.

الفصل الثالث: التعريف بالكتاب المحقق اشتمل على ما يأتي:

١ ـ توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.
٢ ـ سبب التأليف.
٣ ـ موضوع الكتاب.
٤ ـ منهج المؤلف.
٥ ـ مكان وجود المخطوط.
٦ ـ وصف النسخة.
٧ ـ عملي في الكتاب .

وعقب انتهائي من تحقيق الكتاب ختمت الكتاب بالفهارس الآتية:

١ ـ فهرس الآيات.
٢ ـ فهرس الأحاديث.
٣ ـ فهرس الآثار.
٤ ـ فهرس الاعلام المترجم لهم.
٥ ـ فهرس الأشعار.
٦ ـ فهرس المراجع.
٧ ـ فهرس الموضوعات.

وفي الختام أشكر الله سبحانه وتعالى الذي أمدني بعونه وتوفيقه ويسر لي سبل انجاز هذا البحث ثم انطلاقاً من قوله ﷺ ﴿من لا يشكر الناس لا يشكر الله﴾،

فإنني أتوجه بالشكر لفضيلة شيخي عبدالمحسن بن حمد العباد المشرف على الرسالة فلقد كان لحسن متابعته وتوجيه الأثر الكبير في انجاز هذا البحث فجزاه الله خيراً كما أشكر الزملاء الكرام جبران أحمد صالح وسعد الحميد ومحمد التميمي وسعود الخلف وعبدالعزيز القاسم وموسى القرنى وعبدالمحسن المنيف وعبدالله الرشيد فقد أعاروني كتباً استفدت منها .

وعموماً أشكر كل من أفادني في ذلك واسأل الله أن يجزيهم عني خيراً وهو القريب المجيب سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمدلله رب العالمين.

الفصل الأول

حياة الامام ابن قيم الجوزية

* حياة الإمام ابن قيم الجوزية

***(أ) مصادر ترجمته.**

١ ـ الوافي بالوفيات للصفدي (٢/٢٧١).

٢ ـ ذيول العبر (٤/١٥٥).

٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٣٤).

٤ ـ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٤٤٧).

٥ ـ الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام فهو كافر لناصر الدين الدمشقي (ص ٣٥).

٦ ـ الدرر الكامنة لابن حجر (٤/٢١).

٧ ـ النجوم الزاهرة لابن تغرى بردي الاتابكي (٢/١٥٨).

٨ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبد الرحمن السيوطي (١/٦٢).

٩ ـ طبقات المفسرين للداودي (٢/٩٣).

١٠ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة (٨٩-١٢٥) الخ.

١١ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٦/١٦٨).

١٢ ـ البدر الطالع للشوكاني (٢/١٤٣).

١٣ ـ التاج المكلل من مأثر الطراز الآخر والأول لصديق حسن خان (ص ٤١٦).

١٤ ـ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوس (ص ٣٠).

١٥ ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لاسماعيل البغدادي (١/٢٧١).
١٦ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لاسماعيل البغدادي (٢/١٥٨).
١٧ ـ المجددون في الاسلام عبد المتعال الصعيدي (ص ٣٠٢-٣٠٦).
١٨ ـ الاعلام للزركلي. (٦/٢٨٠).
١٩ ـ الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/٩٣).
٢٠ ـ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة. (٩/١٠٩).

(ب) الدراسات والأبحاث حول ابن القيم.

١ ـ ابن قيم الجوزية محمد مسلم الغنيمي ط .
٢ ـ ابن قيم الجوزية ـ ليوسف العش ط .
٣ ـ ابن قيم الجوزية — وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف — عبدالله محمد جار النبي ط.
٤ ـ ابن قيم الجوزية — حياته وآثاره — لبكر عبدالله أبو زيد ط.
٥ ـ ابن قيم الجوزية — عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف — للدكتور عبد العظيم شرف الدين ط.
٦ ـ ابن القيم من آثاره العلمية أحمد ماهر البقري ط.
٧ ـ ابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامي — للدكتور عوض الله حجازي ط.
٨ ـ الحسبة عند ابن القيم — محمد عوض قرين لم يطبع.
٩ ـ الفكر التربوي عند ابن القيم — تأليف حسن على الحجاجي لم يطبع.
١٠ ـ منهج ابن القيم في التفسير — لمحمد علي السنباطي ط.

نسبـــه:

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز(١) بن مكي زين الـدين الـزرعي(٢) ثم الـــدمشقي الحنبـلي الشهـــير بـابن قيم الجوزية(٣).

ولادتـــه:

ولد في سابع صفر سنة ٦٩١ هـ(٤).

أسـرتـــه:

أسرة ابن القيم أسرة علم وفضل منهم:

---

(١) هذا هو الذي عليه الأكثر وهو المشهور على ألسنة أهل العلم انظر ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ص ٧.

(٢) الزرعي نسبة لزرع قرية من حوران. انظر: الضوء اللامع (١١/٢٠٤).

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٧).

: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٣٤) والبدر الطالع للشوكاني (٢/١٤٣) والوافي بالوفيات (٢/٢٧٠) وابن قيم الجوزية حياته وآثاره (ص ٧).

وأما شهرته بابن قيم الجوزية فلأن والده كان قيماً على مدرسة الجوزية بالنشابين بدمشق التي بناها محيى الدين يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي الحنبلي.

أنظر البداية والنهاية (١٣/٣٠، ١٤/١١٠).

ويخطىء بعض الكاتبين فيطلق على ابن القيم اسم ابن قـيم الجوزي وقد أدى ببعضهم هذا الخطأ في التسمية إلى أن نسب لابن القيم كتاب دفع شبهة التشبيه للشيخ ابن الجوزي وهناك مسمى آخر هو ابن القيم المصري بهاء الدين علي بن عيسى المصري عالم ومحدث كبير، توفي بمصر سنة ٧١٠ هـ.

أنظر: شذرات الذهب (٦/٦٣) وابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامي (ص ٢٦).

(٤) انظر ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٧) وطبقات المفسرين (٢/٩٤).

١ ـ أبوه: أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، قيم الجوزية، كان رجلاً صالحاً، متعبداً، قليل التكلف، وكان فاضلاً، وقد سمع شيئاً من دلائل النبوة، عن الرشيد العامري، أثنى عليه الناس خيراً، عندما توفي وأخذ عنه علم الفرائض(١).

٢ ـ أخوه: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، كان إماماً قدوة، سمع من ابن عبد الدائم، وعيسى بن مطعم، والحجار، وحدث، وذكره ابن رجب في مشيخته، وقال: سمعت عليه كتاب التوكل لابن أبي الدنيا بسماعه على الشهاب العابر، وتفرد بالرواية عنه، توفي سنة ٧٦٩ هـ(٢).

٣ ـ ابن أخيه: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، كان من الأفاضل، واقتنى كتباً نفيسه، وهي كتب عمه شمس الدين ابن القيم، وكان لا يبخل بعاريتها، توفي سنة ٧٩٩ هـ(٣).

عبادته:

لقد كان ابن القيم يحرص على أداء العبادات كما شرعها الله سبحانه حرصاً شديداً، لأنها غذاء الروح وتطهر النفس وتزكيها وتهذبها.

وإلى جانب حرصه على أداء العبادات المفروضة، حرص على أداء السنن من قيام الليل، والذكر والاستغفار، وتكرار الحج، وكثرة الطواف، وتلاوة كتاب الله وغير ذلك وإلى ذلك أشار من ترجم له.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١١٠).

(٢) انظر: شذرات الذهب (٦/ ٢١٦).

(٣) انظر: شذرات الذهب (٦/ ٣٥٨).

قال ابن كثير: «ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله تعالى[(١)]».

وقال ابن رجب: (وكان رحمـه الله ذا عبادة وتهجـد، وطول صلاة إلى الغايـة القصوى، وتـأله ولهـج بالـذكر، وشغف بـالمحبة والإنابة. والاستغفار، والافتقار إلى الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك)[(٢)]».

إلى أن قال: (وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح الله عليه من ذلك خيراً كثيراً، وحصـل له جـانب عظيم من الأذواق والمواجيـد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلـك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهـا، وتصانيفـه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه)[(٣)]».

وقال ابن حجر: «(وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقـول هذه غـدوتي لو لم أقعـدها سقـطت قواي)[(٤)].

وكان يقول: (بالصبر واليقين تنال الإمـامة في الـدين، وكان يقول لا بد للسالك من همة تسيره، وترقيه وعلم يبصره ويهديه)[(٥)]».

---

(١) البداية والنهاية (١٤/٢٣٥).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

(٤) الدرر الكامنة (٤/٢١-٢٢).

(٥) الدرر الكامنة (٤/٢١-٢٢).

أخلاقـه:

إن علماء السلف كانوا أحرص الناس على التحلى بـالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الاخلاق السيئة.

ولقد كان الشيخ من أحرص النـاس على التحـلي بالأخـلاق الفاضلة والابتعاد عن الأخلاق الرذيلة من الحسد والايذاء والحقـد وغير ذلك.

قال ابن كثير: «(وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد)»[1].

وقال أيضاً: «(والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة)»[2].

ومما يدل على ما كان لابن القيم من الأخلاق العالية أنه كان يعترف بالفضل لصاحب الفضل، ولذلك نراه يعتقد أن ما أوتيه من العلم فهو فضل من الله، فهو المان به عليه والموفق له.

حيث يقول: في مقدمة كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين «(وما كان فيه من حق وصواب فمن الله، فهو المان به فإن التوفيق بيده وما كان فيه من زلل فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء فيا أيها القارىء له والناظر فيه هذه بضاعة صاحبها المزجاة مسـوقة إليك، وهذا فهمه وعقله معروض عليك لك غنمـه، وعلى مؤلفـه غرمه، ولك ثمرته وعليه عائدته، فإن عدم منك حمداً وشكراً فـلا

(١) البداية والنهاية (١٤/٢٣٤).

(٢) البداية والنهاية ١٤/٢٣٥).

يعدم منك عذراً، وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح، وقد استأثر الله بالثناء والحمد وولى الملامة الرجلا[1]».

وكان على جانب كبير من التواضع، وعدم التكبر، ومما يوضح ذلك قصيدته الميمية التي أشار فيها أنه نصب نفسه للتدريس مع عدم العلم، وأنه كثير الذنوب مع شهادة الأئمة له بالتقي والصلاح وفي ذلك يقول:

بـنى أبي بـكـر كـثـير ذنـوبـه * فليس على من نال من عرضه اثم
بنى أبي بكـر جهـول بنفسـه * جهـول بأمـر الله أنى لـه العلم
بنى أبي بكـر غـدا متصـدرا * يعلم علما وهـو ليس لـه علم
بنى أبي بكـر غـدا متمـنيـا * وصال المعالي والذنوب لـه هم
بنى أبي بـكـر يـروم تـرقـيـا * إلى جنـة المأوى وليس لـه عـزم
بنى أبي بكر يرى الغرم في الذى * يزول ويفنى والذي تـركه الغنم
بنى أبي بكر لقد خـاب سعيـه * إذا لم يكن في الصالحات له سهم
بـنى أبي بـكـر كـما قـال ربـه * هلوع كنود وصفه الجهل والظلم
بنى أبي بكر وأمثـالـه غـدوا * بفتـواهـم هـذي الخليقـة تـأتم
وليس لهم في العلم باع ولا التقى * ولا الزهد والدنيا لديهم هي الهم
فوالله لو أن الصحابة شاهدوا * أفاضلهم قالوا هم الصم والبكم[2]

حياتـه العلميـة

ولد ابن القيم في مدينة دمشق، وهي مدينة تمتاز بكثرة الجوامع

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ١٠) وابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامي (ص ٢٨).

(٢) الوافي بالوفيات (٢/٢٧٢).

والمدارس، وفيها يلقي كبار العلماء الدروس في مختلف العلوم، وهي مفتوحة لكل راغب في التعلم والتفقه[١].

كان لولادته ونشأته فيها لا شك أكبر الأثر على تكوينه العلمي وتحصيله لكثير من أنواع العلوم والمعارف.

ثم أيضاً البيت الذي ولد فيه، فقد ولد في بيت علم وفضل، فوالده[٢] كان رجلاً صالحاً قيماً على مدرسة الجوزية .

وأخوه عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب بن سعد،[٣] كان إماما قدوة عالماً .

بداية طلبه للعلم:

بدأ في طلب العلم منذ الصغر، ويتضح ذلك من خلال كلامه عن أحد شيوخه الذين أخذ عنهم في قوله:

«(وأنبأني أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سرور المقدسي، المعروف بالشهاب العابر، ثم قال بعد ذكر بعض التعابير للرؤيا وهذه كانت حال شيخنا هذا ، ورسوخه في علم التعبير، وسمعت عليه عدة اجزاء ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السن، واخترام المنية له رحمه الله تعالى)[٤] .

ومما سبق يظهر أن الشيخ بدأ في طلب العلم، قبل سن السابعة

(١) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره (ص ٢٤).

(٢) (٣) سبقتَ ترجمتهما (ص ١٦) .

(٤) زاد المعاد (٣/٣٢).

لأن مولد الشيخ في عام ٦٩١هـ، ووفاة شيخه المذكور في عام ٦٩٧هـ[١].

بدأ في طلب العلم في سن مبكرة، وكان في طلبه للعلم حرا، لا مستعبد لعالم من العلماء كما يحصل من بعض طلاب العلم حيث يقتصرون على عالم واحد، فالطالب الذي يقتصر على عالم واحد يأخذ عنه، يصبح جاهلاً بكثير من المعارف.

قرأ الشيخ على كثير من العلماء، حتى برز في كثير من العلوم كالتفسير، والحديث، وأصول الدين وعلم السلوك والفقه والفرائض وغير ذلك.

وبالإضافة إلى قراءته على الشيوخ، كان عنده رغبة صادقة للمطالعة فكان يقرأ ما وقع في يده من المؤلفات، وقد منَّ الله عليه بحافظة واعية حتى لا يكاد ينسى ما قرأ[٢].

رحلاته في طلب العلم

لم يقتصر ابن القيم في طلب العلم على مدينة دمشق، لكنه سافر إلى مدن أخرى، وهذا أمر اعتاده علماء السلف، فقد كانوا يرحلون في طلب العلم.

وكل الذين ترجموا للشيخ لم يتحدثوا عن رحلاته ما عدا ما ذكروه من حجاته.

قالَ ابن رجب: «(وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل

---

(١) انظر: الحسبة عند ابن القيم (ص ١٨).

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية للغنيمى (ص ١١٠).

مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه)[1]».

وهناك عبارة لابن القيم نفسه في إغاثة اللهفان تفيد رحلته إلى مصر حيث قال: بعد كلامه على الأصول التي عليها مدار الصحة «(وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر بهذا فقال لو سافرت إلى المغرب في معرفة هذه الفائدة لكان سفراً قليلاً)[2]».

وهناك عبارة في هداية الحيارى تفيد رحلته أيضاً إلى مصر حيث قال: «(وقد جرى لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرئاسة)[3]».

وليس غريباً إذا لم يعرف عن ابن القيم كثرة الرحلة في طلب العلم، فكيف يرحل ومدينة دمشق عامرة بالعلماء الذين بذلوا وقتهم في تعليم الناس في المساجد والمدارس.

التدريس:

لم يقتصر ابن القيم على التعلم وحده دون نشره وتعليم الناس بل حرص على تدريس الناس وتوعيتهم بأمور دينهم، وهذا هو منهج السلف الصالح.

قال الذهبي: «تصدر للاشتغال ونشر العلم)[4]».

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢) وانظر ابن قيم الجوزية حياته وآثاره (ص ٣٢).
(٢) اغاثة اللهفان (٢٣/١).
(٣) هداية الحيارى (٨٧/٧).
(٤) البدر الطالع (١٤٢/٢).

وقال يوسف بن تغري بردي الاتـابكي: «(وتصدى لـلاقراء والافتاء سنين وانتفع به الناس قاطبة)[1]».

أما بداية هذا العمل فلم يذكر من ترجم له، متى تاريخ هذه البداية إلا أن ابن رجب أشار إلى أنه منذ حياة شيخه (ابن تيمية)، بدأ الناس يأخذون عنه العلم. قال ابن رجب: «(وأخذ عنه العلم خلق كثير من حياة شيخه وإلى أن مات وانتفعوا به وكان الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون له كابن عبد الهادي وغـيره)[2]».

ونحن إذا وازنا بين تاريخ ولادته ووفاة شيخه احتمل أن يكون في سن مبكر أو متوسط، إذ أن عمره حين وفاة شيخه سبع وثلاثون سنة[3].

ولقد درس في المدرسة الصدرية[4]، ويحدد ابن كثـير تاريـخ تدريسه بهذه المدرسة في حوادث سنـة ٧٤٣ هـ فيقول: «(وفي يـوم الخميس سادس صفر درس بـالصدريـة[5] صاحبنـا الإمام العـلامة شمس الدين محمد بن أبي بكـر بن أيوب الـزرعي إمام الجـوزية، وحضر عنده الشيخ عز الدين بن المنجا الذي نزل له عنها وجماعة من الفضلاء[6])».

---

(١) النجوم الزاهرة (٢٤٩/١٠).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢).

(٣) انظر: ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ص ٤٠.

(٤) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤٤٩/٢).

(٥) المدرسة الصدرية واقفها صدر الدين بن المنجا توفي ٦٥٧ أحد المعدلين ذوي الأموال والمرؤات والصدقات الدارة البارة... أنظر الدارس في تاريخ المدارس ٨٦/١-٨٨.

(٦) انظر: البداية والنهاية (٢٠٢/١٤).

ودرس في أماكن أخرى كما أشار إليه السخاوي فيقول: «(انتفع به الأئمة ودرس بأماكن)[1]».

وإضافة إلى ذلك، فقد كان يقيم حلقات العلم ومجالسه في مختلف العلوم. يقول ابن كثير مشيراً إلى صحبته: «(كنت من أصحب الناس له، وأحب الناس إليه)[2]».

وأيضاً ابن رجب يشير إلى ملازمته مجالسه حيث يقول: «(ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه غيرها)[3]».

شيوخه:

تلقى العلم على يد مجموعة من العلماء، في مختلف العلوم منهم:-

١ - ابراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن القاضي أبي نصر بن الشيرازي الشافعي المتوفى سنة ٧١٤ قرأ عليه في الحديث[4].

٢ - والده أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، قيم الجوزية كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف، توفي سنة ٧٢٣ قرأ عليه في الفرائض[5].

٣ - أبو بكر بن المنذر بن زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة

---

(١) التاج المكلل (٤١٩).

(٢) البداية والنهاية (١٤/٢٣٤).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

(٤) انظر: بغية الوعاة (١/٦٢) وشذرات الذهب (٦/٣٣).

(٥) البداية والنهاية (١٤/١١٠) والبدر الطالع (٢/١٤٣).

المقدسي، كان مسند الوقت صالحاً. توفي سنة ٧١٨ قرأ عليه في الحديث[١].

٤ ـ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ولد سنة ٦٦١ وتوفي سنة ٧٢٨، أخذ عنه الفقه والفرائض والأصلين[٢].

٥ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي، فقيه إمام عالم، ولد سنة ٦٢٨ وتوفي سنة ٦٩٧[٣].

٦ ـ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفراء الحراني ولد سنة ٦٤٦ كان من أصلح خلق الله وأدينهم، عالماً بالفقه والحديث وغيرهما توفي سنة ٧٢٩ قرأ عليه في الفقه[٤].

٧ ـ إسماعيل بن يوسف بن مكتوم بن أحمد القيسي، كان فقيها بالمدارس ومقرئا. توفي سنة ٧١٦[٥].

٨ ـ أيوب بن نعمة النابلسي ثم الدمشقي الكحال سمع منه الحديث، توفي سنة ٧٣٠[٦].

٩ ـ بهاء الدين القسم بن المظفر بن النجم محمود بن تاج الامناء بن عساكر، أجاز له مشايخ البلاد. توفي سنة ٧٢٣[٧].

---

(١) انظر: شذرات الذهب (٤٨/٦) وبغية الوعاة (٦٢/١).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٣٥/١٤) وبغية الوعاة (٦٢/١) وطبقات المفسرين (ص ٩٤).

(٣) انظر: شذرات الذهب (٤٣٧/٥) الوافي بالوفيات (٢٧١/٢)، وذيل طبقات الحنابلة (٤٤٧/٢).

(٤) انظر: شذرات الذهب (٨٩/٦) والوافي بالوفيات (٢٧١/٢).

(٥) انظر: شذرات الذهب (٣٨/٦) والوافي بالوفيات (٢٧١/٢).

(٦) انظر: شذرات الذهب (٩٣/٦) والوافي بالوفيات (٢٧١/٢).

(٧) انظر: الوافي بالوفيات (٢٧١/٢) وشذرات الذهب (٦١/٦).

١٠ ـ سليمان بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي ولد سنة ٦٢٨، كان شيخاً جليلاً فقيهاً توفي سنة ٧١٥ قرأ عليه في الحديث[١].

١١ ـ عبدالله بن عبد الحليم بن تيمية الحراني سمع المسند والصحيحين وكتب السنن، وتفقه في المذهب حتى أفتى، قرأ عليه في الفقه. توفي سنة ٧٢٧[٢].

١٢ ـ علاء الدين الكندي الوادعي[٣].

١٣ ـ عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد الصالحي المطعم، سمع الصحيح من ابن الزبيدي، توفي سنة ٧١٩ سمع منه الحديث[٤].

١٤ ـ فاطمة بنت الشيخ ابراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلي كانت دينة متعبدة صالحة مسندة، توفيت سنة ٧١١ ذكر سماعه منها ابن رجب وغيره[٥].

١٥ ـ المجد التونسي قرأ عليه قطعة من المقرب[٦].

١٦ ـ محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة بن حازم الكناني، ولد سنة ٦٣٩، مهر في التفسير والفقه، وشارك في فنون، وكان ذا

---

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/٣٦٤) وبغية الوعاة (١/٦٢)، وشذرات الذهب (٦/٣٦).

(٢) انظر: ذيول العبر (٤/٨١) والوافي بالوفيات (٢/٢٧١) وشذرات الذهب (٦/٧٦).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (٢/٢٧١).

(٤) انظر: بغية الوعاة (١/٦٢) وذيول العبر (٤/٥٥) وشذرات الذهب (٦/٥٢).

(٥) انظر: شذرات الذهب (٦/٢٨) وذيول العبر [٤/٢٨) وذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٧).

(٦) انظر: الوافي بالوفيات (٢/٢٧١).

دين وتعبد ونزاهة، سمع منه الحديث. توفي سنة ٧٣٣[١].

١٧ ـ محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي الفقيه المحدث النحوي اللغوي، ولد سنة ٦٤٥ وتوفي سنة ٧٠٩، أخذ عنه الفقه، وقرأ عليه العربية، قرأ عليه الملخص، ثم قرأ الجرجانية، ثم ألفية بن مالك وأكثر الكافية الشافية وبعض التسهيل[٢].

١٨ ـ محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الشافعي، ولد بالهند سنة ٦٤٤، وكان فاضلاً وفيه بر وصلة، توفي سنة ٧١٥ قرأ عليه في أصول الدين[٣].

١٩ ـ محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الزملكاني، كان من أذكياء زمانه، درس وأفتى وصنف، وتخرج به الأصحاب توفي سنة ٧٢٧[٤].

٢٠ ـ محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي ثم الصالحي وحيد دهره، وفريد عصره تفقه وبرع ودرس، وأفتى وناظر وحدث وأفاد. توفي سنة ٧٦٣[٥].

٢١ ـ يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي ثم الكلبي ثم الدمشقي المزي، صاحب تهذيب الكمال، له مشاركة جيدة في الفقه وغيره، ذو حظ من زهد وتعفف، وقد شهد له بالإمامة

---

(١) انظر: ذيول العبر (٤/٩٦) والوافي بالوفيات (٢/٢٧١).

(٢) انظر: ذيول العبر (٤/٢١) والوافي بالوفيات (٢/٢٧١) وشذرات الذهب (٦/٢٠).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (٢/٢٧١) والبداية والنهاية (١٤/٧٤).

(٤) انظر: شذرات الذهب (٦/٧٨) وابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي (ص ٣٢).

(٥) انظر: شذرات الذهب (٦/١٩٩).

جميع الطوائف، وأثنى عليه الموافق والمخالف. توفي سنة ٧٤٢[١].

تلاميذه

أخذ العلم عنه كثيرون منهم:

١ - ابراهيم بن العلامة شمس الدي محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه كان بارعاً فاضلاً في النحو والفقه، وفنون أخرى على طريقة والده درس بالصدرية والتدمرية. توفي سنة ٧٦٧[٢].

٢ - اسماعيل بن عمر بن كثير بن زرع الدمشقي، ولد سنة ٧٠٠ الإمام المحدث المفتي البارع، كثير الاستحضار جيد الفهم، انتهت إليه رئاسة العلم في التفسير والحديث والتاريخ، توفي سنة ٧٧٤[٣].

٣ - عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ولد سنة ٧٠٦ محدث أكثر من المسموع، وأكثر الاشتغال حتى مهر، وصنف شرح الترمذي وقطعة من البخاري، وغيرهما، توفي سنة ٧٩٥[٤].

٤ - عبدالله بن العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلي، كانت لديه علوم جيدة وذهنه حاضر خارق، أفتى ودرس وناظر، قال ابن حجر: (واشتغل على أبيه وغيره)» توفي سنة ٧٥٦[٥].

---

(١) انظر: ذيول العبر (١٢٦/٤) وابن قيم الجوزية حياته وأثاره (ص ١٠٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣١٤/١٤) وشذرات الذهب (٢٠٨/٦).

(٣) انظر: شذرات الذهب (٢٣١/٦) والبداية والنهاية (٢٣٤/١٤).

(٤) انظر: الدرر الكامنة (٤٢٨/٢) وذيل طبقات الحنابلة (٤٤٧/٢).

(٥) انظر: البداية والنهاية (٢٥٣/١٤) والدرر الكامنة (٣٩٦/٢).

٥ ـ علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي كان ممن جمع فنون العلم من الفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والورع والعبادة وكثرة التلاوة والشجاعة وكان رأساً في كل علم، توفي سنة (٧٥٦)[١].

٦ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الشافعي المعروف بالذهبي، ولد سنة ٦٧٣ صنف الكتب المفيدة السائرة في الآفاق، واختصر كثيراً من تواليف المتقدمين والمتأخرين، ترجم لإبن القيم في كتابه المعجم المختص لشيوخه ومن هنا حصلت الاستفادة بأنه من شيوخه[٢].

٧ ـ محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الصالحي، ولد سنة ٧٠٤ عني بالحديث ومعرفة الرجال والعلل وبرع في ذلك وافتى ودرس، توفي سنة ٧٤٤[٣].

٨ ـ أبو عبدالله محمد بن عبد القادر بن محيي الدين عثمان بن عبد الرحمن النابلسي، ولد سنة ٧٢٧ كان من الفضلاء الأكابر وانتهت إليه الرحلة في زمانه، توفي سنة ٧٩٧[٤].

٩ ـ محمد بن محمد بن محمد بن الخضر بن سمري الشمس الغزي

---

(١) انظر: ذيول العبر (١٦٨/٤) والدرر الكامنة (١٣٤/٣).

(٢) انظر: ذيول العبر (١٤٨/٤) مصوره بالجامعة الاسلامية للمعجم المختص برقم (١٥٤/٢) ولم ترقم الصفحات.

وابن قيم الجوزية حياته وآثاره (ص ١٠٩).

(٣) انظر شذرات الذهب (١٤١/٦) وذيل طبقات الحنابلة (٤٥٠/٢).

(٤) انظر: شذرات الذهب (٣٤٩/٦).

الشافعي ولد سنة ٧٢٤ ونشأ بالقاهرة وصنف كثيراً من الكتب، توفي سنة ٨٠٨[١] .

١٠ ـ محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الفيروز أبادي ولد سنة ٧٢٩ الإمام الكبير الماهر في اللغة وغيرها من الفنون، ارتحل إلى دمشق فسمع من التقي السبكي وجماعة زيادة على مائة كابن القيم وطبقته، توفي سنة ٨١٧[٢].

١١ ـ محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المقري التلمساني المتوفي سنة ٧٥٩، قاضي الجماعة بفاس[٣].

مؤلفاته :

كان عند ابن القيم رغبة شديدة في الكتابة والتصنيف، فألف عدداً كبيراً في مختلف العلوم قال الحافظ ابن رجب: «(وصنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلم وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه)[٤]» .

وهذه المؤلفات أقبل الناس على قراءتها من مختلف الطوائف محبة لها، ورغبة فيها قال ابن حجر: «(وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف»)[٥] .

وقد عنى بجمع هذه المؤلفات الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في

(١) انظر: البدر الطالع (٢/٢٥٤).

(٢) انظر: البدر الطالع (٢/٢٨٠).

(٣) انظر: نفح الطيب (٥/٢٠٣، ٢٥٤).

(٤) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

(٥) انظر: الدرر الكامنة (٤/٢٢).

كتابه ابن قـيم الجوزيه حياته وآثاره، وقد بلغت ٩٦ كتاباً[1] ومن أشهرها:

١ ـ اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية.
٢ ـ احكام أهل الذمة.
٣ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين.
٤ ـ اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.
٥ ـ بدائع الفوائد.
٦ ـ التبيان في أقسام القرآن.
٧ ـ تحفة الودود في أحكام المولود.
٨ ـ تهذيب سنن أبي داود. وإيضاح علله ومشكلاته.
٩ ـ جلاء الافهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام.
١٠ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.
١١ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد.
١٢ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.
١٣ ـ الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة.
١٤ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين.
١٥ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
١٦ ـ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.
١٧ ـ مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين .
١٨ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.
١٩ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية حياته وآثاره (ص ١٢٠).

اتصاله بابن تيمية

اتصل ابن القيم بابن تيمية لما عاد من مصر في سنة ٧١٢، ولازمه فكان لهذا الاتصال والملازمة الأثر الكبير في توجيهه التوجيه العلمي السليم، فقد أخذ عنه علماً جماً مع ما سلف له من الاشتغال[١].

وكان ابن تيمية يهتم بابن القيم اهتماماً عظيماً، فقد كان دائماً يوجه له النصائح والارشادات، وقد ذكر الإمام ابن القيم بعضاً مما كان يتلقاه من شيخه في هذا الشأن منها:

١ - وقال: لي شيخ الإسلام رضى الله عنه وقد جعلت أورد عليه ايراداً بعد ايراد «(لا تجعل قلبك للايرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمته تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقراً للشبهات، أو كما قال فما أعلم أنني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بهذه)[٢].

٢ - وقال: لي يوماً (لهذين الاسمين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب، وكان يشير إلى أنهما الإسم الأعظم)[٣].

٣ - وقال: لي جملة كلامه «(النفس مثل الباطوس وهو جب القذر كلما نبشته ظهر وخرج، ولكن إن أمكنك أن تسقف عليه وتعبره

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤).

(٢) مفتاح دار السعادة (ص ١٥٣).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٨٢).

وتجوزه فافعل ولا تشتغل بنبشه فإنك لن تصل إلى قراره، وكلما نبشت شيئا ظهر غيره)[١].

ولقد أوذى ابن تيمية، وسجن بسبب اتباعه الكتاب والسنة، وناصره ابن القيم حتى أدى به إلى السجن والإيذاء معه، وفي ذلك يقول ابن رجب: «(وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ)[٢]».

وقال ابن حجر: «(واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة)[٣]».

وهذا الاتصال بالشيخ والملازمة له، لم يؤد به كما أدى ببعض طلاب العلم من التعصب لشيخه، ولو كان مخالفاً للكتاب والسنة فيما ظهر له، بل كان ابن القيم يخالف شيخه في بعض المسائل[٤]. مثل حكم رضاع الطفل إذا انتقل من ثدي المرضعة إلى ثدي غيرها[٥].

مذهبـــه:

بعض من ترجم للشيخ نسبه للمذهب الحنبلي[٦]، وهذا مبني على دراسة الشيخ للمذهب الحنبلي في بداية طلبه للعلم كغـيره من

---

(١) مدارج السالكين (٢/٣٢٦).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

(٣) الدرر الكامنة (٤/٢١).

(٤) انظر: ابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامي (ص٩١).

(٥) زاد المعاد ٤/١٧٦.

(٦) الدرر الكامنة (٤/٢١) والوافي بالوفيات (٢/٢٧٠) وبغية الوعاة (١/٦٢).

العلماء، ثم اتسع في دراسته ومعرفته معرفة تامة، لأجل هذا نسب للمذهب الحنبلي، ولكن منهج الشيخ هو اتباع ما وافق الكتاب والسنة سواء من المذهب أو غيره.

وقد أشار الشيخ إلى أن اتباع ما وافق الكتاب والسنة من لوازم الشرع فقال: «(من لوازم الشرع المتابعة والاقتداء، وتقديم النصوص على أراء الرجال، وتحكيم الكتاب والسنة في كل ما تنازع فيه العلماء)[1]».

كما حذر الشيخ من مخالفة القول الموافق للكتاب والسنة، واتباع المذهب الذي يقلده حيث قال: «(ليحذر المفتي الذي يخاف مقامه بين يدي الله سبحانه أن يفتي السائل بمذهبه الذي يقلده وهو يعلم أن مذهب غيره في تلك المسألة أرجح من مذهبه، وأصح دليلاً، فتحمله الرئاسة على أن يقتحم الفتوى بما يغلب على ظنه أن الصواب في خلافه، فيكون خائناً لله ورسوله وللسائل، وغاشا له والله لا يهدي كيد الخائنين)[2]».

ولم يأل الشيخ جهداً في ابطال التقليد ومحاربته، ومن ردوده على فرقة المقلدين قوله: «(إن فرقة التقليد قد ارتكبت مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهدى أصحابه وأحوال أئمتهم، وسلكوا ضد طريق أهل العلم، أما أمر الله فإنه أمر برد ما تنازع فيه المسلمون إليه وإلى رسوله، والمقلدون قالوا: إنما نرده إلى من قلدناه، وأما أمر رسوله فإنه ﷺ أمر عند الاختلاف بالأخذ بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأمر أن يتمسك بها ويعض عليها بالنواجذ، وقال

---

(١) اعلام الموقعين (٢/٢٦٨).

(٢) اعلام الموقعين (٤/١٧٧).

المقلدون: بل عند الاختلاف نتمسك بقول من قلدناه ونقدمه على كل من عداه، وأما هدي الصحابة فمن المعلوم بالضرورة أنه لم يكن فيهم شخص واحد يقلد رجلاً واحداً في جميع أقواله ويخالف من عداه من الصحابة بحيث لا يرد من أقواله شيئاً ولا يقبل من أقوالهم شيئاً، وهذا من أعظم البدع وأقبح الحوادث، وأما مخالفتهم لائمتهم فإن الأئمة نهوا عن تقليدهم وحذروا منه، وأما سلوكهم ضد طريق أهل العلم فإن طريقهم طلب أقوال العلماء، وضبطها والنظر فيها، وعرضها على القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ، وأقوال خلفائه الراشدين فما وافق ذلك منهم قبلوه، ودانوا الله به وقضوا به وأفتوا به، وما خالف ذلك منها لم يلتفتوا إليه وردوه)(١)».

والشيخ في اتباعه ما وافق الكتاب والسنة لم يؤد به كما أدى ببعض الناس من التنقص والاحتقار للأئمة وأصحابهم.

ولذلك تجده يسوق أقوال الأئمة في كتبه، ثم يوضح القول الذي يظهر له أنه موافق الكتاب والسنة، ولو كان مخالفاً للمذهب الحنبلي، فقد خالف المذهب في بعض المسائل وفي ذلك يقول: «(وكثيراً ما ترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب، فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده، فنحكي المذهب الراجح ونرجحه، ونقول هذا هو الصواب وهو أولى أن يؤخذ به)(٢)».

ثناء العلماء عليه

أثنى عليه كثير من العلماء، واشادوا بفضله، ومنزلته العلمية،

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٢٧).

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ١٧٧).

وذلك لتمكنه في علوم كثيرة حتى لا تكاد تجد فناً من فنون العلم إلا وله فيه اليد الطولى، ومن هؤلاء العلماء:

١ ـ برهان الدين الزرعي ت ٧٤١[١].

قال فيه: «ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه»[٢].

٢ ـ محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨[٣].

قال فيه: «عني بالحديث ومتونه وبعض رجاله، وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره وتدريسه وفي الأصلين»[٤].

٣ ـ خليل بن آيبك الصفدي ت ٧٦٤[٥].

قال فيه: «اشتغل كثيراً وناظر واجتهد، واكب على الطلب، وصنف وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول فقهاً وكلاماً والفروع والعربية»[٦].

٤ ـ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤[٧]

قال فيه: «سمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والاصلين».

٥ ـ عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي ت ٧٩٥[٨]

قال فيه: «تفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير لا

---

(١) شذرات الذهب (٦/١٢٩).

(٢) شذرات الذهب (٦/١٦٩).

(٣) شذرات الذهب (٦/١٥٣).

(٤) نقلا عن ابن رجب ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

(٥) شذرات الذهب (٦/٢٠٠).

(٦) الوافي بالوفيات (٢/٢٧١).

(٧) شذرات الذهب (٦/٢٣١).

(٨) البداية والنهاية (١٤/٢٣٤).

يجاري فيه، وبأصول الدين وإليه فيهما المنتهى، وبالفقه وأصوله، وبالعربية وله فيها اليد الطولى، وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف واشاراتهم ودقائقهم له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى»[1].

٦ ـ محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الشافعي ت ٨٤٢[2].
قال فيه: «كان ذا فنون من العلوم وخاصة التفسير، والأصول من المنطوق والمفهوم»[3].

٧ ـ أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢[4]
قال فيه: «وكان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف»[5].

٨ ـ يوسف بن تغري بردي الاتابكي ت ٨٧٤[6].
قال فيه: «وكان بارعاً في عدة علوم ما بين تفسير، وفقه وعربية ونحو وحديث وأصول وفروع»[7].

٩ ـ محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السخاوي ت ٩٠٢[8].
قال فيه: «العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم، ومعرفة الخلاف وقوة الجنان، ورئيس أصحاب ابن تيمية بل هو حسنة

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).
(٢) شذرات الذهب (٧/٢٤٣).
(٣) الرد الوافر (ص ٦٨).
(٤) شذرات الذهب (٧/٣٧٠).
(٥) الدرر الكامنة (٤/٢١).
(٦) شذرات الذهب (٧/٣١٧).
(٧) النجوم الزاهرة (١٠/٢٤٩).
(٨) شذرات الذهب (٨/١٥٠).

من حسناته والمجمع عليه بين المخالف والموافق، وصاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة انتفع به الأئمة[1]».

١٠ ـ عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١[2].

قال فيه: «وصنف وناظر واجتهد، وصار من الائمة الكبار في التفسير والحديث، والفروع والأصلين والعربية»[3].

١١ ـ محمد بن علي الداودي ت ٩٤٥[4]

قال فيه: «الأصولي المفسر النحوي العارف»[5].

١٢ ـ عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩[6]

قال فيه: «المجتهد المطلق، المفسر النحوي الأصولي المتكلم»[7]

١٣ ـ محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠[8].

قال فيه: «برع في جميع العلوم، وفاق الاقران، واشتهر في الأفاق وتبحر في معرفة مذاهب السلف»[9].

١٤ ـ نعمان الألوسي ت ١٣١٧[10]

قال فيه: «المفسر النحوي الأصولي المتكلم»[11].

---

(١) التاج المكلل (ص ٤١٩).

(٢) شذرات الذهب (٨/ ٥٠).

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١/ ٦٣).

(٤) شذرات الذهب (٨/ ٢٦٤).

(٥) طبقات المفسرين (٢/ ٩٣).

(٦) خلاصة الأثر (٢/ ٣٤١).

(٧) شذرات الذهب (٦/ ١٦٨).

(٨) نيل الوطر (٢/ ٣٠٢).

(٩) البدر الطالع (٢/ ١٤٣).

(١٠) الاعلام للزركلي (٩/ ٩).

(١١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص ٣٠).

وفـاتــه:

توفي وقت العشاء الآخرة ثالث عشر رجب سنة ٧٥١ وله من العمر ستون سنة.

قال ابن كثير: «(وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب، وقت آذان العشاء توفي صاحبنا، الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها، وصلى عليه، بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله)[١]».

إلى أن قال: «(وكانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان، والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه)[٢]».

وقال ابن رجب: «(وصلى عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر، ثم بجامع جراح، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وشيعه خلق كثير)[٣]».

---

(١) البداية والنهاية (١٤/٢٣٤).

(٢) البداية والنهاية (١٤/٢٣٥).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٥٠).

الفصل الثاني

مباحث حول السماع

السماع المشروع

إن الإسلام حرم الغناء[1] لما فيه من المفاسد العظيمـة، التي تعود على العباد وشرع لهم ما أغناهم به عنه.

ذلك هو سماع الوحي وهـو سماع النبيـين وأتباعهم قـال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[4]

والله أمرنا بالاستماع والإنصات للقرآن، لأن القرآن مع السنة هما السبيل الوحيد للفوز برحمة الله، وحرى بالمسلم أن يسعى لذلك

---

(١) المراد بالغناء المحرم هو ما اجتمع فيه دف وشبابة ورجال ونساء أو من يحرم النظر إليه وكلام فحش وتغزل حرام ونحو ذلك انظر ص ٤٥٣.

(٢) سورة مريم آية (٥٨).

(٣) سورة الإسراء آية (١٠٧).

(٤) سورة الأنفال آية (٢).

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١]

ويكفي المسلم أن الله مدح أصحاب هذا السماع، المتبعين لاحسنه يفهمونه، ثم يعملون به قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢]

وكما أثنى على أهل هذا السماع، ذم المعرضين عنه، الذين إذا قرئت عليهم آيات الله ادبروا وتصامموا، كأنهم لم يسمعوها، لأنهم يتأذون بسماع الآيات، إن هؤلاء توعدهم الله بالعذاب الأليم يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣].

وأوضح الله أن المعتصم بهذا السماع المشروع من المفلحين الناجين من الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة، وأن المعرض عن سماع القرآن واتباعه جزاؤه المعيشة الضنك في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله ويحشر يوم القيامة أعمى البصر والبصيرة[٤] قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[٥].

---

(١) سورة الأعراف آية (٢٠٤).

(٢) سورة الزمر آية (١٨).

(٣) سورة لقمان آية (٧).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٢/٣).

(٥) سورة طه آية (١٢٤).

إن الاجتماع على السماع المشروع، يحصل للعبد فيه فوائد أربعة:

١ ـ غشيان الرحمة.

٢ ـ نزول السكينة.

٣ ـ حضور الملائكة.

٤ ـ ذكر الله لهم فيمن عنده.

كما في صحيح[1] مسلم «(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عندها)» .

وفي الصحيح[2] أن أسيد بن حضير كان يقرأ سورة الكهف فرأى مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فقال النبي ﷺ: «تلك السكينة تنزلت لسماع القرآن)». وكان النبي ﷺ يستمع القرآن من بعض أصحابه.

(مر النبي ﷺ بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ، فقال له: «مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فجعلت استمع لقراءتك فقال: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً)[3]».

وقال ﷺ لابن مسعود: «(اقرأ عليّ فقال: أقرأ عليك وعليك

---

(١) صحيح مسلم كتاب الدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٠٧٤/٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف (٢٣٢/٦) وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب نزول السكينة لقراءة القرآن (١/ ٥٤٧).

(٣) سيأتي تخريجه (ص ٢٧٢) .

انزل فقال: اني أشتهي أن أسمعه من غيري قال: فقرأت النساء، حتى إذا بلغت فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً. قال لي كف أو أمسك فرأيت عينيه تذرفان)» رواه البخاري(1).

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله واجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ويحبه، ويذمون من يعرض عنه، ولهذا شرع الله للمسلمين السماع في صلاتهم، وأعظم سماع في الصلوات سماع الفجر... قال الله تعالى: ﴿**وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً**(2)﴾(3)

وقال عبدالله بن رواحه(4) يمدح النبي ﷺ:

وفينا رسول الله يتلو كتابه * إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * إذا استثقلت بالمشركين المضاجع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أنما قال واقع

إن أهل السماع المشروع تظهر فيهم أثار ذكرها الله في القرآن(5).

١ - وجل القلوب قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن (٦/٢٤٣).
(٢) سورة الاسراء آية (١٠٩).
(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١١/٥٩١).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين (٨/٤٤).
(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٢٩٧، ٥٩٠).

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1].

٢ ـ دمع العين قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[2].

٣ ـ اقشعرار الجلود قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[3].

٤ ـ خشوع القلب قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[4].

وآثار الشيطان تظهر في أهل السماع الجاهلي مثل الأزباد والارغاء، والصراخات المنكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان، ولذلك يجدون في نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت إما وجد في الهوى المذموم، وإما غضب وعدوان على من هو مظلوم، وأما لطم وشق ثياب، وصياح كصياح المحزون المحروم إلى غير ذلك من الآثار الشيطانية[5].

السماع الممنوع

السماع الممنوع: هو الغناء[1] وهو ظاهرة من الظواهر السيئة

---

(١) سورة الانفال آية (٢).

(٢) سورة المائدة آية (٨٣).

(٣) سورة الزمر آية (٢٣).

(٤) سورة الاسراء آية (١٠٩).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١١/٦٤٣).

(٦) سبق توضيح المراد بالغناء الممنوع ص ٤٣ .

التي تفشت بين المسلمين، وافتتن بها بعض المسلمين نتيجة انخداعهم بشبه المبيحين.

هذه الظاهرة السيئة لاقى منها المسلمون من المفاسد مالا يعلمه إلا الله فهي رائدة كل فجور ومنبتة للنفاق، ورقية للزنا، وأكثر ما تورث عشق الصور واستحسان الفواحش، وكم من معافى تعرض لها فأمسى وقد حلت به أنواع البلايا وكم أزالت من نعمة وجلبت من نقمة[١]، وتلهى القلب عن التفكر في عظمته سبحانه والقيام بخدمته ويميله إلى اللذات العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا[٢] إلى غير ذلك من المفاسد. . .

ولما عرف أعداء الاسلام عظم خطر هذا السماع أسرعوا للسيطرة على المغنين والمغنيات وواضعي الألحان ومؤلفي كلمات الأغاني وعملوا على تجنيدهم بالمغريات المختلفة لتوجيه ما يقدمونه توجيهاً يخدم أهداف الغزو الفكري. . .[٣]

هذا النوع من السماع محرم، وممن قال بذمه من الصحابة عثمان بن عفان[٤] وعبدالله بن عمر[٥]، وعبدالله بن مسعود[٦].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٦٥ ـ ٢٦٨).

(٢) انظر: تلبيس أبليس (ص ٢٥٠).

(٣) غزو في الصميم (ص ١٧٣).

(٤) سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر باليمين (١/١١٣).

(٥) ذم الملاهي (ص ٤٠).

(٦) ذم الملاهي (ص٣٩).

وأنس بن مالك[١]، وعائشة أم المؤمنين وغيرهم[٢]

ومن التابعين سعيد بن المسيب[٣]، وعاصم بن هبيرة[٤] والقاسم بن محمد[٥]، وقتادة[٦]. وغيرهم.

وحكى ابن الجوزى عن الطبري إجماع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه وقال : (وإنما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري . . .[٧]) .

قال القرطبي: (قولها ـ أي عائشة ـ «وليستا بمغنيتين» أي الجاريتين ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرف المغنيات المعروفات بذلك، وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يحرك الساكن، ويبعث الكامن، وهذا النوع إذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء، والخمر وغيرهما من الأمور المحرمة لا يختلف في تحريمه[٨]. . .).

وقال ابن حجر الهيتمى: (الأوتار والمعازف «كالطنبور والعود والصنج أي ذي الأوتار، والرباب والجنك والكمنجة والسنطير والدريبج وغير ذلك من الآلات المشهورة عند أهل اللهو والسفاهة

---

(١) انظر: ذم الملاهي (ص ٤٠).

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (١٠/٢٢٣).

(٣) انظر: مصنف عبد الرزاق (١١/٦).

(٤) انظر: ذم الملاهي (ص ٤٥).

(٥) انظر: ذم الملاهي (ص ٤٠).

(٦) انظر: مصنف عبد الرزاق (١١/٢٦٨).

(٧) تلبيس ابليس (ص ٢٥٩).

(٨) فتح الباري (٢/٤٤٢).

والفسوق وهذه كلها محرمة بلا خلاف، ومن حكى فيها خلافاً فقد غلط، أو غلب عليه هواه حتى أصمه وأعماه ومنعه هداه، وزل به عن سنن تقواه.

وممن حكى الاجماع على تحريم ذلك كله، الإمام أبو العباس القرطبي[١].

وأما مذهب الأئمة الأربعة في هذا السماع وآلاته فهو التحريم[٢].

قال ابن تيمية: «(فمذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام)»[٣].

وحكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشبابة والغناء فقال في فتاويه: «(وأما إباحة هذا السماع وتحليله فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله في الاجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع)[٤].

والأدلة على تحريم هذا النوع من السماع وآلاته هي:

أولاً من القرآن:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[٥] قال

(١) انظر كف الرعاع عن محرمات السماع مطبوع مع الزواجر (٢/٣٠٦).

(٢) انظر تلبيس ابليس (ص ٢٥٦) وإغاثة اللهفان (١/٢٤٥).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٥٧٦).

(٤) إغاثة اللهفان (١/٢٤٧).

(٥) سورة الاسراء آية (٦٤).

مجاهد: الغناء والمزامير[1].

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[2].

قال ابن مسعود: هو الغناء[3].

وقال مجاهد: اللهو الطبل[4].

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾[5].

قال ابن عباس: هو الغناء بالحميرية سمد لنا غنى لنا[6].

ثانياً: ومن السنة:

١ ـ عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال: حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري والله ما كذبني سمع النبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم يعني الفقير لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع العلم عليهم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة» رواه البخاري[7].

٢ ـ عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان

---

(١) زاد المسير (٥/٥٨).

(٢) سورة لقمان آية (٦).

(٣) تلبيس ابليس (ص ٢٦٠).

(٤) تفسير ابن جرير (٢١/٤١).

(٥) سورة النجم آية (٦١).

(٦) انظر: تلبيس ابليس (ص ٢٦٠).

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه (١٣٨/٧).

تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: «دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فأما سألت النبي ﷺ وأما قال تشتهين تنظرين فقلت: نعم. فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك. قلت: نعم. قال: فاذهبي» رواه البخاري(١). وجه لاستدلال أن أبا بكر سمي غناء الجاريتين مزماره الشيطان ولم ينكر النبي ﷺ على أبي بكر قوله.

٣ ـ عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. رواه الترمذي(٢).

٤ ـ عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير) رواه الترمذي(٣). وقال ابن القيم: بعد أن ذكر هذا الحديث وهذا إسناده صحيح(٤).

٥ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن ثمن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد (٢/ ٢٠).

(٢) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة لقمان (٥/ ٣٤٥).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب العقوبات (٢/ ٣٣٢).

(٤) انظر: اغاثة اللهفان (١/ ٢٧٨).

الكلب ومهر الزمارة» رواه البيهقي[1] والحديث صحيح[2].

٦ ـ عن سليمان بن موسى عن نافع مولى ابن عمر سمع ابن عمر صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول: يا نافع أتسمع فأقول: نعم. قال: فيمضي حتى قلت لا قال فوضع يديه وأعاد الراحلة إلى الطريق وقال: رأيت رسول الله ﷺ وسمع صوت زمارة راع فصنع مثل هذا». رواه أحمد[3].

٧ ـ عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهر القينات والمعازف وشربت الخمور». رواه الترمذي[4]. والحديث صحيح[5].

أسماء السماع الممنوع

السماع الممنوع له في الشرع بضعة عشر اسماً.

١ ــ اللهو[6]:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ

---

(١) انظر: السنن الكبرى، كتاب الاجارة، باب كسب الأماء (٦/١٢٦).

(٢) انظر: أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان ص ٥٠.

(٣) انظر: مسند أحمد (٢/ ٣٨).

(٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف (٤/٤٩٥).

(٥) صحيح الجامع الصغير (٢/٧٨٦).

(٦) إغاثة اللهفان (١/٢٥٧).

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1].

قال الواحدي وغيره: أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء[2].

٢-٣ - الزور واللغو[3]:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[4].

قال مجاهد: الزور هنا الغناء[5].

واللغو في اللغة: كل ما يلغى ويطرح، والمعنى لا يحضرون مجالس الباطل وإذا مروا بكل ما يلغى من قول وعمل اكرموا أنفسهم أن يقفوا عليه، أو يميلوا إليه ويدخل في هذا أعياد المشركين كما فسرها به السلف والغناء وأنواع الباطل كلها[6].

٤ - الباطل[7]:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[8].

فالباطل إما معدوم لا وجود له، وإما موجود لا نفع له، فالكفر

---

(١) سورة لقمان آية (٦).

(٢) اغاثة اللهفان (١/٢٥٧).

(٣) (٦) اغاثة اللهفان (١/٢٦٠).

(٤) سورة الفرقان آية (٧٢).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير (١٩/٣١) وتفسير ابن كثير (٣/٣٢٩).

(٧) انظر: إغاثة اللهفان (١/٢٦١).

(٨) سورة الاسراء آية (٨١).

والفسوق والعصيان والسحر والغناء واستماع الملاهي كله من النوع الثاني[١].

٥ ـ المكاء والتصدية[٢]:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[٣]
قال ابن عباس وابن عمر وغيرهما: المكاء الصفير، والتصدية التصفيق[٤].

والمقصود أن المصفقين والصفارين في يراع أو مزمار ونحوه. فيهم شبه من هؤلاء الكفار، ولو أنه مجرد الشبه الظاهر فلهم قسط من الذم بحسب تشبههم بهم وإن لم يتشبهوا بهم في جميع مكائهم وتصديتهم[٥].

٦ ـ رقية الزنا[٦]:

فهو اسم موافق لمسماه، ولفظ مطابق لمعناه، فليس في رقى الزنى أنجع منه، وهذه التسمية معروفة عن الفضيل بن عياض[٧].

٧ ـ منبت النفاق:[٨]

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع)[٩].

---

(١) اغاثة اللهفان (١/٢٦١).
(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/٢٦٢).
(٣) سورة الانفال آية (٣٥).
(٤) انظر: تفسير ابن جرير (٩/١٥٧).
(٥) إانظر: إغاثة اللهفان (١/٢٦١).
(٦) (٧) إغاثة اللهفان (١/٢٦٣).
(٨) إغاثة اللهفان (١/٢٦٦).
(٩) ذكره ابن الجوزى في تلبيس ابليس (ص ٢٦٤).

٨ ـ مؤذن الشيطان:

عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «ابليس لما أنزل إلى الأرض قال: «يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً قال: الحمام. قال: فاجعل لي مجلساً. قال: الأسواق ومجامع الطرقات. قال: فاجعل لي طعاماً. قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليه. قال: فاجعل لي شراباً. قال: كل مسكر. قال: فاجعل لي مؤذناً. قال: المزمار. قال: فاجعل لي قرانا: قال الشعر قال: فاجعل لي كتاباً. قال: الوشم. قال: فاجعل لي حديثاً قال: الكذب. قال: فاجعل لي رسلاً. قال: الكهنة. قال: فاجعل لي مصائد. قال: النساء»(١).

٩ ـ الصوت الأحمق والصوت الفاجر:(٢)

عن جابر بن عبدالله قال: «(أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلق به إلى ابنه ابراهيم فوجده يجود بنفسه فأخذه النبي ﷺ فوضعه في حجره فبكى فقال له عبد الرحمن أتبكي أو لم تكن نهيت عن البكاء قال: لا ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان)» رواه الترمذي(٣).

فانظر إلى هذا النهى المؤكد بتسمية صوت الغناء صوتاً أحمق،

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا كما في إغاثة اللهفان ١/٢٦٩ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ نحوه عن ابن عباس ١١/١٠٣.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/٢٧٢).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت (٣/٣١٩).

ولم يقتصر على ذلك حتى وصفه بالفجور، ولم يقتصر على ذلك حتى سماه من مزامير الشيطان[1].

١٠ ـ صوت الشيطان[2]:

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[3] المراد بقوله (بصوتك) الغناء والمزامير[4].

١١ ـ مزمور الشيطان[5]:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: «(دخل على النبي ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ...)» رواه البخاري[6].

لم ينكر النبي ﷺ على أبي بكر تسمية الغناء مزمار الشيطان.

١٢ ـ السمود[7]:

قال الله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾[8]

---

(١) انظر: اغاثة اللهفان (١/٢٧٣).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/٢٧٤).

(٣) سورة الاسراء آية (٦٤).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير (١٥/٨١) وزاد المسير (٥/٥٨).

(٥) انظر: إغاثة اللهفان (١/٢٧٥).

(٦) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد (٢/٢٠).

(٧) انظر: إغاثة اللهفان (١/٢٧٦).

(٨) سورة النجم آية (٥٩-٦١).

عن ابن عباس: السمود الغناء في لغة حمير، يقال أسمدي لنا أي غنى لنا[1]،

حكم الرقص

الرقص تأدية حركات بجزء أو أكثر من أجزاء الجسم، على ايقاع ما للتعبير عن شعور، أو معان معينة وهو أنواع:

١ - رقص بحت لا يتقيد بفكرة أو قصة معينة.

٢ - رقص يعبر عن فكرة أو موضوع معين.

٣ - رقص جماعي يمثل رقصات تؤدي على وفق العادات، والتقاليد القديمة، يتوارثه جيل بعد جيل[2].

وقد نهى الإسلام عن الرقص والأدلة على ذلك:

أولاً: من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[3].

قال القرطبي: «استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه».

وقال: قال: (الإمام أبو الوفاء بن عقيل: «قد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال: ولا تمشي في الأرض مرحا» وذم المختال والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الأطراب والسكر، فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لأجتماعهما، فما أقبح من ذي

(١) تفسير ابن جرير (٢٧/٤٨) وإغاثة اللهفان (١/٢٧٦).

(٢) انظر: معجم المصطلحات العلمية والفنية (ص ٢٧٥)].

(٣) سورة الاسراء آية (٣٧).

لحية وكيف إذا كان شيبة يرقص ويصفق على ايقاع الألحان والقضبان وخصوصاً إن كانت أصوات لنسوان ومردان[١] . . .).

ثانياً: من السنة:

١ ـ عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل يدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة صانعة يحتسب في صنعته الخير والممد به والرامي به وقال ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا وإن كل شيء يلهو به الرجل باطل الإرمية الرجل بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فانهن من الحق ومن نسى الرمى بعدما علمه فقد كفر الذي علمه)» رواه أحمد[٢]. قال ابراهيم بن محمد الحلبي: «هذا نص صريح في تحريم الرقص»[٣].

٢ ـ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد[٤].

الرقص ليس من أعمال المسلمين ووقوعه من بعضهم إنما هو تشبه بغير المسلمين.

٣ ـ عن عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد». رواه البخاري[٥].

---

(١) تفسير القرطبي (٢٦٣/١٠).

(٢) مسند أحمد (١٤٤/٤).

(٣) الرهص والوقص لمستحل الرقص (ق ٢ب).

(٤) انظر: مسند أحمد (٥٠/٢).

(٥) صحيح البخاري كتاب الصلح باب اذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٤١/٣).

الرقص بدعة فلا يجوز فعله لأنه ليس من أمر الدين.

٤ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» رواه البخاري[(١)].

الرقص سمة من سمات النساء فوجب اجتنابه لأن التشبه بهن حرام.

أقوال السلف:

١ - عن عبدالله بن عمرو قال: «في هذه الآية في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال: هي في التوراة أن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل، ويبطل به اللعب والزفن[(٢)] والمزمارات والمزاهر والكفارات، زاد ابن رجاء في روايته والتصاوير والشعر، والخمر فمن طعمها أقسم بيمينه وعزته لمن شربها بعد ما حرمتها لأعطشنه يوم القيامة، ومن تركها بعد ما حرمتها سقيته إياها من حظيرة القدس» رواه البيهقي[(٣)] والآجرى[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجل (٢٠٥/٧).

(٢) الزفن: الرقص. انظر: النهاية لابن الأثير (٣٠٥/٢).

(٣) السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب ما جاء في ذم الملاهي من المعازف والمزامير ونحوها (٢٢٢/١٠).

(٤) انظر: تحريم النرد والشطرنج (ص ١٩٨).

٢ ـ محمد بن الوليد الطرشوشي المتوفى سنة ٥٢٠ سئل عن قوم في مكان يقرءون شيئاً من القرآن، ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر فيرقصون ويطربون، ويضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا.

فأجاب:

(مذهب السادة الصوفية أن هذا بطالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما أتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار فاتوا يرقصون حوله ويتواجدون، وهو أي الرقص دين الكفار وعباد العجل، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه، كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها. ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين)[١].

٣ ـ وقال ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧.

قال الفقهاء من أصحابنا: لا تقبل شهادة المغنى والرقاص[٢].

إلى أن قال: «أي معنى في الرقص إلا اللعب الذي يليق بالأطفال»[٣].

٤ ـ وقال: ابن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠.

«فأما تفصيل هذه المسموعات من الدف والشبابة وسماع كل

---

(١) كف الرعاع عن محرمات السماع ملحق الزواجر (٢/ ٢٨٤).

(٢) تلبيس ابليس (ص ٢٥٩).

(٣) تلبيس ابليس (ص ٣٩١).

واحد منها منفردة فإن هذه جميعها من اللعب، فمن جلعها دأبه واشتهر بفعلها أو استماعها أو قصدها في مواضعها أو قصد من أجلها: فهو ساقط المرؤة، ولا تقبل شهادته، ولا يعد من أهل العدالة وكذلك الرقاص»[١].

٥ ـ سئل العز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ عن استماع الانشاد في المحبة والرقص فقال: الرقص بدعة لا يتعاطاه إلا ناقص العقل لا يصلح إلا للنساء[٢]».

وقال أيضاً: «أما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها إلا أرعن، أو متصنع جاهل، ويدل على جهالة فاعلهما أن الشريعة لم ترد بهما لا في كتاب ولا سنة ، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء، ولا معتبر من أتباع الأنبياء وإنما يفعله الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالاهواء»[٣].

٦ ـ وقال ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨

«وأما الرقص فلم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من الأئمة بل قد قال الله في كتابه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾[٤] وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[٥] أي بسكينة ووقار وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود بل الدف والرقص في الطريق لم يأمر الله بهولا رسوله ولا أحد من سلف الأمة بل أمروا في القرآن

---

(١) فتيا في ذم الشبابه والرقص والسماع (ص ٣٢).

(٢) كف الرعاع عن محرمات السماع ملحق بالزواجر (٢/٢٧٣).

(٣) كف الرعاع عن محرمات السماع ملحق بالزواجر (٢/٢٨٢).

(٤) سورة لقمان آية (١٩).

(٥) سورة الفرقان آية (٦٣).

بالصلاة والسكينة[1] وقال أيضاً: «واتخاذ الضرب بالدف والغناء والرقص عبادة هو من البدع، التي لم يفعلها سلف الأمة ولا أكابر شيوخها. كالفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والسرى السقطى وغير هؤلاء[2]».

٧ ـ وقال: تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦
«الرقص نقص والغناء سفاهة»[3].

٨ ـ وقال بعض العلماء: «الرقص نقص وهو من أفعال أهل البطالات لا يليق بالعقلاء، ولا يناسب أحوال العقلاء. لأنهم ينزهون أنفسهم عن مشابهة السفلة الطغام، وعن مشاكلة الصبيان والنسوان[4]».

المؤلفات في السماع

١ ـ ابطال دعوى الاجماع في تحريم السماع:
تأليف محمد بن على الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ — مطبوع طبعة حجرية بالهند منه نسخة في المكتبة المحمودية تحت رقم (٨٩-٨٠).

٢ ـ أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان:
تأليف عبدالله بن يوسف الجديع — مطبوع في الكويت.

---

(١) مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١١/٥٩٩).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٦٠٤).
(٣) (ص ٤٥٢).
(٤) شرح أحياء علوم الدين (٦/٥٦٧).

٣ ـ أحكام الملاهي:
لأبي الحسين ابن المنادى — ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/٢٦٦).

٤ ـ الاعتناء بالغناء وفي أحكام السماع:
تأليف على القارىء المتوفى سنة ١٠١٤ — مخطوط منه نسخة في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة البلدية (٥١٩١-ق ٤ رقم ٣٦).

٥ ـ الامتاع بأحكام السماع:
تأليف جعفر بن تغلب الأدفوني المتوفى سنة ٧٤٩ — مخطوط يوجد في مكتبة اسكوريا بمدريد ويوجد نسخة منه في الجامعة الاسلامية رقم (٣٧٠٤ فيلم).

٦ ـ ايضاح الدلالات في سماع الآلات:
تأليف عبد الغني النابلس — مطبوع في دار الفكر بدمشق.

٧ ـ بوارق الالماع في تكفير من يحرم السماع:
تأليف أبي الفتح الغزالي — مطبوع طبعة حجرية منه نسخة في المكتبة المحمودية رقم (١٩-٨٠).

٨ ـ تحريم النرد والشطرنج والملاهي:
تأليف محمد بن الحسين الآجري المتوفي سنة ٣٦٠ — مطبوع تحت اشراف ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.

٩ ـ تنزيه الشريعة عن إباحة الآغاني الخليعة:
تأليف أحمد بن يحيى النجمي — مطبوع تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٠ ـ جزء جمع فيه الأحاديث والأثار المروية في ذم الغناء:
تأليف اسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ — ذكره ابن كثير في نص الفتوى التي ذكرت في ملحق هذا الكتاب.

١١ ـ حرمة الغناء والسماع:
تأليف عصمة الله السهانفوري المتوفى سنة ١١٠٠ — مخطوط في مكتبة الجامعة العثمانية بحيدر آباد ويوجد منه نسخة في الجامعة الاسلامية تحت رقم (٥٩٩ فيلم).

١٢ ـ ذم الملاهي:
لابن أبي الدنيا أبي بكر المتوفى سنة ٢٨٠ — مطبوع في القاهرة دار الاعتصام.

١٣ ـ رسالة في أحكام السماع والغناء:
لأبي محمد بن حزم المتوفي سنة ٤٥٦ وهي مطبوعة ضمن مجموعة من رسائله بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

١٤ ـ رسالة في تحقيق مسألة السماع:
تأليف محمد بن ابراهيم بن جماعة المتوفى سنة ١٢٨٣ — مخطوط في مكتبة دار العلوم لندوة العلماء لكناو ويوجد صورة منها في الجامعة الاسلامية رقم (١٤٤٧).

١٥ ـ رسالة ذم الشبابة والرقص والسماع:
تأليف عبدالله بن قدامة المقدسي المتوفي سنة ٦٢٠ — مطبوع في مصر بمطبعة الجبلاوي بتحقيق أبي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الظاهري.

١٦ ـ رسالة في حكم السماع:
تأليف على النوري المتوفى سنة ١١١٨ — مطبوع في دار الغرب الاسلامي. بيروت لبنان.

١٧ ـ رسالة في الرقص والسماع:
وهي ملخصة من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: تأليف محمد بن محمد المنيحى الحنبلي — مطبوعة ضمن الرسائل الكبرى وهي الرسالة الثالثة عشر. انظر المجلد الثاني.
١٨ ـ رسالة في مسألة السماع:
تأليف أحمد بن إبراهيم الواسطى المتوفى سنة ٦٩٤ — ذكرها صاحب كشف الظنون (٢/١٠٠١).
١٩ ـ الرهص والوقص لمستحل الرقص:
تأليف ابراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٢٦ مجموع ٦٨٠ دار الكتب المصرية فهرس الخزانة التيمورية.
٢٠ ـ فرح الأسماع برخص السماع:
تأليف محمد الشاذلى التونسي المتوفى سنة ٨٨٢ — مطبوع في الدار العربية للكتاب.
٢١ ـ فصل الخطاب في الرد على أبي تراب:
تأليف حمود بن عبدالله التويجري — مطبوع في الرياض.
٢٢ ـ كتاب تحريم السماع:
تأليف أبي بكر الطرطوشي ذكره الألوسي في تفسير روح المعاني (٢١/٦١).
٢٣ ـ كتاب تجويز السماع:
تأليف عطيه بن سعيد الأندلسي المتوفى سنة ٤٠٧ — ذكره الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/١٠٨٩).
٢٤ ـ كتاب السماع:
تأليف محمد بن طاهر القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧ — مطبوع في القاهرة سنة ١٣٩٠ هـ.

٢٥ ـ الشهب المرمية لمحق المعازف والمزامير وسائر الملاهي بالأدلة النقلية والعقلية:
تأليف عبد الرحمن بن عبدالله التويجري — مطبوع في دار الكتاب العربي بمصر.

٢٦ ـ كتاب السماع:
تأليف أبي منصور البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ — ذكره محمد الرهوني في مقدمة كتاب فرح الاسماع برخص السماع (ص ١٥).

٢٧ ـ كتاب الغناء وتحريمه:
تأليف أحمد بن عبدالله الطبري المتوفى سنة ٢٩٤ — ذكره ابن الجوزى في تلبيس إبليس (ص ٢٥٩).

٢٨ ـ كتاب اللهو واللعب والملاهي ونزهة الفكر الساهي:
تأليف أحمد بن محمد الشرخى المتوفى سنة ٢٨٦ — ذكره صاحب كشف الظنون (١٤٥٤/٢).

٢٩ ـ كتاب اللهو والملاهي:
تأليف ابن خرداذ به المتوفى سنة ٣٠٠ — ذكره الرهوني في مقدمة كتاب فرح الاسماع برخص السماع (ص ١٥).

٣٠ ـ كشف القناع عن مسألة السماع:
للطرطوشي — ذكره صاحب كشف الظنون (١٠٠١/٢) ويحتمل أن يكون كتاب السماع الذي ذكره الألوسي.

٣١ ـ كف الرعاع عن محرمات السماع:
لابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٤ — وهو مطبوع مع الزواجر عن اقتراف الكبائر.

٣٢ ـ نزهة السماع:
لابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ ــ مطبوع في مطابع النهضة الوطنية بحائل ١٤٠٧ هـ.

٣٣ ـ اليراع في تحريم السماع:
لأبي القاسم الدولقى ــ ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/٢٤٦).

الفصل الثالث

التعريف بالكتاب المحقق

توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف

لقد تضافرت الأدلة على نسبة الكتاب للمؤلف وهي:

١ـ الإشارة إليه في كتاب اغاثة اللهفان (١/ ٢٨٥) حيث قال: «وقد ذكرنا شبه المغنين والمفتونين بالسماع الشيطاني، ونقضناها نقضاً وإبطالاً في كتابنا الكبير في السماع، وذكرنا الفرق بين ما يحركه سماع الأبيات وما يحركه سماع الآيات، وذكرنا الشبه التي دخلت على كثير من العباد في حضوره حتى عدوه من القرب، فمن أحب الوقوف على ذلك فهو مستوفى في ذلك الكتاب».

وفي هذا الكتاب ذكر شبه المغنين التي أشار إليها في هذا الكلام وأبلغها إلى تسع وعشرين شبهه وتولى الرد عليها.

٢ـ احالته إلى كتاب مدارج السالكين لما تكلم عن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: «ولولا الخروج عما نحن بصدده لاوضحناه، وبسطنا القول، فيه فمن أراد الوقوف عليه فقد ذكرناه في كتاب مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ص ١٩٩). واحالته إلى كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد، لما تكلم عن الاعتدال بعد الرفع من السجود حيث قال: «ولهذا كان رسول الله ﷺ يطيله كما يطيل الركوع والسجود ويكثر فيه من الثناء والحمد والتمجيد كما ذكرناه في هديه ﷺ (ص ٢٠٢).

٣ـ نقوله عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر ص ١٩٤ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٤٢٨) .

٤ـ نسبة بيتين من الشعر لنفسه في هذا الكتاب وهما قوله ولي من قصيدة:

يا مرسلا لسهام اللحظ مجتهدا * أنت القتيل بما ترمى فلا تصب
أرسلت طرفك ترتاد الشفاء فما * رأي رسولك الا رائد العطب

وقد نسب هذين البيتين لنفسه في كتاب روضة المحبين (ص ٩٧).

٥ـ أسلوبه في الكتاب هو أسلوبه نفسه في كتبه الأخرى.

٦ـ جاء على الورقة الأولى من هذا الكتاب نسبته لابن القيم.

٧ـ عزاه إليه بعض العلماء بصيغ مختلفة وهي:

١ - حرمة السماع عزاه حاجي خليفة[١] - والبغدادي.[٢]

٢ - كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء عزاه الصفدي[٣] - وابن تغري بردى الأتابكي.[٤]

سبب التأليف

ورد استفتاء في سنة ٧٤٠ عن السماع الذي يشتمل على الدف والشبابة وآلات اللهو والطرب والتصفيق بالكف، ونحوه من اللهو مثل التغبير ونحوه، ويحضر الرجال والنساء، ويرقص الرجال والنساء ينظرون إليهم، ويزعمون أنَّ ذلك قربة تقربهم إلى اللّه، وأن من

(١) انظر: كشف الظنون (١/٦٥٠).

(٢) انظر: هدية العارفين (٢/١٥٨).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (١/٢٧١).

(٤) انظر: الوافي بالوفيات (٢/٢٧٣).

رقص غفر له، فأجاب عليه ثمانية من العلماء أطولهم إجابة الإمام ابن القيم.

موضوع الكتاب

موضوع الكتاب إيضاح الحق في مسألة افتتن بها كثير من الناس، وهي مسألة السماع وقد ألفه إجابة على سؤال وجعله في جزءين.

الجزء الأول: اشتمل على مقدمة.

ثمّ شرع في الإجابة على السؤال حيث قال فصل الكلام في هذه المسائل المسؤول عنها في فصلين:

الفصل الأول: في بيان حكمها في الشريعة، وهل هو التحريم أو الكراهة أو الإباحة، أو ما يقوله المفترون الكاذبون من الاستحباب والفضيلة.

الفصل الثاني: أن تعاطيها على وجه اللعب والخلاعة والمجون شيء، وتعاطيها على ما يقوله المفترون من أنها قربة وطاعة وطريق تقربهم إلى الله وتوصلهم إليه وتجمع قلوبهم عليه شيء آخر.

ثمّ ختم هذا الجزء بفصل أوضح فيه أنَّه يستحيل أن يجتمع في قلب ذوق[1] القيام بين يدي رب العالمين، وذوق القيام بين يدي المغني، وبين ذوق اللذة والنعيم بمعاني ذكر اللّه وكلامه، وذوق معاني الغناء الذي هو رقية الزنا والتلذذ بمضمونها.

---

(١) الذوق عند الصوفية: هو وجدان ملازم لذات الحق في صميمها تتذوق به المواهب والمعاطب واللذة والألم ـ التمكين ص ٢٤٨.

أما الجزء الثاني فقد اشتمل على ذكر شبه المغنين حيث ذكر تسعا وعشرين شبهة من شبههم، وقد تولى الإمام ابن القيم رد جميع هذه الشبه مستنداً في ذلك إلى القرآن والسنة وأقوال الصحابة والأئمة.

منهج المؤلف

إنَّ الناظر في هذا الكتاب تبرز له خاصية من خصائص منهج الشيخ رحمه اللّه، وهي خاصية السعة والشمول.[1]

ذلك أنَّه إذا بحث في موضوع من المواضيع استوعب الكلام فيه من كافة أطرافه، وقد استوعب الكلام في موضوع الكتاب حيث أجاب على هذه الفتوى في جزءين.

الجزء الأول: اشتمل على مقدمة أوضح فيها أنَّ الذي ينتفع بالكلام في هذه المسألة من حكم كلام اللّه ورسوله وأصحابه وأئمة الإسلام، وألقى السمع إلى كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ، وجانب طريق المبتدعة.

وأنَّ من حكم غير كلام اللّه ورسوله، واتخذ إلهه هواه فهو في سجن نفسه وإرادته، محبوس قلبه لما علاه من رين كسبه المبعد عن ربه أسود منكوس، فالطريق الموصل إلى اللّه عنه مسدود.

ثمّ شرع في الإجابة على الفتوى.

حيث قال: فصل.

والكلام في هذه المسائل المسؤول عنها في فصلين:

---

(١) ابن قيم الجوزية حياته وأثاره (ص ٥٦).

الفصل الأول: في بيان حكمها في الشريعة وهل هو التحريم أو الكراهة أو الإباحة، أو ما يقوله المفترون الكاذبون من الاستحباب والفضيلة.

الفصل الثاني: أن تعاطيها على وجه اللعب والخلاعة واللهو والمجون شيء وتعاطيها على ما يقول الكاذبون المفترون من أنَّها قربة وطاعة وطريق توصلهم وتجمع قلوبهم عليه شيء.

وقبل الشروع في الإجابة على هذه المسائل قدم لها بمقدمة تشتمل على فصلين:

الفصل الأول: أشار فيه إلى أنَّه يجب على المسلمين إذا تنازعوا في أمر من أمور الدين أن يردوه إلى اللّه ورسوله، فالإيمان يوجب عليهم هذا الرد وينتفي عند انتفائه.

وأوضح في الفصل الثاني أن ما ما دعا إليه الرسول ﷺ من شرائع الإسلام هو حياة القلوب، وما يدعو إليه مخالفوه فهو موت القلوب، ثمّ شرع في الإجابة ولم يتكلم عن كل فصل منفرداً ولكن دمج الفصلين معاً. حيث قال: إذا عرف هذا فالكلام في هذه المسائل المسؤول عنها من وجهين مفصل ومجمل.

وقد بين في المجمل أنَّ السماع المشتمل على هذه الأمور الواردة في السؤال حرام قبيح لا يبيحه أحد من المسلمين، ولا يستحسنه إلاَّ من خلع جلباب الحياء والدين عن وجهه.

وأما المفصل فقد تكلم عنه في فصول.

الفصل الأول: تحدث فيه عن أنَّ اللّه أكمل لنا هذا الدين، وأنَّ قول القائل إنَّ هذا السماع المصطلح عليه المحدث من الدين

يلزمه أحد أمرين إما أن يقول إنَّ اللّه شرعه لرسوله ففعله الرسول، وحض عليه، ودعا أمته إليه وقائل هـذا مجاهـر بالكـذب على اللّه ورسوله، فإنَّ الرسول ودينه براء من هذا السماع الذي فيه من المفاسد ما لا يعلمه إلاَّ اللّه.

وإما أن يقول إنَّ اللّه لم يشرعه، ولا رسوله ومع هذا فهو من الدين، فيلزمه على هذا أن يكون الدين نـاقصاً لم يكمله اللّه حتى يكمله هؤلاء السماعاتية. وأفرد الفصل الثاني لذكر أمثلة على إنكار مشايخ الطريق لهذا السماع والإجابة على شبهة حولهم وهي أنَّ هذا السماع يحضره جماعة من الأولياء كيف يسوغ تخطيئتهم، فأجاب على هذه الشبهة من ثمانية وجوه.

وفي الفصلين الثالث والرابع تعرض لذكر مفـاسد الغنـاء في العقل والدين وفي الفصل الخامس ناقش فيه شبهة. وهي قول القائل إنَّ سماع هذا الغناء، المطرب بهذه الآلات المطربة، المـزعج للطباع الـداعي لها إلى العشق ولـوازمه لا يؤثـر عندي، ولا أسمعـه لهذا الغرض فأجاب على هذه الشبهة بأنَّ هذا موضع الغرور والتلبيس، ومنه وقع في شبكة السماع، ثمّ ذكر عدداً من الوجوه في الرد عليها.

وفي الفصل السادس ذكر أنَّ السماع مركب من شبهة وشهوة، فـأما الشبهـة فهي تعلق أهله بالشبـه التي يستندون إليهـا. كقولهم حضره سادات المشايخ، وأقره النبي ﷺ في بيته ونحو ذلك.

وأما الشهوة فهي نصيب النفس منه، فإنَّ النفس تلتذ بسماع الغناء وتطرب بالألحان المطربة، وتأخذ بحظها الوافر منـه حتى ربما استلذها وفعل فيها ما لا يفعله الخمر.

وفي الفصل السابع أوضح أنَّه لما تقادم العهد، ودرست معالم الدين وصار الغالب على الخلق الهوى والمطاع، والتقليد الذي ليس مع مقلده برهان من اللّه انحرفت الأعمال، وفسدت الأحوال، وصدئت القلوب.

وتحدث في الفصل الثامن عن نكتة خفية من نكت السماع، وهي أنَّه ما وجد صادق في السماع الشعري وجداً، وتحرك به الا وجد عند انقضائه، ومفارقة المجلس قبضاً على قلبه ووجد نوع استيحاش.

وفي الفصل التاسع والعاشر والحادي عشر أوضح فيها الموازنة بين ذوق، الصلاة وذوق الغناء، وبيان أن أحد الذوقين مباين للآخر، وأنَّه كلما قوي ذوق، أحدهما وسلطانه ضعف ذوق الآخر وسلطانه، وأنَّه يستحيل أن يجتمع في قلب ذوق اللذة والنعيم بمعاني ذكر اللّه وكلامه، وذوق معاني الغناء الذي هو رقية الزنا.

أما الجزء الثاني: فقد ساق شبه المغنين وناقشها جملة جملة، وقد اشتملت الشبه على تفسير آيات بما يوافق مذهب المبيحين على زعمهم، وقد رد هذا التفسير بتوضيح المقصود الصحيح من التفسير مستدلاً على ذلك من القرآن والسنة، كذلك أحاديث صحيحة وغير صحيحة، وقد رد هذه الشبه إضافة إلى التفصيل بقوله: «صحيحها لا يدل وما هو صريح في الدلالة فكذب موضوع على رسول اللّه ﷺ».[1]

وأيضاً أقوال للصحابة وحكايات عنهم، وقد أثبت بطلان ما نسب إليهم قولاً وفعلاً، وأيضاً أقوال وحكايات عن الأئمة، وقد

---

(١) (ص ١٧٣).

وضع ميزاناً يوزن بـه كلام من دون رسـول اللّه ﷺ حيث قال: «والشبلي ومن هو أكبر منه من الشيوخ لا بدّ من عرض أحواله وأقواله على ما بعث اللّه به رسوله من الهدى ودين الحق، فيقبل منها ما وافق الحق، ويرد منها ما خالفه، وما احتمل الأمرين جعل من المحتملات التي لا تقبل مطلقاً ولا ترد مطلقاً، وبهذا الميزان يوزن كلام من دون رسول اللّه ﷺ وأفعاله وأحواله كائناً من كان». (١)

أجاب الشيخ على هذه الفتوى وناقش الشبه بأسلوب هادىء واضح ليس فيه عنف، بل يكتفي بإبـراز الحق مع حسن الـترتيب والإبداع في التنظيم،(٢) وعذوبة الأسلوب، وحسن التصرف وكثرة الشـواهد من القـرآن والسنة، وأقـوال الأئمـة قـال ابن حجـر عن مؤلفاته: «وهو طويل النفس فيها يتعانى الإيضاح جهده». (٣)

وقال الشوكاني: «وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه وتميل إليه الأذهان وتحبه القلوب، وليس له على غير الدليـل معول». (٤)

مكان وجود المخطوطة:

النسخة المعتمدة في هذه الرسالة هي نسخة فريدة توجـد في

---

(١) (ص ٤٢٦).

(٢) ابن قيم الجوزية حياته وأثاره (ص ٦٨).

(٣) الدرر الكامنة (٤/ ٢٢).

(٤) البدر الطالع (٢/ ١٤٤).

مكتبة أسكوربال بأسبانيا رقم (١٥٩٣)، ويوجد في مكتبة المخطوطات في الجامعة الإسلامية نسخة مصورة عنها تحت رقم (١٤٦١).

وصف النسخة:

تتكون النسخة من جزئين:

الجزء الأول: في الجواب على الفتيا من أئمة ثمانية حيث يقع جواب الأئمة السبعة في تسع ورقات، وقد جعلتها ملحقاً في آخر الرسالة، وجواب ابن القيم يقع في ٤٦ ورقة، ويقع بين الجزءين فصل لابن تيمية عدد أوراقه ٤ وهو من عمل الناسخ وقد أثبته في الحاشية.

الجزء الثاني: في عقد مجلس في المناظرة بين صاحب القرآن، وصاحب السماع لابن القيم، وهو إتمام جوابه على الفتيا يقع في ٧٨ ورقة. عدد أوراقها ١٣٨.

أسطرها تتراوح ما بين ١٥ ـ ٢٠ سطر في الصفحة الواحدة. وعدد الكلمات في السطر ما بين ٧ ـ ٩ كلمات.

وهذه النسخة لم يكتب عليها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، ولم يذكر عليها سماعات، وكتب عليها في الورقة الأولى. الحمد للّه العالمين، ملكه فقير عفو ربه الغني على بن محمد القادري الغري ثمّ الدمشقي الشافعي عفا اللّه عنه آمين.

وبالنسبة لوضوح الخط فهو واضح ليس فيه طمس، ومعظم الخط معجم ويوجد في الهامش تكميل ما حصل من نقص في المخطوط.

كما يوجد بعض الأخطاء الإملائية والنحوية، وبعض العبارات غير واضحة، أو ناقصة وأحياناً يذكر وجـوهاً ، ولا يأتي في النسخة إلاَّ ذكر بعضها.

عملي في الكتاب

١ ـ نسخت الكتاب وفقاً لقواعد الإملاء الحديثة.
٢ ـ عزوت الآيات الواردة في الكتاب إلى أماكنها من سور القرآن.
٣ ـ خرّجت الأحاديث الواردة في الكتاب.
٤ ـ خرّجت الأثار الواردة في الكتاب.
٥ ـ ترجمت للأعلام الواردة في الكتاب.
٦ ـ عزوت الأبيات الشعرية إلى قائلها ما أمكن.
٧ ـ شرحت المفردات الغريبة .
٨ ـ علقت على بعض المواضع.
٩ ـ عزوت الأقوال الواردة في الكتاب إلى مصادرها ما أمكن.
١٠ـ أشرت إلى الأماكن التي يكون الكلام فيها غير واضح أو ناقصاً مع بيان الصحيح.
١١ـ أشرت في أثناء المخطوط إلى بدء صفحاته ليسهل الرجوع إليه.
١٢ـ رقمت فصول الجزء الأول ورقمت الشُّبه في الجزء الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا كريم

صورة استفتا كتب في سنة أربعين وسبعمائة لأمر أوجب ذلك وسئل عنه أهل العلم والدين فأجابوا أعد لا أخلا الله الوجود من عدول العلم وحملته الذين يبينون للناس ما أنزل إليهم من ربهم ويتمسكون بطريقة نبيهم فإنما يهلك الناس إذا صار رؤوسا أجهالا وصفا واحدا لا يتفاضلون في علم ولا دين فإذا قبض أهل العلم والدين وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صار حينئذ المعروف ما ألفته النفوس واشتهته وصار هو العوائد وصار المنكر ما لم يعهده الإنسان وإن كان قد يكون عند الله هو الدين الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه فحينئذ تخرب الأرض وتقوم الساعة فنعوذ بالله من مضلات الفتن ونسأل الله أن يقينا شرور أنفسنا آمين

صورة الاستفتا

ما تقول السادة العلما أحسن الله توفيقهم في السماع الذي يشتمل على الدف والشبابة والآلات اللهو والطرب أو التصفيق بالكف ونحوه من اللهو من التغبير ونحوه ويحضره الرجال والنسا وربما اختلطوا بعضهم ببعض وربما جلس النسا مقابل الرجال ينظرون إليهم وهم يرقصون على صوت الشبابات والدفوف والغنا ويزعمون أن ذلك قربة يتقربون بها إلى الله ويزيد في أذواقهم ومواجيدهم الإيمانية وأن من رفض عقله ليقوي ذلك لهم وأن من أنكر ذلك عليهم محجوب ليس من أهل الحقيقة بل هو من أهل القشور وهم أهل اللباب وربما قالوا نحن وصلنا إلى ما لم يصل إليه الفقها وربما ارتفعت بينهم الأصوات

والسحر

والتشبيب والتصفيق والرقصات وربما الطبل والشبابة ويسمونها
إشارات لإخراج الأذى والدم وملابسة النار ومسك الحيات
ويزعمون أن هذه كرامات وأحوال وأنهم يدعون بها الناس
إلى الله ويقولون لنا الحقيقة ولغيرنا الشريعة وأهل هذه الطوائف
طاعة وقربة ودين يتقربون به إلى الله تعبداً وقد جعله بعضهم كالجمعة
هؤلاء الفقراء أم لا وهل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئاً من ذلك أم لا وما يجب على من نسب ذلك إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخذه ديناً وهل هذا من الحق
أم من الباطل وهل هذه طريقة أولياء الله وحزبه وأتباع رسوله
أم طريقة أهل اللهو واللعب والباطل وهل يسوغ الإنكار
على هؤلاء ويثاب من ينكر عليهم بيده وقلبه ولسانه
أم لا وهل ذلك من المنكر الذي قال فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم
يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف
الإيمان ثم إن هؤلاء القوم منهم من يقول إن هذا
السماع قربة يتقرب بها ومنهم من يقول إنه مباح
وربما قال السماع كما قال الشافعي أصحاب هذا القول
إن الشافعي هو الذي قد قال بإباحة السماع وأهل
المدينة يرى بإباحة ذلك أم لا ومنهم من يقول
هو ذنب صغير يمحوه الاستغفار ويقول ذلك
هو مصر على فعله لزعمه أن الاستغفار الذي

ليتني خلصت من ذلك رأساً برأس ولمن يمنعني الخلاص
رأساً برأس لتقصيره وتفريطه فيما أمر به ونهي عنه
وبيان هذه الطاعات لا تجيبه بيوم أنها قابلت تفريطه
وسيئاته وراح رأساً برأس كما قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وددت أني خرجت من هذا الأمر كفافاً لا لي ولا علي بعد
الخلافة خشية أن لا يكون قد قام بحقوقها بخوفه كان
حمله على ذلك القول ولم يقل ذلك أبي بكر لما زال يتهدد
له في القيام في الخلافة بالحق وبالجملة فمحظور من حضر الخلق
من الغيم لا يبدأ على مذهبه وقد اختلف الفقهاء فيما يؤخذ
مذهب الإمام من فعله والاستحباب أحد من ذلك وجماعة
والذين قالوا لا يؤخذ من فعله مذهبه قالوا
لو يفعله لفعله أو يكون متأولاً أو ناسياً
أو مخطئاً ومع هذه الاحتمالات لا يجوز
أن يجعل إليه فعله مذهباً
والله أعلم
آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الكلام على مسألة السماع

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة استفتاء كتب في سنة أربعين وسبعمائة، لأمر أوجب ذلك، وسئل عنه أئمة أهل العلم والدين، فأجابوا عنه لا أخلا الله الوجود من عدول العلم وحملته الذين يبينون للناس ما أنزل إليهم من ربهم، ويعتصمون بطريقة نبيهم، فإنما يهلك الناس إذا صاروا شرعاً واحداً، وصنفاً واحداً، لا يتفاضلون في علم ولا دين،

فإذا قبض أهل العلم والدين، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، صار حينئذ المعروف ما ألفته النفوس واشتهته، وصار هو العوائد، وصار المنكر ما لم يعتده الإنسان، وإن كان قد يكون عند الله هو الدين الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، فحينئذ تخرب الأرض، وتقوم الساعة، فنعوذ بالله من مضلات الفتن، ونسأل الله أن يقينا شرور أنفسنا آمين.

صورة الاستفتاء

ما تقول السادة العلماء، أحسن الله توفيقهم في السماع، الذي يشتمل على الدف والشبابة وآلات اللهو والطرب، والتصفيق بالكف، ونحوه من اللهو، مثل التغبير ونحوه، ويحضر الرجال والنساء، فربما اختلطوا بعضهم ببعض، فربما جلس النساء مقابل الرجال فينظرون إليهم، وهم يرقصون على صوت الشبابات والدفوف، والغناء.

ويزعمون أن ذلك قربة تقربهم إلى الله، ويزيد في أذواقهم ومواجيدهم الإيمانية وأن من رقص غفر له يقول ذلك بعضهم، وأن مَن أنكر ذلك عليهم محجوب ليس من أهل الحقيقة، بل هو من أهل القشور وهم أهل اللباب، وربما قالوا: نحن وصلنا إلى ما لم يصل إليه الفقهاء، وربما ارتفعت بينهم الأصوات والشخير، والنخير والزعقات، وربما أظهروا أشياء يسمونها إشارات كإخراج الأذن والدم، وملابسة النار ومسك الحيات.

ويزعمون أن هذه كرامات وأحوال، وأنهم يدعون بها الناس إلى الله، ويقولون لنا الحقيقة ولغيرنا الشريعة.

فهل هذه أفعال طاعة وقربة ودين شرعه الله لعباده، ورضيه منهم كما يزعمه هؤلاء القوم، أم لا، وهل فعل رسول الله ﷺ شيئاً

من ذلك أم لا؟ وما يجب على مَن نسب ذلك إلى رسول الله ﷺ، وأصحابه واتخذه ديناً، وهل هذا من الحق أم من الباطل؟ وهل هذه طريقة أولياء الله وحزبه وأتباع رسوله؟ أم طريقة أهل اللهو واللعب والباطل؟ وهل يسوغ الإنكار على هؤلاء، ويثاب مَن ينكر عليهم بيده، أو قلبه، أو لسانه أم لا؟ وهل ذلك من المنكر الذي قال: فيه رسول الله ﷺ (مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).(١)

ثمّ إن هؤلاء القوم منهم مَن يقول إن هذا السماع قربة يتقرب بها، ومنهم مَن يقول إنه مباح، وربما قال أصحاب هذا القول إن الشافعي هو الذي قد قال بإباحة السماع، فهل قال الشافعي بإباحة ذلك أم لا؟

ومنهم مَن يقول هو ذنب صغير يمحوه الاستغفار، يقول ذلك وهو مصر على فعله لزعمه أن الاستغفار الذي(٧أ) يمحوه هو مجرد نطقه بالاستغفار من غير أن يقلع بقلبه عنه، فهل هذا الاستغفار يزيل هذا الذنب من غير عزم بقلبه على تركه أم لا؟

ومنهم مَن يحتج على ذلك، وأنه مباح بحديث الحبشة الذين لعبوا في المسجد بالحراب، وعائشة تنظر إليهم من وراء(٢) النبي ﷺ.(٣)

---

(١) الحديث عن أبي سعيد وقد أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان إلخ ١/٦٩.

(٢) في الأصل من وراى.

(٣) إشارة إلى حديث عائشة وقد أخرجه البخاري كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد ٢/٢٠.

ومنهم مَن يحتج بحديث بنات النجار، وأنهن ضربن بالدف أمام النبي ﷺ.(١)

والمسؤول من السادة العلماء تبيين ذلك كله، وإيضاحه، وتعريف الصراط المستقيم وفرضنا السؤال وفرضكم الجواب، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(٣)، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك وقد أخرجه ابن ماجه كتاب النكاح، باب الغناء، والدف قال البوصيري في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات ١/٦١٢.

(٢) سورة النحل آية ٤٣.

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، (١) الكلام في هذه المسألة وتوابعها، وبيان مرتبتها في الشريعة، ومنزلتها عند سادات العارفين، (٢) وتأثيرها في القلوب خيراً أو شراً، وفي الإيمان زيادة أو نقصاً، ومباينتها لطريق السالكين إلى الله تعالى العاملين على مرضاته، أو موافقتها لها، إنما ينتفع به من حكم كلام الله ورسوله وأصحابه وأئمة الإسلام والهداة الأعلام، (٣) وألقى السمع إلى كتاب الله وسنّة رسوله وهو شهيد، وجانب طريق كل مبتدع في دين الله، مطبوع على قلبه جبار عنيد، قد حكم في ذوقه ووجده وحاله حكم الله ورسوله، وانقاد إليه، وجعل دينه وما جاء به مشربه الذي يرده ويحوم عليه، قد ارتضع من ثدي الوحي، وما انفصل عنه بفطام، واقتبس النور من مشكاته فاستنار به في سدف(٤) الظلام، قد هجر البطالين، وهاجر بقلبه إلى الله ورسوله، وهجر(٥)

---

(١) في الأصل قبل الحمد لله - جواب ثامن وهو جواب الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الحنبلي المعروف بابن إمام الجوزية قال.

(٢) العارف عند الصوفية «قال الجنيد لما سئل عن العارف بالله قال «لون الماء لون إنائه» أي أن العارف كمخلوق يتلوّن بحسب فيوضات مبدعه على قلبه فهو متلوّن في أقسام العبودية - التمكين ص ٣٢٢.

(٣) في الأصل الأعلام مكرر.

(٤) السدف الظلم القاموس المحيط ١٥١/٣.

(٥) هجر بكر وبادر إليه المعجم الوسيط ٩٨٢/٣.

وابتكر[1] إلى محابه ابتغاء مرضاته[2] وجهاداً في سبيله، فطوبى له من وحيد على كثرة الجيران، غريب مع اقتراب الأوطان، أخي سفر على أنه مقيم بين الأطلال، وعابر سبيل لم يثن عزمه طيب الثمار وبرد الظلال، وقد تعلقت همته بالمطلب الأعلى، فلم يقنع بالدون، وباع أنفاسه الدنيا بتلك العلى لا كبيع الخاسر المغبون،[3] رفع له علم السعادة فشمر إليه، واستبان له طريق الوصول إلى المطلب الأعلى (١٦ ب) فقام واستقام عليه، أجاب منادى الإيمان إذ نادى به حي (على)[4] الفلاح، وبذل نفسه في مرضاة محبوبه بذل المحب بالرضا والسماع ، وعلم[5] أنه لا بد له من لقائه فواصل إليه السرى ، والسير بالغدو والرواح، فحمد عند الوصول مسراه، وإنما يحمد القوم السرى[6] عند الصباح[7] .

فأمّا مَن اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم، وختم على سمعه[8] وبصره فأصمه وأعماه، وأعرض عن الناصح بعد ما بذل له

---

(١) إبتكر أتاه بكرة القاموس المحيط ٣٧٦/١.

(٢) في الأصل مرضاء .

(٣) المغبون المنقوص والمغلوب المعجم الوسيط ٦٥٠/٣.

(٤) في الأصل حي الفلاح وزدت على ليستقيم الكلام.

(٥) في الأصل وعلمه .

(٦) السري سير عامة الليل القاموس المحيط ٣٤١/٤.

(٧) إشارة إلى بيت وهو عند الصباح يحمد القوم السري ـ وتنجلي عنهم غيابات الكرى قائله خالد بن الوليد. أنظر مجمع الأمثال للميداني ٢/٣ وهذا يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة فمَن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ الجاثية ـ ٢٣ .

جهده في نصيحته وعاداه، وجعل أغلاط مَن لم تضمن له العصمة في أفعاله وأقواله إمامه وقدوته التي بها هداه، فهو في سجن نفسه وإرادته محبوس، وقلبه لما علاه من رين[1] كسبه المبعد له عن ربه أسود منكوس، فالطريق الموصل له إلى الله عنه مسدود، وقلبه عن النفوذ إليه محجوب ومصدود، قد أسأم[2] نفسه مع الأنعام راعياً مع الهمل،[3] واستطاب[4] لقيمات الراحة والبطالة، واستلان فراش العجز والكسل، استوعر طريق الصادقين، واستسهل طريق المبطلين، فذاك الذي ينادي من مكان بعيد، وإذا بالغت معه في النصيحة فإنما تضرب في بارد الحديد، قد اتخذ بطر الحق[5] وغمط[6] أهله سلماً إلى ما يحبه من الباطل ويرضاه، فلا يعرف من المعروف ولا ينكر من المنكر إلاّ ما وافق (١٧ أ) إرادته أو وافق هواه، يستطيل على ورثة الرسول وحزبه بقلبه ولسانه، ويتحيّز إلى المبطلين الباطلين، فهم أخص شيعته وأعوانه قد ارتوى من مشربهم، وتطلّع[7]واستشرف إلى منازل أولياء الله المقربين، وتطلع فهو يركض في ميدان جهله مع الجاهلين، وكلّما برز عليهم في ذلك الميدان ظن أنه من السابقين.

فهذا وأمثاله إنما يطمع في خطابهم لإقامة الحجة لا للاستجابة

---

(١) الرين الدنس ـ القاموس المحيط ٢٣/٤.

(٢) أسام أرعى القاموس المحيط ١٣٣/٤ .

(٣) الهمل المتروك ليلاً ونهاراً القاموس المحيط ٧١/٤ .

(٤) استطاب وجدها طيبة القاموس المحيط ٩٨/١ .

(٥) بطر الحق ـ هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله النهاية لابن الأثير ١٣٥/١ .

(٦) غمط أهله ـ الغمط الاستهانة والاستحقار النهاية لابن الأثير ٣٨٧/٣.

(٧) في الأصل تظلع .

والانقياد، كيف وأحدهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ[1] ٱلْمِهَادُ﴾.[2]

وإذا تليت عليهم آيات الله، وقرئت عليهم سنّة رسوله، وكلام أصحابه، وأئمة الإسلام، قالوا: لكم الشريعة ولنا الحقيقة، إنكم في واد ونحن في واد، نعم في وادي الويل والثبور، وحقيقة الأماني الكاذبة والغرور، وتالله ليعلمن المبطلون إذا بعثر ما في القبور، وحصل[3] ما في الصدور حقيقة ما كانوا عليه، وسوء عاقبة ما صاروا إليه، فعن قريب ينكشف الغطاء، وينجلي الغبار، ويعلم كل أحد أفرس تحته أم حمار.[4]

---

(١) في الأصل بئس

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٦.

(٣) في الأصل حصلت ولعلّ الصواب ما أثبته.

(٤) هذا القول مأخوذ من بيت لابن المعتز وهو:

سوف ترى إذ انجلى الغبار ... أفرس تحتك أم حمار

أنظر التمثيل والمحاضرة ص ٣٤٥.

فصل

والكلام في هذه المسائل المسؤول عنها في فصلين:[1]

الفصل الأول: في بيان حكمها في الشريعة، وهل هو التحريم أو الكراهة أو الإباحة، أو ما يقوله[2] المفترون الكاذبون من الاستحباب والفضيلة.

الفصل الثاني: أن تعاطيها على وجه اللعب والخلاعة واللهو والمجون شيء، وتعاطيها على ما يقوله الكاذبون المفترون (١٧ ب) من أنها قربة وطاعة وطريق تقربهم إلى الله وتوصلهم إليه، وتجمع قلوبهم عليه شيء، ونحن نتكلم بعون الله وتوفيقه وإمداده على كل واحد من الفصلين بما ييسره الله ويفتح به فإنه الفتاح العليم.

١ ـ فأمّا الفصل الأول:

فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[3] وقد أجمع الناس على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه،

(١) لم يأت ذكر الفصلين كما وعد الشيخ ولكنه دمج الفصلين مع بعض.

(٢) في الأصل أو ما يقول له.

(٣) سورة النساء آية ٥٩.

والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد مماته، فأمر سبحانه عباده المؤمنين أن يردوا ما تنازعوا فيه إليه وإلى رسوله، وخاطبهم أولاً بلفظ الإيمان ثم جعل آخراً الإيمان شرطاً في هذا الرد، فالإيمان يوجب عليهم هذا الرد، وينتفي عند انتفائه، فمَن لم يرد ما تنازع فيه هو وغيره إلى الله ورسوله لم يكن مؤمناً.

وتأمل قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ كيف أعاد الفعل وهو طاعة الرسول ليدل أنه يطاع استقلالاً، وإن أمر بما ليس في القرآن الأمر به، ونهى عما ليس في القرآن النهي عنه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يعد الفعل في طاعة أولي الأمر بل جعلها ضمناً وتبعاً لطاعة الرسول، فإنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول إذا أمروا بما أمر به، ونهوا عما نهى عنه، لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به (١٨ أ) وينهون عنه.

ثمّ قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ ولم يقل وإلى الرسول إعلاماً بأن ما رد إلى الله فقد رد إلى رسوله، وما رد إلى رسوله فقد رد إليه سبحانه، وأن ما حكم به فقد حكم به رسوله، وما حكم به رسوله فهو حكمه سبحانه.

وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ وهذا يعم دقيق ما تنازع فيه المسلمون وجليله، لا يخص شيئاً دون شيء، فمن ظن أن هذا في شرائع الإسلام دون حقائق الإيمان، وفي أعمال الجوارح دون أعمال القلوب وأذواقها ومواجيدها، أو في فروع الدين دون أصوله،(١) وباب الأسماء والصفات والتوحيد فقد خرج عن موجب الآية علماً وعملاً وإيماناً.

---

(١) في الأصل أصواله

بل كما أن رسالته ﷺ عامة إلى كل مكلف في كل وقت، فهي عامة في كل حكم من أحكام الدين أصوله وفروعه حقائقه وشرائعه، فمَن أخرج حكماً من أحكام الدين عن عموم رسالته، فهو كمَن أخرج محكوماً عليه من المكلفين عن عموم رسالته، فهذا في البطلان كهذا.[1]

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟[2] ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3] فجعل رحمته لهم معلقة بطاعة رسوله، كما جعل الفلاح والفوز معلقاً بها في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ[4] ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.[5]

وأخبر سبحانه أن أهل طاعته وطاعة رسوله هم المنعم عليهم، وهذا يقتضي أن غيرهم هم أهل الغضب والضلال، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ (١٨ ب) أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ[6] مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[7] فأخبر أن مرافقة المنعم عليهم لا تحصل إلاّ لمَن أطاعه وأطاع رسوله، وأن ذلك هو الفضل منه سبحانه، وهو عليم أين يجعله وعند مَن يضعه ويخصه به.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾

---

(١) في الأصل لهذا.

(٢) في الأصل وأطيعوا الله والرسول والصواب ما أثبته حسب نص الآية.

(٣) سورة النور آية ٥٦.

(٤) في الأصل ويخشى.

(٥) سورة النور آية ٥٢.

(٦) في الأصل فضل.

(٧) سورة النساء آية ٦٩ ـ ٧٠.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(1) وكل ما الناس فيه فإمّا طاعة للرسول، وإما هوى لنفوس لا يخرج عن الأمرين، وكل ما ليس بطاعة للرسول فهو هوى للأنفس، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وبهذا يعلم أن هؤلاء القوم مَن أتبع الناس لأهوائهم، لأن ما هم فيه ليس طاعة للرسول، فهو مجرد هوى متبع، وقد روى عنه ﷺ أنه قال: (ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فالمنجيات تقوى(3) الله في السر والعلانية وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى والمهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب كل ذي رأى برأيه). (4)

وقد أغنى الله رسوله(5) وعباده المؤمنين باتّباع هداه الذي هداهم به عن أهواء الذين لا يعلمون، ونهى عن اتباع أهوائهم،

---

(1) سورة الأحزاب آية ٧٠ ـ ٧١.

(2) سورة القصص آية ٥٠.

(3) في الأصل تقو .

(4) روى هذا الحديث أنس وقد أخرجه البزار كما في كشف الأستار عن زوائد البزار ـ باب في المنجيات والمهلكات ١/٥٩، والبيهقي في الشعب باب الخوف من الله ـ لوحة ١٦٠ والدولابي في الكنى ١/١٥١، وأبو نعيم في الحلية ٣/٣٤٣. قال المنذري «رواه البزار واللفظ له والبيهقي وغيرهما وهو مروى عن جماعة من الصحابة وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى». أنظر الترغيب والترهيب. (١/٢٨٦) وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٤١٣) .

(5) في الأصل أغنى الله ورسوله والصواب ما أثبته.

وأخبر أنهم لا يغنون عن مَن اتبعهم من الله شيئاً، وقطع الموالاة (١٩ أ) بينه وبينهم، وأخبر أنه ولّي مَن اتقاه واتبع هداه، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.[1]

وأمر سبحانه رسوله وأتباعه أن يدعوا إليه على بصيرة فقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[2] وهؤلاء المبتدعون ليسوا من الدعاة إلى الله، وليسوا على بصيرة بل هم من الدعاة إلى الشيطان، وهم من جنده وحزبه يدعون إلى ما يسخطه الله ورسوله، ويباعد من رضاه ويقرب من سخطه، فلهم نصيب من قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.[3]

٢ ـ فصل

وما دعا إليه الرسول ﷺ هو حياة القلوب، ونجاة النفوس، ونور البصائر، وما يدعو[4] إليه مخالفوه فهو موت القلوب، وهلاك النفوس، وعمى البصائر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.[5]

---

(١) سورة الجاثية آية ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٨.

(٣) سورة النجم آية ٢٣.

(٤) في الأصل يدعوه والصواب ما أثبته.

(٥) سورة الأنفال آية ٢٤.

وتأمل كيف أخبر عن حيلولته بين المرء[1] وقلبه بعد أمره بالاستجابة له ولرسوله، كيف تجد في ضمن هذا الأمر والخبر أن مَن ترك الاستجابة له ولرسوله، حال بينه وبين قلبه عقوبة له على ترك الاستجابة، فإنه سبحانه يعاقب القلوب بإزاغتها عن هداها ثانياً، كما زاغت هي عنه أولاً قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.[2]

وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ[3] أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4] وقال: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[5] فصرف قلوبهم (١٩ ب) عن الهدى ثانياً، لما انصرفوا عنه بعد إذ جاءهم أولاً.

وقد حذر سبحانه مَن خالف أمر رسوله بإصابة الفتنة في قلبه وعقله ودينه، وإصابة العذاب الأليم له، إمّا في الآخرة أو في الدنيا والآخرة فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6] قال سفيان[7] وغيره من السلف:[8] «وأي

---

(١) في الأصل المروءة .

(٢) سورة الصف آية ٥ .

(٣) في الأصل وتقلت .

(٤) سورة الأنعام آية ١١٠ .

(٥) سورة التوبة آية ١٢٧ .

(٦) سورة النور آية ٦٣ .

(٧) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلاّ أنه تغير حفظه بآخره وكان ربما دلس لكن عن الثقات وكان من أثبت الناس في عمرو بن دينار توفي ١٩٨هـ تقريب التهذيب ٣١٢/١ .

(٨) قوله وغيره من السلف مثل السدى ومقاتل وابن زيد. أنظر تفسير الطبري ١٣٥/١٩ . وزاد المسير ٦٩/٩ وتفسير ابن كثير ٣٠٨/٣ .

فتنة إنما هي الكفر».(1)

وأخبر سبحانه أن مَن تولى عن طاعة رسوله، فإنه لا بدّ أن يصيبه بمصيبة وقارعة بقدر توليه من طاعته، فقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.(2)

وقد أمر تعالى باتباع صراطه الذي نصبه لأوليائه، وجعله موصلاً إليه وإلى جنته، ونهى عن اتّباع ما سواه من السبل، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.(3)

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ قوله ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ الآية.(4)

---

(1) قال أحمد بن حنبل عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة﴾ أتدري ما الفتنة، الفتنة الشرك. لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. تيسير العزيز الحميد ص ٥٤٥.

(2) سورة المائدة آية ٤٩.

(3) سورة الأنعام آية ١٥٣.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٣٥/١، والدارمي - باب في كراهية أخذ الرأي ٦٧/١، وابن حبان في صحيحه بعضه باب ما يجب على المرء من ترك تتبع السبل دون لزوم الطريق ١٠٦/١. وابن مردوية كما في تفسير ابن كثير ١٩١/٣ وابن جرير الطبري في تفسيره ٦٥/٨، والحاكم في المستدرك كتاب التفسير - تفسير سورة الأنعام ٣١٨/٣ قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخبر رسول الله ﷺ أن كل عمل ليس عليه أمره فهو (٢٠ أ) مردود على فاعله، مضروب وجهه ولا يزيده من الله إلاّ بعداً، كما ثبت في صحيح مسلم.

عنه ﷺ أنه قال: (مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[١] وفي لفظ آخر (كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد).[٢]

وقد أخبر ﷺ أن الله سبحانه جعل الذلة والصغار على مَن خالف أمره، ففي مسند[٣] الإمام أحمد وصحيحي[٤] الحاكم.[٥]

وابن حبان[٦] من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله

---

(١) أنظر صحيح مسلم كتاب الأقضية ـ باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٤/٣ عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه أيضاً البخاري بلفظ من أحدث في أمرنا ـ كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣/ ٢٤٠ .

(٢) لم أجده في صحيح مسلم وغيره.

(٣) مسند أحمد ٢/ ٥٠.

(٤) لم أعثر على تخريجه في الحاكم وابن حبان.

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد المعروف بالحاكم النيسابوري ولد بنيسابور سنة ٣٢١ إمام أهل الحديث في زمانه كان غزير العلم درس الفقه ثم اتجه إلى دراسة الحديث وتعمق في دراسته حتى غلب عليه واشتهر به وسمع الحديث من علماء لا يحصون عدداً تولى قضاء نيسابور له مؤلفات كثيرة منها المستدرك على الصحيحين والعلل ـ والأمالي ـ أنظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٨٠ شذرات الذهب ١٧٦/٣.

(٦) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي كان حافظاً ثقة ثبتاً برز في علوم كثيرة مثل الحديث والفقه واللغة وغيرها وسافر في طلب العلم إلى بلاد كثيرة منها الحجاز والشام. من مصنفاته الصحيح. توفي سنة ٣٥٤هـ. أنظر ميزان الاعتدال ٥٠٦/٣ ـ شذرات الذهب ١٦/٣.

وحـده لا شريك لـه وجعل رزقي تحت ظـل رمحي وجعـل الـذلـة والصغار[1] على مَن خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم). [2]

وفي جامع[3] الترمذي،[4] ومسند الإمام أحمد[5] وغيرهما،[6] عن العرباض بن سارية قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينـا، قال: (أوصيكم بتقـوى الله والسمع والطاعة، فإنه مَن يعش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعـدي تمسكوا

(١) الصغار الذل والهوان النهاية لابن الأثير ٣/٣٢.

(٢) وأخرج أيضاً البخاري بعضه معلقاً عن ابن عمر. أنظر كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في الرماح ٤/٤٩ وأبو داود الجملة الأخيرة منه ـ كتاب اللباس ـ باب لبس الشهرة ٤/٤٤.

كما أخرجه أبو سعيد في المعجم ١ / ١١٠ والهروى في ذم الكلام ٣ / ٥٤ وانظر إرواء الغليل ٥/١٠٩ . والحديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير ١/٥٤٥ .

(٣) أنظر جامع الترمذي ـ كتاب العلم ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنّة واجتنـاب البدع ٥/٤٤. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(٤) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السهلي أبو عيسى الترمذي أحد الأئمة ثقة حافظ سافر إلى بلاد خراسان والعراق والحجاز وسمع من شيوخ تلك البلاد واستفاد منهم وروي عنه خلق كثير منهم أحمد بن يوسف النسفي ـ ومحمد بن مكي بن فوج صنف كتاب الجامع وكتاب العلل توفي سنة ٢٧٥هـ تهذيب التهذيب ٩/٣٨٧. تقريب التهذيب ٢/١٩٨ .

(٥) أنظر مسند أحمد ٤/١٢٦.

(٦) قوله وغيرهما مثل ابن ماجه فقد أخرجه في سننه في المقدمة ـ باب اتباع سنّة الخلفاء الراشدين ١/١٥، والدارمي باب اتباع السنّة ١/٤٤، وابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان كتاب الإيمان باب اتباع رسول الله ﷺ ص ٥٦.

بها، وعضوا عليها بالنواجذ،[1] وإيّـاكم ومحدثـات الأمور فـإن كل محدثة بدعة[2] وكل بدعة ضلالة).

(١) النواجذ ـ أقصى الأضراس أو هي الأضراس كلها ـ القاموس المحيط ١/٣٥٩.
(٢) البدعة ـ ما خالفت أصول الشريعة ولم توافق السنّة النهاية لابن الأثير ١/١٠٧.

فصل

إذا عرف هذا، فالكلام في هذه المسألة المسئول عنها من وجهين، مفصل ومجمل، أما المجمل فهو أنَّ هذا السماع (٢٠ ب) على هذا الوجه حرام قبيح، لا يبيحه أحد من المسلمين، ولا يستحسنه إلاَّ من خلع جلباب الحياء والدين عن وجهه، وجاهر اللّه ورسوله ودينه وعباده بالقبيح، وسماع مشتمل على مثل هذه الأمور قبحه مستقر في فطر الناس، حتى إنَّ الكفار ليعيرون به المسلمين ودينهم.

نعم خواص المسلمين ودين الإسلام براء من هذا السماع الذي كم حصل به من مفسدة في العقل والدين والحريم والصبيان، فكم أفسد من دين، وأمات من سنة، وأحيا من فجور وبدعة، وكم هدم به من مرضاة اللّه ورسوله، وبني به من مساخطه ومساخط رسوله، ولا إله إلاَّ اللّه كم[1] جلب من شرك، وأخفى من توحيد، وكم فيه من فتح لطرق الشيطان، وصد عن سبيل اللّه وعن الإيمان وكم أنبت في القلب من نفاق، وغرس فيه من عداوة لدين اللّه وشقاق، وكم وقع فيه من رقية للزنا والحرام، وتسهل به من طريق إلى ما كرهه اللّه من المعاصي والآثام، وكم قرت به للشيطان وحزبه من عيون، وتقرحت به لأولياء اللّه وحزبه من جفون، وكم مالت به الطباع إلى

(١) في الأصل وكم والمقام يقتضي حذف الواو.

ما حرمه اللّه ورسولـه عليها، وكم سكـرت به النفـوس فعربـدت بالمحارم، وانقادت قسراً إليها، وأرباب الخبرة من أهله يعلمون أن سكر السماع لـلأرواح، أعظم من سكـر الأبدان والنفـوس بشرب الـرّاح[1]، وأن سكر الشراب يستفيق صـاحبه عن قـريب، وسكر السماع إذا تمكن من الروح لم يبق لها في الإقامة نصيب (٢١ أ). فلو سـألت الطبـاع ما الـذي خنثها ، وذكـورة الـرجـال مـا الـذي أنثهـا ، لقالت سل السماع فإنَّه رقية الزنا وحاديه، والداعي إلى ذلك ومناديه.

هذا ولو لم يكن فيه من المفاسد إلاَّ ثقل استماع القرآن عـلى قلوب أهله واستطالته، إذا قرئ بين يدي سماعهم ومرورهم على آياته صماً وعمياناً لم يحصل لهم منـه ذوق ولا وجد ولا حـلاوة، بل ولا يصغي أكثر الحاضرين، أو كثير منهم إليه، ولا يقومون معانيه، ولا يغضون أصواتهم عند تلاوته.

فإذا جاء السماع الشيطاني خشعت منهم الأصـوات، وهدأت الحركات، ودارت عليهم كؤوس الطرب والوجد، وحدا حينئذ حادي الأرواح إلى محل السرور والأفراح، فلغير اللّه لا للّه كم من عيون تسكب غرب[2] مدامع، لم تفض [3] بقطرة منها[4] عند تلاوة كلام الرحمن، وكم من شوق ووجد ولهيب أحشاء لا يوجد منه شيء عند ذكر رب العالمين، ولا يثور ويتحرك إلاَّ عند سماع المبطلين:

تـلي الكتـاب فـأطـرقـوا لا خيفـة * لـكـنـه إطـراق سـاه لا هـي

(١) الرّاح من أسماء الخمر انظر لسان العرب ٢/٤٦١ .

(٢) الغرب عرق في العين لا ينقطع سقيه لسان العرب ١/٦٤٢.

(٣) في الأصل لم تفظ.

(٤) في الأصل بعد قوله بقطرة منها «نفس» والكلام يستقيم بدونها.

وأتى الغناء فكالذباب تراقصوا * واللّه ما رقصوا لأجل اللّه
دف[1] ومزمار[2] ونغمة شاهد * فمتى رأيت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا * تقييده بأوامر ونواهي
والرقص خف عليهم بعد الغنا * يا باطلاً قد لاق بالأشباه
يا أمة ما خان دين محمد * وجنى عليه ومله إلاّ هي[3]

وبالجملة فمفاسد هذا السماع في القلوب والنفوس (٢١ ب) والأديان، أكثر من أن يحيط بها العدّ.

والمصيبة العظمى، والداهية الكبرى، نسبة ذلك إلى دين الرسول ﷺ وشرعه، وأنّه أذن في ذلك لأمته، وأباحه لهم، وأطلقه، ورفع الحرج عن فاعله، مع اشتماله على هذه المفاسد المضادة لشرعه ودينه.

وأعظم من هذه البلية وأشد، اعتقاد أنّه قربة حتى يتقرب به إلى اللّه ودين يدان اللّه به، وأنَّ فيه من صلاح القلوب، وعمارتها بالأحوال العلية، والصفات الزكية ما يجعله أفضل من كثير من النوافل، كقيام الليل وقراءة القرآن، وطلب ما يقرب إلى الله من العلم النافع، والعمل الصالح.

وأعظم من هذا كله بلية ومصيبة، اعتقاد أن تأثر القلوب به أسرع وأقوى من تأثرها بالقرآن، وأنّه قد[4] يكون أنفع للعبد من

(١) الدف الذي يضرب به النساء لسان العرب ١٠٦/٩.
(٢) المزمار الألة التي يزمر بها لسان العرب ٣٢٧/٤.
(٣) لم أعرف القائل.
(٤) في الأصل وأن قد.

سماع القرآن، وأن فتحه أعجل وأقوى من فتح القرآن من وجوه متعددة.

ولا ريب أنَّ هذا من النفاق الذي أنبته الغناء في القلب فإنَّه كما قال عبدالله بن مسعود: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت في الماء البقل)(١) وأين نفاق فوق هذا النفاق.

ولا ريب أنَّ ارتكاب المحرمات مع العلم بتحريمها أسهل وأسلم عاقبة من ارتكابها على هذا الوجه، فإنَّ هذا قلب للدين ومشاقة لرسول رب العالمين، واتباع لغير سبيل المؤمنين، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ (٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ـ كتاب الشهادات ـ باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صناعة يؤتى عليه ويأتي له ٢٢٣/١٠ ـ وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي ص ٣٨ ـ وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ٢٦٤ وإسناده صحيح إلاَّ أنَّ فيه انقطاعاً لأنَّـه من رواية إبراهيم النخعي عن ابن مسعود وهو لم يدركه. ويحتمل أن يكون إبراهيم قد سمعه من شيخه علقمة لأنَّه قد صح عنه. وقد صحح وقفة ابن القيم في الاغاثة ٢٦٦/١ والأذرعي كما في كف الرعاع بذيل الزواجر ٢٧٩/٣: وانظر تحريم النرد والشطرنج والملاهي ص ٣٠٣.

وأخرجه مرفوعاً أبو داود في سننه كتاب الأدب ـ باب كراهية الغناء والزمر ٢٨٢/٤: والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الشهادات ـ باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صناعة يؤتى عليه ويأتي له ٢٢٣/١٠. وأبو الحسين ابن المنادي كما في اغاثة اللهفان ٢٦٦/١، وابن حزم كما في المحلي ٧٠٤/٩. قال ابن القيم في الاغاثة ٢٦٦/١ (وفي رفعه نظر والموقوف أصح) وقال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء والمرفوع غير صحيح لأنَّ في إسناده من لم يسم انظر إحياء علوم الدين ٢٨٦/٣.

(٢) سورة النساء آية ١١٥.

١ ـ فصل[١]

قال اللّه تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[٢] فقد أكمل اللّه لنا الدين فيما أمرنا به من فريضة وفضيلة وندب، وكل سبب ينال به صلاح القلب والدين، وفيما نهانا عنه من كل مكروه (٢٢ أ) ومحرم، وكل سبب يؤثر فساداً في القلب والدين.

فإذا قال القائل: هذا السماع المصطلح عليه المحدث هو من الدين الذي تصلح عليه القلوب، وتلطف وترق ويثور منها وجدها وحبها، لزمه أحد أمرين لا بدّ له من أحدهما.

إما أن يكون اللّه شرعه لرسوله حيث أكمل له دينه، ففعله الرسول، وحض عليه، وندب أمته ودعاهم إليه، فإنّه لم يترك سبباً يقربهم إلى اللّه وينال به صلاح قلوبهم وأديانهم إلاَّ شرعه، وأمر به ودعا إليه.

وقائل هذا ومعتقده مجاهر[٣] بالكذب على اللّه ورسوله، مناد على وقاحته وجراءته على اللّه وعلى رسوله، وعلى دينه، فإنَّ رسول اللّه ﷺ ودينه بريء من هذا السماع الذي فيه من المفاسد ما لا يعلمه إلاَّ اللّه، وكذلك أصحابه والتابعون لهم بإحسان، فنسبته إليهم بهت وكذب وافتراء عليهم ينفق[٤] به المبطلون باطلهم، يتترسون به من سهام حزب الرسول وأنصار دينه،

---

(١) ما تقدم المجمل ومن هنا يبدأ التفصيل.

(٢) سورة المائدة آية ٣.

(٣) في الأصل مهاجر واستقامة العبارة مجاهر.

(٤) ينفق يروج لسان العرب ٣٥٧/١٠ .

وإما أن يقول: إنَّ اللّه لم يشرعه ولا رسوله، ومع هذا فهو من الدين وحقائقه الذي ينال به صلاح القلوب، ويجمعها على اللّه فيلزمه(١) حينئذ أن يكون الدين ناقصاً لم يكمله اللّه حتى يكمله هؤلاء السماعاتية، وأنهم خصوا بخير لم يسبقهم إليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ولا بدّ لهؤلاء من أحد هذين الأمرين المنافيين لدين الإسلام أو الاعتراف بالحق، وهو أنَّ هذا(٢) أحسن أحواله .

وما يقال: فيه أنَّه من الباطل (٢٢ ب) واللعب واللهو الذي من اتخذه ديناً فله نصيب وافر من قوله ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾(٣) ونصيب من قوله ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾(٤) فالمكاء الصفير، والتصدية التصفيق .

فمن اتخذ الصفير بالشبابة(٥) والتصفيق بالأكف ديناً، فقد زاحم هؤلاء، وقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (بِغَيْرِ عِلْمٍ)﴾(٦) ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾(٧)

---

(١) في الأصل فليزمه.

(٢) كذا في الأصل ولعله وأحسن أحواله وما يقال فيه ألخ.

(٣) سورة الأنعام آية ٧٠.

(٤) سورة الأنفال آية ٣٥.

(٥) الشبابة قال القرطبي هي من أعلى المزامير وكل ما لا جله حرمت المزامير موجود فيها وزيادة انظر كف الرعاع عن محرمات السماع مطبوع مع الزواجر ٣٠٢/٢.

(٦) في الأصل محذوفاً وزدتها حسب نص الآية.

(٧) في الأصل محذوفاً وزدتها حسب نص الآية.

كأنَّ في أذنيه وقراً[١] ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢].

وقد فسر غير واحد من السلف[٣] لهو الحديث بأنَّه الغناء، وروي في ذلك حديث مرفوع من حديث عائشة أم المؤمنين: (إن اللّه حرم القينة[٤] وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها ثمّ قرأ (ومن الناس من يشتري لهو الحديث)[٥] ورواه الترمذي[٦] من حديث أبي أمامة، ولفظه أنَّ النبي ﷺ قال: (لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن[٧] ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي هذا نزلت هذه

---

(١) وقرا صمماً انظر تفسير ابن كثير ٤٤٣/٣ .

(٢) سورة لقمان آية ٦ ـ ٧.

(٣) قوله وقد فسر غير واحد من السلف ـ مثل ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد انظر تفسير مجاهد ٥٠٣ ـ زاد المسير ٣١٦/٦ .

(٤) القينة ـ هي الأمة المغنية النهاية لابن الأثير ١٣٥/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الملاهي ص ٣٧ وابن مردويه كما في الدر المنثور ٥ / ١٥٩ وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٦٢ وأخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف كما في تخريج أحاديث الأحياء للعراقي وقال العراقي قال البيهقي ليس بمحفوظ انظر إحياء علوم الدين ٢٨٤/٤ «وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩١/٤ رواه الطبراني في الأوسط وفيه اثنان لم أجد من ذكرهما وليث بن أبي سليم وهو مدلس» .

(٦) سنن الترمذي ـ كتاب التفسير ـ باب ومن سورة لقمان ٣٤٥/٥ وقال الترمذي هذا حديث غريب إنما يروى من حديث القاسم عن أبي أمامة والقاسم ثقة وعلي بن يزيد يضعف في الحديث كما أخرجه البيهقي في السنن ١٤/٦ والطبراني في المعجم الكبير ٢٣٣/٨ . وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٦١ وابن جرير في تفسيره ٣٩٥/٢١ وانظر أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان ص ٧٤ قال ابن القيم في اغاثة اللفهان ٢٥٨/١ وهذا الحديث وإن كان مداره على عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد الألهاني فعبيد الله بن زحر ثقة والقاسم، ثقة وعلى ضعيف إلاَّ أنَّ للحديث شواهد ومتابعات ويكفي تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث بأنَّه الغناء .

(٧) في الأصل ولا تعلمونهن.

الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) الآية ورواه الإمام أحمد. وعبدالله بن الزبير[1] الحميدي في مسنديهما[2].

وثبت[3] تفسير ذلك بالغناء عن الصحابة[4] والتابعين، وهم أعلم الناس بالقرآن وتفسيره، فقال: أبو الصهباء[5] سألت عبدالله ابن مسعود عن هذه الآية فقال: (هو الغناء والاستماع إليه)[6] وهو القائل: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل)[7] (٢٣ أ) وقال إبراهيم النخعي[8] والحسن البصري في هذه الآية: (أنّه الغناء)[9] وقال: عكرمة[10] عن ابن عباس في قوله ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا

---

(١) هو عبدالله بن الزبير القرشي الحميدي كان إماماً وحجة مكثراً للحديث وصاحب سنة وفضل ودين ومن أنصح الناس للإسلام روى عن ابن عيينة والشافعي وغيرهما ثقة حافظ فقيه انظر تقريب التهذيب ١/٤١٥ تهذيب التهذيب ٥/٢١٥ .

(٢) أنظر مسند أحمد ٥/٢٥٧ ولم يذكر الآية ـ ومسند الحميدي ٣/٤٠٥ مختصراً.

(٣) في الأصل وبتث .

(٤) في الأصل أصحابه .

(٥) هو صهيب أبو الصهباء البكري البصري روى عن علي وابن عباس وغيرهما وروى عنه طاووس وسعيد بن جبير وغيرهما مقبول انظر تقريب التهذيب ١/٣٧٠ وتهذيب التهذيب ٤/٤٣٩ .

(٦) أنظر تفسير ابن كثير ٣/٤٤٣ وسنن البيهقي ـ كتاب الشهادات ـ باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صناعة ١٠/٢٢٣ وتلبيس إبليس ص ٢٦٠ .

(٧) سبق تخريجه ص ١٠٩ .

(٨) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي إمام في الفقه ومن المكثرين من رواية الأحاديث المرسلة روى عن عائشة ولم يثبت له منها سماع روى عن مسروق وعلقمة ـ وروى عنه الأعمش ومنصور بن عوف، ثقة إلاّ أنّه يرسل كثيراً توفي سنة ٩٦ هـ انظر تهذيب التهذيب ١/١٧٧ وتقريب التهذيب ١/٤٦ .

(٩) الدر المنثور ٤/١٩٢ .

(١٠) هو عكرمة بن عبدالله مولى عبدالله بن عباس أصله من البربر من كبار فقهاء مكة =

﴿الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾(١) أنَّ السمود هو الغناء يقال سمد فلان إذا غني(٢).

وقد فسّر السمود باللهو،(٣) وفسر بالاعراض(٤) وفسر بالغفلة(٥)، وفسّر بالأشر، والبطر،(٦) ولا ينافي تفسيره بالغناء، فإن الغناء ثمرة ذلك كله فإن الحامل عليه اللهو والغفلة والاعراض والأشر والبطر، وذلك كله مناف للعبودية وقال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾(٧) قال مجاهد:(٨) (هو الغناء(٩) والمزامير)(١٠) وقد سماه النبي ﷺ (صوتاً أحمق فاجراً)، ولو كان مباحاً

= حرص ابن عباس على تعليمه طلب العلم على يد كثير من العلماء منهم عبدالله بن عمر وسافر إلى خراسان ومصر وغيرهما توفي سنة ١٠٧ هـ - انظر شذرات الذهب ١/١٣٠ وفيات الأعيان ٣/٢٦٥.

(١) سورة النجم آية ٦١.

(٢) انظر تفسير بن جرير ٢٧/٤٩ وتفسير بن كثير ٤/٢٦١ سنن البيهقي كتاب الشهادات - باب الرجل يغنى فيتخذ الغناء صناعة ١٠/٢٢٣ وهذا الأثر صحيح أنظر أحاديث ذم الغناء في الميزان ص ١٥٠.

(٣) فسره ابن عباس وبه قال الفراء والزجاج قال أبو عبيدة يقال دع عنك، سمودك أي لهوك أنظر زاد المسير ٨/٨٦.

(٤) فسره مجاهد زاد المسير ٨/٨٦.

(٥) فسره قتادة زاد المسير ٨/٨٦.

(٦) فسره الضحاك زاد المسير ٨/٨٦.

(٧) سورة الإسراء آية ٦٤.

(٨) هو مجاهد بن جبر المكي كان إماماً في التفسير وفقيهاً ومن المكثرين للحديث ثقة روى عن علي وسعد بن أبي وقاص وغيرهما وعرض القرآن على ابن عباس ٣٠ مرة توفي سنة ١٠٣هـ. أنظر تقريب التهذيب ٢/٢٢٩ وتهذيب التهذيب ١٠/٤٣.

(٩) أنظر الدر المنثور ٤/١٩٢.

(١٠) سبق تعريفها ص ١٠٨.

لما كان فاجراً، يروى البخاري في صحيحه[1] من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: (دخلت على النبي ﷺ وفي حجره إبراهيم يعني ابن رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه[2] وعيناه تذرفان فقلت يا رسول الله أو لم تنه عن البكاء فقال إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، رنة[3] عند مصيبة، وشقّ[4] جيوب، وخمش وجوه، ورنة شيطان، وصوت عند نغمة[5] لهو ولعب).

أراد بالصوت الأول، ما يحدثه الحزن والمصيبة من النياحة والدعاء بالويل وتوابع ذلك.

وبالصوت الثاني، ما يحدثه الطرب واللذة من الغناء وتوابعه، فإن نفس قوة الطرب قوة الحزن[6] والأسف، فإذا ورد عليها وارد أثار منها ذلك، واثر[7] فيها هذا الصوت وتوابعه، وهذا الصوت

(١) روى البخاري صدره من حديث أنس وفيه قصة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله، فقال يا ابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلاّ ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.
كتاب الجنائز ـ باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون ٣/١٠٥.

(٢) يجود بنفسه ـ يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله يجود به، يريد أنه كان في النزع وسياق الموت. النهاية لابن الأثير ١/٣١٢.

(٣) رنة الشيطان صوته الذي يرن به النهاية لابن الأثير ٣/٢٧١.

(٤) في الأصل أو شق.

(٥) في الأصل ولهو

(٦) في الأصل في نفس قوة الطرب وقوة الحزن واستقامة العبارة كما أثبت.

(٧) في الأصل بدون واو والسياق يقتضيها.

وتوابعه بحسب قوة الوارد وضعف النفس، فاستفزها الشيطان حينئذ، ونال منها مراده بمعصية الله، والخروج عن أمره في هذا الحال. وهذه الحال.

ولهذا شرع الله سبحانه لعباده عند هذين الواردين (٢٣ ب) بما يحفظ به العبد قلبه وإيمانه ودينه أن يستلبه الشيطان. ويستفزه، فشرع لهم عند المصيبة الصبر والاسترجاع، وعند النعمة سجود الشكر، والتواضع لله وحمده، وشكره، فبذلك تدوم النعمة، كما أن بالصبر والاسترجاع تندفع المصيبة عن القلب، أو تخف فعارض الشيطان وحزبه أمر الله، وشرعوا عند المصيبة والنعمة الصوتين الأحمقين الفاجرين، صوت الندب والنياحة والدعاء بالويل والعويل وتوابع ذلك، وصوت الغناء والمزامير[١] وآلات اللهو. وتوابع ذلك.

وبذلك يتبين لَمن له قلب حي، وبصيرة منورة بنور الإيمان، أن الغناء والسماع الشيطاني وآلات اللهو إنما نصبها الشيطان مضادة لأمر الله ومعارضة لما شرعه لعباده، وجعله سبب صلاح قلوبهم، وأديانهم،[٢] واستخف الشيطان حزبه وحسن لهم ذلك. فأطاعوه، وزينه لهم فاتبعوه ولما فعلوا ذلك، واستجاب لهم من قلّ نصيبه من العلم والإيمان، صاح بهم جند الله وحزبه من كل قطر وناحية، وحذروا منهم، ونهوا عن مشابهتهم، والاقتداء بهم من سائر طوائف أهل العلم، فصاح بهم أئمة الحديث، وأئمة الفقه، وأئمة التفسير، وأئمة الزهد، والسلوك إلى الله، وحذروا منهم كل الحذر، فقد ذكرنا

---

(١) سبق تعريفها ص ١٠٨ .

(٢) في الأصل أو أديانهم واستقامة العبارة كما أثبت.

كلام ابن مسعود،[1] والحسن البصري،[2] وإبراهيم النخعي.[3]

وأمّا أبو حنيفة وأصحابه، فمَن أشد الناس فيه وأسهل[4] ما عندهم فيه أنه من الذنوب والمعاصي، (٢٤ أ) وهذا مذهب سائر أهل بلده، قدس الله روحه مثل سفيان الثوري وحماد بن أبي سليمان،[5] وقبله الشعبي[6] وإبراهيم.[7] لا خلاف بينهم في ذلك، وكذلك علماء أهل البصرة لا خلاف بينهم في المنع منه، إلاّ ما يروى عن عبيدالله بن الحسن العنبري[8] أنه كان لا يرى به بأساً،[9] لكن ليس على هذه الصفة التي يفعلها الفساق، فإن هذا لا يجيزه أحد من أهل العلم.

---

(١) أنظر ص ١٠٩ .

(٢) أنظر ص ١١٣ .

(٣) أنظر ص ١١٣ .

(٤) في الأصل واستهل.

(٥) هو حماد بن أبي سليمان مولى إبراهيم بن أبي موسى الأشعري - من كبار فقهاء الكوفة تفقه على يد إبراهيم روى عن أنس وزيد بن وهب وروى عنه عاصم الأحول والثوري وغيرهما فقيه صدوق له أوهام توفي سنة ١٢٠ هـ تهذيب التهذيب ١٦/٣ وتقريب التهذيب ١٩٧/١ .

(٦) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي تابعي جليل القدر وافر العلم روى عن علي وسعد بن أبي وقاص وغيرهما روى عنه أبو إسحاق السبيعي وإسماعيل بن أبي خالد فقيه فاضل مات بعد المائة تهذيب التهذيب ٦٥/٥ وتقريب التهذيب ٣٨٧/١.

(٧) إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي وقيل التميمي أبو إسحاق البلخي الزاهد صدوق توفي ١٦٢ - تقريب التهذيب ٣١/١.

(٨) هو عبيدالله بن الحسن بن الحصين العنبري ثقة فقيه تولى القضاء روى عن خالد الحذاء وسعيد الحريري روي عنه ابن مهدي وخالد بن الحارث توفي سنة ١٦٨ تهذيب التهذيب ٧/٧ وتقريب التهذيب ٥٣١/١ .

(٩) تلبيس إبليس ٢٥٨.

قال: زكريا بن يحيى الساجي،[1] «وكذلك مذهب جميع أهل المدينة، إلاّ إبراهيم بن سعد[2] وحده. فإنه كان لا يرى به بأساً»، قال: القاضي أبو الطيب طاهر بن عبدالله الطبري[3] «فقد أجمع علماء الأمصار على كراهته والمنع منه». والوصف لعواره وتأثيره في القلوب قال: «وإنما فارق الجماعة هذان الرجلان إبراهيم وعبيدالله»[4] وقد قال رسول الله ﷺ (مَن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية)[5] فالمصير إلى قول الجماعة أولى لا سيما من أحب أن يستبرئ لدينه ويحتاط لدينه.

فإن قال: قائل من هذه الطائفة المفتونة بسماع الغناء، نحن لا ندع سماع الغناء إذا كان قول بعض أهل العلم موافقاً لما نقوله ونعتقده إلاّ بدليل من كتاب الله.

---

(١) هو زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي محدث ثقة سمع من محمد بن بشار وهدبه بن خالد وروي عنه أبو الحسن الأشعري سافر من أجل العلم إلى عدد من البلدان منها الحجاز ومصر والكوفة صنف عدداً من الكتب منها علل الحديث واختلاف الفقهاء توفي ٣٠٧. أنظر شذرات الذهب ٣/ ٢٥٠ ـ طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٩٩.

(٢) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري يكني أبا إسحاق سكن بغداد روي عن صالح بن كيسان وغيره ثقة حجة تكلم فيه بلا قادح توفي سنة ١٨٣هـ ـ تهذيب التهذيب ١/ ١٢١ وتقريب التهذيب ١/ ٣٥.

(٣) طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري كان إماماً فاضلاً ورعاً عالماً بأصول الفقه وفروعه ولد سنة ٣٤٨ سكن بغداد سمع من أبي أحمد الغطريفي وروي عنه الخطيب البغدادي وغيره رحل في سبيل العلم إلى بلدان كثيرة منها نيسابور وبغداد، توفي سنة ٤٥٠هـ وفيات الأعيان ٣/ ٥١٢ طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٢ .

(٤) (٦) تلبيس إبليس ص ٢٥٩ .

(٥) الحديث عن عاصم بن عبيدالله وقد أخرجه البخاري ـ كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٩/ ٧٨ ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣/ ١٤٧٧ وأحمد في مسنده ٣/ ٤٤٦ .

فالجواب أن اعتقاد هذه الطائفة مخالف لإجماع المسلمين، فإنه ليس في المسلمين من جعله طاعة وديناً، ولا رأى إعلانه في المساجد، ولا حيث كان من البقاع الكريمة والجوامع الشريفة، فكان مذهب هذه الطائفة مخالفاً لما أجمعت عليه العلماء، ونعوذ بالله من الخذلان.

وقد قال: الشافعي[1] (٢٤ ب) في كتاب أدب القضاء (إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومَن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته)[2] قال الشافعي: «وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته»[3] وقال: «هو دياثة»[4] «وأخاف أن يكون[5] ديوثاً[6]». قال أبو الطيب[7] وإنما جعل صاحبها سفيهاً لأنه دعا الناس إلى الباطل ومَن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهاً فاسقاً»[8] وقال الشافعي: «خرجت من بغداد وخلفت بها شيئاً أحدثته الزنادقة[9] يسمونه[10] التغبير يصدون الناس به عن القرآن».[11] هذا

(١) في الأصل الشافعي مكرر.

(٢) أنظر الأم كتاب الأقضية ـ شهادة القاذف ٦/٢٠٩.

(٣) المصدر السابق نفسه ـ وسنن البيهقي ـ كتاب الشهادات ـ باب الرجل يتخذ الغلام والجارية المغنيين ويجمع عليهما ويغنيان ١١/٢٢٥.

(٤) الديوث ـ هو الذي لا يغار على أهله النهاية لابن الأثير ٣/١٤٧.

(٥) في الأصل أيكون.

(٦) لم أجد هذه الزيادة.

(٧) سبقت ترجمته ص ١١٨.

(٨) قائل هذا القول ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس ص ٢٧١.

(٩) الزنادقة من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو مَن لا يؤمن باليوم الأخر وبالربوبية أو مَن يبطن الكفر ويظهر الإيمان القاموس المحيط ٣/٢٤٣.

(١٠) في الأصل ويسمونه وحذفت الواو ليستقيم الكلام.

(١١) أنظر تلبيس إبليس ص ٢٥٨.

والتغبير ضرب بقضيب على جلد أو مخدة، يخرج له صوت، وينشدون معه أشعاراً مرققة مزهدة.

فإذا كان هذا قول الشافعي قدس الله روحه فيه، فما قوله في سماع الأشعار والأغاني. التي تتضمن ذكر المعشوق، وحسن ملقاه، وعذوبة عتابه، وبث شكواه وبزه[1] المليح، ودل مَن يهواه، وحلاوة العطف. والوصال والإقبال والتلاقي، ومرارة الصد والهجران، والاعراض والفراق، ووصف محاسن المليح والمليحة من اعتدال أغصان القدود،[2] وتفتح ورد الخدود، وحسن استدارة رمان النهود، وفتور الطرف الساج،[3] وفلق صبح الجبين في سواد شعر الليل الداج،[4] ولين المعاطف واعتدالها، وبهجة تلك المحاسن وجمالها، هذا مع كونه من أمرد يروق[5] العيون منظره، ويدعو إلى غير العفاف تثنيه وتكسره، ـلا يستر وجهه بنقاب،[6] ولا معاطفه بجلباب،[7] أو امرأة حسناء قد أخذت محاسنها بمجامع القلوب والعيون، فصوتها وجمالها فتنة لكل مفتون، هذا إلى ما يقترن (٢٥ أ) بذلك من الدفوف المجلجلات،[8] والشبابات[9] المطربات، والمواصيل[10] المهيجات.

---

(١) في الأصل وعزه ولعل ما أثبته هو الصواب ومعنى بزه هيئته المعجم الوسيط ١/٥٤.

(٢) القدود جمع قد وهو القامة لسان العرب ٣ / ٣٤٥ .

(٣) الساج ـ الساكن . المعجم الوسيط ١/٤٢٠ .

(٤) الداج ـ المظلم. لسان العرب ٣/٢٦٥ .

(٥) يروق يعجب القاموس المحيط ٣/٢٣٨.

(٦) النقاب هو الذي يبدو منه محجر العين النهاية لابن الأثر ٥/١٠٣.

(٧) الجلباب كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها النهاية لابن الأثير ١/٢٨٣.

(٨) المجلجلات جمع مجلجلة وهي شدة الصوت القاموس المحيط ٣/٣٥٠.

(٩) سبق تعريفها ص ١١١ .

(١٠) المواصيل جمع موصول ـ وهو القصب الذي يضرب به مع الأوتار ـ كف الرعاع ملحق =

فحاش الشافعي وغيره من أئمة المسلمين، بل ومن له نصيب من العلم والدين، أن ينسبوا اباحة مثل هذا إلى شريعة رب العالمين، وسنة رسوله الأمين الذي[1] فرقت رسالته بين الهدى[2] والضلال، والغي والرشاد، والشك واليقين.

ومن أبطل الباطل. وأبين المحال، الاستدلال على حل هـذه العظائم بغناء جويرتين دون البلوغ من جواري الانصار، في يوم عيد بأبيات من أشعار العرب في وصف الحرب والشجاعة، والبأس ونحو ذلك غناءاً مجرداً عن جميع ما عليه سماع الفساق المبطلين مما ذكرناه وغيره.

قال: جعفر بن محمد[3]، قلت لأبي عبدالله يعني[4] أحمد بن حنبل حديث الزهري[5] عن عروة[6] عن عائشة، وهشام[7] عن

= بالزواجر ٣/٣٠٥.

(١) في الأصل الذين واستقامة العبارة كما أثبت.

(٢) في الأصل الهداى.

(٣) في طبقات الحنابلة جماعة بهذا الإسم سمعوا للإمام أحمد ولم يتبين لي الذي سأل الإمام هذا السؤال انظر طبقات الحنابلة ١/١٢٣ .

(٤) في الأصل يغني.

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيدالله الزهري من كبار المحدثين والفقهاء رأى عشرة من الصحابة روى عن عبدالله بن عمر وعبدالله بن جعفر وغيرهما روى عنه عمر بن عبد العزيز وصالح بن كيسان متفق على جلالته واتقانه تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ ـ تقريب التهذيب ٣/٢٠٧ .

(٦) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبدالله المدني ثقة فقيه مشهور من الثانية مات سنة ٩٤ على الصحيح ومولده أوائل خلافة عمر الفاروق ـ تقريب التهذيب ١٩/٣.

(٧) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ثقة فقيه ربما دلس مات ٤٥ أو ٤٦ =

أبيه عن عائشة عن جوار[1] يغنين ايش هذا الغناء قال: غناء الراكب: أتيناكم أتيناكم[2] قال[3]: الخلال[4] اخبرنا أحمد[5] بن الفرج الحمصي[6].

قال: يحيى بن سعيد[7]: حدثنا أبو عقيل[8] عن بهيه[9] عن عائشة قالت: «كانت عندنا يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلاً من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها فقال رسول الله ﷺ يا عائشة إن الأنصار ناس فيهم غزل فما قلت قالت دعونا بالبركة ثم انصرفوا قال أفلا قلتم:

= تقريب التهذيب ٣/٣١٩.

(١) في الأصل جواري.

(٢) اخرجه ابن الجوزي في تلبيس ابليس ص ٢٥٣ والخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٦٤.

(٣) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ١٦٣.

(٤) في الأصل خلال.

(٥) في الأصل بعضه بياض والصواب ما أثبته.

(٦) هو أحمد بن الفرج بن سليمان الحمصي روى عن بقية بن الوليد وضمرة بن ربيعة روى عنه النسائي وموسى بن هارون قال ابن عدى هو وسط ليس بحجة تهذيب التهذيب ١/٦٧ ـ شذرات الذهب ٣/١٦٢.

(٧) يحيى بن سعيد القطان البصري ثقة متقن حافظ امام قدوة توفي سنة ٢٩٨ ـ تقريب التهذيب ٣/٣٤٨.

(٨) هو يحيى بن المتوكل العمري المدني روى عن أبيه وأمه وبهيه ضعيف مات سنة ١٦٧ تهذيب التهذيب ١١/٢٧٠ وتقريب التهذيب ٣/٣٥٦.

(٩) بهيه روى عنها أبو عقيل بن المتوكل قال الأزدي لا يقوم حديثها وذكرها ابن عدى ثم قال ليحيى عنها مقدار ستة أحاديث وأحاديثها ليست بمناكير وقال الجوزجاني سألت عنها كي أعرفها فاعياني ميزان الاعتدال ١/٣٥٦.

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر * ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السمراء * لم تسمن عذاريكم»[1]

فهذا وأمثاله الذي أذن فيه رسول الله ﷺ، لم يأذن في تلك المصائب والدواهي، ومن كذب عليه فليتبوأ (مقعده)[2] من النار والاستدلال بهذه القصة وأمثالها على حل هذه (٢٥ب) العظائم المعلوم قبحها بالفطر السليمة، والعقول الصحيحة يشبه الاستدلال على حل الخمر والمسكر بأكل قبضة من تمر، أو زبيب ويشرب فوقها ـ شربة من ماء، فإذا ضم أحدهما إلى الآخر في الإناء حتى أسكر، ثم شربه كأنه كضمه هذا إلى هذا في بطنه، وعقول هذا مبلغها من العلم والمعرفة، حقيق لمن نصح نفسه، وخاف مقام ربه، وتزود ليوم معاده، وعلم أنه موقوف بين يدي الله، ومسؤول أن لا يعبأ بها شيئاً، وأن لا يغتر بها وبأهلها،

وقد قيل: «إن التغبير في لسان السلف هو الغناء» قال: الحافظ

---

(١) اخرجه أحمد في مسنده ٣/٣٩١.
وابن ماجة كتاب النكاح باب الغناء والدف ١/٦١٢.
والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الصداق باب ما يستحب من إظهار النكاح وإباحة الضرب بالدف عليه ٧/٢٨٩.
والحاكم في المستدرك كتاب النكاح باب الأمر بإعلان النكاح ٢/١٨٣ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وابن الجوزى في تلبيس إبليس ص ٢٥٣ .
وأبو الشيخ كما في فتح الباري ٩/٢٢٥.
قال الحافظ في الفتح ٩/٢٢٦ والأحاديث القوية فيها الأذن في ذلك للنساء فلا يلحق بهن الرجال لعموم النهى عن التشبيه بهن.
(٢) في الأصل فليتبوأ من النار وزدت مقعده ليستقيم الكلام.

أبو موسى المديني[1]: قيل: (إنه الغناء، لأنه يحمل الناس على الرقص فيغبرون الأرض بالدق والفحص وحثى التراب، قال: أبو موسى قال الشافعي «بالعراق زنادقة وضعوا التغبير، وفي رواية أحدثوا القصائد ليشغلوا الناس عن القرآن»[2] قال: وسئل أحمد بن حنبل عن التغبير فقال: «بدعة[3]، إذا رأيت انساناً منهم في طريق فخذ في طريق أخرى.

وقال أبو الحسن بن القصار[4] إمام المالكية: سئل مالك عن السماع، فقال: «لا يجوز» قيل: فإن بالمدينة قوماً يسمعون ذلك. قال: «إنما يسمع ذلك عندنا الفساق»[5] قال الله تعالى ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[6] أهو حق فقال: السائل لا:

وفي جامع الخلال[7]، عن يزيد بن هارون[8] إمام الإسلام في

(١) هو أبو موسى محمد بن أبي بكر بن عمر بن أحمد المديني من كبار الحفاظ وصاحب ورع وعبادة وتقىً سمع من غانم البرجي وجماعة من أصحاب أبي نعيم ألف في الحديث وعلومه مؤلفات مفيدة منها كتاب المغيث والزيادات وغيرهما توفي سنة ٥٨١ وفيات الأعيان ٢٨٦/٤ شذرات الذهب ٢٧٣/٤.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نحوه للخلال. ص ١٦٨.

(٣) تلبيس إبليس ص ٢٥٦، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ١٦٧.

(٤) هو علي بن أحمد البغدادي المعروف بابن القصار الإمام الفقيه تفقه على أبي بكر الأبهري وغيره وبه تفقه القاضي عبد الوهاب ومحمد بن عمروس وجماعة. له كتاب في مسائل الخلاف توفي ٣٩٨ هـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ١٢/١.

(٥) تلبيس ابليس ص ٢٥٧.

(٦) سورة يونس، آية ٣٢.

(٧) هو أحمد بن هارون أبو بكر المعروف بالخلال سمع الحسن بن عرفه وسعدان بن نصر وغيرهما حدث عنه جماعة منهم أبو بكر بن عبد العزيز ومحمد بن المظفر صنف مصنفات كثيرة منها الجامع والعلل وغيرهما توفي سنة ٣١١ طبقات الحنابلة ١٢/٣.

(٨) هو يزيد بن هارون بن زاذان السلمي من أهل واسط سمع يحيى بن سعيد الإنصاري =

وقته، أنه قال: «ما يغبر إلا فاسق» ومتى كان التغبير»[1] وفي مسائل عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي عن الغناء فقال: «الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني»[2] قال: عبدالله وحدثني أبي قال حدثني (٢٦أ) اسحاق بن عيسى الطباع[3] قال: سألت مالك بن أنس عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال: «انما يفعله عندنا الفساق»[4].

هذا وقد برأ الله غناءهم عن غناء الفساق اليوم. وقال الخلال: أخبرني العباس بن محمد الدوري[5] قال: سمعت ابراهيم بن المنذر[6] وسئل فقيل له: أنتم ترخصون في الغناء فقال: «معاذ الله ما يفعل هذا عندنا الا الفساق»[7] وذكر الخلال عن مكحول[8] قال:

= وسليمان التيمي وغيرهما روى عنه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وغيرهما، ثقة متقن عابد توفي سنة ٢٠٦ تهذيب التهذيب ١١/٣٦٦ وتقريب التهذيب ٢/٣٧٢.

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ١٦٨.

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٥٦.

(٣) هو إسحاق بن عيسى بن نجيح الطباع سكن أدنه روى عن مالك والحمادين وغيرهم وروى عنه أحمد وأبو خيثمة وغيرهما صدوق توفي سنة ١٤٠. تهذيب التهذيب ١/٢٤٥ وتقريب التهذيب ١/٦٠.

(٤) تلبيس ابليس ص ٢٥٧ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ١٥٨.

(٥) هو العباس بن محمد بن حاتم الدوري مولى بني هاشم روى عن سعيد الضبعي وأبي داود الطيالسي وروى عنه يعقوب بن سفيان وابن أبي الدنيا وغيرهما ثقة حافظ تهذيب التهذيب ٥/١٢٩ تقريب التهذيب ١/٣٩٩.

(٦) هو ابراهيم بن المنذر بن عبدالله أبو اسحاق المدني روى عن مالك وسفيان بن عيينة وغيرهما وروى عنه البخاري وابن ماجة وغيرهما. صدوق تكلم فيه أحمد لأجل القرآن. تهذيب التهذيب ١/١٦٦ وتقريب التهذيب ١/٤٣.

(٧) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ١٥٨.

(٨) هو أبو عبدالله مكحول بن عبدالله الشامي روى عن أبي بن كعب وثوبان وغيرهما روى

«لمن مات وعنده مغنية لم نصل عليه»[1] .

وقد أنكر السلف من السماع ما هو دون هذا بكثير، ولو شاهدوا هذا لاشتد انكارهم له وعظم جداً، ورأيت لأبي عبدالله بن بطه[2] جواباً عن سماع الغناء، أنا أذكره بنصه.

قال: «سألني سائل عن استماع هذا الذي يسمونه القول، وهو الغناء والاصغاء إليه ومجالسة أهله فنهيته عن ذلك، وأنكرته عليه، وأعلمته أن ذلك مما حظره الكتاب، وحرمته السنة، وأنكرته العلماء، وتجافاه العقلاء، واستحسنه السفهاء والسخفاء.

وزعم السائل أنه لقي جماعة من الشيوخ ممن يتحلى بالعلم، وينسب إليه في جماعة سواهم، ممن يظهر النسك والتقشف ويدعون إلى الزهد والتعبد، يحضرونه ويستمعون له ويستحسنونه، ويحتجون في ذلك بتحريف القول، ويدعون إليه من أطاعهم، ويستجهلون من خالف جماعتهم، وأني قد تدبرت ما حكاه، وعرفت من أشار إليه، ومن يفعل ذلك ويهواه، فتلك طائفة تسمى في الحقيقة الجبرية لا الصوفية، أهل همم دنيئة، وأخلاق رديئة، وشرائع بدعية، يظهرون

= عنه الأوزاعي وسليمان بن موسى وغيرهما طاف كثيراً من البلدان من أجل العلم مثل المدينة والعراق وغيرهما، ثقة فقيه كثير الارسال انظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٠وتقريب التهذيب ٣/ ٢٧٣.

(١) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ١٦٠.

(٢) عبيد الله بن محمد بن بطه العكبري سمع أبا بكر النيسابوري وغيره وسمعه أبو حفص العكبري وأبو حفص البرمكي وغيرهما كان صاحب حديث ولكنه ضعيف سافر من أجل العلم إلى مكة والبصرة وغيرهما كان آمرا بالمعروف ولم يبلغه خبر منكر إلا غيره توفي سنة ٣٨٧/ انظر شذرات الذهب ٣/ ١٢٢. العبر ٣/ ١٧١.

الـزهد والتقشف، وهم أهـل جهالـة وغفلة، وكل أسبـابهم ظلمـة ووحشة يدعون الشوق (٢٦ب) والمحبة باسقـاط الخوف والـرجاء، يحضرون الغنـاء ويسمعونـه من الأحداث والنسـاء، يطربـون عنـد استماعهم لذلك، ويرقصون ويتغاشون ويتماوتون، ويزعمون أن ذلك من شـدة حبهم لـربهم تعـالى، ومن شـوقهم إليـه، وأنهم يـرونـه ويشاهدونه تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا.

وكل هؤلاء فقد كذبهم الكتاب والسنة والصحابة[١] والتابعون وصالحوا هذه الأمة قـال تعالى «﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[٢] **وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾[٣] قيـل هـو الغنـاء[٤] والاستماع إليه، صحت بذلك الأخبار، وقال بذلك العلماء والأخيار، لا ينكره إلا السفهاء والفجار. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[٥]** قيل: الغناء[٦] وعن مجاهد قال ينادي مناد يوم القيامـة أين[٧] الذين كانـوا ينزهـون أسماعهم عن اللهـو، فيحلهم الله في رياض الجنة[٨] وعن الشعبي[٩]: «أنه دعي إلى وليمة، فسمع صوت

---

(١) في الأصل واصحابه.

(٢) سورة المؤمنون آية ١-٢-٣.

(٣) سورة لقمان آية ٦.

(٤) قائل هذا القول سبق الإشارة إليه ص ١١٣.

(٥) سورة الفرقان آية ٧٢.

(٦) قائل هذا القول محمد بن الحنفية ومكحول وغيرهما انظر زاد المسير ١٠٩/٦.

(٧) في الأصل الذين أين والصواب ما أثبته.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي ص ٤٤ وأبو نعيم في الحلية ١٥١/٣ وهذا الأثر صحيح إلا أنه مرسل انظر تحريم النرد والشطرنج ص ٢١٩.

(٩) سبقت ترجمته ص ١١٧.

لهو، فقال: إما أن تخرجهم وإما أن نخرج»[1] وعن ابن مسعود أنه دعي إلى وليمة، فسمع صوت لهو فرجع، فلقيه الذي دعاه، فقال: مالك رجعت فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كثر سواد قوم فهو منهم، ومن رضى عمل قوم فهو شريك من عمله)[2] وقال: يزيد بن هارون[3] (التغبير بدعة وضلالة) وقال الشافعي «التغبير أحدثته الزنادقة يصدون الناس به عن القرآن»[4] وقال الإمام أحمد هو «بدعة ومحدث»[5] ونهى عن استماعه وقال: مالك: «إنما يفعله عندنا الفساق»[6] هذا آخر جواب ابن بطه»[7].

٢ ـ فصل

وأما إنكار مشايخ الطريق، العارفين بآفاته وسوء تأثيره في القلوب فكثر جداً، وكثير (٢٧/أ) ممن حضره منهم تاب منه توبته من الكبائر.

وذكر أبو موسى المديني[8] أنَّ أبا القاسم النصر[9] أبادي، دخل

---

(١) لم أجد مصدره.

(٢) رواه أبو يعلى وعلي بن معبد في كتاب الطاعة وابن المبارك في الزهد عن أبي ذر نحوه موقوفاً وشاهده حديث تشبه بقوم فهو منهم انظر الزهد لابن مبارك ص١٢ . كشف الخفاء ٢٧٤/٢ .

(٣)

(٤) سبقت الإشارة إلى مصدره ص ١١٩ .

(٥) سبقت الإشارة إلى مصدره ص ١٢٤ .

(٦) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ١٥٨.

(٧) ذكر ابن الجوزى بعضه في تلبيس ابليس ص ٢٦٦ .

(٨) سبقت ترجمته ص ١١٠.

(٩) هو أبو القاسم إبراهيم محمد النصر أبادي شيخ خراسان في وقته صحب الشبلي وأبا علي =

على إسماعيل بن نجيد(1) فقال: «ابن نجيد يا أبا القاسم. سمعت أنك مولع بالسماع، فقال: نعم(2) أيها الشيخ، السماع خير من أن نقعد ونغتاب، فقال له: هيهات، زلة تزل في السماع أعظم من كذا وكذا سنة تغتاب»(3).

قال أبو موسى: وذكر نصر بن علي(4) قال: سمعت أبا محمد جعفر بن محمد(5) الزاهد، يقول: سمعت شيخي يقول «اجتمعت ليلة مع أصحابنا فابتدأ القوال فقاموا ورقصوا وكنت معهم، فنوديت في سرى يا هذا ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾(6) فهربت وقلت إنَّ السماع مخاطرة(7).

قال: أبو موسى أنبأنا عبد الكريم بن عبد الرزاق(8) وأبنأنا

= الروذباري والمرتعش وكان عالماً بالحديث كثير الرواية جاور بمكة ومات سنة ٣٦٩، الرسالة القشيرية ص ٣٠.

(1) هو إسماعيل بن نجيد الإمام أبو عمرو السلمي النيسابوري شيخ الصوفية بخراسان صحب الجنيد وأبا عثمان الحيري وكان صاحب أحوال ومناقب شذرات الذهب ٣/٥٠.

(2) في الأصل مكررة.

(3) عوارف المعارف ١ ملحق مع إحياء علوم الدين ٥/١١٨.

(4) لم أعثر على ترجمته.

(5) هو أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ولد في بغداد ونشأ فيها كان ثقة صادقاً ديناً فاضلاً صحب الجنيد وصحب النوري وسمنون والطبقة مات ببغداد سنة ٣٤٨ هـ، الرسالة القشيرية ص ٢٨ تاريخ بغداد ٧/٢٢٦.

(6) سورة الأنبياء آية ٥٥.

(7) لم أعثر على مصدره.

(8) هو عبد الكريم بن عبد الرزاق الحسنا أبادي كان معروفاً بالخصال الحميدة والأخلاق المرضية وكان فاضلاً عالماً بالفقه والعربية تفقه على محمد الخجندي سمع أباه وسعيد بن أبي سعيد الصوفي وغيرهما توفي سنة ٥٢٢. طبقات الشافعية للسبكي ٧/١٧٧.

أحمد بن الفضل[١] حدثنا أبو العباس النسوي[٢]، قال: سمعت علي ابن مفلح[٣]، يقول: سمعت فارس البغدادي[٤] يقول: «قال جنيد[٥]: «خرجت ليلة فلقيني إبليس فقال: أتعبني والله أصحابك، قلت كيف قال: إن عرضت عليهم أذكار الدنيا اشتغلوا بأذكار الأخرة، وإن عرضت عليهم أذكار الأخرة، اشتغلوا بالذكر لله، إلاّ أني استحسن منهم خطتين السماع، والنظر إلى الأحداث»[٦].

قال أبو موسى: ثنا الإمام أبو بكر القزاز[٧]، ثنا الخطيب[٨]، أخبرني عبد الصمد بن محمد[٩]، قال: سمعت الحسن بن

---

(١) هو أحمد بن الفضل الأصبهاني له مصنفات في القراءات وكان صاحب حديث وحفظ روى عن أبي عبدالله بن منده وطبقته توفي سنة ٤٦٠ هـ ـ شذرات الذهب ٣/٣٠٨.

(٢) هو أحمد بن محمد بن زكريا أبو العباس النسوي قدم بغداد وحدث بها عن خلف بن محمد الخيام البخاري وغيره وحدث عنه أبو القاسم الأزهري وأبو محمد الخلال كان ثقة توفي ٣٩٦هـ ـ تاريخ بغداد ٥/٩.

(٣) لم أعثر على ترجمته.

(٤) هو فارس بن عيسى البغدادي صحب الجنيد بن محمد وأبا العباس بن عطاء وغيرهما وانتقل إلى خراسان فنزلها وكان له لسان حسن ومن المتحققين بعلوم أهل الحقائق ومن الفقراء المتجردين للفقر وترك الشهوات ـ تاريخ بغداد ١٣/٣٩٠.

(٥) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد القواريري ولد ونشأ بالعراق وكان شيخ وقته تفقه على أبي ثور وصحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي وغيرهما مات ببغداد سنة ٢٩٧ ـ تاريخ بغداد ٧/٢٤١ ووفيات الأعيان ١/٣٧٣.

(٦) لم أعثر على تخريجه.

(٧) لم أقف على ترجمته وفي تلاميذ الخطيب أبو منصور القزاز.

(٨) هو أحمد بن علي الخطيب البغدادي روى عن أبي عمر بن مهدي وابن أبي الصلت الأهوازي وطبقتهما كان أحد الأعيان معرفة وحفظاً وإثباتاً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وتفنناً في علله وأسانيده، توفي سنة ٤٦٣. شذرات الذهب ٣/٣١١.

(٩) هو عبد الصمد بن محمد الخطيب سمع أبا مالك القطيعي وأبا علي بن حمكان كان =

الحسين[1]، يقول: سمعت أبا الفرج الرستمي الصوفي[2]، يقول: سمعت المحترق البصري[3]، يقول: (رأيت إبليس في النوم، فقلت له كيف رأيتنا عزفنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها، فليس لك إلينا طريق، فقال: كيف رأيت ما اشتملت به قلوبكم باستماع السماع، ومعاشرة الأحداث)[4]

قال: أبو موسى وأنبأنا أبو طاهر (٢٧/ب) محمد بن عبد الغفار الهمذاني[5] قال: سمعت والدي[6] يقول: سمعت أحمد بن الحسن[7]، وهو شيخ الصوفية من المتأخرين يقول من قال: «إنَّ الاستماع إلى المناهي، أو قال: الملاهي مباح له فهو إلى مذهب الإباحة أقرب، ولو بلغ العارف إلى ما بلغ من سني (أحواله)[8]. لم يرخص له الالتفات إلى المناهي والملاهي».

= صدوقاً يسكن بدرب حبيب ثمّ تولى الخطابة بالرخجية وسكن هذه القرية إلى حين وفاته سنة ٤٣٧ هـ. تاريخ بغداد ١١/٤٥.

(١) هو الحسن بن الحسين بن حمكان الهمذاني من فقهاء الشافعية سكن بغداد روى عن عبد الرحمن الهمذاني ومحمد الزنجاني وغيرهما قال الأزهري ضعيف ليس بشيء في الحديث مات سنة ٤٥٠ تاريخ بغداد ٧/٢٩٩.

(٢) أبو الفرج الرستمي الصوفي سمع أبا بكر بن علان البغدادي وأبا الحسن الحصري وإبراهيم بن المولد روى عنه أبو علي بن حكمان الفقيه ـ تاريخ بغداد ١٤/٤٢٩.

(٣) لم أعثر على ترجمته.

(٤) أنظر تاريخ بغداد ١٤/٤٢٩.

(٥) لم أعثر على ترجمته.

(٦) هو عبد الغفار بن الحسين بن أحمد الهمداني متأخر روى عن القاضي أبي عمر الهاشمي وابن عبدان الشيرازي وغيرهما قال شيرويه وما كان مائلاً إلى المبتدعة مشهور له أحاديث وفضل توفي سنة ٤٦٨ هـ لسان الميزان ٤/٤١.

(٧) لم أعثر على ترجمته .

(٨) في الأصل مكرر.

قال: أبو موسى: قال: بعض المشايخ فإن احتجت المباحية بما روى عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: (دخل علي رسول اللّه ﷺ في أيام التشريق، وعندي جاريتان لعبداللّه بن سلام[1] تضربان بالدف وتغنيان[2] قلنا: لهم إنَّ رسول اللّه ﷺ جوز ذلك للجاريتين لصغرهما في أيام العيد خاصة، ولهذا قال: يا أبا بكر[3] إنَّ لكل قوم عيداً، وهذه أيام عيدنا[4] .

---

(١) هو عبداللّه بن سلام بن الحارث الإسرائيلي أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة مشهور له أحاديث وفضل روى عن النبي ﷺ وروى عنه أبو هريرة وعوف بن مالك وغيرهما مات بالمدينة سنة ٤٣ . تهذيب التهذيب ٢٤٩/٥، وتقريب التهذيب ٤٢٢/١.

(٢) رواه البخاري باب الحراب والدرق يوم العيد ٢٠/٢ ومسلم كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ٦٠٧/٣.

(٣) في الأصل يا بكر.

(٤) ومن الردود أيضاً:

١ ـ إنَّ الجاريتين كانتا تغنيان بأشعار الشجاعة والحروب لا بأشعار الخلاعة والمجون التي هي غالب بضاعة أهل الغناء.

٢ ـ إنَّ غناءهما لم يبلغ إلى درجة التحريم فإنهما لم تكونا مغنيتين كما صرحت بذلك عائشة في قولها وليستا بمغنيتين والظاهر أنَّ غناءهما كان مجرد انشاد لا تلحين فيه ولا تطريب وقد جزم بهذا غير واحد من العلماء منهم ابن الجوزي وأبو موسى المديني وقال ابن الأثير في النهاية ٣٩٢/٣ وابن منظور في لسان العرب ١٤٧/١٥ في حديث عائشة رضي اللّه عنها وعندي جارتيان تغنيان بغناء بعاث أي تنشدان ومع أنَّ غناء الجاريتين كان مجرد إنشاد فقد اضطجع النبي ﷺ على الفراش وتسجى بثوب وحول وجهه وهذا أوضح دليل على كراهته لذلك فإنَّه كان يكره الشعر: تلبيس إبليس ص٢٦٧. فصل الخطاب في الرد على أبي تراب ص١٥٣.

٣ ـ وأجاب أبو الطيب الطبري عن هذا الحديث حيث قال هذا الحديث حجتنا لأنَّ أبا بكرسمي ذلك مزمور الشيطان ولم ينكر النبي ﷺ على أبي بكر قوله وإنما منعه من التغليظ في الإنكار. وقد كانت عائشة صغيرة في ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلاَّ ذم الغناء وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه =

فإنَّ قيل أليس قد جوزه الشرع في النكاح والختان، قلنا جوز ذلك لأعلان النكاح، كما روى أبو شعيب الحراني[١]، حدثنا شريح ابن يونس[٢]، حدثنا هشيم[٣] عن خالـد[٤]، عن ابن سيرين، أنَّ عمر بن الخطاب «كان إذا[٥] سمع صوت الدف سأل عنه، فإن قالوا عـرس أو ختان سكت»[٦] فـدل على أنَّ ذلـك مـرخص في بعض الأحوال دون بعض، وكانت الدفوف[٧] في ذلك الوقت كالغرابيل[٨]

= وقد أخذ العلم عنها. تلبيس إبليس ص ٢٦٧.

(١) هو عبدالله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الأموي الحراني ولد سنة ٢٠٦ روى عن أحمد بن أبي شعيب وعفان بن مسلم وغيرهما وروى عنه القاضي المحاملي وأبـو بكر الشافعي وغيرهما توفي سنة ٢٩٥. تاريخ بغداد ٤٣٥/٩.

(٢) هو أبو الحارث شريح بن يونس من المشهورين بتحقيق العبادة والعبودية والانقياد مات سنة ٢٣٥ انظر حلية الأولياء ١٠/١١٣.

(٣) هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي بخاري الأصل روى عن القاسم بن مهران وإسماعيل بن أبي خالد وغيرهما وروى عنه أحمـد بن حنبل وإسحـاق الطبـاع وغيرهما ـ ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي مات سنة ١٨٣ ـ تقريب التهذيب ٣٢٠/٣. تهذيب الكمال ١٤٤٦/٣.

(٤) في الأصل خلد وهو تحريف ـ هو خالد بن مهران الحذاء مولى قريش رأى أنس بن مالك وروى عن عبدالله بن شقيق وأبي قلابة وغيرهما وروى عنه الحـمادان والثوري وغـيرهم. ثقة يـرسل مـات سنة ١٤١ تهـذيب التهذيب ١٢٠/٣ تقـريب التهذيب ٢١٩/١.

(٥) في الأصل إذ

(٦) أخرجه البيهقي كتاب الصداق باب ما يستحب من إظهـار النكاح وإبـاحة الضرب بالدف عليه ٢٩٠/٧ وعبد الرزاق في مصنفه باب الغناء والدف ١١/٦ وهذا الأثـر ضعيف لانقطاعه بين ابن سيرين وعمر أحاديث ذم الغناء في الميزان ص ١٤٥..

(٧) سبق تعريفها ص ١٠٨ .

(٨) الغرابيل جمع غربال وهو الدف لأنَّه يشبه الغربال في استدارتـه ـ النهايـة لابن الأثير ٣٥٢/٣.

أما سمعت ما روت عائشة، عن النبي ﷺ أنَّه قال: (أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال)[١] وروى عن النبي ﷺ أنَّه قال[٢]: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو، ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك، ثمّ يقول اللّه عزّ وجلّ لملائكته أسمعهم حمدي وثنائي، وأعلموهم أنَّ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[٣].

فإن قال: (٢٨ أ) قائل، فهذا السماع قد حضره جماعة من الأولياء وممن لا يشك في علو منزلته عند الله مثل الجنيد[٤] وأصحابه والشبلي[٥] وأمثاله. مثل يوسف بن الحسين الرازي،[٦] ومن قبله مثل

---

(١) أخرجه ابن ماجة ـ كتاب النكاح ـ باب اعلان النكاح ٦١١/١. قال البوصيري في الزوائد في إسناده خالد بن الياس أبو الهيثم العدوي اتفقوا على ضعفه بل نسبه ابن حبان والحاكم وأبو سعيد النقاش إلى الوضع ـ والترمذي كتاب النكاح ـ باب ما جاء في إعلان النكاح ٣٨٩/٣ قال أبو عيسى هذا حديث غريب حسن وعيسى بن ميمون يضعف في الحديث وعيسى بن ميمون الذي يروى عن ابن أبي نجيح التفسير هو ثقة والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الصداق باب ما يستحب من إظهار النكاح وإباحة الضرب ٢٩٠/٧ قال البيهقي كذا قال وإنما هو خالد بن الياس ضعيف. وأبو نعيم في الحلية ٢٦٥/٣ وقال هذا حديث مشهور من حديث القاسم عن عائشة تفرد به خالد عن ربيعة.

(٢) في الأصل أنَّه قال إذا قال والمقام يقتضي حذف إذا قال.

(٣) الحديث عن جابر وقد أخرجه الديلمي كما في الدر المنثور ١٥٣/٥ وهو لا يصح تحريم النرد والشطرنج ص ٢١٩.

(٤) سبق ترجمته ص ١٣٠ .

(٥) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي الزاهد صاحب الأحوال والتصوف ولد ونشأ ببغداد قرأ في أول أمره الفقه وبرع في مذهب مالك وصحب الجنيد مات سنة ٣٣٤ شذرات الذهب ٣٣٨/٣.

(٦) هو أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي صحب ذا النون المصري وحكى عنه وسمع =

ذي النون المصري[1] وغيرهم، كيف يسوغ لكم تخطيئتهم والإنكار عليهم.

فالجواب من وجوه:

أحدهما: إن هذا السماع المسؤل عنه على هذا الوجه، قد برأ الله منه أولياءه وأعاذهم منه، وحاشاهم أن يكون أحد منهم حضره أو رضيه أو أباحه، وإنما السماع الذي حضره مَن حضره منهم، أن جماعة كانوا يجتمعون يذكرون الله والدار الآخرة، وأعمال القلوب وآفاتها، ومصححات الأعمال والأحكام والفروق[2] والوجد والإرادة،[3] فإذا رقت قلوبهم، وتحركت هممهم، واشتاقت نفوسهم إلى السير، قام حاد يحدو أرواحهم وقلوبهم ليطيب لها السير إلى الله والدار الآخرة، ويذكرها منازلها الأولى كما قيل:

وحي على جنات عدن فإنها * منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى * نعود إلى أوطاننا ونسلم[4]

= أحمد بن حنبل وورد بغداد توفي سنة ٣٠٤، تاريخ بغداد ٣١٤/١٤.

(١) هو ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري أحد رجال الطريقة ولد في باخميم حدث عن مالك والليث وغيرهما وروى عنه الجنيد وآخرون وكان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً مات ٢٤٥ شذرات الذهب ١٠٧/٣.

(٢) في الأصل بدون واو والسياق يقتضيها. الفروق عند الصوفية قال أبو علي الدقاق الفرق ما نسب إليك ومعناه أن ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق رسالة القشيرية ص ٣٥.

(٣) الإرادة عند الصوفية هي انبعاث من القلب بنور يوجهه الله إليه من طريق الإلهام ـ التمكين ص ١٦٣.

(٤) القائل لهذين البيتين ابن القيّم ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ١٢.

وكما قال الآخر:

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب إلاّ للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى * وحنينه أبداً لأول منزل(١)

وقال الآخر:

أبت غلبات الشوق إلاّ تقرّبا * إليك وذاك العذل إلاّ تجنيا
وما كان صدى عنك صد ملالة * ولا ذلك الاعراض إلاّ تحينا(٢)

وقال الآخر: (٣)

حبيب تركت الناس لما عرفته * كأنهم ما جف من زاد قادم
(٢٨ب)وكان سروري لا يفي بندامتي * على تركه في عمري المتقادم

وقال الآخر: (٤)

لقد كان يسبي القلب في كل ليلة * ثمانون أو تسعون نفساً وأرجح
يهيم بهذا ثم يألف غيره * ويسلوهم من فوره حين يصبح
وكان فؤادي خالياً قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلمّا دعا قلبي هواك أجابه * فلست أراه عن جنابك يبرح
فإن شئت واصلني وإن شئت لاتصل * فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

حرمت مناي منك إن كنت كاذباً * وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شيء في البلاد بإسرها * إذا غبت عن عيني لعيني يملح

---

(١) القائل أبو تمام مصارع العشاق ص ٤١.
(٢) القائل محمد بن داود الأصفهاني، أنظر كتاب الزهرة ١/٢٤٥.
(٣) القائل المتنبي شرح ديوانه لعبد الرحمن البرقوقي ٤/٣٠٨.
(٤) قائل هذه الأبيات سمنون بن حمزة طبقات الصوفية ص ١٩٨.

وقول الآخر:[1]

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه * فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما * قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
والدهر[2] لي مأتم إن غبت يا أملي * والعيد ما دمت لي مرأى ومستمعا

وقول الآخر:[3]

أحبك حبين حب الهوى * وحب لأنك أهل لذاكا
فأمّا الذي هو حب الهوى * فشيء شغلت به عن سواكا
وأمّا الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراكا
وما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وقول الآخر:[4]

تموت النفوس بأوصابها * وتكتم عوادها ما بها
وما أنصفت مهجة تشتكي جواها إلى غير أحبابها

وقول الآخر:[5]

(٢٩ أ) وركب سروا والليل مرخ سدوله * على كل مغبر المطالع قاتم
خذوا عزمات ضاعت الأرض بينها * فصار سراهم[6] في ظهور العزائم
تريهم نجوم الليل مايطلبونه على عاتق * الشعرى[7] وهام النعائم[8]

---

(١) هذه الأبيات لأبي علي الروذباري ـ الرسالة القشيرية ص ١٢٥.

(٢) في الأصل الدهـ.

(٣) القائل رابعة العدوية. أنظر إحياء علوم الدين ٣١/٤.

(٤) القائل علي بن الحسن البغدادي. أنظر روضة المحبين ص ٢٧٨.

(٥) غير موجودة في الأصل ولعلها سقطت من الناسخ ولم أعرف القائل.

(٦) في الأصل تراهم والصواب ما أثبته كما في روضة المحبين ص ٦.

(٧) الشعرى كوكب ينير يقال له المرزم يطلع بعد الجوزاء. أنظر لسان العرب ٤١٦/٤.

(٨) النعائم منزلة من منازل القمر. أنظر لسان العرب ٥٨٦/١٣.

وقال الآخر: (١)

قــوم همـومهم[٢] بــالله قـد علقت * فـما لهم همم[٣] تسمــو إلى أحــد
فمطلب القـوم مـولاهم وسيـدهم * يـا حسن مطلبهم للواحـد الصمـد
مـا إن تنـازعهم دنيـا ولا شرف * مـن المـطاعم والـلذات والــولـد

وقول الآخر: (٤)

إذا غبت عن عيني تملأ بك الفكـر * وإن لم يزرني الطيف طاف بك السر
فكــلي لســان عـن هــواك مخــبر * وكــلي قـلب أنـت في طـيــه نشر

وقول الآخر: (٥)

مَن كــان في ظلم الليـالي ســاريـاً * رصـد النجـوم واوأقــد المصبـاحــا
حتى إذا مــا البــدر أرشــد نــوره * تــرك النجـوم وراقب الإصبــاحــا
حتى إذا انجــاب الــظلام بــأسره * ورأى الصبــاح بـأسره قــد لاحــا
تـرك المسـارج[٦] والكـواكب كلهـا * والبـدر وارتقب السنا[٧] الـوضاحـا

وقول الآخر: (٨)

وبدا له من بعد ما أنـدمـل الهـوى * بـــرق تـــألـق مـــوهـنــا لمـعــانــه

---

(١) القائل امرأة لم تسم. أنظر عوارف المعارف ملحق بأحياء علوم الدين ٥/٦٤.

(٢) في الأصل هموم والتصحيح من كتاب عوارف المعارف.

(٣) في الأصل همه والتصحيح من كتاب عوارف المعارف.

(٤) لم أعرف القائل.

(٥) لم أعرف القائل.

(٦) المسارج المصابيح التي تسرج بالليل. أنظر لسان العرب ٢/٢٩٧.

(٧) السنا الضوء. لسان العرب ١٤/٤٠٣.

(٨) القائل جارية لم تسم. أنظر ذم الهوى ص ٣٦٠.

يبدو لحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنعاً أركانه
فبدأ لينظر كيف لاح فلم يطق * نظراً إليه وصدّه سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

وقول الآخر:(١)

يا غادياً في غفلة ورائحا * إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفاً * يستنطق الله به الجوارحا
واعجباً منك وأنت مبصر(٢) * كيف تجنبت الطريق الواضحا

وإلى مثل هذا أشار الإمام أحمد في الإباحة، قال: أبو حامد الخلقاني:(٣) قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله(٤) هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار. أي شيء تقول فيها. فقال: مثل أي شيء، قلت: يقولون:

إذا ما قال لي ربي * أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي * وبالعصيان تأتيني

فقال أعد علي فأعدت عليه، فقام ودخل بيته ورد الباب، فسمعت نحيبه من داخل وهو يردد البيتين،(٥) وأمثال هذه الأشعار التي تتضمن إثارة في القلب من الحب والخوف والرجاء والطلب والأنس والشوق والقرب وتوابعها، فصادف سماع هذه الأشعار من

---

(١) لم أعرف القائل.
(٢) في الأصل مصر والتصحيح من كتاب المدهش ص ٣١٥.
(٣) لم أعثر على ترجمته.
(٤) في الأصل يا باعبد الله .
(٥) أنظر تلبيس أبليس ص ٢٥٤ .

قلوبهم حبّاً وطلباً، فأثاره إثارة ممتزجة بحظ النفس، وهو نصيبها من اللذة والطرب الذي يحدثه السماع، فيظن تلك اللذة والطرب زيادة في صلاح القلب وإيمانه وحاله الذي يقربه إلى الله، وهو محض حظ النفس.

فهذا منشأ الغلط الذي عرض للقوم، كما سيأتي تقريره وبسطه، إن شاء الله، وهذا هو الذي أنكره العارفون من القوم، وتاب منه مَن تاب منهم، وحذروا منه، وقالوا: إن مضرته للقلب أكثر من نفعه، وإفساده له أكثر من صلاحه، وسيأتي (٣٠ أ) عن قرب إن شاء الله، تقرير هذا الحكم الذوق والوجد.[١]

الوجه الثاني: من الجواب أن هذا السماع وإن كان قد حضره وفعله مَن لا نشك في دينه وصدقه وصلاحه، فقد أنكره مَن هو أفضل منهم عند الأمة، وأعلى[٢] شأناً، وأصدق حالاً، وأعرف بالله وبأمره، فإن كان قد حضره وفعله مائة ولي الله، فقد أنكر عليهم أكثر من ألف ولي لله، فإن كان قد حضره أبو بكر الشبلي،[٣] فقد غاب عنه أبو بكر الصديق، وإن كان قد حضره يوسف بن الحسين الرازي،[٤] فلم يحضره الفاروق الذي فرّق الله به بين الحق والباطل عمر بن الخطاب، وإن كان قد حضره النوري[٥] فقد غاب عنه ذو

(١) كذا في الأصل ولعلها في الذوق والوجد.

(٢) في الأصل أعلا.

(٣) سبقت ترجمته ص ١٣٤ .

(٤) سبقت ترجمته ص ١٣٤ .

(٥) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري ولد ونشأ ببغداد بغوي الأصل صحب السرى السقطي وابن أبي الحواري وكان من أقران الجنيد وكان له شأن كبير حسن المعاملة واللسان توفي سنة ٢٩٥ ـ الرسالة القشيرية ص ٢٠ .

النورين عثمان بن عفان، وإن كان قد شهده ذو النون المصري[١] فلم يشهده علي بن أبي طالب الهاشمي، وإن كان قد حضره سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد[٢] فقد صح عنه أنه تاب عنه وتركه قبل وفاته.

وإن كان قد فعله أضعاف هؤلاء، فقد غاب عنه المهاجرون والأنصار كلّهم، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، وجميع أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وجميع أئمة الفقه والإفتاء، وجميع أئمة الحديث والسنّة، وجميع أئمة التفسير، وجميع أئمة القراءة، وجميع أئمة الجرح والتعديل الذابين عن رسول الله ﷺ ودينه، فمن الناس إلاّ أولئك.

فأي فريقينا أحق بأمنه * إذا بعث الله العباد ويجمع[٣]

فإن احتججتم بالرجال كاثرناكم بالواحد ألوفاً مؤلفة، وإن استدللتم بالقرآن، فهذا كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، و(إن)[٤] استندتم إلى الإسناد والحديث فسنذكر لكم منه ما يشفي صدر كل محق، وإن لجأتم إلى الذوق والوجد حاكمناكم إليه، وبيّنا أنا أسعد به منكم، وأن الذوق السليم والوجد الصحيح يحكم بأن فيه منفعة للنفس، ومضرة للقلب، ومضرته أكثر من نفعه كما سنبيّنه بالدليل الواضح، الذي لا مدفع له إن شاء الله..

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٣٥.

(٢) سبقت ترجمته ص ١٣٠.

(٣) لم أعرف القائل.

(٤) في الأصل واستندتم بدون أن وزدتها ليستقيم الكلام.

الوجه الثالث من الجواب: أنه لو اتفق عليه جميع الطائفة، وحضروه من أولهم إلى آخرهم لما كان لكم في ذلك حجة أصلاً، فإنهم بعض المسلمين، واتفاقهم لا يكون حجة على مَن سواهم من طوائف أهل العلم الذين سميناهم.

فمَن قال: من أهل الإسلام أن اتفاق السماعاتية حجة شرعية يجب اتباعها أو اتفاق الفقراء أو اتفاق الصوفية حجة، فهذا[1] لم يقله أحد من المسلمين، ومَن قاله: فقد خرق إجماع المسلمين، فإن الحجة كتاب الله، وسنّة رسوله وأقوال أصحابه، وإجماع الأمة.

الوجه الرابع: أن الصوفية والمشايخ لم تجتمع على ذلك، بل كثير منهم، أو أكثرهم أنكره وعابه وأمر باجتنابه.

قال: أبو الحسن علي بن عبدالله بن جهضم[2]: في كتاب بهجة الأسرار حدثني أبو عبدالله المقري[3]، قال: حدثنا عبدالله بن صالح[4]، قال: قال لي الجنيد[5]: «إذا رأيت المريد يسمع السماع، فأعلم أنَّ فيه بقايا من اللعب[6]، وقال: أبو عبدالله بن باكويه[7] في

---

(١) في الأصل لهذا

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن جهضم الهمذاني روى عن الخلدي وأحمد الأدمي وطبقتهما وأكثر الناس عنه قال ابن خيرون قيل إنَّه يكذب وقال غيره اتهموه بوضع صلاة الرغائب ـ ألف كتاب بهجة الأسرار توفي سنة ٤١٤ شذرات الذهب ٣/٢٠٠ لسان الميزان ٣/١٤٢.

(٣) لم أعثر على ترجمته.

(٤) لم أعثر على ترجمته.

(٥) سبقت ترجمته ص ١٣٠ .

(٦) تلبيس إبليس ص ٢٧٧.

(٧) في الأصل بألوية وهو تحريف. وهو محمد بن عبدالله بن عبيد الله الشيرازي أحد=

كتاب حكايات الصوفية: سمعت أحمد بن محمد البردعي[(١)]، يقول: سمعت المرتعش[(٢)]، يقول: سمعت أبا الحسين النوري[(٣)]، يقول لبعض أصحابنا: «إذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره» قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن[(٤)] بن علي: هذا قول مشايخ القوم (٣١ أ) وإنما ترخص المتأخرون فيه حباً للهو.

فتعدي شرهم من وجهين:

أحدهما: سوء ظن العوام بقدمائهم، لأنَّهم يظنون أنَّ الكل كانوا هكذا. الثاني: أنهم جرأوا العوام، فليس للعامي حجة إلاَّ أن يقول فلان يفعل كذا، قال: وقد تشبث حب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن، ورقت قلوبهم عنده ما لا ترق عند القرآن، وما ذاك إلاَّ لتمكن هوى باطن، وغلبة طبع، وهم يظنون غير هذا[(٥)] . ثمّ ساق من تاريخ الخطيب.

بإسناده إلى أبي نصر[(٦)] السراج[(٧)]، قال: «حكي لي بعض

= المشايخ الكبار رحل وعني بالحديث وكتب بفارس والبصرة وغيرهما حدث عن أبي أحمد بن عدي والقطيعي وطبقتهما توفي سنة ٤٢٨ ـ شذرات الذهب ٢٤٢/٣.

(١) لم أعثر على ترجمته.

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن محمد المرتعش من أهل نيسابور صحب أبا حفص وأبا عثمان ولقي الجنيد وكان كبير الشأن وكان يقيم في مسجد الشونيزية توفي ببغداد سنة ٣٢٨ الرسالة القشرية ص٢٦ شذرات الذهب ٣١٧/٣.

(٣) سبقت ترجمته ص ١٤٠ .

(٤) هو عبد الرحمن بن علي بن الجوزي صاحب التصانيف الكثيرة في أنواع العلم سمع من علي بن عبد الواحد الدينوري وابن الحصين وغيرهما ووعظ منذ صغره ونظم الشعر وكتب بخطه ما لا يوصف توفي سنة ٥٩٧ شذرات الذهب ٣٢٩/٤.

(٥) تلبيس إبليس ص ٢٧٧ .

(٦) في الأصل أبي جعفر والصواب ما اثبته كما في تاريخ بغداد ٣١٧/١٤ والرسالة القشيرية ص ١٥٦ . تلبيس إبليس ص ٢٧٨ .

(٧) هو عبدالله بن علي الطوسي روى عن جعفر الخلدي وأبي بكر محمد بن داود والدقي =

إخواني عن أبي الحسين الدراج[1]، قال: قصدت يوسف بن الحسين الرازي[2] من بغداد، فلما دخلت الري[3] سألت عن منزله، فكل من أسأله عنه، يقول: ايش تفعل بذلك الزنديق، فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف، فبت تلك الليلة في مسجد، ثمّ قلت جئت هذا البلد فلا أقل من زيارته، فلم أسأل عنه حتى وقعت إلى مسجده وهو قاعد في المحراب، وبين يديه رحل عليه مصحف، وهو يقرأ فسلمت عليه فرد على السلام، وقال: من أين؟ قلت من بغداد، قصدت زيارة الشيخ، فقال تحسن أن تقول شيئاً، فقلت نعم فقلت:

رأيتك تبني دائباً في قطيعتي * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف، ولم يزل يبكي حتى أبتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه.

ثمّ قال: يا بني تلوم أهل الري، على قولهم يوسف بن الحسين زنديق، ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن، لم يقطر من عيني قطرة، وقد قامت علي القيامة بهذا البيت[4].

= ألف كتاب اللمع توفي سنة ٣٧٨هـ، شذرات الذهب ٩١/٣ .

(١) هو سعيد بن الحسين أبو الحسين الدراج نزل الشام له ذكر كبير عند الصوفية وكان من ظراف الصوفية وكان يصحب إبراهيم الخواص توفي سنة ٣٢٠هـ. انظر تاريخ بغداد ١٥٠/٧.

(٢) سبقت ترجمته. ص ١٣٤ .

(٣) الري مدينة مشهورة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها كثيرة الفواكه والخيرات وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً، معجم البلدان ١١٦/٣ ـ ١١٧.

(٤) تاريخ بغداد ٣١٧/١٤.

الوجه الخامس

إنَّه ما من أحد بعد رسول اللّه ﷺ، إلاَّ ومأخوذ من قوله ومتروك، ولا يقتدى بأحد في أقواله وأفعاله وأحواله (٣١/ب) كلها، إلاَّ رسول اللّه ﷺ، فمن نزل غيره في هذه المنزلة، فقد شرح بالضلالة والبدعة صدراً، ولا يغنى عنه ذلك الغير من اللّه شيئاً، بل يتبرأ منه أحوج ما يكون إليه قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ وقال ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وكل من بعد رسول اللّه ﷺ، يجب عرض أقواله وأفعاله وأحواله على ما جاء به الرسول، فإن كانت مقبولة لديه قبلت وإلاَّ ردت.

فأبى الظالمون المفتونون الإعرض ما جاء به الرسول ﷺ على أقوال الشيوخ وطريقتهم، فأضلهم فعم بذلك المصاب؛ وعظمت المحنة واشتدت الرزية، واشتدت غربة الدين وأهله، وظن بهم الجاهلون أنَّهم هم أهل البدع، وأصحاب الطرائق والأراء هم أهل السنة، ويأبى اللّه إلاَّ أن يقيم دينه، ويتم نوره، ويعلى كلماته، وكلمات رسوله، وينصر حزبه ولو كره المبطلون.

الوجه السادس

أن من نقل عنه أنَّه حضر السماع من القوم، فليس فيهم رجل

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٦ ـ ١٦٧.

واحد يسوغ تقليده في الدين، فإنَّه ليس فيهم إمام من أئمة التقوى والعلم الذين يسوغ تقليدهم في الجملة.

وأعلى من حضره قوم لهم صدق وزهد وأحوال مع اللّه، ولكنهم ليسوا بمعصومين، ولا لهم قول يحكى مع أقوال العلماء الذين دارت الفتوى والحكم على أقوالهم.

وغاية أحدهم أن يكون حضوره له من السعي المغفور، الذي يغفره اللّه له لصدقه وكثرة حسناته وحسن نيته، فأما أن يتخذ قدوة وإماماً فهذا باطل قطعاً، إذ ليس من أهل الاجتهاد ومن له قول بين أهل العلم.

الوجه (٣٢/أ) السابع

أنَّه لو فرض أنَّه من أهل الاجتهاد، وممن يسوغ العمل بقوله، فقد خالفه من هو مثله أو أجل منه، والحاكم بين المتنازعين كتاب اللّه وسنة رسوله، وما كان هو عليه وأصحابه.

فإما أن يحكم ذوق أحد وحاله ووجده، ويجعل إماماً وقدوة بلا برهان من اللّه ورسوله، فهذا منشأ الضلال وهو من أكبر أسباب البعد من اللّه ومقته فإنَّ اللّه لا يتقرب إليه إلاَّ بما يحبه ويرضاه، لا بما يذوقه كل أحد ويستحسنه ويهواه، وكيف يليق بمن يدعي محبة اللّه وإرادته، أن يتقرب إليه بما لم يشرعه على لسان حبيبه، وبما لايحبه ويرضاه من القول والعمل (والهدى)[1]، وهل هذا إلاَّ عين البعد منه.

(١) في بعضها بياض ولعل ما أثبته هو الصواب.

وقد قال غير واحد من السلف[1]: «إدعى قوم محبة اللّه تعالى، فأنزل اللّه تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[2] فلم يقل فارقصوا وغنوا واطربوا على صوت المزامير[3] والشبابات[4] والألحان المطربات بالتوقعات[5] والنغمات، فمن أضل سبيلاً ممن يدعي محبة اللّه، ويزعم[6] أنَّه يتقرب إليه بهذا السماع الشيطاني، الذي هو حظ النفس والشيطان.

فهل سمعتم قط في سنة * صحت عن المختار أو في كتاب
أنَّ الغناء والرقص دين كذا * صوت يراع أو أخيه الرباب
هذا كتاب اللّه ما بيننا * منزه عن باطل وارتياب
وهذه السنة قد بينت * مراده حتى استبان الكتاب
إن أنتم أعفيتموني من * التحريف أبصرتم طريق الصواب
وهذه أصحاب خير الورى * وهديهم أفضل هدي الصحاب
(٣٢/ب) وهذه أصحابهم بعدهم * مضوا على نهجهم المستطاب
وتابعوهم بعدهم هكذا * من كل قرن هديهم لا يعاب
وأول القوم وساداتهم * من كل من دعوته تستجاب
وكل من أعطاه رب الورى * لسان صدق وثنا مستطاب
هل فيهم من عابد ربه * بالرقص والزفن[7] وخلع الثياب

---

(١) منهم الحسن البصري وابن جريج تفسير ابن جرير ٣/ ١٥٥ تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٩.

(٢) سورة آل عمران آية ٣١.

(٣) سبق تعريفها. ص ١٠٨ .

(٤) سبق تعريفها. ص ١١١ .

(٥) التوقعات ـ إيقاع ألحان الغناء وهو أن يوقع الألحان ويبنيها. القاموس المحيط ٣/ ٩٦.

(٦) في الأصل ويزعم اللّه ولعل الصواب ما أثبته.

(٧) سبق تعريفه ص ٦٠ .

يـشـتـاق بـالأوتـار والـدف[1] * والنـاي[2] إلى الجنـة دار الثـواب
يهـزه الشـوق لـطيب الـغنـا * حتى يمـر القـلب مـر السحـاب
ويـزعـق الـزعـقـات مـن قـلبـه * لـقـوة الـوارد عـنـد الشراب
والشوق قد أضرم نيرانه في القلب * لـولا الـدمـع يجـري لـذاب
ويثقـل الوحي عـلى قلبه كـالصخر * فـوق الـصـخـر لا كـالـتراب
قلنـا نعم (أ)[3] هـذا الغنا قـربـة * تـدنى مـن الفـوز وحسن المـآب
فـالبعـد في القـرآن حتى لقـد * هجـرتمـوه لن تخـافـوا العتـاب
من هـا هنـا قيـل بـأنَّ الغنـا * ينبت في القلب النفـاق العجـاب
يـا قـوم لـو أنَّ الـغنـا قـربـة * لجاء مع كـل نـبـي ربـاب[4]
لـو[5] كان هـذا الـرقص دينـاً لنـا * لكـانت الجنـة مـأوى الـذئـاب[6]

الوجه الثامن

إنا نناشدكم اللّه، هل تدخلون في السماع بالشروط التي شرطها من أباحه ممن قلدتموه، فإنهم شرطوا فيه شروطاً مذكـورة في كتب القوم.

---

(١) سبق تعريفه ص ١٠٨ .

(٢) الناي آلة من آلات الطرب على شكل أنبوبة بجانبها ثقوب ولها مفاتيح لتغيير الصوت تطرب بالنفخ وتحريك الأصابع على الثقوب بإيقاع منظم وهي اليراع المثقب، المعجم الوسيط ٢/٩٠٢.

(٣) في الأصل هذا واستقامة العبارة كما أثبت.

(٤) الرباب آلة لهو يضرب بها. القاموس المحيط ١/٧١.

(٥) في الأصل إذ ولعل الصواب ما أثبته.

(٦) لم أعرف القائل.

منها أن لا يتكلفوا السماع، وقالـوا من تكلفه فتن بـه، ومن صادفه استراح به، فأخبروا أنَّه فتنة لمن اختاره وقصده، وراحة لمن صادفه اتفاقاً، وهذا من أبين شيء على أنَّه (٣٣/أ) ليس بقربة ولا طاعة، لأنَّ[١] قصد الطاعات والقرب وإرادتها لا يكون فتنة بل لا تصح إلاَّ بذلك.

ومنها أن يدخله بقلب مملوء بربه، فارغ من شهواته وحظوظه، ذكر اللّه فيه في محل الخطرات والوساوس، وقد ملك عليه ذكر ربه وساوسه وخطراته.

ومنها أن يقعد بواباً على باب قلبه، يحرسه من السماع للنفس والشيطان، بل يكون سماعه مجرداً للّه ولعبوديته.

ومنهـا أن يحفظ قلبه في السـماع من طـوارق الغفلة عن اللّه والتفاتة إلى سواه.

ومنها أن يتلقى ما يرد عليه من إشارة السماع، بمطالبة نفسه بحقوق العبودية، من تجريد التوحيد والإنابة إلى اللّه، وتعليق الهم كله به، ولوم النفس في ايثارها بحضها على مرضاته ومحابه.

ومنها أن يكون في سماعه هذا للّه وباللّه ومع اللّه، ليكون له نصيب وافر من قوله[٢] . . . يسمع .

ومنها أن يخلو السماع ممن لا تؤمن الفتنة به، ممن لا يحل سماع صوته والتلذذ بالنظر إليه.

---

(١) في الأصل لئن.

(٢) كذا وهو غير واضح وفي مكان النقط كلمة غير واضحة.

فبهذه الشروط أباح السماع من أباحه من القوم، وحضروه، ثمّ قال: عارف القوم وسيدهم بلا مدافع[1]، الشيخ عبد القادر الكيلاني[2] بعد ذكره أداب السماع «ولو صدق القوم في قصدهم وتجردهم وتصوفهم، لما انزعجوا في قلوبهم وجوارحهم بغير سماع كتاب اللّه عزّ وجلّ، إذ هو كلام محبوبهم وصفته، وفيه ذكره وذكرهم، وذكر الأوليين والآخرين، والماضين والغابرين، والمحب والمحبوب، والمريد والمراد، وعتاب المدعين لمحبته ولو مهم وغير ذلك، فلما اختل قصدهم وصدقهم، وظهرت دعواهم من غير بينة، وزورهم وقيامهم مع الرسم والعادة، من غير غريزة باطنة وصدق السريرة، والمعرفة والمكاشفة والعلوم الغريبة، والإطلاع على الأسرار، والقرب والأنس، والوصول إلى المحبوب، والسماع الحقيقي وهو القرآن والحديث والكلام الذي سنه اللّه مع العلماء به، والخلص من والأولياء والأبدال[3]، والأعيان وخلت بواطنهم من ذلك كله وقفوا مع القوال والأبيات والأشعار التي تثير الطباع، وتهيج ثائره العشق بالطباع لا بالقلوب والأرواح[4]» فهذا كلام من خبر السماع، وعلم ما فيه من الأفات.

---

(١) في الأصل مدفع.

(٢) هو الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبداللّه بن جنكي الكيلاني ولد في طبرستان اشتغل بالقرآن حتى اتقنه ثمّ تفقه في مذهب أحمد بن حنبل وسمع الحديث من جماعة وصحب حماداً الداس وأخذ عنه علم الطريقة توفي سنة ٥٦١، شذرات الذهب ٤/١٩٨.

(٣) الإبدال هم الأولياء والعباد سموأ بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر. النهاية لابن الأثير ١/١٠٧.

(٤) كتاب الغنية ٢/١٨٠.

وأما من أخذ في إباحته واستحبابه، ومدحه من غير تعرض لآفاته، فإنَّه محجوب عن صلاح قلبه ومعرفة مفسداته، والفرق بين حظ النفس والشيطان وحق الرب، وهو ممن يعبد اللّه على ما تهواه نفسه وتحبه، لا على ما يحبه اللّه ويرضاه، وليس الشأن في أنك تريد اللّه، بل تريد ما يريد اللّه.

وأصحاب الإرادة ثلاثة أنواع: المريدون للّه، والمريدون من اللّه، والمريدون ما يريد اللّه، وهؤلاء هم أولياء اللّه والمقربون، وهم أهل الإرادة الصحيحة، فإنهم واقفون مع مراد اللّه الديني الذي يحبه ويرضاه منهم.

والمريدون من اللّه واقفون مع حظوظهم وإراداتهم بحسب تفاوتهم فيها، وبحسب هممهم.

والمريدون لله إن لم يتقربوا إليه بمراضيه وما يحبه منهم، وما شرعه لهم على لسان رسوله، وأعلمهم أنهم لا يصلون إليه إلاّ من طريقه، وإلاّ فهم ممقوتون عنده، مطرودون عن بابه، مبعدون عن قربه، ولو كان في قلوبهم من المحبة والشوق والإرادة أمثال الجبال (٣٤ أ) لم ينفعهم شيئاً حتى يقفوا مع مراده منهم.

ومن ههنا غلط القوم في مسألة السماع، فإنهم رأوا السماع يثير ساكن الحب والوجد من قلوبهم، ويهيج القلب في سفره إلى المحبوب، ويزعجه إزعاجاً لا يستقر معه، فيرتاح القلب إلى المقامات العالية، وينافس في القرب من محبوبه، فيحدث فيه أحوالاً عجيبة، ومواجيد وأذواقاً لا يمكنهم دفعها عن قلوبهم، ولم يروها تستجلب بمثل السماع، فلو لامهم فيه كل لائم، لم يصغوا إلى ملامه، وقالوا: لَمن لامهم.

أقــول لــلائم المهــدي مــلامتــه * ذق الهوى وإن استطعت الملام لم[1]

فهم يعذرون اللوام إذ هم محجوبون عما فيـه القوم من تلك الأحوال ولا يلتفتون[2] إلى ملامهم، بل قد يستلذ أحدهم الملامة كما قيل:

أجــد المـلامــة في هــواك لــذيـذة * حبّــاً لــذكــرك فليـلمني الـلوم[3]

ولا ريب أنهم معذورون إذ لم يجدوا مَن يخاطبهم بأذواقهم، ويكلمهم عـلى مقتضى أحوالهم، ويشـاركهم في وجدهم وشـأنهم، فناداهم من مكان قريب وإنما يبتلون بجـاف جلف أبعد شيء عن معاملات القلوب وأحوالها ومنازلاتها، كثيف الطباع موكل بإنكار ما لم يحيط بعلمه، غليظ الحجاب عن شأن القوم، وما تعلقت به هممهم، فينكر عليهم إنكار مَن لم يذق ما ذاقوه ولا باشر ما باشروه، ولا ذاق من الشراب الـذي شربوه، فـأعمال القلوب عنـدهم كـأنها شريعـة منسوخة، أو كأنها لم تشرع قط، فتولـدت المحنة بـين قسوة هؤلاء وجمودهم، وميعان هؤلاء وانحلالهم، فإذا جمعهما مجلس كانا كما قيل.

ســارت مشرقــة وسرت مـغــربــاً * شــتــان بــين مشرق ومـغــرب[4]

فكل من الطائفتين تنادي الأخرى من مكان بعيد، وصاحب الذوق المحمدي، والوجد الإبراهيمي، يحكم على الطائفتين، ويوالي من معه حق من الفريقين، وينكر مـا يجب إنكاره من الـطريقين،

---

(١) لم أعرف القائل.

(٢) في الأصل لا يلفتون.

(٣) القائل محمد بن علي الخزاعي. أنظر روضة المحبين ص ٢٧٨.

(٤) لم أعرف القائل.

ويسير إلى الله سبحانه بين حقائق الإيمان، وشرائع الإسلام، ويعلم أن الحقيقة بلا شريعة خيال باطل وسراب، والشريعة بلا حقيقة قشر قد تجرد من اللباب، وأن الأمر إنما قام بـالحقيقة البـاطنة، وعليهـا الثـواب والعقاب، والشريعـة الظاهـرة وهي مظهـر الأمـر والنهي، والحكم والأسباب وهي بمنزلة البدن، والحقيقة الإيمانية بمنزلة الروح، والروح لا قوام لها بدون البدن، وبدن لا روح فيه من جملة الأموات.

والدين ينتظم الأمرين انتظاماً واحداً، وله جسد وروح وقلب، فجسده الإسلام، وروحه الإيمان، وقلبه الإحسان، فالإسلام الشرائع الظاهرة العاصمة للدم والمال، والإيمان الحقائق الباطنـة المنجية من النار، والإحسان المقامات العـالية التي ينـال بها الـدرجات العـلى، والقرب من الله سبحانه، والدخول في زمرة المقربين من عباده.

ولا ريب أن المحبين رفع لهم لواء فشمروا إليه، وخفى ذلك اللواء عمن أعرض عن هذا الشأن واشتغل بغيره، ولكن سلك كثير منهم إليه على غير درب الإيمان والإحسان، فبعدوا من مطلوبهم على قدر انحرافهم، فالصادقون من أرباب السماع شمروا إلى علم المحبة، ورأوا أن السماع من الأسباب التي يتوصل بهـا إلى ظهور الكـوامن الباطنة من محبة الله، والشوق إليه، والارتياح إلى قربه ولقائه وتوابع ذلك من الحزن على التقصير، والتفريط في طاعته في الأيام الخالية، والندم والأسف على ما فرط من العبد من أسباب عتب الله عليه، وإبعاده إيّاه والخوف (٣٥ أ) من طرده عن بابه، ووقوع الحجاب بينه وبين ربه، ورأوا حادياً يحدو بالأرواح إلى بلاد الأفراح، فيطيب لها السير فإذا حدا لها حادي جدت في السير على ظهور عزماتها لا تلوي

على أهل ولا مال كما قيل: (1)

لها أحاديث من ذاكراك تشغلها * عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضي به * ومن حديثك في أعقابها حادي(2)
إذا شكت من كلال السير أوعدها * روح القدوم فتحيا(3) عند ميعاد

وكما قيل: (4)

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى بالمطايا طيب ذكراك حادياً
وإن نحن أضللنا الطريق ولم نجد * دليلاً كفانا نور وجهك هادياً

وإذا كان حداء الإبل، يطيب لها السير، ويهون عليها حمل المشاق على غلظ أكبادها، وكثافة طباعها فما الظن بمَن أذابت نار المحبة قسوة قلبه، ولطفت طباعه إذ حدا الحادي بما يناسب حاله.

ولا ريب أن السماع لا يورد على القلب حالاً ليست فيه، ولا يحدث فيه إرادة ومحبة لم تكن، وإنما يثير ما كَمن فيه، فهو بمنزلة الصوان(5) تقدح في الزناد.

فإذا سمع مَن في قلبه حب كامل، أو خوف أو رجاء أو اشتياق إلى أي مطلوب كان، هاج من قلبه ذلك الكامن، فأثر فيه السماع بحسب استعداده(6) وسر ذلك أن النغمات اللذيذة، ولطافة الألحان

---

(1) لم أعرف القائل.

(2) في الأصل حادى إذا شكت والمقام يقتضي حذف حادى.

(3) في الأصل فتهي

(4) القائل عمرو بن شأس، طبقات فحول الشعراء ١/١٩٧.

(5) الصوان حجارة يقدح بها، لسان العرب ٢٥١/١٣.

(6) في الأصل استبعاده ولعل الصواب ما أثبته.

وحلاوتها وطيبها، يناسب لطافة ما كمن واستتر في قلب المحب من شواهد محبوبه، فيذكره إيّاها فيهيج لذلك وجده، ويتحرك حبه وتلتهب (٣٥ ب) نار[١] الشوق في قلبه، وذلك كان مستوراً قبل السماع، متوارياً محجوباً بالأمور الشاغلة عنه، فلمّا ورد عليه السماع أخلى باطنه عن تلك الشواغل، فخمدت وتوارت، فتحرك القلب بمقتضى ما سكن فيه من المحبة والشوق والوجد، وتوابع ذلك من الإنس والقرب أو الحزن أو الأسف على فوت حظه من محبوبه، وبعده عنه إلى غير ذلك من الأحوال التي يثيرها السماع، بالألحان المطربة، والنغمات اللذيذة بالأشعار الرقيقة المناسبة للحال، المشتملة على وصف الملاحة، والحسن وطيب الوصال وعذوبته، وألم الهجران وعذابه،[٢] فتتفق ممارسة أوزان الشعر، ولطافة المعاني، وحسن الصوت، وتناسب حركات التصفيق، والإيقاعات، وخصوصية ذلك اللحن، لما في قلب هذا المحب المشتاق، فحيث وجد المناسبة اضطرب وتحرك وهاجت من قلبه لواعجه، فتنضاف قوة المناسبة واعتدالها، وتلك الهيئة الاجتماعية إلى ما عنده من القبول والاستعداد، فتسير الروح، ويطير القلب، وتنبعث الجوارح، فهذه النكتة التي أوجبت للقوم حضور السماع، ولم يأخذهم فيه لومة لائم، ولم يصادفوا من حلها ولا شفي بكلامه فيها، بل صادفوا هذا بدعة وهذا حرام، وهذا لا يجوز، ومَن فعل ذلك فهو سفيه، ونحو هذا من القول الذي لم يصل به قائله إلى باطن الداء، ولم يضع فيه الدواء على ما يناسبه من الداء، بل داوى الداء بغير دوائه، فلم يزد المرض إلاّ

(١) في الأصل مكرر.

(٢) في الأصل وأعذابه.

قوة فنقول: وبالله المستعان ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، إنما تنحل هذه الشبه بذكر قواعد أربع إذا تبيّنت انحلت شبهة السماع.(١)

---

(١) لم يذكر ابن القيّم إلاّ قاعدة واحدة.

وقد أجاب على هذه الشبهة بثلاث قواعد في مدارج السالكين ١/٥٣١ ـ ٥٣٣.

وذكرها ابن تيميّة في مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٣٠٨.

القاعدة الثالثة هي المذكورة هنا.

وأمّا القاعدة الأولى والثانية فهي:

الأولى: أن الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه فيحكم عليه بحاكم آخر ويتحاكم إليه.

فهذا منشأ ضلال مَن ضلّ من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكماً فتحاكموا إليه فيما يسوغ ويمتنع وفيما هو صحيح وفاسد وجعلوه محكاً للحق والباطل فنبذوا لذلك موجب العلم والنصوص وحكموا فيها الأذواق والأحوال والمواجيد فعظم الأمر وتفاقم الفساد والشر وطمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم وانعكس السير وكان إلى الله فصيّروه إلى النفوس فالناس المحجوبون عن أذواقهم يعبدون الله وهؤلاء يعبدون أنفسهم ومن العجب أنهم دخلوا في أنواع الرياضيات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها فانتقلوا من شهوات إلى شهوات أكبر منها، ومن حظوظ إلى حظوظ أحط منها وكان حالهم في شهوات نفوسهم التي انتقلوا عنها أكمل وحال أربابها خير من حال هؤلاء لأنهم لم يعارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوها ديناً وقربة ولا ازدروا من أجلها العلم وأهله والشهوات التي انتقلوا إليها جعلوها أعلى ما يشمرون إليها فهي قبلة قلوبهم فهم حولها عاكفون واقفون مع حظوظهم من الله فانون بها عن مراد الله منهم، الناس يعبدون الله وهم يعبدون أنفسهم عائبون على أهل الحظوظ والشهوات ومزدرون لهم وهم أعظم الناس حظوظاً وإنما زهدوا في حظ إلى حظ أعلى منه وإنما تركوا شهوة لشهوة أحط.

فليتدبر اللبيب هذا الموضوع في نفسه وفي غيره فكل ما خالف مراد الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته مالاً كان أو رئاسة أو صورة أو حالاً أو ذوقاً أو وجداً ثم من قدمه على مراد الله فهو أسوأ حالاً ممن عرف أنه نقص ومحنة وأن مراد الله أولى بالتقديم منه فهو يتوب منه كل وقت إلى الله.

القاعدة الأولى: أن ينظر إلى ما في هذا السماع من المصلحة والمفسدة فإن كانت (٣٦ أ) مصلحته أرجح من مفسدته لم يكن حراماً، وإن كانت مفسدته أرجح من مصلحته كان حراماً، ولا تقتضي الشريعة غير هذا، ومعلوم قطعاً أن السماع المصطلح عليه المتعارف اليوم بين الناس مصلحته في مفسدته كتفلة في بحر، فإن كان فيه جزء من المصالح ففيه ثلاث وعشرون جزءاً من المفاسد، فهو أشبه الأشياء بالخمر والميسر اللذين قال الله تعالى فيهما: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾. (١)

ثمّ إنه وقع من تحكيم الذوق من الفساد ما لا يعلمه إلاّ الله فإن الأذواق مختلفة في أنفسها كثيرة الألوان متباينة أعظم التباين فكل طائفة لهم أذواق وأحوال ومواجيد بحسب معتقداتهم وسلوكهم.

فالقائلون بوحدة الوجود لهم ذوق وحال ووجد في معتقدهم بحسبه والنصارى لهم ذوق في النصرانية بحسب رياضتهم وعقائدهم وكل من اعتقد شيئاً أو سلك سلوكاً فإنه إذا ارتاض وتجرد لزمه وتمكن من قلبه وبقي له فيه حال وذوق ووجد فيذوق من توزن الحقائق إذن ويعرف الحق من الباطل.

القاعدة الثانية:

إنه إذا وقع النزاع في حكم فعل من الأفعال أو حال من الأحوال أو ذوق من الأذواق هل هو صحيح أو فاسد وحق أو باطل وجب الرجوع فيه إلى الحجة المقبولة عند الله وعند عباده المؤمنين وهي وحيه الذي تتلقى أحكام النوازل والأحوال والواردات منه وتعرض عليه وتوزن به فما زكاه منها وقبله ورجحه وصححه فهو المقبول وما أبطله ورده فهو الباطل المردود ومَن لم يبن على هذا الأصل علمه وسلوكه وعمله فليس على شيء من الدين وإنما معه خدع وغرور ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾. سورة النور آية ٣٩.

(١) سورة البقرة آية ٢١٩.

ونحن لا ننكر أن في السماع لذة وراحة ومنفعة، بل وفي الخمر والزنا وعامة المحرمات، لكن الشأن في تلك المنفعة هل هي راجحة على المضرة، أو المضرة راجحة عليها، فمَن احتج على حل السماع بما فيه من اللذة والراحة، فهو في غاية البعد عن الشرع، وعن معرفة أحوال القلوب وصلاحها وما يفسدها، ولولا سطوة الشرع ومظهره، لكان هذا القائل ربما يحتج على حل الخمر والزنا بما فيهما من اللذة والمنفعة والراحة، ولكن القوم ليسوا بأصحاب حجج، وغالبهم واقف مع ذوقه.

فاعلم أن السماع يهيج من القلب الحب المشترك، فيشترك فيه محب الرحمن، ومحب الأوثان، ومحب الصلبان، ومحب الأوطان، ومحب النسوان، ومحب المردان، كل له منه نصيب وشرب وذوق على حسب محبته، فإذا سمعه من هو مفتون بمحبة وثنه أو صليبه أو وطنه أو امرأة أو صبي، أثار من قلبه كامنه، وأزعج منه قاطنه، وهيجه وهيج منه ما يناسب حاله مع محبوبه، وتهييج السماع لهذا الحب الفاسد القاطع عن الله المبعد عنه، أعظم من تهييجه للحب الصحيح الموصل إليه من وجوه عديدة.

أحدها أن وضع الأشعار المسموعة المطربة فيه، إنّما قيلت في الصور (٣٦ ب) المعشوقة، من ذكر أو أنثى، فصورتها ومعناها ومضمونها إنما يناسب مَن قيلت فيه، ومَن هو مثله، وكلّما كانت المناسبة أقوى، كان التأثير والتأثر أتمّ وقد علم أرباب الخبرة من السماعاتية، أن السماع[1] لا يكاد يخلو من عشق صورة ألبتّة، إمّا

(١) في الأصل سماعنا والصواب ما أثبته.

حلالاً وإمّا حراماً وغالب عشاق الصور إنما يتعلق عشقهم الصور المحرمة، وهم أركان السماع، وأهل الذوق فيه.

وقد ركب الله سبحانه الطباع على شهوة الصور المستحسنة، وامتحن العباد بمجاهدة أنفسهم على الصبر وإيثار ما عنده، وشرع لهم من أوراد (و)[1] عبادات في ليلهم ونهارهم، ما يستعينون به على محاربة داعي النفس والشيطان، من الصلوات الخمس وتوابعها من الصيام، والحج والجهاد الظاهر والباطن، ومع هذا فغلبات الطباع، ودواعي الهوى، لن[2] تترك العبد سليماً.

وأعظم محرمات الهوى ودواعيه ثلاثة أشياء تسكر الروح، النظر واستماع الغناء وشرب الخمر، فهذه الثلاثة هي أقوى أسباب العشق والفجور، والنفس الأمّارة محبة لها مؤثرة لها، فجاء الشيطان إلى النفوس ودعاها من هذه الأبواب الثلاثة.

فلما جاء إلى نفوس أهل الإرادة، والسالكين إلى اللّه، لم يمكنه أن يدعوهم من باب النظر والخمر، فدعاهم من باب السماع، فلما دخلوا منه برطل[3] نفوسهم، بأن خلي بينها وبين حركة الحب، وقطع عنها الوساوس وخطرات المعاصي والفجور، وجمعها على السماع أتم جمع، ولم يشوش عليها بوسواس ولا خطرات.

فوجدت بذلك النفوس راحة، من وساوسها وخطراتها، وقوة عظيمة بجمعيتها، حتى إنَّ أحدهم يجد من الحال في السماع، ما لا

(١) في الأصل بياض ووضعت الواو لتستقيم العبارة.

(٢) في الأصل أن واستقامة الكلام كما أثبت.

(٣) برطل أي رشا نفسه، القاموس المحيط ٣/٣٣٤.

يجده في الصلاة ولا عند[1] قراءة القرآن، وكل هذا من براطيل النفس (٣٧/أ) والشيطان ليتم لهما مرادهما، فلما ذاقت النفوس في السماع هذا الذوق، ووجدت فيه هذا الوجد، تمكن حبه منها، وبلغ كل مبلغ فأسرها وملكها.

فشيطان السماع كامن لها، يجمع قوته للوثوب، فلما عرف أنَّ السماع قد تمكن منها، وتغلغل في أجزائها، وثب عليها وثبة الأسد على فريسته، واصطادها فيه أتم صيده، فواللّه لو كشف الغطاء لبصيرة عبد، منورة بنور الإيمان، لرأي أهله بين قتيل وصريع، وجريح وأسير، وهذه أحوالهم. وشطحاتهم وكلماتهم تنبئك عما حل بهم، فصادقهم يبكي على صوت الشبابة[2] والدف[3] والشعر، الذي لعله قيل في محرم يسخط اللّه طول ليله، ويرق ويتواجد ويهيم، وتقرأ عليه الختمة من أولها إلى آخرها، والقلب من هذه الأحوال مجدب، والعين من البكاء قحطة، فيا للعقول أي دليل أبين من هذا، أو أي برهان أظهر منه، على أن اكتساب القلب للنفاق من هذا السماع، أقرب من اكتسابه لحقائق الإيمان.

ومن ههنا نعرف مقادير السلف، وفضل معرفتهم، وأنهم في أوج الحقائق الإيمانية، وهؤلاء في حضيضها إذ يقول عبداللّه بن مسعود رضي اللّه عنه «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»[4] صح ذلك عنه.

---

(١) في الأصل ولا عيد.

(٢) سبق تعريفها ص ١١١ .

(٣) سبق تعريفه ص ١٠٨ .

(٤) سبق تخريجه ص ١٠٩ .

فأين هذا الكلام؟ من كلام من يقول سماع الغناء أنفع للمريد من سماع القرآن من ستة أوجه أو سبعة، ولا ريب أنَّ هذا القائل أخبر عن ذوقه وذوق هذا المريد، وأنَّه من سماع الغناء لا من سماع القرآن.

فإذا كانت هذه مفسدة هذا السماع الخاص الذي يحضره الخواص، فما الظن بسماع العوام، نعم سماعهم خير من هذا وأسلم عاقبة، وأخف ذنباً فإنَّهم يعدون (٣٧/ب) أنفسهم فيه عصاة لاعبين، ويعترفون بأنَّه ذنب تنبغي التوبة منه كما قيل:

ويشربها ويزعمها حلالا * وأشربها وأزعمها حراما[١]

فيا عجباً أي إيمان يشعر من سماع أبيات، طالما[٢].. عصى اللّه بها في الأرض، والأغلب من حال قائلها أنَّه قالها وتغزل بها في محرم، كما هو حال أكثر الشعراء الذين يتغنى بأشعارهم سيما.

وقد غلب على سماع الناس التغزل بالذكور، وذكر محاسنهم، وما يدعو إلى ما لعن اللّه عليه فاعله وغضب عليه، وكان غناء الناس قديماً كله في الإناث، ثمّ خسف اللّه بعقول المتأخرين وقلوبهم، فصار غناؤهم في الذكور، ووصف محاسنهم وقدودهم وشعورهم وخصورهم، فيا عجبا أي إيمان، وأي حال صحيح، يحدث عند سماع قول المغني المليح الصورة أو المليحة بين تلك المواصيل[٣]

---

(١) لم أعرف القائل.

(٢) في الأصل طال ما.

(٣) المواصيل جمع موصول وهو القصب والقصب ما يضرب به مع الأوتار.
أنظر كف الرعاع عن محرمات السماع. ملحق بالزواجر ٢/٣٠٥.

والدفوف(١) والألحان.

تبت يداً عاذلي فيه ووجنته * حمالة الورد لا حمالة الحطب(٢)

وقوله(٣):

ذهبي اللون تحسب من * وجنتيه النار تنقدح
خوفوني من فضيحته * ليته وافي وأفتضح

وقوله(٤):

ياذا الذي زار وما زار * كأنه مقتبس نارا
مرباب الدار مستعجلا * ما ضره لو دخل الدار

فيتواجد عليها المريد، ويبكي وينوح، ويزعم أنَّه أخذ منها إشارة، نعم أخذ شارة من أبيات تغضب اللّه ما قيلت فيه، وما أريد بها، ولم يأخذ الإشارة من كلامه (٣٨/أ) فلولا داء كامن في القلب، أثاره السماع، لكان الأمر بالعكس، وكذلك قول الآخر(٥).

ألا ما للمليحة لم تزرني * أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادني عواد قومي * فمالك لم ترى فيمن يعود

وقول لآخر(٦):

---

(١) سبق تعريفها ص ١٠٨ .

(٢) لم أعرف القائل.

(٣) لم أعرف القائل.

(٤) لم أعرف القائل.

(٥) فتى لم يسم ذم الهوى ص ٥٥٠.

(٦) لم أعرف القائل.

ذي طلعة سبحان فالق صبحه * ومعاطف حلت يمين الفارس
مرت بإرجاء الخيال طيوفه * فبكت على رسم السلو الدارس

وقول الآخر[1]:

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا * سوى أن يقولوا إنني لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة * إلي وإن لم تصف منك الخلائق

افتري الواشين[2] كانوا يشون بأنَّه يحب امرأته وجاريته، وإنما تلك الأغاني في حريم الناس وابنائهم، ومدح ما حرم اللّه من الخمر، وتحسين ما قبحه من الفجور، ودواعيه فتنزيل هذا[3] على محبة اللّه، والشوق إليه، أعظم من تنزيله على من قيل فيه أولاً، وأقرب إلى البعد من اللّه ومقته، ويا للّه العجب، أي إيمان يحصل للقلب، أو صلاح أو قرب من اللّه عند قول المغني[4].

بكرت تذكرني لجاج العذل * فيها وتلحظني بطرف مخجل
وتميس[5] كالغصن الرطيب ودونها * كفل كدعص[6] الرمل ضخم ممتلي
يا هذه حتام هجرك والقلي * جودي على دنف[7] بحبك قد بلي[8]

---

(١) القائل جميل بثينة ديوان جميل بثينة ص ٩٥.

(٢) في الأصل الواشون.

(٣) في الأصل لهذا.

(٤) لم أعرف القائل.

(٥) تميس تتبختر، لسان العرب ٦/٢٢٤.

(٦) الدعص قطعة من الرمل مستديرة أو الكثيب منه المجتمع أو الصغير. القاموس المحيط ٢/٣٠٣.

(٧) دنف مرض ملازم، لسان العرب ٩/١٠٧.

(٨) في الأصل أبلى.

وقول لآخر:

أعانقها والنفس بعد مشوقة * إليها وهل بعد العناق تدان
(٣٨/ب) وألثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد[١] ما ألقي من الهيمان[٢]

فإن قال المغنى أعانقه، كان طرب الحاضرين أكثر، فهل يحل لمن يرجو لله وقاراً، ويعلم أنَّ اللّه سائلة غداً. عما قال وفعل، أن يفتي بأنَّ السماع حلال مطلقاً، وهو يعلم أنَّ هذه البلايا وأضعاف أضعافها فيه، وهل يطيب السماع عند القوم إلاَّ بمدح ما حرم اللّه ورسوله، وذكر محاسن المردان والنسوان، والأشعار التي قيلت في حريم المسلمين وأبنائهم.

فواللّه إنَّ بلية الأسلام بهؤلاء من أعظم البلايا، وفي غير سبيل اللّه كم أفسد بالسماع من قلب، وكم سلب من نعمة، وكم جلب من نقمة، وكم ركب به من فرج حرام، وكم استحل به من المحارم والآثام، وكم صد عن ذكر اللّه وعن الصلاة، وكم قطع على السالكين سبيل النجاة، وكم تهافت به فراش العقول والأحلام في الجحيم، وكم فاتها به من حظها من اللّه وجنات النعيم، تاللّه ما نصب صياد بني آدم مثل هذا الشرك لصيد النفوس، ولا أدار على الندامى بعد كؤوس الخمر مثل هذه الكؤوس، وما علقت حبائل هذا الشرك بقلب إلا وعز استنقاذه على الناصحين، ولا أسر به من أسير إلاَّ وتعذر فكاكه على المخلصين.

---

(١) في الأصل فيشد.

(٢) قائل هذه الأبيات ابن الرومي، أنظر روضة المحبين ص ٣٢.

بــريــنــا إلى الـلّه مــن مــعشر * بهم مــرض من ســماع الــغـنــا
وكــم قــلت يــا قــوم أنـتـم عــلى * شفــا جــرف فــاستـهــانــوا بنـا
(٣٩/أ) ولما استمروا عـلى غيهم * رجــعــنــا إلى الــلّه في رشــدنــا
فـعـشنـا عــلى ملة المصـطفي * ومــاتــوا عــلى تــاتـنـا تنتنـا[١]

٣ ـ فصل

ومن مفاسده أنَّه يثقل على القلوب الفكر في معاني القرآن وحقائق الإيمان، فبحسب انصرافه إلى السماع يكون انصرافه عن ذلك، فمستقل ومستكثر، وكذلك يثقل على اللسان ذكر الله وإن خف الذكر على لسانه كان ذكراً مجرداً عن مواطأة القلب للسان، وهذا أمر يعلمه السماعي الصادق من نفسه، ولا يمكنه جحده بقلبه، فما اجتمع السماع والذكر والقرآن في موطن، إلاَّ وطرد أحدهما الآخر، فلا يجتمعان إلاَّ حرباً[٢] لا يجتمعان سلماً قط.

٤ ـ فصل

ومن مفاسده أنَّه يميل بسامعه إلى اللذات العاجلة، ويدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات بحسب الإمكان، ولا يردع سامعه عن استيفائها إلاَّ عصمة عجز أو فقر جائحة، أو خوف عقوبة عاجلة، أو فقر، أو فضيحة تذهب الرئاسة والمرؤة، أو خوف عقاب اللّه في الدار الآخرة، إن قوى وارد الإيمان على وارد السماع، وإلاَّ قالت النفس لا

(١) إشارة إلى الغناء وقائل هذه الأبيات لم أعرفه.
(٢) في الأصل حزباً.

أبيع حاضراً بغائب ولا نقداً بنسيئة.

«خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت[1] به»

وهذا كامن فيها، لو ناطقتها نطقت لك به، ومعظم هذه اللذات التي يدعو إليها السماع لذة المنكح، وليست تمام لذته إلاً في المتجددات، وإن كان القديمات أجمل منهن، ولا سبيل إلى كثرة المتجدادات من الحل غالباً فيتقاضى السماع (٣٩/ب) والطباع اجتلابها من المحرمات.

ولذلك قال السلف الصالح: «الغناء رقية الزنا»[2] وبين الغناء وشهوة الجماع ولذته أقرب نسب[3] من جهة أنَّ الغناء لذة الروح، والجماع أكبر لذات النفس، فيجتمع داعي اللذتين على طبع مستعد ونفس فارغة، فيجد الداعي القوي محلاً فارغاً لا مدافع له فيتمكن منه كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلباً فارغاً فتمكنا[4]

ولما يئس[5] الصياد من المتعبدين أن يسمع أحدهم شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود[6] والطنبور[7] والشبابة[8]، نظر إلى المعنى

(١) هذا صدر بيت وعجزه في طلعت البدر ما يغنيك عن زحل قائلة المتبني أنظر شرح ديوانه لعبد الرحمن. البرقوقي ٣/٢٥٤.

(٢) القائل الفضيل بن عياض، أنظر تلبيس إبليس ص ٢٦٤.

(٣) في الأصل نسباً.

(٤) قائل هذا البيت قيس بن الملوح أنظر روضة المحبين ص ١٣٨.

(٥) في الأصل ياس.

(٦) العود ذو الأوتار الأربعة الذي يضرب به، أنظر لسان العرب ٣/٣١٩.

(٧) الطنبور آلة من آلات اللعب واللهو والطرب ذات عنق وأوتار. انظر المعجم الوسيط ٢/٥٧٣.

(٨) سبق تعريفه ص ١١١.

الحاصل بهذه الآلات فأدرجه في ضمن الغناء وأخرجه في قالبه، وحسنه لمن قل فقهه ورق علمه، وإنما مراده التدريج من شيء إلى شيء.

والعارف من نظر في الأسباب إلى غاياتها ونتائجها، وتأمل مقاصدها وما تؤول إليه، ومن عرف مقاصد الشرع في صد[1] الذرائع المفضية إلى الحرام قطع بتحريم هذا السماع، فإنَّ النظر إلى الأجنبية واستماع صوتها لغير حاجة حرام سداً للذريعة، وكذلك الخلوة بها.

ومحرمات الشريعة قسمان: قسم حرم لما فيه من المفسدة، وقسم حرم لأنَّه ذريعة إلى ما اشتمل على المفسدة.

فمن نظر إلى صورة هذا المحرم ولم ينظر إلى ما هو وسيلة إليه استشكل وجه تحريمه، وقال: أي مفسدة في النظر إلى صورة جميلة خلقها اللّه تعالى، وجعلها آية ودلالة عليه؟ وأي مفسدة في صوت مطرب بآلة تؤديه، أو استماع كلام موزون بصوت حسن؟ وهل هذا إلاَّ بمنزلة سماع أصوات الطيور المطربة، ورؤية الأزهار والمناظر المستحسنة من الأماكن المعجبة البناء والأشجار والأنهار وغيرها.

فيقال لهذا القائل تحريم هذا النظر إلى الصور (٤٠/أ) وهذه الآلات المطربة من تمام حكمة الشارع، وكمال شريعته، ونصيحته للأمة فإنَّه حرم ما اشتمل على المفاسد، وما هو وسيلة وذريعة إليه، ولو أباح وسائل المفاسد مع تحريمها لكان تناقضاً ينزه عنه، ولو أنَّ

---

(١) كذا في الأصل ولعل الأصح سمد.

عاقلاً من العقلاء حرم مفسدة وأباح الـوسيلة المفضية إليهـا، لعده الناس سفيهاً متلاعباً وقالوا إنَّه متناقض وهل يمكن من شم رائحة الشريعة والفقه في الدين أن يردد مثل هذا الكلام؟ وهل هو إلاَّ بمثابة أن يقال أي مفسدة في الصلاة للّه[1] بعد الصبح وبعد العصر حتى ينهي عنها؟ وأي مفسدة في تحريم قطرة من الخمر لا تسكر ولا تغيب العقل حتى يحد عليها؟ وأي مفسدة في تحريم الصلاة إلى القبور وفي النهي عن الصلاة فيها؟ وأي مفسدة في تقدم رمضان بيوم أو يومين وعن سب آلهة المشركين في وجوههم، إلى أضعاف أضعاف هذا مما نهي عنه الشارع سداً لذريعة إفضائه إلى المحرم الذي يكرهه ويبغضه وهل هذا إلاَّ محض حكمتـه ورحمته وصيـانته لعبـاده وحمية لهم من المفاسد أو أسبابها ووسائلها؟.

والعاقل العارف بالواقع يعلم أنَّ إفضاء هذا السـماع إلى ما حرمه اللّه ورسوله إن لم يزد على إفضاء النظر فليس بدونه، بل كثيراً ما يكون إفضاؤه فوق إفضاء الخمر. فإن سكر الخمر إفاقة صاحبـه سريعة وسكر السماع لا يستفيق صاحبه إلاَّ في عسكر الهالكين.

٥ ـ فصل

فإن قال هذا المغرور المخدوع، إن سماع هذا الغناء المـطرب بهذه الآلات المطربة المزعج للطباع الداعي لها إلى العشق ولوازمه لا يؤثر عندي، ولا أسمعه[2] لهذا الغرض، ولا يلتفت قلبي إلى حب ما

---

(١) في الأصل الله .

(٢) في الأصل ولا سمعه .

يوصف (٤٠ ب) فيه، وإنما أنزله على مقتضي حالي ووجدي في حب الله والدار الآخرة فهو يثير من قلبي ما هو كامن فيه، كما يثير من قلب محب الدنيا والصور ما هو كامن فيه فإن سماعي لله وبالله فلا يضرني ما فيه من المفاسد بخلاف سماع أهل اللهو واللعب فالجواب:

أن يقال هذا موضع الغرور والتلبيس، ومنه وقع مَن وقع في شبكة السماع وشركه ورام التخلص منها فعزّ عليه فيقال له:

أولاً: ما الفرق بينك وبين مَن يقول أنا أنظر إلى الصور المستحسنة من النساء الأجانب وإلى معاطفهن وقدودهن وخدودهن وسائر محاسنهن، وليس نظري نظر الفساق فانظر إليهن نظر اعتبار واستدلال وتفكر في كمال قدرة الخالق، فأتعجب من حسن الصنعة في استدارة ذلك الوجه وحسنه، وتناسب خلقه وتبلج تلك الجبهة والجبين فوقه واستوائهما، وتقوّس تينك الحاجبين واعتدال خلقهما كأنهما خطاً بقلم، وأقول تبارك مَن خطهما بقلم القدرة.

وانظر إلى تينك العينين وما أودعتاه من الملاحة والحلاوة والسواد في ذلك البياض وحسن شكلهما وبجمعهما لمحاسن الوجه، ثم انظر إلى دقة الأنف واستوائه وحسن شكله، وإلى ذلك الفم واستدارته ولطفه وبديع خلقه وهكذا عضواً عضواً وأقول في خلال ذلك كله تبارك الله أحسن الخالقين، وإذا رأيت هذه الصورة ذكرتني الحور العين كما قال قائل:

وإذا راك العابدون تيقنوا * حور الجنان لدى النعيم الخالد
فسعوا إلى ذاك النعيم وشمروا * إذ كان قيل عليه أكبر شاهد[1]

(٤١أ)

وهل هذا إلاّ فتح لباب الإباحة وخرق لسياج الشريعة، وليس

(١) لم أعرف القائل.

بعده إلاّ أن يقول إنما حرمت الخمر لما يوقع شربها فيه من العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ وأنا أشربها لغير هذا الغرض، بحيث لا توقعني في عداوة ولا بغضاء، ولا تصدّني عن ذكر الله، ولا عن فرض من فرائضه.

وكل هذا وأمثاله قد رأيناه وشاهدناه في بعض القوم، وفي كتبهم ومخاطباتهم، فانظر كيف يرق الدين حتى ينسلخ منه الرجل كانسلاخ الشعرة من العجين، والمعصوم من عصمه الله.

ثم يقال لك ثانياً:

الطباع البشرية فيك حية لم تمت، وإن ادّعيت غير هذا كذبتك طباعك وبشريتك[1] فإذا زعمت أنك تسمع للإشارة سبقك الطبع إلى مقصوده وحظه قبل أخذ الإشارة، ثم تبرطلك نفسك بتلك الإشارة، والطبع كعمل عمله ويتقاضى حظه وأنت مشغول عنه بالإشارة، والإشارة لا تدوم فإذا ترحلت عنك طالبك الطبع بحظه أتم مطالبة، فأعلى أحوالك أن تقع في حومة الحرب والجهاد فتدال على طبعك مرة ويدال عليك أخرى، والغالب أنك أسير معه تجعل حظه عبودية وقربة، وهذه نكتة السماع وسره ولبه، فتكون أسوأ حالاً ممن سمعه لهواً ولعباً، وعده معصية وذنباً.

فليتأمل اللبيب الفطن هذا الموضع حق التأمل، وليدقق النظر في هذا الداء[2] الذي اختطف من شاء الله رب العالمين، وما نجا منه إلاّ فرد تميز عن كثرة الهالكين، والله المستعان وعليه التكلان.

---

(١) في الأصل وبشرتك.

(٢) في الأصل الدوار.

ثم يقال لك ثالثاً:

لو كان سماعك بالله وعن الله كما تقول، لدلت على صدقك (٤١/ب) شواهد ذلك من سماع كلامه وأسمائه وصفاته ومواعظه وترغيبه وترهيبه وما يدعو إلى محبته ويباعد عن سخطه، ولم يكن سماعك لشيء لا يشار به إلى الخالق، وإنما يشار به إلى الخمر والمسكر والمليحة والمليح وطيب وصالها وعذوبته وتوابع ذلك، فتعالى الله وتنزه جنابه وجلت عظمته أن يشار إليه بذلك، أو يستجلب رضاه وقربه، كلا والله إن استجلب بذلك إلاّ مقته والبعد منه.

وكيف يجوز أن توجد الإشارات إلى الله سبحانه في التغزل في النساء والمردان، وأين هذا مما يجب له سبحانه من الهيبة والتعظيم والوقار والإجلال لعظمته وخشيته والخوف منه؟ وقد آل بهم هذا إلى أن أطلقوا في حقه سبحانه ما يطلقه هؤلاء العشاق في معشوقيهم من الصد والهجر والوصال وتوابع ذلك، ونشأت من ذلك الشطحات والطامات والرعونات التي هي ضد طريق العبودية، وكل هذا من مفاسد السماع والعاقل يعلم أن مفسدة شرب الخمر دون هذه المفسدة بكثير.

ومن العجب استدلالهم على جواز سماع الغناء والمعازف[١] والشبابة[٢] والدفوف[٣] المصلصلة[٤] بسماع أصوات الهزار[٥]

(١) المعازف الملاهي، لسان العرب ٩/٢٤٤.

(٢) الشبابة سبق تعريفها ص ١١١ .

(٣) الدفوف سبق تعريفها ص ١٠٨ .

(٤) المصلصلة المصوتة، لسان العرب ١١/٣٨١.

(٥) الهزار: طائر فارسيته هزار دستان. أنظر القاموس المحيط ٢/١٦١.

والبلبل[1] والشحرور[2] والقمري،[3] وهل هذا إلاّ من جنس قياس الذين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[4] ومن جنس قياس أهل الإباحة الذين يقولون النظر إلى الصور الجميلة والتلذذ بها مثل النظر إلى سائر ما خلق الله من المناظر البهجة من الأزهار والثمار والنبات والحيوان، فما الـذي حلل هذا وحرم هذا! أفترى هذا ما علم أن سماع أصوات الطيور ورؤية محاسن النبات والثمار لا يدعـو (٤٢ أ) إلى ما يدعو إليه سماع الغناء، وآلات اللهو والنظر إلى الصور المستحسنة:

فـإن كنت لا تـدري فتلك مصيبـة * وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم[5]

٦ - فصل

والتحقيق في السماع أنه مركب من شبهة وشهوة، وهما الأصلان اللذان ذم الله مَن يتبعهما ويحكمهما على الوحي الـذى بعث الله به أنبياءه ورسله. قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾[6] فالظن الشبهة، وما تهوى الأنفس الشهوة، والهدى الذي جاءنا من ربنا مخالف لهذا، وهذا وقال تعالى:

---

(١) البلبل: طائر حسن الصوت يألف الحرم ويدعوه أهل الحجاز النغر. لسان العرب ٦٨/١١.

(٢) الشحرور: طائر أسود فويق العصفور يصوت أصواتاً. أنظر لسان العرب ٢٩٨/٤.

(٣) القمري: طائر يشبه الحمام، لسان العرب ١١٥/٥.

(٤) سورة البقرة آية: ٢٧٥.

(٥) القائل ابن القيّم - حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ١٣٥.

(٦) سورة النجم آية ٢٣.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾(١) فالاستمتاع بالخلاق وهو النصيب هو الشهوة، والخوض هو الكلام بمقتضى الشبهة فهذان الداءان هما داء الأولين والآخرين إلاّ من عصم الله وقليل ما هم، وهذا السماع قد تركب أمره من هذين الأصلين.

فأمّا الشبهة التي فيه فهي تعلق أهله بالشبهة التي يستندون إليها في فعله، كقولهم حضره سادات المشايخ ومَن لا يطعن عليه، وأقره النبيّ ﷺ في بيته، وسمع الحداء وهو ضرب من سماع الغناء وسمع الشعر وأجاز عليه ونحو ذلك من الآثار التي سنذكرها ونبين أن صحيحها لا يدل، وما هو صريح في الدلالة فكذب موضوع على رسول الله ﷺ.

ومن الشبهة التي فيه أن الروح متى سمعت ذكر المحبة والمحبوب والقرب منه ورضاه حرك ذلك لمن(٢) في قلبه شيء من المحبة الصادقة، وهذا أمره لا يمكن(٣) (٤٢ ب) دفعه، فهذا نصيب الشبهة منه.

وأمّا الشهوة فهي نصيب النفس منه، فإن النفس تلتذ بسماع الغناء وتطرب بالألحان المطربة، وتأخذ بحظها الوافر منه، حتى ربما أسكرها وفعل فيها ما لا يفعله الخمر، فإن الطباع تنفعل للسماع

---

(١) سورة التوبة آية ٦٩.

(٢) كذا في الأصل ولعلّ الصواب بدون اللام.

(٣) في الأصل لا تمكن.

والصـورة، والخمرة تسكـر النفوس بهـا أتم سكر، ولهـذا قـال الله سبحـانه في اللوطيـة، لما أخـذهم العـذاب ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي[1] سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2] فلعشاق الصور سكرة لا يستفيقون منها إلاّ في عسكر الهالكين إلاّ من تداركه الله برحمته والسماع يسكر الروح كما تقدم، وتزيد لذته أحياناً على لـذة الخمر، ولهـذا تؤثر الألحـان في الأطفال والبهائم ما لا يؤثر غيرها فيها، قد تتجرد هذه الشهوة التي هي حظ النفس وهو الغالب من السماع، وقد تبهرج بنوع شبهة من محبة الله وطلبه والشوق إلى لقائه، فالشهوة فيه ما للنفوس من الحظ، والشبهة ما للقلب والروح فيه من السفر إلى المحبوب.

ولكن ثمّ نكتـة وهي أنه هـل هـذا من الـزاد الـذي تسـافـر فيـه القلوب والأرواح إلى محبوبها، يو ليس من زاد سيرها إليه .

فههنا تسكب العبرات، ويتبيّن مَن هو عامل على حظه وإرادته من المحبوب سواء أراده محبوبه أو لم يرده، وهو حال السماع الشعري الذي يثيره وهو عامل على مراد محبوبه منه ومرضاته وهو حال السماع القرآني فهذا لون وهذا لون وبين الحـالين أبعـد ما بـين المشرقين، ولأجل الباطل الذي فيه تدخل الدواخل القادحة على مَن حضره من الصـادقين، لأنـه ربما غلب فيـه سكـر النفـوس عـلى حظ القلوب والأرواح، فـانغمر في حظ النفـوس وصار الحكم للغـالب، ويصير (٤٣ أ) النصيب خالصاً للنفس والشيطان.

فصاحب الحال المحمود والسماع قد يغلب عليه جانب الباطل

---

(١) في الأصل في .

(٢) سورة الحجر آية ٧٢.

وينغمر الحق فيه ويستهلك لكون صورة هذا السماع غير مشروعة، وليست من أمر الدين ولا من الإسلام فهي صورة مبتدعة.

فلهذا السبب قد يقوى جانب النفس والشيطان فيه على جانب الحق، وتصير الحركة نفسانية لا قلبية، ولا يشعر صاحبها لغلبة حكم الوارد عليه، ونفس الحركة التي أثارها السماع ليست هي الميزان نفسها، بل هي الموزونة، فتستدعي ميزاناً يزنها به الصادق الناصح لنفسه العامل على مراد ربه لا على مراده هو، وحينئذ يتبين له هل هي حركة نفس أو حركة قلب في مرضاة المحبوب، فليتفطن اللبيب لهذا الموضع، وليقف فيه وقفة المتأمل والله الموفق.

٧ ـ فصل

ولّما تقادم العهد، وطال الأمد، ودرست معالم الدين، وأخذ الناس بنيات[١] الطريق، وصار الناس إلاّ (من)[٢] قل كما قال الله عز وجل ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٣] فاستند كل قوم غير حزب الله ورسوله إلى ظلم آرائهم، وحكموا على السنة مقالات شيوخهم وطرائقهم وأهوائهم[٤] وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وصار الغالب على هذا الخلق الهوى المطاع، والرأي المعجب به، والتقليد الذي ليس مع مقلده برهان من

---

(١) بنيات هي الطرق الصغار تتشعب من الجادة وهي الترهات. أنظر لسان العرب ٩١/١٤.

(٢) في الأصل وصار الناس الأقل والمقام يقتضي زياده من.

(٣) سورة المؤمنون آية ٥٣.

(٤) في الأصل أهواهم.

الله ولا بصيرة به إن معه إلاّ قوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾. [1]

فانحرفت لذلك الأعمال، وانقلبت الأذواق، وفسدت الأحوال، وصدئت القلوب، وكثير منها انتكس فلا يعرف من المعروف إلاّ ما وافق هواه، ولا ينكر منه إلاّ ما خالف (٤٣ب) هواه، وهذا هو ميت الأحياء، قال؛ عبدالله بن مسعود «أتدرون ما ميت الأحياء؟ قالوا لا: قال: هو الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، وقالوا: له يا أبا[2] عبد الرحمن هلك مَن لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فقال[3] هلك مَن لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر»[4] فلا يوجد غالباً إلاّ ذوق منحرف في عمل منحرف صادر من قلب منحرف، فتخرج الأقوال والأحوال فيها من الانحراف ما فيها.

فعظم الخطب واشتد الأمر، وكثرت الشطحات والطامات، وانسلخت القلوب من الإيمان، وأربابها لا يعلمون، لأن القلب متى لم يكن على قلب الرسول وأصحابه في القصد والعلم والمحبة والكراهة والتصديق واستحسان ما استحسنوه وايثاره واستقباح ما استقبحوه واجتنابه، كان فيه من الإنحراف عن الإيمان بقدر انحرافه عن ذلك حتى تعود القلوب كما قال: حذيفة بن اليمان رضي الله عنه «القلوب

---

(١) سورة الزخرف آية ٢٢.

(٢) في الأصل يا با عبد الرحمن.

(٣) في الأصل فقالوا

(٤) أنظر نحوه في حلية الأولياء ١/١٣٥.

على أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر فذاك قلب المؤمن»(١) فإنه أجرد أي متجرد من هذا الإنحراف في قصده وحبه وعلمه، متجرد عن شهوات الغي وشبهات الباطل، متجرد عن معارضات أمر الله بالتأويل والشهوات، وعن معارضات خبره بالتقليد والشبهات، وفيه من الإيمان ومباشرة روحه له سراج يزهر فهذا هو القلب السليم الذي لا ينجو إلا من أتى الله (به)(٢).

الثاني: قلب أغلف وهو قلب الكافر في غلاف لا يعرف معروفاً ولا منكراً بل المعروف عنده منكر والمنكر معروف.

(٤٤/أ) **الثالث**: قلب منكوس أي مكبوب كالكوز المجخى(٣) وهو قلب المنافق، وهو شر قلوب الخلق وهذا القلب دأبه دائماً أن يدعو الناس إلى ما يكرهه الله ورسوله، وينهاهم عما يحبه الله ورسوله

---

(١) انظر نحوه في حلية الأولياء ١/٢٧٦.

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهروقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نور وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقله يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه رواه أحمد ١٧/٣ وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء «أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه».

أنظر إحياء علوم الدين ١/١٢٣.

(٢) في الأصل غير موجودة وزدتها ليستقيم الكلام.

(٣) المجخي المائل عن الاستقامة والاعتدال فشبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء، أنظر النهاية لابن الأثير ١/٢٤٢.

من الأقوال والأعمال والاعتقاد.

الرابع: قلب له مادة إيمان ومادة نفاق، فهو يتقلب بين المادتين، وهو للغالب[1] عليه منهما.

ومن كان له بصيرة وتأمل أحوال الخلق رأهم لا يخرجون عن هذه الأقسام الأربعة، فمن أين تجيء الأذواق الصحيحة المستقيمة، والقلوب قد انحرفت أشد الانحراف عن هدى نبيها وما كان عليه هو وأصحابه؟.

والسلف الصالح كانوا يجدون الأذواق الصحيحة المتصلة بالله في الأعمال الصحيحة المشروعة، وفي قراءة كتاب الله وتدبره واستماعه، وفي مزاحمة العلماء بالركب وفي الجهاد في سبيل الله وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الحب في الله، والبغض فيه، وتوابع ذلك فصار ذوق المتأخرين إلا من رحم الله في اليراع[2] والدف[3] والمواصيل[4] والأغاني المطربة من الصور المستحسنة والرقص والزعقات وتعطيل ما يحبه الله ويرضاه من عبوديته المخالفة لهوى النفوس فشتان بين ذوق الألحان وذوق القرآن، وبين ذوق العود[5] والطنبور[6]، وذوق المؤمنين والنور وبين ذوق الزمر وذوق الزمر وبين ذوق الناي وذوق «اقتربت الساعة وانشق القمر»، وبين ذوق المواصيل

---

(١) في الأصل الغالب.

(٢) اليراع القصبة التي ينفخ فيها الراعي، لسان العرب ٤١٣/٨.

(٣) سبق تعريفه ص ١٠٨.

(٤) سبق تعريفها ص ١٠٨.

(٥) سبق تعريفه ص ١٦٦.

(٦) سبق تعريفه ص ١٦١.

والشبابات[1] وذوق يسٓ والصافات، وبين ذوق غناء الشعر وذوق (٤٤/ب) سورة الشعراء، وبين ذوق سماع[2] المكاء والتصدية، وذوق الأنبياء، وبين الذوق على سماع تذكر فيه العيون السود والخصور والقدود، وذوق سماع سورة يونس وهود، وبين ذوق الواقفين في طاعة الشيطان على أقدامهم صواف وذوق الواقفين في خدمة الرحمن في سورة الأنعام والأعراف، وبين ذوق الواجدين على طرب المثالث والمثاني، وذوق العارفين عند استماع القرآن العظيم والسبع المثاني، وبين ذوق[3] أولى الأقدام الصافات في حظيرة سماع الشيطان وذوق أصحاب الأقدام الصافات بين يدي الرحمن سبحان الله هكذا تنقسم الأذواق والمواجيد، ويتميز خلق المطرودين من خلق العبيد، وسبحان الممد لهؤلاء وهؤلاء من عطائه والمفارق بينهم في الكرامة يوم القيامة، فوالله لا يجتمع محبة سماع الشيطان وكلام الرحمن في قلب رجل واحد أبداً، كما لا تجتمع بنت عدو الله وبنت رسول الله عند رجل واحد أبداً[4].

أنت القتيل بكل من أحببته فاخترْ لنفسك في الهوى من تصطفي[5]

(١) سبق تعريفها ص ١١١ .

(٢) في الأصل السماع .

(٣) في الأصل الذوق.

(٤) إشارة إلى حديث علي بن الحسين أن المسور بن مخرمة قال إن عليا خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله ﷺ فقالت يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل فقام رسول الله ﷺ حين تشهد يقول أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسؤها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي الخطبة رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب ذكر أصهار النبي ﷺ ٥/٢٨ .

(٥) القائل ابن الفارض ديوانه ص ١٥٢ .

«كان أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم، إذا اجتمعوا واشتاقوا إلى حاد يحدو بهم، ليطيب لهم السير ومحرك يحرك قلوبهم إلى محبوبهم أمروا واحداً منهم يقرأ والباقون يستمعون»[1]، فتطمئن قلوبهم، وتفيض عيونهم ويجدون من حلاوة الإيمان أضعاف ما يجده السماعاتية من حلاوة السماع، وكان عمر بن الخطاب إذا جلس عنده أبو موسى يقول يا أبا موسى (٤٥/أ) ذكرنا ربنا، فيأخذ أبو موسى، في القراءة[2]، وتعمل تلك الأقوال في قلوب القوم عملها، وكان عثمان بن عفان يقول لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله[3] وأي والله كيف تشبع من كلام محبوبهم وفيه نهاية مطلوبهم وكيف تشبع من القرآن وإنما فتحت به لا بالغناء والألحان؟!.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم[4] فإن تركناه زاد السقم والمرض[5]

وأصحاب الطرب[6] والألحان عن هذا كله بمعزل، هم في واد والقوم في واد.

(و)[7] الضب والنون قد يرجى التقاؤهما * وليس يرجى التقاء الوحي والقصب[8]

فأين حال من يطرب بسماع الغناء والقصب بين المثالث والمثاني

---

(١) مجموع الفتاوي لابن تيميه ٥٣٣/١١.

(٢) سنن الدارمي ٤٧٢/٢.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ص ٢٣٢.

(٤) في الأصل بذلركم.

(٥) لم أعرف القائل.

(٦) في الأصل الطران.

(٧) في الأصل غير موجودة.

(٨) لم أعرف القائل.

وذوقه ووجده إلى حال من يجد لذة السماع وروح الحال، وذوق طعم الإيمان إذا سمع في حال إقبال قلبه على الله وأنسه به، وشوقه إلى لقائه، واستعداده لفهم مراده من كلامه وتنزيله على حاله وأخذه بحظه الوافر منه قارئاً مجيداً حسن الصوت والأداء يقرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾[1].
الحسنى

وأمثال هذا النمط من القرآن الذي إذا صادف حياة في قلب صادق قد شم رائحة المحبة وذاق حلاوتها، فقلبه لا يشبع من كلام محبوبه ولا يقر ولا يطمئن إلا به، كان (٤٥/ب) موقعه من قلبه كموقع وصال الحبيب بعد طول الهجران، وحل منه محل الماء البارد في شدة الهجير من الظمأن، فما ظنك بأرض حياتها بالغيث أصابها وابله. أحوج ما كانت إليه، فأنبت فيها من كل زوج بهيج قائم على سوقه يشكره ويثني عليه.

فهل يستوى عند الله وملائكته ورسوله والصادقين من عباده سماع هذا وذوقه وذوق صاحب سماع الغناء؟ من سماع أهله عبيد نفوس شهوانية، كان عقد مجلس اجتماعهم طلباً للذة النفوس ونيلاً

---

(١) سورة طه الآيات من ١ إلى ٨.

لحظها، فمن لم يميز بين هذين السماعين والذوقين، فليسأل ربه بصدق رغبته إليه أن يحيى له قلبه الميت، وأن يجعل له نوراً يمشي به في الناس، ويفرق به بين الحق والباطل فإنه قريب مجيب.

٨ ـ فصل

في التنبيه على نكتة خفية من نكت السماع يعرفها أهله، وهي أنه قد علم الذايقون منهم أنه ما وجد صادق في السماع الشعري وجداً وتحرك به إلا وجد عند انقضائه ومفارقة المجلس قبضاً على قلبه ووجد نوع استيحاش وأحس ببعده، ولا يتفطن لهذا إلا من في قلبه حياة وطلب وإلا

فما لجرح[1] بميت ايلام

ولو سئل عن سبب هذا لم يعرفه، لأن قلبه معمور بحب السماع وذوقه ووجده عن استخراج أسباب فساد القلب منه، ولو وزنه بالميزان العادل لعلم من أين أتى، فاسمع الآن السبب الذي نشأ منه هذا القبض وهذه الوحشة والبعد.

لما كان السماع الشعري أعلى أحواله أن يكون ممتزجاً من حق وباطل ومركباً كما تقدم من شهوة وشبهة، وأحسن أحوال صاحبه أن تأخذ الروح (٤٦/أ) بحظها المحمود منه ممتزجاً بحظ النفس والشيطان غير صاف ولا خالص، فامتزج نصيب الرحمن بنصيب الشيطان، واختلط حظ القلب بحظ النفس، هذا أحسن أحواله فإنه مؤسس على حظ النفس والشيطان وهو فيه بالذات، وأما نصيب

(١) هذا عجز بيت قائله المتنبي وصدره: من يهن يسهل الهوان عليه ـ أنظر شرح ديوان المتنبي ٢١٧/٤.

الرحمن فهو فيه بالعرض، ولم يوضع عليه ولا أسس عليه، فاختلط في وادي القلب الماء آن، الماء الصافي والكدر، وتجاور الخبيث والطيب، والتقت الواردات الرحمانية والواردات الشيطانية.

والمستمع الصادق لغلبة صدقه وظهور أحكام القلب فيه يخفي عليه ذلك الوقت أثر الكدر[1] ولا يشعر به سيما مع سكر الروح به وغلبتها عن سوى مطلوبه، فلما أفاق من سكره وفارق لذة السماع وطيبه وجد اللوث والكدر الذي هو أثر النفس والشيطان، وأتم جثوم الشيطان على قلبه فأثر فيه ذلك الأثر قبضاً ووحشة، وأحس به بعداً، وكلما كان أصدق وأتم طلباً كان وجوده لهذا أظهر، فاستعداده وحياة قلبه يوجب له الإحساس بهذا، ولا يدري من أين أتى وهذا له في الشاهد نظائر وأشباه منها:

إن الرجل إذا اشتغل قلبه اشتغالاً تاماً بمشاهدا محبوب، أو رؤية مخوف أو لذة ملكت عليه حسه وقلبه، إذا أصابه في تلك الحال ضرب أو لسع أو سبب مؤلم لا يكاد يشعر به، فإذا فارقته تلك الحال وجد مس الألم حتى كأنه أصابه تلك الساعة، والألم لم يزل فيه لكن كان ثم مانع يمنع من الإحساس به، فلمّا زال المانع أحس بالألم، ولهذه النكتة كان بعض الصادقين (٤٦ ب) منهم إذا فارق السماع بادر إلى تجديد التوبة والاستغفار، وأخذ في أسباب التداوي التي يدفع بها موجب أسباب القبض والوحشة والبعد.

وهذا القدر إنما يعرفه أولوا الفقه في الطريق وأصحاب الفطن المعتنون بتكميل نفوسهم ومعرفة أدوائها وأدويتها والله المستعان.

---

(١) في الأصل الدر.

ولا ريب أن الصادق قد يجد في سماع الأبيات ذوقاً صحيحاً إيمانياً، ولكن ذلك بمثابة من سقى عسلاً في إناء نجس، كإناء من جلد ميتة غير مذكاة[1] والنفوس الصادقة التي علت هممها تنبو عن الشراب في ذلك الإناء وتقذره، وتأنف أن تشرب فيه، بل تطلب الشرب من إناء يصلح لذلك الشراب ويناسبه، فإن لم تجده صانت الشراب عن وضعه في ذلك الإناء وانتظرت به إناء يليق به.

وغيرها من النفوس تضع ذلك الشراب في أي إناء وجدته من عظام ميتة أو جلد ميتة وإناء خمر طالما[2] شرب به الخمر، وأكلت فيه الميتة.

أفلا يستحي العارف أن يشرب أطهر الشراب وأطيبه في آنية المسكر والميتة والدم ولحم الخنزير، ولوجود الصادق في حال سماعه ذلك الذوق وحلاوته يغيب عن قذارة الإناء ونجاسته ووضارته،[3] فإذا فرغ من شربه وجد زهومة[4] ذلك الإناء وآثار قذارته على قلبه، فيوجب له ذلك قبضاً ووحشة وبالله التوفيق.

هذا إذا كان صاحب السماع صادقاً في حاله مع الله وذوقه، وكان سماعه بالله ولله، وأمّا إن كان سماعه للذة وحظ النفس (٤٧ أ) فهو يشرب الماء النجس في الإناء القذر.

---

(١) في الأصل ذكي.

(٢) في الأصل طال ما.

(٣) وضارته وسخه، لسان العرب ٥/٢٨٤.

(٤) الزهومة الريح المنتنة ـ لسان العرب ١٢/٢٧٧.

وأمّا صاحب السماع القرآني الذي ذوقه[1] وشربه منه، فهو يشرب الشراب الطهور في أنظف إناء وأطيبه، فالآنية ثلاثة: نظيف ونجس ومختلط. والشراب ثلاثة: طاهر ونجس وممزوج.

والقلوب ثلاثة صحيح سليم فشربه الشراب الطهور في الإناء النظيف، وسقيم مريض فشربه الشراب النجس في الإناء القذر، وقلب فيه مادتان فشرابه وإناؤه بحسب المادتين، وقد جعل الله لكل شيء قدراً.

٩ ـ فصل

في الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة وبيان أن أحد الذوقين مباين للآخر، فإنه كلّما قوى ذوق أحدهما وسلطانه ضعف ذوق الآخر وسلطانه.

ولا ريب أن الصلاة قرة عيون المحبين ولذة أرواح الموحدين، ومحك أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمته المهداة إلى عبيده هداهم إليها وعرفهم بها رحمة بهم وإكراماً لهم لينالوا بها شرف كرامته، والفوز بقربه لا حاجة منه إليهم، بل منه مناً وفضلاً منه عليهم، وتعبد بها القلب والجوارح جميعاً وجعل حظ القلب منها أكمل الحظين وأعظمهما، وهو إقباله على ربه سبحانه وفرحه وتلذذه بقربه وتنعمه بحبه وابتهاجه بالقيام بين يديه، وانصرافه حال القيام بالعبودية عن الالتفات إلى غير معبوده، وتكميل حقوق عبوديته حتى تقع على الوجه الذي يرضاه.

(١) في الأصل ذقه .

ولّما امتحن سبحانه عبده بالشهوات وأسبابها (٤٧ ب) من داخل فيه وخارج عنه، اقتضت تمام رحمته به وإحسانه إليه أن هيَّأ له مأدبة قد جمعت من جميع الألوان والتحف والخلع والعطايا، ودعاه إليه كل يوم خمس مرات، وجعل كل لون من ألوان تلك المأدبة لذة ومنفعة ومصلحة لهذا العبد الذي قد دعاه إلى المأدبة ليست في اللون الآخر لتكمل لذة عبده في كل لون من ألوان العبودية، ويكرمه بكل صنف من أصناف الكرامة، ويكون كل فعل من أفعال تلك العبودية مكفراً لمذموم كان يكرهه بإزائه، وليثبه عليه نوراً خاصاً وقوة في قلبه وجوارحه وثواباً خاصاً يوم لقائه.

فيصدر المدعو من هذه المأدبة وقد أشبعه وأرواه، وخلع عليه بخلع القبول وأغناه، لأن القلب كان قبل قد ناله من القحط والجدب والجوع والظمأ والعرى والسقم ما ناله، فأصدره من عنده وقد أغناه عن الطعام والشراب واللباس والتحف ما يغنيه.

ولّما كانت الجدوب متتابعة، وقحط النفوس متوالياً، جدد له الدعوة إلى هذه المأدبة وقتاً بعد وقت رحمة منه به، فلا يزال مستسقياً من بيده غيث القلوب وسقيها، مستمطراً سحائب رحمته لئلا ييبس ما أنبتته له تلك من كلأ الإيمان وعشبه وثماره، ولئلا تنقطع مادة النبات والقلب في استسقاء واستمطار، هكذا دائماً يشكو إلى ربه جدبه وقحطه وضرورته إلى سقيا رحمته، وغيث بره فهذا دأب العبد أيام حياته.

فإن الغفلة التي تنزل بالقلب هي القحط والجدب، فما دام في ذكر الله (٤٨ أ) والإقبال عليه فغيث الرحمة واقع عليه كالمطر المتدارك

(فإذا)[1] غفل ناله من القحط بحسب غفلته قلة وكثرة، فإذا تمكنت الغفلة واستحكمت صارت أرضه ميتة وسنته جرداء يابسة وحريق الشهوات فيها من كل جانب (كا) السمايم.[2]

وإذا تداركه عليه غيث الرحمة اهتزت أرضه وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فإذا ناله القحط والجدب كان بمنزلة شجرة رطوبتها ولينها وثمارها من الماء فإذا منعت من الماء يبست عروقها وذبلت أغصانها، وحبست ثمارها وربما يبست الأغصان والشجرة، فإذا مددت منها غصناً إلى نفسك لم يمتد ولم ينقد لك وانكسر، فحينئذ تقتضي حكمة قيم البستان قطع تلك الشجرة وجعلها وقوداً للنار، فكذلك القلب، إنما ييبس إذا خلا من توحيد الله وحبه ومعرفته وذكره ودعائه فتصيبه حرارة النفس، ونار الشهوات فتمتنع أغصان الجوارح من الامتداد إذا مددتها والانقياد إذا قدتها، فلا تصلح بعد هي والشجرة إلاّ للنار، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3] فإذا كان القلب ممطوراً بمطر الرحمة كانت الأغصان لينة منقادة رطبة، فإذا مددتها إلى أمر الله انقادت معك، وأقبلت سريعة لينة وادعة، فجنيت منها من ثمار العبودية ما يحمله كل غصن من تلك الأغصان ومادتها من رطوبة القلب وريه، فالمادة تعمل عملها في القلب والجوارح، وإذا يبس القلب تعطلت الأغصان من أعمال البر، لأن مادة القلب وحياته قد انقطعت (٤٨ ب) منه فلم تنتشر في

---

(١) في بعضه بياض.

(٢) في الأصل بدون الكاف وزدتها ليستقيم الكلام والسمائم الريح الحارة. لسان العرب ٣٠٤/١٢.

(٣) سورة الزمر آية ٢٢.

الجوارح، فتحمل كل جارحة ثمرها من العبودية، ولله في كل جارحة من جوارح العبد عبودية تخصه، وطاعة مطلوبة منها، خلقت لأجلها وهيّئت لها والناس بعد ذلك ثلاثة أقسام:

أحدها: مَن استعمل تلك الجوارح فيما خلقت له وأريد منها، فهذا هو الذي تاجر الله بأربح التجارة وباع نفسه لله بأربح البيع، والصلاة وضعت لاستعمال الجوارح، جميعها في العبودية تبعاً لقيام القلب بها.

الثاني: مَن استعملها فيما لم تخلق له، ولم يطلق[1] لها، فهذا هو الذي خاب سعيه وخسرت تجارته، وفاته رضى ربه عنه وجزيل ثوابه وحصل على سخطه وأليم عقابه.

الثالث: مَن عطّل جوارحه وأماتها بالبطالة، فهذا أيضاً خاسر أعظم خسارة، فإن العبد خلق للعبادة والطاعة لا للبطالة، وأبغض الخلق إلى الله البطال الذي لا في شغل الدنيا ولا في سعي الآخرة، فهذا كل على الدنيا والدين.

فالأول كرجل أقطع أرضاً واسعة وأعين بآلات الحرث والبذار، وأعطى ما يكفيها لسقيها فحرثها وهيّأها للزراعة[2] وبذر فيها من أنواع الغلال، وغرس فيها من أنواع الثمار والفواكه المختلفة الأنواع، ثم لم يهملها بل أقام[3] عليها الحرس وحفظها من المفسدين، وجعل يتعاهدها كل يوم فيصلح ما فسد منها، ويغرس عوض ما يبس وينفي

---

(١) كذا في الأصل والعبارة فيها خلل ولعلها لم يخلق لها.

(٢) في الأصل للزاعة.

(٣) في الأصل أقوام والصواب ما أثبته.

دغلها، ويقطع شوكها، ويستعين بمغلها على عمارتها.

والثاني بمنزلة رجل أخذ تلك الأرض فجعلها مأوى للسباع والهوام ومطرحاً للجيف والأنتان، وجعلها معقلاً يأوي (٤٩ أ) إليه كل مفسد ومؤذ ولص، وأخذ ما أعين به على بذارها وصلاحها فصرفه معونة ومعيشة لمن فيها من أهل الشر والفساد.

والثالث بمنزلة رجل عطلها وأهملها وأرسل ذلك الماء ضائعاً في القفار والصحارى، فقعد مذموماً محسوراً، فهذا مثال أهل الغفلة، والذي قبله مثال أهل الخيانة والجناية، والأول مثال أهل اليقظة والاستعداد لما خلقوا له.

فالأول إذا تحرّك أو سكن أو قام أو قعد أو أكل أو شرب أو نام أو لبس أو نطق أو سكت كان ذلك كله له لا عليه، وكان في ذكر وطاعة وقربة ومزيد.

والثاني إذا فعل ذلك كان عليه لا له، وكان في طرد وإبعاد وخسران.

والثالث إذا فعل ذلك كان في غفلة وبطالة وتفريط.

فالأول يتقلب فيما يتقلب فيه بحكم الطاقة والقربة .

والثاني يتقلب في ذلك بحكم الخيانة والتعدي فإن الله لم يملكه ما ملكه ليستعين به على مخالفته، فهو جان متعد خائن لله في نعمه، معاقب على التنعم بها في غير طاعته.

والثالث يتقلب في ذلك ويتناوله بحكم الغفلة وبهجة النفس وطبيعتها، لم يبتغ بذلك رضوان الله والتقرب إليه، فهذا خسران بيّن

إذ عطل أوقات عمره التي لا قيمة لها عن أفضل الأرباح والتجارات.

فدعا الله سبحانه الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم، وهيّأ لهم فيها أنواع العبادة لينال العبد من كل قول وفعل وحركة وسكون حظه من عطاياه.

وكان سر الصلاة ولبها إقبال القلب فيها على الله وحضوره بكليته بين يديه (٤٩ ب) فإذا لم يقبل عليه واشتغل بغيره ولها[١] بحديث النفس، كان بمنزلة وافد وفد إلى باب الملك معتذراً من خطأه وزلله مستمطراً لسحايب جوده ورحمته مستطعماً له ما يقوت قلبه، ليقوى على القيام في خدمته، فلمّا وصل[٢] إلى الباب ولم يبق إلاّ مناجاة الملك، التفت عن الملك وزاغ عنه يميناً أو ولاه ظهره، واشتغل عنه بأمقت شيء إلى الملك وأقله عنده قدراً، فآثره عليه وصيره قبلة قلبه، ومحل توجهه، وموضع سرّه، وبعث غلمانه وخدمه ليقفوا في طاعة الملك، ويعتذروا عنه وينوبوا عنه في الخدمة، والملك شاهد ذلك ويرى حاله، ومع هذا فكرم الملك وجوده وسعة بره وإحسانه يأبى أن ينصرف عنه تلك الخدم والأتباع فيصيبها من رحمته وإحسانه لكن فرق بين قسمة الغنائم على أهل السهمان من الغانمين وبين الرضخ[٣] لمن لا سهم له ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ

---

(١) في الأصل ولهي.

(٢) في الأصل وسل

(٣) الرضخ العطية القليلة. أنظر النهاية لابن الأثير ٢/٢٢٨.

وهذا إشارة إلى حديث عمر وفيه «وقد أمرت فيهم برضخ فاقبضه فاقسمه بينهم» يخاطب بذلك مالك بن أوس وقد أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب فرض الخمس ٤/٩٦.

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1] والله سبحانه خلق هذا النوع الإنساني لنفسه واختصه وخلق له كل شيء كما في الأثر الإلهي «ابن آدم خلقتك لنفسي وخلقت كل شيء لك فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له» .[2]

وفي أثر آخر «خلقتك لنفسي، فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني، وإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا خير لك من كل شيء» .[3]

وجعل الصلاة سبباً موصلاً له إلى قربه ومناجاته ومحبته والأنس به وما بين صلاتين تحدث له الغفلة والجفوة والأعراض والزلات والخطايا، فيبعده ذلك عن ربه، وينحيه عن قربه، ويصير كأنه أجنبي عن العبودية (٥٠ أ) ليس من جملة العبيد، وربما ألقى بيده إلى أسر العدو فأسره وغلّه وقيّده وجنه[4] في سجن نفسه وهواه، فحظه ضيق الصدر ومعالجة الهموم والغموم والأحزان والحسرات، ولا يدري السبب في ذلك.

فاقتضت رحمة ربه الرحيم به[5] أن جعل له من عبوديته عبودية جامعة مختلفة الأجزاء والحالات، بحسب اختلاف الأحداث التي جاءت من العبد وبحسب شدة حاجته إلى نصيبه من كل خير من أجزاء تلك العبودية.

---

(١) سورة الأحقاف آية ١٩.

(٢) بحثت عنه فلم أجده.

(٣) بحثت عنه فلم أجده.

(٤) الكلمة غير واضحة تحتمل سجنه وتحتمل جنه.

(٥) في الأصل به متقدمة على الرحيم والسياق يقتضي تأخرها.

فبالوضؤ يتطهر من الأوساخ ويقدم على ربه متطهراً، والوضؤ له ظاهر وباطن، وظاهره طهارة البدن وأعضاء العبادة، وباطنه وسره طهارة القلب من أوساخه وأدرانه بالتوبة. ولهذا يقرن سبحانه بين التوبة والطهارة في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) وشرع النبي ﷺ للمتطهر(٢) بعد فراغه من الوضؤ أن يتشهد، ثم يقول «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»(٣) فكمل له مراتب الطهارة باطناً وظاهراً.

فإنه بالشهادة يتطهر من الشرك وبالتوبة يتطهر من الذنوب وبالماء يتطهر من الأوساخ الظاهرة فشرع اكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله والوقوف بين يديه، فلما طهر ظاهراً وباطناً، أذن له بالدخول عليه بالقيام بين يديه(٤) إذ يخلص من الاباق بمجيئه إلى داره ومحل عبوديته.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٢) في الأصل بعد قوله للمتطهر أن يقول وحذفتها ليستقيم الكلام.

(٣) الحديث عن عمر بن الخطاب ـ أخرجه الترمذي ـ كتاب الطهارة ـ باب فيما يقال بعد الوضؤ ١/٧٧.
قال الترمذي بعدسياق الحديث في إسناده اضطراب ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب كبير شيء قال محمدبن اسماعيل البخاري وأبو ادريس لم يسمع من عمر شيئاً.
قال أحمد شاكر «وقد أخطأ الترمذي فيما زعم من اضطراب الإسناد في هذا الحديث ومن أنه لا يصح في الباب كبير شيء وأصل الحديث صحيح مستقيم الإسناد وإنما جاء الاضطراب في الإسانيد التي نقلها الترمذي منه أو ممن حدثه بها» سنن الترمذي بتحقيق أحمد شاكر. (١/٧٩) وأخرجه البيهقي ـ كتاب الطهارة ـ باب ما يقول بعد الفراغ من الوضؤ ١/٧٨.

(٤) في الأصل بعدها عبارة «فلما تطهر ظاهراً وباطناً» وهي زائدة.

ولهذا كان المجيء إلى المسجد من تمام عبودية الصلاة (٥٠/ب) الواجبة عند قوم، والمستحبة عند آخرين والعبد كان في حال غفلته كالآبق عن ربه وقد عطل جوارحه وقلبه عن الخدمة التي خلق لها، فإذا جاء إليه فقد رجع من اباقه فإذا وقف[1] بين يديه موقف العبودية والتذلل والإنكسار، فقد استدعى عطف سيده عليه واقباله عليه بعد الاعراض.

وأمر بأن يستقبل القبلة بيته الحرام بوجهه، ويستقبل الله عزّ وجلّ بقلبه لينسلخ مما كان فيه من التولي والاعراض، ثم قام بين يديه مقام الذليل الخاضع المسكين المستعطف لسيده وألقى بيديه مسلماً مستسلماً ناكس الرأس خاشع القلب مطرق الطرف، لا يلتفت قلبه عنه ولا طرفه يمنة ولا يسرة، بل قد توجه بقلبه كله إليه وأقبل بكليته عليه.

ثم كبره بالتعظيم والاجلال وواطأ[2] قلبه في التكبير لسانه، فكان الله أكبر في قلبه من كل شيء وصدق هذا التكبير بأنه لم يكن في قلبه شيء أكبر من الله يشغله عنه، فإذا اشتغل عن الله بغيره وكان ما اشتغل به أهم ما عنده من الله كان تكبيره بلسانه دون قلبه، فالتكبير يخرجه من لبس رداء التكبر المنافي للعبودية، ويمنعه من التفات قلبه إلى غير الله إذا كان الله عنده وفي قلبه أكبر من كل شيء منعه حق قوله الله أكبر والقيام بعبودية التكبير عن هاتين الآفتين، اللتين هما من أعظم الحجب بينه وبين الله.

---

(١) في الأصل فا موقف.

(٢) في الأصل وواطي.

فإذا قال: سبحانك اللهم وبحمدك وأثنى على الله بما هو أهله، فقد خرج عن الغفلة التي هي حجاب أيضاً بينه وبين الله.

وأتى بالتحية والثناء الذي (٥١/أ) يخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيماً له وتمجيداً ومقدمة بين يدي حاجته، فكان في هذا الثناء من أدب العبودية ما يستجلب به اقباله عليه ورضاه عنه واسعافه بحوائجه.

فإذا شرع في القراءة قدم أمامها الاستعاذة بالله من الشيطان، فإنه أحرص ما يكون على العبد في مثل هذا المقام الذي هو أشرف مقاماته وأنفعها له في دنياه وآخرته، فهو أحرص شيء على صرفه عنه واقتطاعه دونه بالبدن والقلب، فإن عجز عن اقتطاعه وتعطيله عنه بالبدن اقتطع قلبه وعطله عن القيام بين يدي الرب تعالى، فأمر العبد بالاستعاذة بالله منه ليسلم له مقامه بين يدي ربه، وليحيي قلبه ويستنير بما يتدبره ويتفهمه من كلام سيده الذي هو سبب حياته ونعيمه وفلاحه، فالشيطان أحرص على اقتطاع قلبه عن مقصود التلاوة.

ولما علم سبحانه جد العدو وتفرغه للعبد، وعجز العبد عنه، أمره بأن يستعيذ به سبحانه ويلتجيء، إليه في صرفه عنه فيكتفي(١) بالاستعاذة مؤنة محاربته ومقاومته، فكأنه قيل له: لا طاقة لك بهذا العدو فاستعذ بي واستجربي أكفكه، وأمنعك منه.

وقال لي شيخ الإسلام قدس الله روحه يوماً: «إذا هاش عليك كلب الغنم فلا تشتغل بمحاربته ومدافعته، وعليك بالراعي فاستغث

(١) في الأصل فيلتفى.

به فهو يصرف عنك الكلب» فإذا استعاذ بالله من الشيطان بعد منه، فأفضى القلب إلى معاني القرآن، ووقع في رياضه المونقة، وشاهد عجائبه التي تبهر العقول، واستخرج (٥١/ب) من كنوزه وذخائره مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، وكان الحائل بينه وبين ذلك النفس والشيطان والنفس منفعلة(١) للشيطان سامعة منه فإذا بعد عنها وطرد لم بها الملك وثبتها وذكرها بما فيه سعادتها ونجاتها.

فإذا أخذ في قراءة القرآن فقد قام في مقام مخاطبة ربه ومناجاته، فليحذر كل الحذر من التعرض لمقته وسخطه أن يناجيه ويخاطبه وهو معرض عنه، ملتفت إلى غيره، فإنه يستدعي بذلك مقته ويكون بمنزلة رجل قربه ملك من ملوك الدنيا فأقامه بين يديه، فجعل يخاطبه الملك وقد ولاه قفاه أو التفت عنه بوجهه يمنة ويسرة، فما الظن بمقت الملك لهذا، فما الظن بالملك الحق المبين الذي هو رب العالمين وقيوم السموات والأرض.

وليقف عند كل آية من الفاتحة ينتظر جواب ربه له وكأنه سمعه يقول حمدني عبدي حين يقول: (الحمد لله رب العالمين)، فإذا قال: (الرحمن الرحيم) وقف لحظة ينتظر قوله أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين) انتظر قوله مجدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين)، انتظر قوله هذا بيني وبين عبدي، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخرها انتظر قوله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل(٢).

---

(١) في الأصل فمنفعلة.

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة وأوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقد أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١/٢٩٦.

ومن ذاق طعم الصلاة علم أنه لا يقوم غير التكبير والفاتحة مقامهما، كما لا يقوم غير القيام والركوع والسجود مقامها[1] فلكل[2] عبودية من عبودية[3] الصلاة سر وتأثير وعبودية (٥٢/أ) لا تحصل من غيرها، ثم لكل آية من آيات الفاتحة عبودية وذوق ووجد يخصها.

فعند قوله الحمد لله رب العالمين تجد تحت هذه الكلمة إثبات كل كمال للرب تعالى فعلاً ووصفاً واسماً، وتنزيهه عن كل سوء وعيب فعلا ووصفاً واسماً، فهو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، منزه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه، فأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل لا تخرج عن ذلك، وأوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت جلال، وأسماؤه كلها حسنى، وحمده قد ملأ الدنيا والآخرة والسموات والأرض وما بينهما وما فيهما، فالكون كله ناطق بحمده، والخلق والأمر صادر عن حمده وقائم بحمده ووجد بحمده فحمده هو سبب وجود كل موجود، وهو غاية كل موجود وكل موجود شاهد بحمده، وارساله رسوله بحمده، وانزاله كتبه بحمده، والجنة عمرت بأهلها بحمده، والنار عمرت بأهلها بحمده، وما أطيع إلا بحمده، وما عصي إلا بحمده، ولا تسقط ورقة إلا بحمده، ولا يتحرك في الكون ذرة إلا بحمده، وهو المحمود لذاته، وأن لم يحمده العباد، كما أنه هو الواحد الأحد ولو لم يوحده العباد، والإله الحق وإن لم يؤلهوه[4]، وهو سبحانه الذي حمد

---

(١) في الأصل مقامهما.

(٢) في الأصل فكل.

(٣) في الأصل عبوية.

(٤) في الأصل يالهوه.

نفسه على لسان القائل الحمد لله رب العالمين، كما قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى قال على لسان نبيه: سمع الله لمن حمده»(١) فهو الحامد لنفسه في الحقيقة على لسان عبده، فإنه الذي أجرى الحمد على لسانه وقلبه واجراؤه بحمده (٥٢/ب) فله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فهذه المعرفة من عبودية الحمد.

ومن عبوديته أيضاً أن يعلم أن حمده لربه سبحانه نعمة منه عليه، يستحق عليها الحمد فإذا حمده على هذه النعمة استوجب عليه حمداً آخر على نعمة حمده وهلم جرا.

فالعبد ولو استنفد أنفاسه كلها في حمده على نعمة(٢) من نعمه كان ما يجب له من الحمد ويستحقه فوق ذلك وأضعافه، ولا يحصى أحد البته ثناء عليه بمحامده.

ومن عبودية العبد شهود العبد لعجزه عن الحمد وأن ما قام به منه فالرب سبحانه هو المحمود عليه إذ هو مجريه على لسانه وقلبه.

ومن عبوديته تسليط الحمد على تفاصيل أحوال العبد كلها ظاهرة وباطنة على ما يحب العبد وما يكرهه، فهو سبحانه المحمود على ذلك كله في الحقيقة، وإن غاب عن شهود العبد.

ثم لقوله «رب العالمين» من العبودية شهود تفرده سبحانه بالربوبية وأنه كما أنه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم

---

(١) هذا جزء من حديث أبي موسى وقد أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة ٣٠٣/١.

(٢) في الأصل مكرره.

وموجدهم ومفنيهم، فهو وحده إلههم ومعبودهم وملجأهم ومفزعهم عند النوائب فلا رب غيره، ولا إله سواه.

ولقوله «الرحمن الرحيم» عبودية تخصها وهي شهود عموم رحمته وسعتها لكل شيء وأخذ كل موجود بنصيبه منها، ولاسيما الرحمة الخاصة التي أقامت عبده بين يديه في خدمته يناجيه بكلامه ويتملقه ويسترحمه ويسأله هدايته ورحمته واتمام نعمته عليه، فهذا من رحمته بعبده، فرحمته وسعت كل شيء كما أن حمده وسع كل شيء.

ثم يعطى قوله «ملك يوم الدين» (٥٣/أ) عبوديتها ويتأمل تضمنها لإثبات المعاد، وتفرد الرب فيه بالحكم بين خلقه، وأنه يوم يدين فيه العباد بأعمالهم في الخير والشر وذلك من تفاصيل حمده، وموجبه، ولما كان قوله الحمد لله رب العالمين اخباراً عن حمده تعالى قال الله: حمدني عبدي، ولما كان قوله (الرحمن الرحيم) إعادة وتكريراً لأوصاف كماله قال: أثنى[1] على عبدي، فإن الثناء إنما يكون بتكرار المحامد وتعداد أوصاف المحمود، ولما وصفه سبحانه بتفرده بملك يوم الدين وهو الملك الحق المتضمن لظهور عدله وكبريائه وعظمته ووحدانيته وصدق رسله، سمى هذا الثناء مجداً، فقال: مجدني عبدي، فإن التمجيد هو الثناء بصفات العظمة والجلال.

فإذا قال[2]: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ انتظر جواب ربه له هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، وتأمل عبودية هاتين الكلمتين وحقوقهما وميز الكلمة التي لله والكلمة التي للعبد، وفقه سر كون

---

(١) في الأصل أثنا.

(٢) في الأصل مكرره.

إحداهما لله والأخرى للعبد، وميز بين التوحيد الذي تقتضيه كلمة اياك نعبد والتوحيد الذي تقتضيه كلمة اياك نستعين، وفقه سر كون هاتين الكلمتين في وسط السورة بين نوعي الثناء قبلهما والدعاء بعدهما وفقه تقديم اياك نعبد على اياك نستعين، وتقديم المعمول على الفعل[1] مع الاتيان به مؤخراً، أوجز وأخصر، وسر إعادة الضمير مرة بعد مرة، وعلم ما تدفع كل واحدة من الكلمتين من الآفة المنافية للعبودية، وكيف تدخله الكلمتان في صريح العبودية (٥٣/ب) وعلم كيف يدور القرآن من أوله إلى آخره على هاتين الكلمتين، بل كيف يدور عليهما الخلق والأمر والثواب والعقاب والدنيا والآخرة، وكيف تضمنتا لأجل الغايات وأكمل الوسائل، وكيف جيء بهما بضمير الخطاب والحضور دون[2] ضمير الغائب وهذا موضع يستدعي كتاباً كبيراً، ولولا الخروج عما نحن بصدده لأوضحناه وبسطنا القول فيه، فمن أراد الوقوف عليه فقد ذكرناه في كتاب مراحل السائرين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين[3]، وفي كتاب الرسالة المصرية.

ثم تأمل ضرورته وفاقته إلى قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي مضمونه معرفة الحق وقصده وإرادته والعمل به والثبات عليه والدعوة إليه، والصبر على أذى[4] المدعو، فباستكمال هذه المراتب الخمس تستكمل الهداية وما نقص منها نقص من هدايته.

ولما كان العبد مفتقراً إلى هذه الهداية في ظاهره وباطنه في جميع

---

(١) في الأصل القول وهذا لا يستقيم.

(٢) في الأصل الحضوون.

(٣) مدارج السالكين ١/٨٥.

(٤) في الأصل إذا.

ما يأتيه، ويذره من أمور قد فعلها على غير الهداية علماً وعملاً، وإرادة فهو محتاج إلى التوبة منها، وتوبته منها هي الهداية وأمور قد هدى إلى أصلها دون تفصيلها، فهو محتاج إلى هداية تفاصيلها، وأمور قد هدى إليها من وجه دون وجه فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها، لتتم له الهداية ويزاد هدى إلى هداه، وأمور يحتاج فيها إلى أن يحصل له من الهداية في مستقبلها مثل ما حصل له في ماضيها وأمور يعتقد فيها بخلاف ماهي عليه، فهو محتاج إلى هداية تنسخ (٥٤/أ) من قلبه ذلك الاعتقاد، وتثبت فيه ضده وأمور من الهداية هو قادر عليها، ولكن لم يخلق له ارادة فعلها فهو محتاج في تمام الهداية إلى خلق ارادة يفعلها بها، وأمور منها هو غير قادر على فعلها مع كونه مريداً، فهو محتاج في هدايته إلى اقداره عليها، وأمور منها هو غير قادر عليها ولا مريدها فهو محتاج إلى خلق القدرة والارادة له لتتم له الهداية، وأمور هو قائم بها على وجه الهداية اعتقاداً وارادة وعملاً فهو محتاج إلى الثبات عليها واستدامتها، كانت حاجته إلى سؤال الهداية أعظم الحاجات وفاقته إليها أشد الفاقات، فرض عليه الرب الرحيم هذا السؤال كل يوم وليلة في أفضل أحواله، وهي الصلوات الخمس مرات متعددة، لشدة ضرورته وفاقته إلى هذا المطلوب، ثم بين أن سبيل أهل هذه الهداية مغاير لسبيل أهل الغضب وأهل الضلال، فانقسم الخلق إذن ثلاثة أقسام بالنسبة إلى هذه الهداية:

منعم عليه بحصولها واستمرار حظه من النعم بحسب حظه من تفاصيلها وأقسامها.

وضال[1] لم يعط هذه الهداية ولم يوفق لها.

---
(١) في الأصل وضا للم.

ومغضوب عليه عرفها ولم يوفق للعمل بموجبها.

فالأول المنعم عليه قام بالهدي ودين الحق علماً وعملاً، والضال منسلخ عنه علماً وعملاً.

والمغضوب عليه عارف به علماً، منسلخ منه عملاً، واللّه الموفق للصواب.

ولولا أنَّ المقصود التنبيه على المضادة والمنافرة التي (٥٤/ب)بين ذوق الصلاة(١) وذوق السماع لبسطنا هذا الموضع بسطاً شافياً، ولكن لكل مقام مقال.

فلنرجع إلى المقصود فشرع له التأمين عند هذا الدعاء تفاؤلاً بإجابته وحصوله، وطابعاً عليه وتحقيقاً(٢) له، ولهذا اشتد حسد اليهود للمسلمين عليه حين سمعوهم يجهرون به في صلاتهم.

ثمّ شرع لهم رفع اليدين عند الركوع تعظيماً لأمر اللّه وزينة للصلاة وعبودية خاصة لليدين كعبودية باقي الجوارح، واتباعاً لسنة رسول اللّه ﷺ فهو حلية الصلاة، وزينتها، وتعظيم لشعائرها.

ثمّ شرع له التكبير الذي هو في انتقالات الصلاة من ركن إلى ركن كالتلبية في انتقالات الحاج من مشعر إلى مشعر، فهو شعار الصلاة، كما أنَّ التلبية شعار الحج ليعلم العبد أنَّ سر الصلاة هو تعظيم الرب تعالى وتكبيره بعبادته وحده.

ثمّ شرع له بأن يخضع للمعبود سبحانه بالركوع خضوعاً

---

(١) في الأصل الصلات.

(٢) في الأصل وتيقاً ولعل الصحيح ما كتبت.

لعظمته واستكانة لهيبته وتذللاً لعزته، فثني العبد له صلبه ووضع له قامته ونكس له رأسه وحنى له ظهره معظماً له ناطقاً بتسبيحه المقترن بتعظيمه، فاجتمع له خضوع القلب وخضوع الجوارح، وخضوع القول، على أتم الأحوال، وجمع له في هذا الذكر بين الخضوع والتعظيم لربه والتنزيه له عن خضوع العبيد وأن الخضوع وصف العبد، والعظمة وصف الرب.

وتمام عبودية الركوع أن يتصاغر العبد ويتضاءل بحيث يمحو تصاغره كل تعظيم منه لنفسه، ويثبت مكانه تعظيمه (٥٥/أ) لربه وكلما استولى على قلبه تعظيم الرب ازداد تصاغره هو عند نفسه، فالركوع للقلب بالذات والقصد، وللجوارح بالتبع والتكملة.

ثمّ شرع له أن يحمد ربه ويثني عليه بآلائه عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن هيأته منتصب القامة معتد لها، فيحمد ربه ويثني عليه بأن وفقه لذلك الخضوع.

ثمّ نقله منه إلى مقام الاعتدال والاستواء بين يديه، واقفاً في خدمته كما كان في حال القراءة ولذلك[1] الاعتدال ذوق خاص وحال يحصل للقلب سوى ذوق الركوع وحاله، وهو ركن مقصود لذاته، كركن الركوع والسجود سواء، ولهذا كان رسول الله ﷺ يطيله كما يطيل الركوع والسجود ويكثر فيه من الثناء والحمد والتمجيد كما ذكرناه في هديه[2] ﷺ، وكان في قيام الليل يكثر فيه من قول «لربي الحمد لربي الحمد»[3] يكررها، ثمّ شرع له أن يكبر ويخر ساجداً،

(١) في الأصل من ذلك ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) انظر زاد المعاد ١/٥٥.

(٣) جزء من حديث رواه حذيفة وقد أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب ما يقول

ويعطي في سجوده كل عضو من أعضائه حظه من العبودية فيضع ناصيته بالأرض بين يدي ربه مسندة راغماً له أنفه خاضعاً له قلبه، ويضع أشرف ما فيه وهو وجهه بالأرض ولا سيما على التراب معفراً له بين يدي سيده راغماً له أنفه خاضعاً له قلبه وجوارحه، متذللاً لعظمته، خاضعاً لعزته مستكيناً بين يديه، أذل شيء وأكسره لربه تعالى مسبحاً له بعلوه في أعظم سفوله، قد صارت أعاليه ملوية لأسافله ذلاً وخضوعاً وانكساراً وقد طابق (٥٥/ب) قلبه حال جسمه، فسجد القلب كما سجد الوجه، وقد سجد معه أنفه ويداه وركبتاه ورجلاه، وشرع له أن (يقل)(١) فخذيه عن ساقيه، وبطنه عن فخذيه، وعضديه عن جنبيه، ليأخذ كل جزء منه حظه من الخضوع ولا يحمل بعضه بعضاً، فأحر به في هذه الحال أن يكون أقرب إلى ربه منه في غيرها من الأحوال، كما قال النبي ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)(٢) ولما كان سجود القلب خضوعه التام لربه أمكنه استدامة هذا السجود إلى يوم لقائه.

كما قيل لبعض السلف هل يسجد القلب قال: (أي والله سجدة لا يرفع رأسه منها حتى يلقى الله)(٣) ولما بنيت الصلاة على خمس: القراءة والقيام والركوع والسجود والذكر سميت باسم كل

= الرجل في ركوعه وسجوده ١/٢٣١ ـ والنسائي ـ كتاب الافتتاح باب ما يقول في قيامه ذلك ٢/١٩٩، وأحمد في مسنده ٥/٣٩٨.

(١) **يقل**: يرفع، النهاية لابن الأثير ٤/١٠٤.

(٢) هذه الحديث رواه أبو هريرة وقد أخرجه مسلم ـ كتاب الصلاة ـ باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٠.

(٣) القائل سهل بن عبدالله، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٣/١٣٨.

واحد من هذه الخمس فسميت قياماً كقوله تعالى ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] وقوله ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[2] وقراءة كقوله ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾[3] وركوعاً كقوله تعالى ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[4] وقوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ»[5] وسجوداً كقوله: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[6] وقوله: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾[7] وذكرا كقوله ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[8] وقوله ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[9] وأشرف أفعالها السجود، وأشرف أذكارها القراءة وأول سورة أنزلت على النبي ﷺ. . (٥٦/أ) افتتحت بالقراءة وختمت بالسجود ووضعت الركعة على ذلك أولها قراءة وآخرها سجود.

ثمّ شرع له أن يرفع رأسه ويعتدل جالساً، ولما كان هذا الاعتدال محفوفاً بسجودين سجود قبله[10]وسجود بعده، فينتقل من السجود إليه ثمّ منه إلى السجود كان له شأن فكان رسول اللّه ﷺ

---

(١) سورة المزمل آية ٢.

(٢) سورة الاسراء آية ٧٨.

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٨.

(٤) سورة البقرة آية ٤٣.

(٥) في الأصل وإذا قيل اركعوا وزدت لهم حسب نص الآية سورة المرسلات آية ٤٨.

(٦) سورة الحجر آية ٩٨.

(٧) سورة العلق آية ١٩.

(٨) سورة الجمعة آية ٩.

(٩) سورة المنافقون آية ٩.

(١٠)في الأصل قلبه.

يطيله بقدر السجود يتضرع فيه إلى ربه، ويستغفره ويسأله رحمته وهدايته ورزقه وعافيته[1] وله ذوق خاص وحال للقلب غير ذوق السجود وحاله، فالعبد في هذا القعود قد تمثل جاثياً بين يدي ربه ملقياً نفسه بين يديه، معتذراً إليه مما جناه، راغباً إليه أن يغفر له ويرحمه مستعدياً على نفسه الأمارة بالسوء.

وكان النبي ﷺ يكرر الاستغفار[2] في هذه القعدة، ويكثر رغبته إلى اللّه فيها، فمثل نفسك بمنزلة غريم عليه حق اللّه وأنت كفيل به والغريم مماطل مخادع وأنت مطلوب بالكفالة والغريم مطلوب بالحق، فأنت تستعدي عليه حتى تستخرج ما عليه من الحق لتتخلص من المطالبة، والقلب شريك النفس في الخير والشر والثواب والعقاب والحمد والذم، والنفس من شأنها الأباق والخروج من رق العبودية، وتضييع حقوق اللّه التي قبلها، والقلب شريكها إن قوى سلطانها وأسيرها، وهي شريكه وأسيره إن قوى سلطانه.

فشرع للعبد إذا رفع رأسه من السجود أن يجثو بين يدي اللّه (٥٦/ب) مستعدياً على نفسه، معتذراً إلى ربه مما كان منها، راغباً إليه أن يرحمه ويغفر له ويهديه ويرزقه ويعافيه وهذه الخمس هي جماع خير

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس وقد أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب الدعاء بين السجدتين ١/٢٢٤ أنَّ النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين اللّهم اغفرلي وارحمني وعافني واهدني وارزقني.

(٢) إشارة إلى حديث حذيفة أنَّ النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين رب اغفرلي رب اغفرلي - وقد أخرجه ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة باب ما يقول بين السجدتين ١/٢٨٨ والنسائي كتاب الافتتاح باب ما يقول في قيامه ذلك ٢/١٩٩ والحديث صحيح ارواء الغليل ١/٤١.

الدنيا والآخرة فإنَّ العبد محتاج بل مضطر إلى تحصيل مصالحه في الدنيا وفي الآخرة، ودفع المضار عنه في الدنيا والآخرة، وقد تضمنها هذا الدعاء فإنَّ الرزق يجلب له مصالح دنياه والعافية تدفع مضارها والهداية تجلب له مصالح أخراه، والمغفرة تدفع عنه مضارها، والرحمة تجمع ذلك كله .

وشرع له أن يعود ساجداً كما كان، ولا يكتفي منه بسجدة واحدة في الركعة كما اكتفى منه بركوع واحد، لفضل السجود وشرفه وموقعه من اللّه، حتى إنَّه أقرب ما يكون إلى عبده وهو ساجد، وهو أدخل في العبودية وأعرق فيها من غيره، ولهذا جعل خاتمة الركعة وما قبله كالمقدمة بين يديه، فمحله من الصلاة محل طواف الزيارة، وما قبله من التعريف وتوابعه مقدمات بين يديه، وكما أنَّه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فكذلك أقرب ما يكون منه في المناسك وهو طائف، ولهذا قال بعض الصحابة لمن كلمه في طوافه بأمر من الدنيا: «أتقول هذا ونحن نتراءى للّه في طوافنا»[1] ولهذا واللّه يعلم جعل الركوع قبل السجود تدريجاً وانتقالاً من الشيء إلى ما هو أعلى منه .

وشرع له تكرير هذه الأفعال والأقوال إذ هي غذاء القلب والروح التي لا قوام لهما إلاَّ بها، فكان (٥٧/أ) تكريرها بمنزلة تكرير الأكل حتى يشبع، والشرب حتى يروى، فلو تناول الجائع لقمة واحدة وأقلع عن الطعام، ماذا كانت تغني عنه.

ولهذا قال بعض السلف: «مثل الذي يصلي ولا يطمئن في

---

(١) قائل هذا القول عبداللّه بن عمر. الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٧/٤ .

صلاته كمثل الجائع إذا قدم إليه طعام فتناول منه لقمة أو لقمتين ماذا تغني عنه»[١]

هذا وفي إعادة كل قول أو فعل من العبودية والقرب، وتنزيل الثانية منزلة الشكر على الأولى، وحصول مزيد منها، ومعرفة وإقبال وقوة قلب وانشراح صدر وزوال درن ووسخ عن القلب بمنزلة غسل الثوب مرة بعد مرة، فهذه حكمة اللّه التي بهرت العقول في خلقه وأمره ودلت على كمال رحمته ولطفه.

فلما قضى صلاته وأكملها ولم يبق إلاَّ الانصراف منها شرع له الجلوس بين يدي ربه مثنياً عليه بأفضل التحيات التي لا تصلح إلاَّ له، ولا تليق بغيره.

ولما كان عادة الملوك أن يحيوا بأنواع التحيات من الأفعال والأقوال المتضمنة للخضوع والثناء وطلب البقاء ودوام الملك، فمنهم من يحيى بالسجود، ومنهم من يحيى بالثناء عليه، ومنهم من يحيى بطلب البقاء والدوام له، ومنهم من يجمع له ذلك كله، فكان الملك الحق سبحانه أولى بالتحيات كلها من جميع خلقه، وهي له بالحقيقة، ولهذا فسرت التحيات بالملك، وفسرت بالبقاء والدوام وحقيقتها ما ذكرته وهي تحيات الملك، فالملك الحق المبين أولى بها.

فكل تحية يحيي بها ملك من سجود أو ثناء أو بقاء ودوام فهي للّه عزّ وجلّ، ولهذا أتى بها مجموعة معرفة باللام أداة العموم وهي جمع تحية، وهي تفعيلة من الحياة، وأصلها تحيية بوزن (٥٧/ب) تكرمة ثمّ أدغم أحد المثلين في الآخر فصارت تحية، وإذا كان أصلها من الحياة والمطلوب لمن يحيي بها دوام الحياة.

وكانوا يقولون لملوكهم لك الحياة الباقية ولك الحياة الدائمة، وبعضهم يقول عشرة آلاف سنة، واشتق منها أدام اللّه أيامك، وأطال اللّه بقاءك، ونحو ذلك مما يراد به دوام الحياة والملك وذلك لا ينبغي إلاَّ للحي الذي لا يموت وللملك الذي كل ملك زائل غير ملكه.

ثمّ عطف عليها الصلوات بلفظ الجمع والتعريف ليشمل كل ما أطلق عليه لفظ الصلاة خصوصاً وعموماً، فكلها للّه لا تنبغي(١) إلاَّ له فالتحيات له ملكاً، والصلوات له عبودية واستحقاقاً، فالتحيات لا تكون إلاَّ له، والصلوات لا تنبغي إلاَّ له، ثمّ عطف عليها الطيبات كذلك، وهذا يتناول أمرين: الوصف والملك.

فأما الوصف فإنَّه سبحانه طيب، وكلامه طيب، وفعله كله طيب، ولا يصدر منه إلاَّ الطيب، ولا يضاف إليه إلاَّ الطيب، ولا يصعد إليه إلاَّ الطيب، فالطيبات له وصفاً وفعلاً وقولاً ونسبة، وكل طيب مضاف إليه، وكل مضاف إليه طيب، فله الكلمات الطيبات والأفعال الطيبات، وكل مضاف إليه كبيته وعبده وروحه وناقته وجنته فهي طيبات.

وأيضاً فمعاني الكلمات الطيبات لله وحده فإن الكلمات الطيبات تتضمن تسبيحه وتحميده وتكبيره وتمجيده والثناء عليه بآلائه وأوصافه، فهذه الكلمات الطيبات التي يثني عليه بها ومعانيها له وحده لا يشركه(٢) فيها غيره، كسبحانك اللَّهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك،(٣) ونحو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله

---

(١) في الأصل لا ينبغي.

(٢) في الأصل لا يسركيه

(٣) إشارة إلى حديث أن عمر بن الخطاب كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول سبحانك **اللَّهم** =

والله أكبر،[1] ونحو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.[2]

فكل طيب فله وعنده ومنه وإليه، وهو طيب لا يقبل إلاّ طيباً، وهو إله الطيبين وجيرانه في دار كرامته، هم الطيبون.

فتأمل أطيب الكلمات بعد القرآن كيف لا تنبغي إلاّ لله، وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، فإن سبحان الله تتضمن تنزيهه عن كل نقص وعيب وسوء، وعن خصائص المخلوقين وشبههم والحمد لله تتضمن إثبات كل كمال له قولاً وفعلاً ووصفاً على أتم الوجود وأكملها أزلاً وأبداً، ولا إله إلاّ الله تتضمن انفراده بالإلهية، وأن كل معبود سواه فباطل، وأنه وحده الإله الحق وأنه من تأله غيره فهو بمنزلة من اتخذ بيتاً من بيوت العنكبوت يأوى إليه ويسكنه، والله أكبر تتضمن أنه أكبر من كل شيء وأجل وأعظم وأعز وأقوى وأقدر وأعلم وأحكم فهذه الكلمات الطيبات لا تصلح هي ومعانيها إلاّ لله وحده.

ثم شرع له أن يسلم على عباد الله الذين اصطفى بعد تقدّم الحمد والثناء عليه بما هو أهله، فطابق ذلك قوله ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

= وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك رواه مسلم كتاب الصلاة باب حجة مَن قال لا تجهر بالبسملة ١/٢٩٩.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٤/٢٠٧٢.

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، رواه البخاري كتاب الدعاء باب فضل التسبيح ٨/١٠٧.

﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[1] وكأنه امتثال له، وأيضاً فإن هذا تحية المخلوق فشرعت بعد تحية الخالق وقدم في هذه التحية أولى[2] الخلق بها، وهو النبي ﷺ الذي نالت أمته على يده كل خير، وعلى نفسه بعده، وعلى سائر عباد الله الصالحين وأخصهم بهذه التحية الأنبياء، ثم أصحاب رسول الله ﷺ، مع عمومها لكل عبدالله صالح في الأرض والسماء.

ثم شرع له بعد ذكر هذه (٥٨ ب) التحية والتسليم على مَن يستحق التسليم خصوصاً وعموماً أن يشهد شهادة الحق التي بنيت عليها الصلاة، وهي حق من حقوقها ولا تنفعه إلاّ بقرينتها وهي شهادة لرسول الله بالرسالة، وختمت بها الصلاة كما قال عبدالله بن مسعود: (فإذا قلت ذلك فقد قضيت صلاتك فإن شئت أن تقوم فقم وإن شئت أن تقعد فاقعد)[3] وهذا إمّا أن يحمل على قضاء الصلاة حقيقة كما يقوله الكوفيون، أو على مقاربة انقضائها ومشارفته كما يقوله أهل الحجاز وغيرهم، وعلى التقديرين فجعلت شهادة الحق خاتمة الصلاة كما شرع أن تكون[4] خاتمة الحياة، فمَن كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنة،[5] وكذلك شرع للمتوضئ أن يختم وضوءه

(١) سورة النمل آية ٥٩.

(٢) في الأصل أول

(٣) رواه أبو داود كتاب الصلاة باب التشهد ١/٢٥٤، والدارقطني كتاب الصلاة باب صفة التشهد ١/٣٥٣.

(٤) في الأصل أن يكون

(٥) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ مَن كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنة.

وقد أخرجه أبو داود كتاب الجنائز باب في التلقين ٣/١٩٠. =

بالشهادتين.[1]

ثم لّما قضى صلاته، أذن له أن يسأل حاجته، وشرع له أن يتوسل قبلها بالصلاة على النبيّ ﷺ، فإنها من أعظم الوسائل بين يدي الدعاء كما في السنن عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا أحدكم فليبدأ بحمد الله، والثناء عليه، وليصل على رسوله، ثم ليسل حاجته.[2]

فجاءت التحيات على ذلك، أولها حمد الله، والثناء عليه، ثمّ الصلاة على رسوله، ثم الدعاء آخر الصلاة، وأذن النبي ﷺ للمصلي بعد الصلاة عليه، أن يتخير من الدعاء أعجبه إليه،[3] ونظير هذا ما شرع لَمن سمع المؤذن أن يقول كما يقول،[4] وأن يقول «رضيت بالله رباً

= وذكره البخاري على أنه ترجمة باب فقال باب في الجنائز. ومَن كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله ٢/ ٨٨ والحديث صحيح صحيح الجامع الصغير٢/ ١١٠٥.

(١) إشارة إلى حديث عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال مَن توضأ فقال أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلاّ فتحت له أبواب الجنة، الثمانية يدخل من أيّها شاء ـ رواه مسلم كتاب الطهارة باب الذكـر المستحب عقب الوضوء ١/ ٢١٠.

(٢) رواه الترمذي كتاب الدعوات باب رقم ٦٤ ـ ٥/ ٥١٧.
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ـ وأحمد في مسنده ٦/ ١٨.

(٣) إشارة إلى حديث رواه عبدالله بن مسعود وقد أخرجه البخاري ـ كتاب الصلاة باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد ١/ ٢١٢ ومسلم كتاب الصلاة باب في التشهد في الصلاة ١/ ٣٠٢.

(٤) إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن» رواه البخاري كتاب بدء الآذان باب ما يقول إذا سمع المنادي ١/ ١٥٩.

وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً[1] وأن يسأل الله لرسوله الوسيلة، والفضيلة وأن يبعثه المقام المحمود[2] (٥٩ أ) ثم يصلي عليه،[3] ثم يسأل حاجته[4] فهذه خمس سنن في إجابة المؤذن لا ينبغي الغفلة عنها.

١٠ - فصل

وسر الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله بكليته، فكما أنه لا ينبغي له أن يصرف وجهه عن قبلة الله يميناً وشمالاً، فكذلك لا ينبغي له أن يصرف قلبه عن ربه إلى غيره.

---

(١) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه قال مَن قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله ربّاً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه رواه مسلم كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن إلخ ١/٢٩٠.

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال مَن قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة رواه البخاري كتاب بدء الأذان باب الدعاء عند النداء ١/١٥٩.

(٣) إشارة إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول، إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ فإنه مَن صلّى عليَّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً إلخ. رواه مسلم كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن إلخ ١/٢٨٨.

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة رواه أحمد في مسنده ٣/١١٩ وأبو داود كتاب الصلاة باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة ١/١٤٤، والترمذي أبواب الصلاة باب ما جاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة ١/١٥٩.

فالكعبة[1] التي هي بيت الله قبلة وجهه وبدنه، ورب البيت تبارك وتعالى هو قبلة قلبه وروحه، وعلى حسب إقبال العبد على الله في صلاته يكون إقبال الله عليه، وإذا أعرض أعرض الله عنه[2] وللإقبال في الصلاة ثلاث منازل: إقبال على قلبه فيحفظه من الوساوس والخطرات المبطلة لثواب صلاته، أو المنقصة له، وإقبال على الله بمراقبته حتى كأنه يراه، وإقبال على معاني كلامه وتفاصيل عبودية الصلاة ليعطيها حقها فباستكمال[3] هذه المراتب الثلاث تكون إقامة الصلاة حقاً، ويكون إقبال الله على عبده بحسب ذلك.

فإذا انتصب العبد قائماً بين يديه فإقباله على قيوميته وعظمته، وإذا كبر فإقباله على كبريائه، فإذا سبحه وأثنى عليه فإقباله على سبحات وجهه وتنزيه عما لا يليق به، والثناء عليه بأوصاف جماله، فإذا استعاذ به فإقباله على ركنه الشديد وانتصاره لعبده ومنعه له وحفظه من عدوه، فإذا تلا كلامه فإقباله على معرفته من كلامه، حتى كأنه يراه ويشاهده في كلامه فهو كما قال بعض السلف «لقد تجلى الله لعباده في كلامه»[4] فهو في هذه الحال مقبل على ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه، فإذا ركع (٥٩ ب) فإقباله على عظمته وجلاله وعزه، ولهذا شرع له أن يقول: سبحان ربي العظيم، فإذا رفع رأسه من الركوع فإقباله على حمده والثناء عليه وتمجيده وعبوديته له وتفرده

---

(١) في الأصل فاللعبة

(٢) في الأصل لسفه.

(٣) في الأصل فاستكمال

(٤) قائل هذا القول جعفر بن محمد الصادق إحياء علوم الدين ١/٢٨٧.

بالعطاء والمنع، فإذا سجد فإقباله على قربه والدنو منه والخضوع له والتذلل بين يديه والانكسار والتملق، فإذا رفع رأسه وجثى على ركبته فإقباله على غنائه وجوده، وكرمه وشدّة حاجته إليه وتضرعه بين يديه والانكسار أن يغفر له ويرحمه ويعافيه ويهديه ويرزقه.

فإذا جلس في التشهد فله حال آخر وإقبال آخر شبه حال الحاج في طواف الوداع، وقد استشعر قلبه الانصراف من بين يدي ربه، وموافاة العلائق والشواغل التي قطعها الوقوف بين يديه، وقد ذاق تألم قلبه وعذابه بها وباشر روح القرب، ونعيم الإقبال على الله وعاقبته وانقطاعها عنه مدة الصلاة ثم استشعر قلبه عودها إليه بخروجه من حمى الصلاة، فهو يحمل هم انقضاء الصلاة وفراغها ويقول ليتها اتصلت بيوم اللقاء، ويعلم أنه ينصرف من مناجاة من كل السعادة في مناجاته، إلى مناجاة من الأذى والهم والغم والنكد في مناجاته، ولا يشعر بهذا وهذا إلاّ قلب حي معمور بذكر الله ومحبته والأنس به.

ولّما كان العبد بين أمرين من ربه عزّ وجلّ أحدهما حكم عليه في أحواله كلها ظاهراً وباطناً واقتضاؤه منه القيام بعبودية حكمه فإن لكل حكم عبودية تخصه، أعني الحكم (٦٠ أ) الكوني القدري، والثاني فعل يفعله العبد عبودية لربه، وهو موجب حكمه الديني الأمري، وكلا الأمرين يوجبان تسليم النفس إليه تعالى.

ولهذا اشتق له اسم الإسلام من التسليم، فإنه لما أسلم نفسه لحكم ربه الديني الأمري، ولحكمه الكوني القدري بقيامه بعبوديته فيه لا باسترساله معه استحق اسم الإسلام، فقيل له مسلم.

ولّما اطمأن قلبه بذكره وكلامه ومحبته وعبوديته، سكن إليه

وقرّت عينه به فنال الأمان بإيمانه وكان[1] قيامه بهذين الأمرين أمراً ضرورياً له لا حياة له، ولا فلاح ولا سعادة إلاّ بهما، ولّما كان ما بلي به من النفس الأمّارة والهوى المقتضى أو الطباع المطالبة، والشيطان المغوي، يقتضي منه إضاعة حظه من ذلك أو نقصانه اقتضت رحمة العزيز الرحيم أن شرع له الصلاة مخلفة عليه ما ضاع منه، رادة عليه ما ذهب، مجددة له ما أخلق من إيمانه، وجعلت صورتها على صورة أفعاله خشوعاً وخضوعاً وانقياداً وتسليماً، وأعطى[2] كل جارحة من الجوارح حظها من العبودية، وجعل ثمرتها وروحها إقباله على ربه فيها بكليته، وجعل ثوابها وجزاءها القرب منه ونيل كرامته في الدنيا والآخرة وجعل منزلتها ومحلها الدخول على الله تبارك وتعالى والتزين للعرض عليه تذكيراً بالعرض الأكبر عليه يوم اللقاء.

وكما أن الصوم ثمرته تطهير النفس، وثمرة الزكاة تطهير المال، وثمرة الحج وجوب المغفرة، وثمرة الجهاد تسليم (٦٠ ب) النفس التي اشتراها سبحانه من العباد، وجعل الجنة ثمنها، فالصلاة ثمرتها الإقبال على الله، وإقبال الله سبحانه على العبد، وفي الإقبال جميع ما ذكر من ثمرات الأعمال ولذلك لم يقل النبي ﷺ جعلت قرة عيني في الصوم ولا في الحج والعمرة، وإنما قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[3] وتأمل قوله (وجعلت قرة عيني في الصلاة) ولم يقل

(١) في الأصل بدون واو وزدتها ليستقيم الكلام.

(٢) في الأصل اعطا.

(٣) هذا جزء من حديث رواه أنس وقد أخرجه النسائي كتاب عشرة النساء باب حب النساء ٦١/٧ وأحمد في مسنده ١٩٩/٣، والحديث صحيح صحيح الجامع الصغير ٥٩٩/١.

بالصلاة إعلاماً بأن عينه إنما تقر بدخوله فيها، كما تقر عين المحب بملابسته لمحبوبه وتقر عين الخائف بدخوله في محل أمنه، فقرة العين بالدخول في الشيء أكمل وأتم من قرة العين به قبل الدخول، ولما جاء إلى راحة القلب من تعبه ونصبه قال: «يا بلال أرحنا بالصلاة»(١) أي أقمها لنستريح بها من مقاساة الشواغل، كما يستريح التعبان إذا وصل إلى منزله(٢) وقرّ فيه وسكن.

وتأمل كيف قال أرحنا بها ولم يقل أرحنا منها، كما يقوله المتكلف بها الذي يفعلها تكلفاً وغرماً، فهو لّما امتلأ قلبه بغيرها وجاءت قاطعة عن أشغاله ومحبوباته، وعلم أنه لا بدّ له منها فهو قائل بلسان حاله وقاله نصلي ونستريح من الصلاة لا بها، فهذا لون وذاك لون آخر، فالفرق بين مَن كانت الصلاة لجوارحه(٣) قيداً أو لقلبه سجناً، ولنفسه عائقاً، وبين مَن كانت الصلاة لقلبه نعيماً، ولعينه قرة ولجوارحه(٤) راحة، ولنفسه بستاناً ولذة.

فالأول الصلاة سجن لنفسه وتقييد لها عن التورط في مساقط الهلكات وقد ينالون بها التكفير والثواب وينالهم من الرحمة بحسب عبوديتهم للّه فيها، والقسم الآخر الصلاة بستان قلوبهم، وقرة عيونهم، ولذة نفوسهم، ورياض جوارحهم فهم فيها يتقلبون في النعيم (٦١/أ) فصلاة هؤلاء توجب لهم القرب والمنزلة من اللّه،

(١) هذا الحديث رواه رجل من أسلم وقد أخرجه أحمد في مسنده ٣٦٤/٥، والحديث صحيح. أنظر صحيح الجامع الصغير ١٣٠٧/٢.

(٢) في الأصل نوله

(٣) في الأصل لحوامحه.

(٤) في الأصل لحوامحه.

ويشاركون الأولين في ثوابهم ويختصون بأعلاه وبالمنزلة والقربة وهي قدر زائد على مجرد الثواب، ولهذا يعد الملوك من أرضاهم بالأجر والتقريب كما قال السحرة لفرعون ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[1].

فالأول عبد قد دخل الدار والستر حاجب بينه وبين رب الدار فهو من وراء الستر فلذلك لم تقر عينه، لأنَّه في حجب[2] الشهوات، وغيوم الهوى، ودخان النفس، وبخار الأماني، فالقلب عليل، والنفس مكبة على ما تهواه، طالبة لحظها العاجل والآخر، قد دخل دار الملك ورفع الستر بينه وبينه، فقرت عينه واطمأنت نفسه، وخشع قلبه وجوارحه، وعبد الله كأنه يراه، وتجلى له في كلامه فهذه إشارة ما ونبذة يسيرة جداً في ذوق الصلاة.

١١ ـ فصل

فنناشد أهل السماع بالله الذي لا إله إلاَّ هو هل لهم في السماع مثل هذا الذوق أو شيء منه[3] نناشدهم بالله هل يدعهم السماع يجدون هذا الذوق في الصلاة، ونحن نحلف عنهم أن ذوقهم ضد هذا الذوق، ومشربهم ضد هذا المشرب ولولا خشية الإطالة لذكرنا نبذة من ذوقهم تدل على ما وراءها، ولا يخفى على من له أدنى حياة قلب، الفرق بين ذوق الأبيات وذوق الآيات، وبين ذوق القيام بين

(١) سورة الأعراف آية ١١٤.
(٢) في الأصل لأنَّ ما في حجب واستقامة العبارة كما أثبت.
(٣) في الأصل منهم.

يدي رب العالمين والقيام بين يدي المغني، وبين ذوق اللذة والنعيم بمعاني ذكر اللّه وكلامه وذوق معاني الغناء الذي هو رقية الزنا والتلذذ بمضمونها، فما اجتمع واللّه الأمران في قلب إلاَّ وطرد أحدهما صاحبه، ولا تجتمع بنت عدو اللّه وبنت رسول الله عند رجل واحد أبداً(١).

---

(١) سبق الإشارة إلى الحديث ص ١٧٩ .

(٦١/ب) آخر الجزء الأول من هذه الفتيا ويتلوه إن شاء اللّه تعالى في الجزء الثاني فصل في عقد مجلس في المناظرة بين صاحب القرآن وصاحب السماع والحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(٦٢/أ) «بسم اللّه الرحمن الرحيم»

الحمد للّه رب العالمين.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية قدس اللّه روحه ونور ضريحه:

فصل

الصلاة مؤلفة من أقوال وأفعال فأعظم أقوالها القرآن، وأعظم أفعالها الركوع والسجود، وأول ما أنزله اللّه من القرآن، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾(٢) وختمها بقوله ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾(٣) فافتتحها بالأمر بالقراءة وختمها بالأمر بالسجود، وكل منهما يكون عبادة مستقلة، فالقراءة في نفسها عبادة مطلقاً إلاّ في مواضع، والسجود عبادة بسبب السهو والتلاوة وسجود الشكر وعند الآيات على قول، فالتلاوة الخاصة سبب السجود.

(٢) سورة العلق آية ١.

(٣) سورة العلق آية ١٩.

وقد ذكر اللّه الركوع والسجود في مواضع فقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾(١) فهذا أمر بهما، وقال تعالى ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾(٢) فهذا ثناء عليهم بهما وإن كان ذكرهما منتظماً لبقية أفعال الصلاة كما في القراءة والقيام والتسبيح والسجود المجرد، وهو من باب التعبير بالبعض عن الجميع، وهو دليل على وجوبه فيه، وقال تعالى لبني إسرائيل ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(٣) فأفرد الركوع بالتخصيص بعد الأمر بإقامة الصلاة، ويشبه واللّه أعلم أن يكون فيه معنيان.

أحدهما: أنَّهم لا يركعون في صلاتهم، فأمرهم بالركوع إذ(٤) كانوا لا يفهمون ذلك في نفس الصلاة.

الثاني: أنَّ قوله مع الراكعين، أمر بصلاة الجماعة، ودل بذلك على وجوبها وأمر بالركوع معهم لأنَّه بالركوع يكون مدركاً للركعة، فإذا ركع معهم فقد فعل بقية الأفعال (٦٢/ب) معهم، وما قبل الركوع من القيام لا يجب فعله معهم فما بعده لازم، بخلاف ما لو قال قوموا أو اسجدوا، لم يدل على ذلك.

(١) سورة الحج آية ٧٧.
(٢) سورة الفتح آية ٢٩.
(٣) سورة البقرة آية ٤٣.
(٤) في الأصل إذا كانوا.

وقال لمريم ﴿ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(١) قد يكون أمر لها بصلاة الجماعة، وإن كانت امرأة، لأنها كانت مجردة منذورة للّه عاكفة في المسجد، وقال تعالى ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾(٢) قد قيل إنّه السجود(٣) وقال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾(٤) وذكر السجود والقيام في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وقياماً﴾(٥) وفي قوله ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾(٦) وذكر السجود في قوله ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾(٧) وفي قوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾(٨) وقوله ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾(٩) وقوله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾(١٠) وقوله ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾(١١) وقوله ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟(١٢) مِن وَرَآئِكُمْ﴾ وآيات سجود التلاوة

(١) سورة آل عمران آية ٤٣.

(٢) سورة ص آية ٢٤.

(٣) قال هذا القول ابن عباس انظر زاد المسير ١٢٣/٧.

(٤) سورة المرسلات آية ٤٨.

(٥) سورة الفرقان آية ٦٤.

(٦) سورة الزمر آية ٩.

(٧) سورة العلق آية ١٩.

(٨) في الأصل سجود، سورة القلم آية ٤٢ ـ ٤٣.

(٩) سورة النساء آية ١٥٤.

(١٠) سورة الحجر آية ٩٨.

(١١) سورة ق آية ٤٠.

(١٢) في الأصل لم يكونوا ـ سورة النساء آية ١٠٢.

كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾(١) وقوله ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(٢) وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ(٣) عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا﴾ الآية.

وقوله ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾(٤) وقوله ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾(٥) الآية.

وقوله ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾(٦) وقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾(٧) وقوله ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾(٨) وقوله ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾(٩) وقوله ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾(١٠) الآية.

(١) سورة الأعراف آية ٢٠٦.
(٢) سورة النحل آية ٤٩ ـ ٥٠.
(٣) في الأصل إذا تتلى ـ سورة الاسراء آية ١٠٧.
(٤) سورة مريم آية ٥٨.
(٥) سورة الحج آية ١٨.
(٦) سورة الحج آية ٧٧.
(٧) سورة الفرقان آية ٦٠.
(٨) سورة النمل آية ٢٥.
(٩) سورة السجدة آية ١٥.
(١٠) سورة فصلت آية ٣٧.

وقوله (٦٣/أ) ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾[1] وقوله ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾[2] وقوله ﴿وَٱسْجُدْ[3] وَٱقْتَرِب﴾[4] فآية الأعراف والرعد والنحل والحج فيها الخبر عن سجود المخلوقات، لكن في الأعراف سجود الملائكة، وفي الرعد سجود المخلوقات طوعاً وكرهاً، وفي النحل المخلوقات والملائكة، وفي الحج سجود المخلوقات طوعية، وهذا يعم[5] بني آدم، وسجود الكائنات مطلق[6] ليس مقيداً بركوع فشرع السجود عند ذكره، لأنَّ المؤمن داخل في ذلك، أو متشبه بصاحبه وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾[7] الآية وقوله ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[8] خبر عن سجود بسبب التلاوة، فأمر بالسجود عند التلاوة، ونظيره ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾[9] وقوله ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[10]وقوله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[11] نهي

---

(١) سورة النجم آية ٦٢.

(٢) سورة الانشقاق آية ٢١.

(٣) في الأصل فاسجد، حسب نص الآية.

(٤) لم يأت ذكر الرعد ضمن الآيات لأنَّ في القرآن ١٤ سجدة ولم يذكر إلاَّ ١٣ سجدة ولعله سقط من الناسخ.

(٥) في الأصل وهذا لم يعم وهو غير مستقيم.

(٦) في الأصل مطلقاً.

(٧) سورة الأسراء آية ١٠٧.

(٨) سورة مريم آية ٥٨.

(٩) سورة الانشقاق آية ٢١.

(١٠) سورة النمل آية ٢٤.

(١١) سورة فصلت آية ٣٧.

عن السجود لغير الله مطلقاً، وأمر[1] بالسجود له، فشرع السجود المقابل للمنهي عنه، وقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾[2] فأخبر عن امتناع الكافر عن السجود مطلقاً (٦٣/ب) فيشرع السجود المقابل له، وهو مطلق السجود هناك في مقابلة المعبود الباطل وهنا في مقابلة الكافر الممتنع عن الحق، وأما قوله ﴿ٱرْكَعُواْ[3] وَٱسْجُدُواْ﴾ فلا ريب أنَّ هذا أمر بسجود الصلاة، فلذلك جرى فيه النزاع، فقيل هو أمر به، كما في قوله ﴿ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي﴾[4] وقيل هذا لا يمنع أن يكون أمراً وبالسجود عند سماعه[5] وقوله ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾[6] وقوله ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[7] وذاك سجود الصلاة فقيل هو مختص به، وقيل ذلك لا يمنع أن يكون سبباً كذلك، كما أنَّ آيات التلاوة والسجود تتضمن السجود في الصلاة عقب سماع القرآن.

فصل

ولما كثر ذكر السجود في القرآن، تارة امراً به، وتارة ذماً لمن يتركه وتارة ثناء على فاعله، وتارة إخبار عن سجود عظماء الخليقة

(١) في الأصل وأمره.

(٢) سورة الفرقان آية ٦٠.

(٣) في الأصل ارلعو سورة الحج آية ٧٧.

(٤) سورة آل عمران آية ٤٣.

(٥) في الأصل بسماعه.

(٦) سورة النجم آية ٦٢.

(٧) سورة العلق آية ١٩.

وعمومهم، كان ذلك دليلاً على فضيلة السجود وهـذا ظاهـر، فإنَّ السجود فيه غاية الخضوع والتواضـع، وهو أفضـل أركان الصـلاة الفعلية وأكثرها، حتى إنَّ مواضع الصلاة سميت به، فقيل مسجد ولم يقل مقام ولا مركع لوجهين.

أحدهما: أنَّه أفضل وأشرف وأكثر.

والثاني: أنَّ نصيب الأرض منه أكـثر من نصيبها من جميـع الأفعال فإنَّ العبد يسجد على سبعة أعضاء، وإنما يقوم على رجلين، وأما الركوع فسيان نسبة الأرض إليه وإلى القيام فلهذا قبل مسجد وهو موضع السجود، دون موضع الركوع، والركوع نصف سجود، والسجود شرع مثنى مثنى في كل ركعة سجدتـان، ولم يشرع من الأركان مثنى إلاَّ هـو، حتى سجود الجـبران جعل أيضـاً مثنى وهو سجـدتا السهو.

وكـان النبي ﷺ يسميها المـرغمتين، وقـال[1] في الشك «إن كانت صلاته وتراً شفعتا له صلاته، وإن كانت تامة كانتا ترغيماً[2] للشيطان» فأقام السجدتين مقام ركعة في تكميل الصلاة، لأنَّ الركن

(١) إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول اللّه ﷺ إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثـلاثاً أم أربعـاً فليطرح الشـك وليبن على مـا استيقن ثمّ يسجد سجدتين قبل أن يسلم فإن كان صلى خمساً شفعن له صلاته وإن كان صلى إتماماً الأربع كانتا ترغيماً للشيطان.

وقد أخرجه مسلم كتاب المساجد باب السهو في الصلاة ٣٩٨/١.

(٢) ترغيماً أي اغاظة له وإذلالاً مأخوذ من الرغام وهو التراب.

أنظر النهاية لابن الأثير ٢٣٨/٢ صحيح مسلم بشرح النووي ٦٠/٥.

الأعظم في كل ركعة هما[1] السجدتان وقال النبي ﷺ «إنك لن تسجد للّه سجدة إلاّ رفعك اللّه بها درجة وحط عنك بها خطيئة»[2] وقال «أعني على نفسك بكثرة السجود»[3] وقال «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[4].

ولّما كانت الصلاة مثنى مثنى، جعل في كل ركعة السجود مثنى مثنى فكل سجدتين معقودتان بركعة، فتصير وترا سجدتان وركوع، والركوع مقدمة أمامها، كتقدمة الوقوف على طواف الزيارة، قال النبي ﷺ «إذا أدركتمونا ونحن سجود فاسجدوا ولا تعدوها[5] شيئاً، ومَن أدرك الركعة فقد أدرك»[6] كما قال «الحج عرفة»[7] فمَن أدرك

(١) في الأصل هم.

(٢) هذا الحديث رواه ثوبان مولى رسول اللّه ﷺ وقد أخرجه مسلم باب فضل السجود والحث عليه ١/٣٥٣.

(٣) هذا الحديث رواه ربيعة بن كعب الأسلمي وقد أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب فضل السجود والحث عليه ١/٣٥٣.

(٤) سبق تخريجه ص٢٠٣ .

(٥) في الأصل ولا تعدوا وما أثبته كما في سنن أبي داود.

(٦) هذا الحديث رواه أبو هريرة وقد أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب الرجل يدرك ساجد كيف يضع ١/٢٣٦ والبيهقي في السنن كتاب الصلاة باب المسبوق ببعض الصلاة يصنع ما يصنع الإمام ٢/٢٩٦.
والحديث صحيح. أنظر صحيح الجامع الصغير ١/١٤٣.

(٧) هذا الحديث رواه عبد الرحمن بن يعمر الديلي وقد أخرجه أبو داود كتاب المناسك باب مَن لم يدرك عرفة ٢/١٩٦ والترمذي كتاب الحج باب ما جاء فيمَن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج ٣/٢٢٨ وابن ماجة كتاب المناسك باب مَن أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ٢/١٠٠٣ والدارمي كتاب المناسك باب بما يتم الحج ٢/٥٩ والحديث صحيح. أنظر صحيح الجامع الصغير ١/٦٠٦.

عرفة فقد أدرك الحج ومَن فاته التعريف فإنه يفعل الطواف والسعي ولكن لا يكون مدركاً للحج لكن يكون متحللاً بعمرة، أو عمل عمرة ولهذا قيل «وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ»[1]. فالركوع مع السجود تقدمة وتوطئة، وباب إليه، وهو مشترك بين القيام والسجود وبرزخ بينهما، فالقيام قيام القراءة قبله، وأمّا القيام بعده فهو والله أعلم لأجل السجود بعده، ليكون السجود عن قيام، وهو السجود الكامل فالرفع (٦٤ ب) منه تكميل للركوع، والخفض من القيام تكميل للسجود، ولهذا هو ركن تام كما جاءت به السنّة، وليس معادلاً[2] لبقية الأركان كما كان يفعل النبيّ ﷺ وقال: «لا يقبل الله صلاة مَن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»[3] لعدم تكميلها فإنه أيضاً إذا لم يقم صلبه بين السجدتين لا يكون قد أكمل الأولى برفعها ولا الثانية بخفضها، فالسجود إذاً شرع في الانحناء وهو قاعد أمّا إذا كان وجهه قريباً من

(١) سورة البقرة آية ٤٣.

(٢) في الأصل معادلته والصواب ما أثبته.

(٣) هذا الحديث رواه أبو مسعود الأنصاري البدري وقد أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب صلاة مَن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ١/٢٢٦. والترمذي أبواب الصلاة باب ما جاء فيمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ٢/٥١.
والنسائي كتاب الصلاة باب إقامة الصلب في الصلاة ٢/٢١٤.
وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب الركوع في الصلاة ١/٢٨٢.
والبيهقي في السنن كتاب الصلاة باب التغليظ على مَن لا يتم الركوع والسجود ٢/١١٧.
والدارمي في كتاب الصلاة باب في الذي لا يتم الركوع والسجود ١/٣٠٤.
وأحمد في مسنده ٤/١١٩.
والحديث صحيح. أنظر صحيح الجامع الصغير ٢/١٢١١.

الأرض وألصقه فليس هذا بسجود.

ومن هنا غلط مَن غلط وقال: إن الاعتدالين ليسا بركنين طويلين لما ظنوا أن المقصود مجرد الفصل، والصواب ما جاءت به السنّة إيجاباً للاعتدال واستحباباً لإتمامه وتسويته بسائر الأركان لأن هذا القيام والقعود وإن[1] كان تابعاً من بعض الوجوه فالقعود في آخر الصلاة أيضاً، تابع للصلاة، وهم يطردون أصلهم في عدم إيجابه عند بعضهم والركوع أيضاً تابع من بعض الوجوه للسجود الذي هو غاية الخضوع كما قال ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾[2] فإذا كان بعض أركان الصلاة الفعلية أفضل من بعض وأبلغ في كونه مقصوداً لم يمنع إيجاب التابع المفضول كالركعتين الأخريين مع الأوليين وكإيجاب الطمأنينة.

وحرف المسألة أن إتمام الأركان فرض ولا يتم إلاّ بذلك، وإتمام الصلاة من إقامتها، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنّة، فإن قوله في الخوف والسفر ﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[3] فالخوف يبيح قصر الأفعال والسفر قصر الأعداد دليل على وجوب الإتمام في الأمن والطمأنينة (٦٥ أ) لقوله ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[4] وإتمامها من إقامتها كما جاءت به السنّة حيث قال للمسيء في صلاته «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ» وقال «فإذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك»[5]

(١) في الأصل بدون واو وزدتها ليستقيم الكلام.

(٢) سورة الزمر آية ٩.

(٣) سورة النساء آية ١٠١ .

(٤) سورة النساء آية ١٠٣.

(٥) هذا اللفظ جزء من حديث رواه أبو هريرة وقد أخرجه البخاري كتاب الصلاة ـ باب استواء الظهر في الركوع ٢٠٠/١ ومسلم ـ كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٢٩٨/١.

فجعل مَن لم يتمها لم يصلِّ، والله سبحانه أعلم.

ليس هذا الفصل متعلقاً بهذه المسألة، وإنما كتبته هنا اتفاقاً، وله أيضاً مناسبة بذكره ذوق الصلاة وسرّها ولبّها، والله الموفق والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا من عَمل الناسخ.

عقد مجلس في المناظرة بين صاحب غناء وصاحب قرآن وهو تمام الجواب عن الفتيا الواردة في السماع في سنة أربعين وسبعمائة وهو الجزء الثاني وبه تم الجواب، والحمد لله وحده ـ (٦٦ أ). وهذا من عمل الناسخ.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ربّ العالمين

قال الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الحنبلي إمام الجوزية في تمام الجواب عن الفتيا الواردة في السماع سنة أربعين وسبعمائة التي[1] أجاب فيها العلماء من المذاهب الأربعة - رضي الله عنهم أجمعين:

فصل

في عقد مجلس يتضمن مناظرة بين صاحب غناء، وصاحب قرآن أدلى كل واحد منهما بحجته ورضيا بتحكيم مَن آثر عقله ودينه على هواه وكان الحق الذي بعث الله به رسوله أحب إليه مما سواه.

فجلس مجلس الحكم بين الخصمين، ونظر بعين النصيحة لنفسه في كل واحد من المحتجين[2] وعزل حمية الجاهلية وعصبية

(١) في الأصل الذي، ووضعت بدلها التي ليستقيم الكلام.

(٢) في الأصل المحبتين

الفرقة الباطلية ووالى[1] مَن والاه الله ورسوله وعباده المؤمنون ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2] وهذا أول المناظرة.

١ ـ **قال صاحب الغناء** : قد أمر الله رسوله أن يبشر مَن استمع القول واتّبع أحسنه فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ[3] ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[4] قال والألف واللام في القول تقتضي العموم والاستغراق والدليل عليه أنه مدحهم باتّباع الحسن من القول،[6] وهذا يعم كل قول فيدخل فيه قول السماع وغيره.

قال صاحب القرآن : قد كان ينبغي لك أن توقر كلام الله وتجله أن تنزله على أقوال المغنين والمغنيات وإخوانهم من النائحين والنائحات وأن يحمل على رقية الزنا ومنبت النفاق وداعي الغي والهوى، فيكفي في فساد القول أنه لم يقله قبلك أحد (٦٦ ب) من أئمة التفسير على اختلاف طبقاتهم.

ويدل على بطلانه وأنه يمتنع أن يراد بكلام مَن لا يأتيه الباطل

---

(١) في الأصل، وولي

(٢) سورة الأنفال آية ٣٤.

(٣) في الأصل عبادي

(٤) سورة الزمر آية ١٨

(٥) الرسالة القشرية ص ١٥٠.

من بين يديه ولا من خلفه وجوه عديدة:

أحدها أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بل لا يأذن في استماع كل قول حتى يقال اللام للاستغراق والعموم بل من القول ما يحرم استماعه، ومنه ما يكره، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾.[1]

فأمر سبحانه وتعالى بالأعراض عن سماع هذا القول، ونهى عن القعود مع قائليه قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.[2]

فجعل سبحانه المستمع لهذا الحديث مثل قائله، فكيف سبحانه يمدح مستمع كل قول وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.[3]

وقال تعالى: في وصف عباده ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾[4] أي أكرموا أنفسهم عن استماعه وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه سمع صوت لهو فأعرض عنه فقال النبي ﷺ: «إن كان ابن مسعود لكريما».[5]

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٦٨.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٤٠.

(٣) سورة المؤمنون آية رقم ٣.

(٤) سورة الفرقان آية ٧٢.

(٥) رواه ابن جرير ص ٣٢/١٩ .

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أثنى على مَن أعرض عن اللغو ومرّ به كريماً، فأكرم نفسه عن استماعه، فكيف يجوز أن يقال إن الألف واللام للاستغراق، وينسب إلى الله سبحانه، أنه مدح مستمع كل قول. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

فقد أخبر سبحانه أنه يسأل العبد عن سمعه وبصره وفؤاده ونهاه أن يقفو أي يتبع ما ليس له به علم.

وإذا كان السمع والبصر والكلام والفؤاد منقسماً إلى ما يؤمر به وينهى عنه والعبد مسؤول عن ذلك كله فكيف يجوز أن يقال كل قول في العالم فالعبد ممدوح على استماعه ونظير هذا أن يقال كل مرئي في العالم فالعبد ممدوح على النظر إليه لقوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾[3].

ولهذا دخل الشيطان عليكم وعلى كثير من النساك من[4] هذين المدخلين إذ توسعتم في النظر إلى الصور المنهى عن النظر إليها وفي استماع الأقوال والأصوات التي نهيتم عن استماعها ولم يكتف الشيطان بذلك منكم حتى زيّن لكم أن جعلتم ما نهيتم عنه عبادة وقربة وطاعة، وهذه هي لطيفة إبليس فيكم التي تقدم ذكرها[5] وهي قوله

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٣٦.

(٢) سورة يونس آية رقم ١٠١.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٨٥.

(٤) في الأصل في وما أثبته أوضح.

(٥) تقدم ص ١١٦ ـ ١١٧.

لي[1] فيكم لطيفة السماع وصحبة الأحداث».

الوجه الثاني: أن المراد بالقول في هذه الآية التي احتججتم بها القرآن كما جاء ذلك في قوله ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾[2] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القول﴾[3] فالقول الذي بشر مستمعيه ومتبعي أحسنه هو القول الذي وصله وحض[4] على تدبره. وكلام الله يفسر بعضه بعضاً ويحمل بعضه على بعض.

الوجه الثالث: أن الألف واللام هنا لتعريف العهد، وهو القول الذي دعى إليه المخاطب وأمر بتدبره، وأخبر بتوصيله له وهو كالكتاب والقرآن، والألف واللام فيه كالألف واللام في الكتاب سواء (٦٧ ب) وكذلك الألف واللام في الرسول في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[5]، وفي قوله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[6]، وقوله: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[7]، فهل يجوز أن يقال إن اللام في الكتاب والرسول للاستغراق فتحمل على كل كتاب وعلى كل رسول؟

الوجه الرابع: أنها وإن كانت للعموم في قوله: ﴿الذين يستمعون القول﴾ فهي إنما تعم القول الذي أنزل الله ومدحه وأثنى

(١) في الأصل إلى

(٢) سورة المؤمنون آية ٦٨.

(٣) سورة القصص آية رقم ٥١.

(٤) في الأصل وحظ

(٥) سورة الفرقان آية رقم ٣٠.

(٦) سورة النور آية رقم ٦٣.

(٧) سورة المائدة آية رقم ٩٢.

عليه وأمر باتّباعه واستماعه وتدبره وفهمه، فهي تقتضي العموم والاستغراق في جميع هذا القول، فإنها تقتضي عموم ما عرفته وقصد بمصحوبها.

الوجه الخامس: أن السياق كله من أول السورة إلى هذه الآية إنما هو في القرآن قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ[1] ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[2] فذكر في أول السورة كتابه ودينه والكلم الطيب والعمل الصالح فخير الكلام كتابه، وخير العمل إخلاص الدين له، ثم أعاد ذكر الأصلين في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾[3]، فهذا إخلاص الدين له، ثم قال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ[4] أَحْسَنَهُۥٓ﴾، فهذا كتابه فتضمنت ذكر كتابه ودينه كما تضمنت (ذلك)[5] أول السورة فما لأقوال المغنين والمغنيات ههنا ثم قال **﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾**[6]. ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ الله

---

(١) في الأصل بدون إليك وزدتها حسب نص الآية.

(٢) سورة الزمر آية رقم ١ ـ ٢.

(٣) سورة الزمر آية رقم ١٧.

(٤) في الأصل بدون فيتبعون، وزدتها حسب نص الآية.

(٥) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

(٦) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

(٧) سورة الزمر آية رقم ٢٣.

فأثنى على أهل السماع والوجد للقول والحديث الذي أنزله ولم يثن سبحانه على مطلق الحديث ومستمعيه، بل تضمن السياق الثناء على أهل ذكره والاستماع لحديثه كما جمع بينهما (٦٨ أ) في قوله: ﴿يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[1] وفي قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[2] وهو سبحانه ذكر وبين[3] في الفرقان الأمثال والحجج لنتذكر به ونتعظ ونتدبره ونتفهمه، فأمرنا باستماعه واتّباعه وحض[4] على تدبره وبشر مَن استمعه واتّبع أحسنه وأخبر أنه وصله ليتذكر به.

وأخبر أن مَن لم يتدبره فقلبه من القلوب التي عليها أقفالها، فما لأقوال المغنين والمغنيات وهذا الشأن.

ثمّ أعاد سبحانه ذكر القرآن في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[5] قال البخاري في صحيحه عن مجاهد قال: «والذي جاء بالصدق» القرآن وصدق به المؤمن يجيء يوم القيامة يقول: هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه،[6] فذكر سبحانه الصدق والمصدق به مثنياً عليه، ثم ذكر ضدهما وهما الكاذب والمكذب بالحق وهما نوعان ملعونان من القول، أعني الكذب والتكذيب

---

(١) سورة الحديد آية رقم ١٦.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٢.

(٣) في الأصل وهو سبحانه أنه ذكر بين وحذفت أنه وزدت الواو ليستقيم الكلام.

(٤) في الأصل وحظ.

(٥) سورة الزمر آية ٣٣.

(٦) صحيح البخاري، كتاب التفسير ـ سورة الزمر ص ١٥٧/٦.

بالحق، فكيف يكون مَن استمعهما ممدوحاً مستحقاً للثناء.

ولا ريب أن البدع القولية والسماعية المخالفة لما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق تتضمن[1] أصلين: الكذب على الله، والتكذيب بالحق، بل الانتصار لما خالف[2] ذلك سواء كان سماعاً أو غيره، يتضمن الأصلين الباطلين.

الوجه السادس:

أنه سبحانه قال بعد ذلك: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[3]. فهذا الأحسن الذي (٦٨/ب) أمر باتباعه هنا هو الأحسن الذي بشر من اتبعه في أول السورة وهو أحسن المنزل في الموضعين، ونظير هذا قوله تعالى لموسى في التوارة: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾[4].

فهذا كله إذا تدبره المؤمن الناصح لنفسه، علم علماً يقينياً[5] أنَّ الكتاب والقول والحديث الذي أمر اللّه باستماعه وتدبره وفهمه

(١) في الأصل يتضمن.

(٢) في الأصل خلف،

(٣) سورة الزمر آية ٥٤ ـ ٥٥.

(٤) في الأصل باحسانها سورة الأعراف آية ١٤٥.

(٥) في الأصل نقينيا.

واتباع أحسنه هو كلامه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأما مدح الاستماع لكل قول فهذا لا يليق نسبته إلى العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء يوضحه.

الوجه السابع:

وهو أنَّ اللّه سبحانه في كتابه إنما اثني على المستمعين للقرآن، وحمد هذا السماع وذم[1] المعرضين عنه، وجعلهم أهل الكفر والجهل، الصم البكم الذين لا يعقلون قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟[2] لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾[3]﴾.

وقال تعالى في حق المنعم عليهم: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾[4]﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ[5]﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[6] وقال في ذم المعرضين عن هذا السماع: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ

(١) في الأصل ذم بدون الواو وزدتها ليستقيم الكلام.

(٢) في الأصل استمعوا، سورة الأعراف آية ٢٠٤.

(٣) سورة الأنفال آية ٢.

(٤) سورة مريم آية ٥٨.

(٥) سورة المائدة آية ٨٣.

(٦) سورة الأسراء آية ١٠٧.

عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾[1]﴾ وقال:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾[2]﴾ وقال ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا (٦٩ أ) بِـَٔايَٰتِ[3] رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾.

وهذا كثير في القرآن وكتاب الله يبين بعضه بعضاً.

الوجه الثامن:

أنَّ المعروف في القرآن إنما هو ذم استماع القول الذي هو الغناء، كما قال تعالى ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾[4] قال غير واحد من السلف[5]: هو «الغناء»، يقال سمد لنا أي غنى لنا.

فذم المعرضين عن سماع القرآن المتعوضين عنه بسماع الغناء،

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٧١.

(٣) في الأصل بآيات لم يخروا، وزدت ربهم حسب نص الآية، سورة الفرقان آية ٧٣.

(٤) سورة النجم آية ٥٩ ـ ٦٠.

(٥) منهم ابن عباس وعكرمة، أنظر تفسير ابن جرير ص ٢٧/٤٨ ـ ٤٩، وجاء تفسير السمود أيضاً باللهو ـ وكذلك بالغفلة والبرطمة «الانتفاخ من الغضب» لسان العرب ١٢/٤٧ ولا تناقض بين هذه المعاني لأنَّ اللهو والغفلة وما أشبه ذلك كله، يشمل الغناء، قال ابن القيم في الاغاثة، وهذا لا يناقض ما قيل في هذه الآية من أنَّ السمود، الغفلة والسهو عن الشيء، اغاثة اللهفان ص ١/٢٧٦ وتحريم النرد والشطرنج. والملاهي ص ٣٨١.

كما هو حال السماعاتية المؤثرين لسماع المكاء والتصدية على سماع القرآن المتعوضين عنه بسماع الغناء.

وهم نظير الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وقال غير واحد من السلف[(١)] في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ[(٢)]﴾: **إنَّه الغناء**[(٣)].

الوجه التاسع:

أنكم **معاشر** السماعاتية المحتجين بهذه الآية لا تحسنون استماع كل منظوم ومنثور، بل أنتم من أعظم الناس كراهة لما تحبونه من الأقوال منثورها ومنظومها وأشدهم نفرة عن ذلك، ونفوركم عما لا تحبونه من الأقوال أعظم من نفور المنازع لكم في سماع المكاء والتصدية فهلا أدخلتم الأقوال التي تخالف أهواءكم وما تحبونه في القول الذي أثنى اللّه على من استمعه واتبع أحسنه؟ هذا مع أنَّه قطعا أحسن من أقوال المغنين وأنفع للقلب في الدنيا والآخرة، ولكن ذنب هذا القول مخالفته لهواكم وما ابتدعتموه.

فإن كان العموم في الآية مراداً فقد بطلب حجتكم، وإن لم يكن مراداً فقد بطلت أيضاً، فتبين بطلان استدلالكم على التقديرين

---

(١) منهم عبداللّه بن مسعود وابن عباس ومجاهد، انظر تفسير ابن جرير ٢٨/ ٤٠.

(٢) سورة لقمان آية رقم ٦.

(٣) وجاء تفسير اللهو بأخبار الأعاجم وملوكهم وملوك الروم وبالشرك ونحو ذلك فلا يعارض التفسير بالغناء لأنَّ الكل داخل في ذلك، قال ابن القيم «ولا تعارض بين تفسير لهو الحديث بالغناء وتفسيره بأخبار الأعاجم وملوكهم وملوك الروم ونحو ذلك مما كان النضر بن الحارث يحدث به أهل مكة يشغلهم به عن القرآن، فكلاهما لهو الحديث، اغاثة اللهفان ١/ ٢٥٩ تحريم النرد والشطرنج ص ٢٧٠.

وباللّه التوفيق.

الوجه العاشر[١]:

أنـه سبحانـه قال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَـادِ[٢] ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ[٣]﴾ فمدحهم باستـماع القول واتبـاع أحسنه، ومن المعلوم أنَّ كثيراً من القول بل أكثره ليس فيه حسن (٦٩ ب) فضلاً عن أن يكون أحسن، بل غـالب القول يكب قـائلة في النار عـلى منخره.

والأقوال التي ذمها اللّه في كتابه أكثر من أن تعد كـالقول[٤] **الخبيث** [٥] والقـول **الباطـل** [٦] **والقول عليـه بمـا لا يعلم القـائل** [٧]، **والكـذب والافتراء** [٨] **والغيبـة** [٩] **والتنـابـز**

---

(١) في الأصل التاسع والصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل عبادي.

(٣) سورة الزمر آية رقم ١٨.

(٤) في الأصل «كا». . ولعل الصواب ما أثبته.

(٥) قال اللّه تعالى ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ سورة إبراهيم آية ٢٦.

(٦) قال اللّه تعالى ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ سورة غافر آية ٥.

(٧) قال اللّه تعالى ﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على اللّه ما لا تعلمون﴾ سورة البقرة آية ١٦٩.

(٨) قال اللّه تعالى ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات اللّه فتكون من الخاسرين﴾ سورة يونس آية ٩٥.

(٩) قال اللّه تعالى ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ سورة الحجرات آية ١١.

بـالألقـاب [1]، والتنـاجي بـالأثم والعـدوان ومعصيـة [2] الـرسول [3] وتبييت مـا لا يرضي من القـول [4]، وقول العبـد بلسانـه ما ليس في قلبـه [5] وقولـه ما لا يفعله [6]، وقول اللغو[7]، وقول ما لم ينـزل[8] به سلطانـاً[9]، والقول المتضمن للشفـاعـة السيئـة[10] والقـول المتضمـن للمعـاونـة عـلى الأثم والعدوان [11]، وأمثال ذلك من الأقوال المسخوطة والمبغـوضة للرب تعالى التي كلها قبيحة لا حسن فيها ولا أحسن.

فإدعاء العموم في الآية في غير القول الذي أنزله اللّه على رسوله من الكتاب والسنة من أبطل الباطل.

---

(١) قال اللّه تعالى ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ سورة الحجرات آية ١٢.

(٢) في الأصل ومعصيت قال اللّه تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالأثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾ سورة المجادلة آية ٩.

(٣) قال اللّه تعالى ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من اللّه وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول...﴾ سورة النساء آية ١٠٨.

(٤) قال اللّه تعالى ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ سورة المائدة آية ٤١.

(٥) قال اللّه تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلون﴾ سورة الصف آية ٢.

(٦) قال اللّه تعالى ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً﴾ سورة النبأ آية ٣٥.

(٧) قال الله تعالى ﴿وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقـولوا عـلى الله مالا تعلمـون﴾ سورة الأعراف أية (٣٢).

(٨) في الأصل ما لا ينز.

(٩) قال اللّه تعالى ﴿اتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل اللّه بها من سلطان﴾ سورة يوسف آية ٤٠.

(١٠) قال اللّه تعالى ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾ سورة النساء آية ٨٠.

(١١) قال اللّه تعالى ﴿ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾ سورة المائدة آية ٢.

الوجه الحادي عشر[1]:

أنه سبحانه علق الهداية على اتباع أحسن هذا القـول فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾[2] ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟[3] ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾[4]﴾ ومـن[5] المعـلـوم بالاضطرار أن الهداية انما حصلت لمن اتبع القرآن، فهو الذي هداه الله فأين الهدى في أقوال المغنين والمغنيات؟.

وبـالجملة ففساد هـذا القـول الـذي حملتم عليـه كتـاب الله وألصقتموه به وهو منه بريء وحملتموه إياه وليس خليقا بحمله معلوم لكل من في قلبه حياة ونور، ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور.

فصـــل

٢ ـ قال صاحب السماع: وقال الله تعالى: «﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ (٧٠أ) ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾[6]﴾»[7].

(١) في الأصل العاشر والصواب كما أثبته.

(٢) في الأصل عبادي.

(٣) في الأصل هم الألباب، وزدت أولوا حسب نص الآية.

(٤) سورة الزمر آية رقم ١٨.

(٥) في الأصل ومن ومن مكرر.

(٦) سورة الروم آية رقم ١٥.

(٧) الرسالة القشيرية ص ١٥٠.

جاء في التفسير[١] أنه السماع ولو كان حراماً لما كان من أفضل نعيم الجنة. قال صاحب القرآن: لو أمسكتم عن استدلالكم لصحة ماذهبتم إليه لكان أستر له وأروج عند من قل نصيبه من البصيرة والعلم، ولكن يأبى الله إلا أن يكشفه ويهتكه على ألسنتكم.

ولا ريب أنه قال بعض السلف[٢]: إن الحبرة ههنا السماع الحسن في الجنة وإن الحور العين يغنين بأصوات لم يسمع خلائق بأحسن منها، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له وذكر أبو نعيم في صفة الجنة[٣] من حديث سعيد بن أبي مريم[٤] حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير[٥] عن زيد بن أسلم[٦] عن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن

---

(١) تفسير ابن جرير ٢١/٢٠ وزاد المسير ٢٩٣/٦ .

(٢) منهم يحيى بن كثير، تفسير ابن جرير ٢١/٢٠ وزاد المسير ٢٩٣/٦.

(٣) صفة الجنة ٢٧٨/٣ باب ذكر حبور أهلها واجتماعهم على الغناء والطرب.

(٤) هو سعيد بن الحكم بن محمد المعروف بأبن أبي مريم الجمحي ولد سنة ١٤٤ روى عن عبدالله بن عمر العمري وسليمان بن بلال وغيرهما وروى عنه البخاري والحسن بن علي الخلال، ثقة ثبت فقيه توفي ٢٢٤ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٧/٤، تقريب التهذيب ٢٩٣/١ .

(٥) هو محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري روى عن زيد بن أسلم وحميد الطويل وغيرهما وروى عنه عبدالله بن نافع الصائغ، وزياد بن يونس وغيرهما ثقة، انظر تهذيب التهذيب ٩٤/٩، تقريب التهذيب ١٥٠/٣ .

(٦) هو زيد بن أسلم العدوى أبو أسامة روى عن أبيه وابن عمر وابي هريرة وغيرهم وروى عنه ابن عجلان، وابن جريج وغيرهما ثقة عالم وكان يرسل، تهذيب التهذيب ٣٩٥/٣ وتقريب التهذيب ٢٧٢/١ .

بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين: (نحن الخيرات الحسان) نحن أزواج قوم كرام ينظرون بقرة أعيان وإن مما يغنين به[١]: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنه[٢]». تفرد به سعيد بن أبي مريم[٣].

وروى من طريق الوليد بن أبي ثور[٤] حدثني سعد الطائي[٥] عن عبد الرحمن بن[٦] سابط عن[٧] ابن أبي أوفى[٨] قال: قال رسول الله ﷺ فذكر حديثاً فيه «انه يجتمع الحور العين في كل سبعة أيام

---

(١) في الأصل بدون به وزدتها حسب نص الحديث في المطبوع.

(٢) في الأصل فلا يضعنه.

(٣) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط لوحه ٣٠٩ وقال لم يرو هذا الحديث عن زيد بن أسلم إلا محمد بن جعفر، تفرد به ابن أبي مريم.

(٤) هو الوليد بن عبدالله بن أبي ثور الهمذاني، روى عن عبد الملك بن عمير وسماك بن حرب وغيرهما وروى عنه يونس بن محمد المؤدب ـ ومحمد بن بكار بن الريان وغيرهما «ضعيف» مات سنة ١٧٢ هـ «تهذيب التهذيب ١١/١٣٧. وتقريب التهذيب ٣/٢٣٢.

(٥) هو سعد الطائي أبو مجاهد الكوفي روى عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي وفطر بن خليفة وغيرهما وروى عنه إسرائيل بن يونس وخلاد الصفار وغيرهما ذكره ابن حبان في الثقات. روى له البخاري وأبو داود انظر تهذيب الكمال ١/٤٧٥.

(٦) هو عبد الرحمن بن سابط بن أبي حميضة الجمحى من التابعين روى عن عمر ومعاذ بن جبل وغيرهما وروى عنه ابن جريج وفطر بن خليفة وغيرهما ثقة كثير الإرسال مات سنة ١١٨هـ تهذيب التهذيب ٦/١٨٠. تقريب التهذيب ١/٤٨٠.

(٧) في الأصل بدون عن والمقام يقتضيها.

(٨) هو عبدالله بن أبي أوفى علقمة بن خالد الحارث الأسلمي صحابي شهد الحديبية وعمّر بعد النبي ﷺ مات سنة ٨٧هـ وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة، انظر تقريب التهذيب ١/٤٠٢.

فيقلن بأصوات حسان لم يسمع الخلائق مثلهن[1]: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات[2] فلا نبأس[3] ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كان لنا وكنا له[4]».

وروى من طريق ابن أبي فديك[5] عن ابن أبي ذئب[6] عن عون بن الخطاب[7] عن ابن لأنس[8] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الحور (٧٠ب) العين يغنين في الجنة، نحن (الحور) الحسان[9] خلقنا لأزواج كرام[10].

---

(١) في الأصل بمثلها وما أثبت حسب النص في المطبوع.

(٢) الناعمات الجالبات للمسرة والفرح، انظر النهاية لابن الأثير ٨٣/٥.

(٣) فلا نبأس أي لا يحصل منا كره أو حزن أو فقر، النهاية لابن الأثير ٨٩/١.

(٤) صفة الجنة باب ذكر نكاح أهلها وتعانقهم ٢١٩/٣.

(٥) محمد بن اسماعيل بن أبي فديك روى عن محمد بن عمرو بن علقمة، وكثير بن زيد الأسلمي وغيرهما وروى عنه الشافعي وأحمد والحميدي وغيرهم صدوق، مات سنة ٢٠٠هـ، تهذيب التهذيب ٦١/٩، تقريب التهذيب ١٤٥/٣.

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب روى عن عكرمة مولى ابن عباس ونافع مولى ابن عمر والزهري وغيرهم وروى عنه الثوري ومعمر وهما من أقرانه وغيرهما قال ابن معين ثقة مات سنة ١٥٨هـ تهذيب التهذيب ٣٠٣/٩.

(٧) هو عون الخطاب بن عبدالله بن رافع عن ابن الأنس بن مالك روى عنه ابن أبي ذئب حديث أنس سمعت أبي يقول ذلك الجرح والتعديل ٣٨٦/٦.

(٨) لم أعثر على ترجمته.

(٩) في الأصل نحن الحسان وزدت الحور حسب نص الحديث في المطبوع.

(١٠) صفة الجنة ٢٨٠/٣، باب ذكر حبور أهلها واجتماعهم على الغناء والطرب والحديث صحيح، صحيح الجامع الصغير ٣٣١/١.

ومن طريق يزيد بن واقد[1] عن رجل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فتصفق[2] فما سمع السامعون بصوت شيء قط الذ منه[3].

ومن طريق خالد[4] بن معدان[5] عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: (ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه[6] بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزامير الشيطان)[7].

وروى الترمذي[8] حدثنا أحمد بن[9] منيع حدثنا أبو

---

(١) هو يزيد بن واقد القرشي أبو عمر روى عن بشر بن عبيد الله وحزام بن حكيم ومكحول وغيرهم روى عنه صدقة بن خالد والوليد بن مسلم وغيرهما ثقة، مات سنة ١٣٨هـ تهذيب التهذيب ٤٢٦/٣. تقريب التهذيب ٢٧٧/١.

(٢) في الأصل فتصلق.

(٣) صفة الجنة باب ذكر حبور أهلها واجتماعهم على الغناء والطرب ٢٨٢/٣.

(٤) في الأصل خلد.

(٥) هو خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي روى عن ثوبان وابن عمر وغيرهما، وروى عنه ثور بن يزيد وحسان بن عطية وغيرهما، ثقة عابد يرسل كثيراً مات سنة ١٠٣، تهذيب التهذيب ١١٨/٣، تقريب التهذيب ٢١٨/١.

(٦) في الأصل يغنيانه، وما أثبته حسب نص الحديث في المطبوع.

(٧) رواه أبو نعيم في صفة الجنة باب ذكر حبور أهلها واجتماعهم على الغناء والطرب ٢٨٢/٣.

(٨) سنن الترمذي ـ كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في كلام الحور العين ٦٩٦/٤.

(٩) هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي روى عن ابن عيينه وابن عليه وغيرهما وروى عنه البخاري وابن خزيمة وغيرهما، ثقة حافظ مات ٢٤٤، تهذيب التهذيب ٨٤/١، تقريب التهذيب ٢٧/١.

معاوية(١) حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق(٢) عن النعمان بن سعد(٣) عن علي قال رسول الله ﷺ:

(إن في الجنة لمجتمعا(٤) للحور العين يرفعن أصواتاً لم يسمع الخلائق مثلها قال: يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا لـه) وقال حديث غريب.

وروى الطبراني(٥) من حديث سليمان بن أبي كريمة(٦) وفيه كلام

---

(١) هو محمد بن خازم التميمي السعدي أبو معاوية روى عن عاصم الأحول وأبي مالك. ، الأشجعي وغيرهما وروى عنه ابن جريج ويحيى القطان وغيرهما. مات سنة ٢٩٥ هـ، ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش وقد يهم في حديث غيره، تهذيب التهذيب ١٣٧/٩، تقريب التهذيب ١٥٧/٢.

(٢) هو عبد الرحمن بن اسحاق بن سعد بن الحارث أبو شيبة روى عن سيار أبو الحكم والشعبي وغيرهما، وروى عنه حفص بن غياث، وأبو معاوية وعبد الواحد بن زياد وغيرهما، ضعيف، تقريب التهذيب ٤٧٢/١، تهذيب التهذيب ١٣٦/٦.

(٣) هو النعمان بن سعد بن حتبة الإنصاري روى عن علي والأشعث بن قيس وغيرهما وروى عنه عبد الرحمن بن اسحاق تهذيب التهذيب ٤٥٣/١٠، تقريب التهذيب ٣٠٤/١.

(٤) في الأصل مجتمعا، وما أثبته حسب نص الحديث في المطبوع.

(٥) انظر معجم الطبراني الأوسط لوحة ١٧٩.

(٦) سليمان بن أبي كريمة شامي روى عن هشام بن عروة وهشام بن حسان وغيرهما وروى عنه صدقة بن عبدالله ومحمد بن مخلد الرعيني، ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى عامة أحاديثه مناكير، انظر تهذيب التهذيب ٢٢١/٣.

عن هشام بن حسان[1] عن الحسن[2] عن أمه[3] عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله: نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارة على البطانة قلت يا رسول الله: وبم ذلك قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلى، مجامرهن[4] الدرر، وأمشاطهن الذهب يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً، ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً طوبى لمن كنا له وكان لنا. الحديث.

فيقال لكم هل يلزم من كون الشيء ينعم الله به عباده في الآخرة أن يكون مباحاً لهم في الدنيا؟ فإن قلتم: لا يلزم ذلك بطل استدلالكم، وإن قلتم: يلزم،

قيل لكم: فالله سبحانه ينعمهم في الآخرة بلباس الحرير

(١) هو هشام بن حسان الأزدي روى عن حميد بن هلال والحسن البصري وغيرهما وروى عنه عكرمة بن عامر وشعبة وزائدة وغيرهم، ثقة من أثبت الناس في ابن سيرين وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال لأنه قيل كان يرسل عنهما.
مات سنة ١٤٨هـ، تهذيب التهذيب ١١/٣٤، تقريب التهذيب ٣١٨/٣.

(٢) هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، روى عن أبي بن كعب وسعد بن عبادة وغيرهما وروى عنه حميد الطويل، وهشام بن حسان وغيرهما، ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويدلس، مات سنة ١١٠ هـ، انظر تهذيب التهذيب ٢٦٣/٣، وتقريب التهذيب ١٦٥/١.

(٣) في الأصل لبيه وهو تحريف أسمها خيرة مولاة أم سلمة، مقبولة من الثانية تقريب التهذيب ٥٩٦/٢.

(٤) المجمر هو الذي يوضع فيه النار والبخور، لسان العرب ١٤٥/٤.

وأساورة الذهب، فجوزوا لهم لباس ذلك في الدنيا وخالفوا دينه: وأمره، وأيضاً فإن الله عز وجل ينعمهم في الجنة بالخمر فجوزوا لهم شربها في الدنيا على طرد قولكم، وأيضاً فإنهم في الجنة يأكلون ويشربون في صحاف الذهب والفضة، وقد قال ﷺ: (هي لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة)، وطرد قولكم: إنها كما هي للمسلمين في الآخرة، تكون مباحة لهم في الدنيا وقد قال النبي ﷺ: (من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الأخرة، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة)[1] وقال في صحاف الذهب والفضة: (هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة[2]).

فأخبر أنه من استعمل هذه الأمور في الدنيا من المطعوم والملبوس وغيرهما لم يستعملها في الآخرة فإما أن يستعملها أهل الجنة ويحرمها هو وان دخلها، كما روى ابن[3] أبي حاتم، حدثنا أبي[4] حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامى[5] حدثنا حسن يعني ابن علي بن

(١) من خلال بحثي اتضح لي أنه حديثان الشطر الأول حديث، والشطر الثاني حديث، الشطر الأول سيأتي تخريجه ص ٢٥٤ ، وقد أخرج الشطر الثاني البخاري عن عمر ـ كتاب اللباس باب لبس الحرير وافتراشه وقدر ما يجوز منه ١٩٣/٧، ومسلم عن أنس كتاب اللباس ١٦٤٥/٣.

(٢) الحديث عن حذيفة وقد أخرجه البخاري ـ كتاب الأشربة باب الشرب في آنية الذهب ١٤٦/٧.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم الحافظ الثبت ابن الحافظ الثبت يروى عن أبي سعيد الأشج، ويونس بن عبد الأعلى وطبقتهما وكان ممن جمع علوم الرواية ومعرفة الفن وله الكتب النافعة ككتاب الجرح والتعديل، انظر ميزان الاعتدال ٥٨٧/٢.

(٤) هو محمد بن أدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي، ولد سنة ١٩٥، روى عن عثمان بن الهيثم، وعفان بن مسلم وغيرهما وروى عنه أبو داود والنسائي وغيرهما، أحد الحفاظ، مات سنة ٢٧٧هـ، تهذيب التهذيب ٣١/٩، تقريب التهذيب ١٤٣/٢.

(٥) هو ابراهيم بن المنذر بن عبدالله الحزامى روى عن مالك وابن عيينة وغيرهما، وروى =

حسن البراد[1] عن حميد الخراط[2] عن محمد بن كعب[3] قال: (من شربها في الدنيا لم يشربها في الآخرة)[4] قال: قلت: فانه تاب حتى أدخله الله الجنة، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ[5] أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ قال: ينسيهم الله ذكرها، أو أن[6] ذلك وعيد له بأنه لا يدخل الجنة، فإن هذه الأمور يستعملها أهل الجنة، فمن لم تحصل له في الآخرة لم يكن من أهل الجنة وهما تأويلان للسلف في هذه الأحاديث، فلو قيل إن هذا السماع اللذيذ الموعود به

= عنه البخاري وابن ماجة وغيرهما، صدوق تكلم فيه أحمد لأجل القرآن، مات سنة ٢٣٦هـ، تهذيب التهذيب ١٦٦/١، تقريب التهذيب ٤٤/١.

(١) هو الحسن بن علي بن حسن البراد روى عن الزبير بن المنذر بن أبي أسيد وغيره روى عنه ابراهيم بن المنذر ويعقوب بن حميد، وروى عنه قتيبة بن سعيد حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عن الحسن بن علي البراد هذا فقال شيخ مديني حدثنا عنه ابراهيم بن المنذر، انظر الجرح والتعديل ٢٠/٣.

(٢) هو حميد بن زياد وهو ابن أبي المخارق أبو صخر الخراط سكن مصر روى عن أبي صالح السمان ونافع مولى ابن عمر وغيرهما وروى عنه ابن وهب ويحيى القطان وغيرهما صدوق يهم، انظر تهذيب التهذيب ٤٢/٣، وتقريب التهذيب ٢٠٢/١.

(٣) هو محمد بن كعب القرظي أبو حمزة سكن الكوفة ثم تحول إلى المدينة روى عن أبي هريرة وأنس وغيرهما وروى عنه محمد بن المنكدر وأبو معشر وغيرهما، ثقة عالم مات سنة ١٢٠هـ، وقيل قبل ذلك انظر تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩، وتقريب التهذيب ٢٠٣/٢.

(٤) كما أخرجه أبو داود عن ابن عمر كتاب الأشربة باب النهى عن المسكر ٣٢٧/٣، وابن ماجة كتاب الأشربة باب من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ١١٢٠/٢، والنسائي كتاب الأشرب ـ الرواية في المدمنين في الخمر ٣١٨/٨، وأحمد في مسنده ١٠٦/٢، والحديث صحيح. صحيح الجامع الصغير ١٠٨١/٢.

(٥) في الأصل وفيها ما تشتهي الأنفس، والصواب ما أثبته حسب نص الآية، سورة فصلت آية ٣١.

(٦) في الأصل وأن استقامة العبارة كما أثبت.

في الجنة إنما هو لمن نزه سمعه في الدنيا عن سماع الغناء والملاهي اعتباراً بنظيره من اللباس وشرب الخمر واستعمال آنية الذهب والفضة لكان هذا أشبه بالصواب، وأصح من استدلالكم على إباحته في الدنيا باستعمال أهل الجنة له.

وقد جاء الأثر بما قلنا صريحاً وهو ما روى أبو بكر بن أبي الدنيا(١) حدثنا داود بن عمرو الضبي(٢) حدثنا عبدالله بن المبارك(٣) عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر(٤) قال(٥): إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان، أسكنوهم في رياض المسك. ثم يقول للملائكة أسمعوهم حمدى وثنائي، وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٦)، وقد

(١) هو عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي أبو بكر بن أبي الدنيا روى عن أبيه وأحمد بن ابراهيم الموصلي وغيرهما وروى عنه ابن ماجه وابراهيم بن الجنيد وغيرهما صدوق حافظ صاحب تصانيف مات سنة ٢٨١ هـ تهذيب التهذيب ٦/١٢، تقريب التهذيب ١/٤٤٧.

(٢) هو داود بن عمرو الضبي روى عن نافع بن عمر الجمحي وابن أبي الزناد وغيرهما وروى عنه مسلم والنسائي وغيرهما، ثقة، وهو من كبار شيوخ مسلم، تهذيب التهذيب ٣/١٩٥، تقريب التهذيب ١/٢٣٣.

(٣) هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وغيرهما وروى عنه الثوري ومعمر بن راشد وغيرهما، ثقة، ثبت فقيه عالم جواد جمعت فيه خصال الخير. مات سنة ١٨١هـ تهذيب التهذيب ٥/٣٨٢، تقريب التهذيب ١/٤٤٥.

(٤) هو محمد بن المنكدر بن عبدالله التيمى روى عن أبيه وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وروى عنه زيد بن أسلم والزهرى وغيرهما ثقة فاضل، مات سنة ١٣٠هـ تهذيب التهذيب ٩/٤٧٣، تقريب التهذيب ٢/٢١٠.

(٥) في الأصل قال قال مكرر.

(٦) سبق تخريجه ص ١٢٧ .

تقدم نقله عن مجاهد من كلام ابن بطه[٧].

وأيضاً فإنه قد جاء في الحديث (أن الرجل من أهل الجنة يزوج باثنتين وسبعين زوجة) ذكره أبو نعيم في كتاب صفة الجنة[٢] عن[٣] خالد بن معدان[٤] عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: (ما من عبد[٥] يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين[٦] (وسبعين)[٧] من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها[٨] قبل شهي[٩] وله ذكر لا ينثني)، وذكر من حديث الحجاج[١٠] عن قتادة عن أنس يرفعه للمؤمن في (الجنة ثلاث وسبعون)[١١] زوجة، فقلنا يا رسول الله: أوله قوة ذلك؟ قال: (انه)[١٢] ليعطى قوة مائة)

---

(١) تقدم. ص ١٢٦ .

(٢) كتاب صفة الجنة باب ذكر نكاح أهلها وتعانقهم ٢١٢/٣، كما أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد، باب صفة الجنة ١٤٥٢/٢، وابن عدى في الكامل ٨٨٤/٣.

(٣) في الأصل من .

(٤) سبقت ترجمته. ص ٢٥٠ .

(٥) في الأصل بدون عبد وزدته حسب نص الحديث في المطبوع.

(٦) في الأصل عين.

(٧) في الأصل ساقطة وزدتها حسب نص الحديث في المطبوع.

(٨) في الأصل إلا لها وزدت الواو حسب نص الحديث في المطبوع.

(٩) في الأصل كمثى.

(١٠) هو الحجاج بن حجاج الباهلي البصري الأحول روى عن أنس وقتادة وابن سيرين وغيرهم وروى عنه ابراهيم بن طهمان، ويزيد بن زريع وغيرهما، ثقة، مات سنة ١٣١ هـ، تهذيب التهذيب ١٩٩/٢، تقريب التهذيب ١٥٢/١ .

(١١) ما بين القوسين في الأصل ثلثين والتصويب من المطبوع.

(١٢) في الأصل قال ليعطى، وزدت انه، حسب نص الحديث في المطبوع.

(٨) كتاب صفة الجنة، باب ذكر نكاح أهلها وتعانقهم ٢١٣/٣.

وفي حديث آخر: (إن الرجل منهم ليصل في اليوم إلى مائة عذراء)[1].

وهذه الآثار لا تناقض بينها فإن تفاضلهم في العدد، على حسب تفاضلهم في مقدار الثواب، فعلى قياس قول المحتجين على حل السماع في الدنيا بأنه يكون لأهل الجنة ينبغي أن يحلوا للرجل (٧٢أ) في الدنيا أن يتزوج بهذا العدد.

فصل

٣ ـ قال صاحب الغناء : سماع الأشعار بالألحان الطيبة، والنعم[2] المستلذة إذا لم يعتقد المستمع محظوراً، ولم يسمع على مذموم في الشرع، ولم ينجز في زمام هواه، ولم ينخرط في سلكه، لهو[3] مباح في الجملة[4].

ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي النبي ﷺ، وانه سمعها ولم ينكر عليهم في انشادها، فإذا جاز سماعها بغير الألحان الطيبة، فلا يتغير الحكم بأن تسمع بالألحان هذا ظاهر من الأمر، ثم ما يوجب للمستمع توفر الرغبة في الطاعات وتذكر ما أعد الله لعباده المتقين من الدرجات، ويحمله على التحرز من الزلات ويؤدي إلى قلبه في الحال صفاء الواردات مستحب في الدين ومختار في الشرع.

---

(١) روى الحديث أبو هريرة، كتاب صفة الجنة باب ذكر نكاح أهلها وتعانقهم ٣/٢١٤.

(٢) في الأصل الانعام والتصويب من القشرية.

(٣) في الأصل هو والتصويب من القشرية.

(٤) الرسالة القشرية ص ١٥٠.

وقد جرى على لفظ الرسول ﷺ ما هو قريب من الشعر وإن لم يقصد أن يكون شعراً. ففي الصحيحين[1] من حديث أنس بن مالك قال: «كانت الأنصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبداً

فأجابهم الرسول ﷺ:

اللهم لاعيش الا عيش الآخرة * فأكرم الأنصار والمهاجرة»

قال صاحب الغناء: ليس هذا اللفظ منه ﷺ على وزن الشعر ولكنه قريب من الشعر.

قال صاحب القرآن: عجب لكم معاشر السماعاتية لم تقنعوا باعتقاد إباحة ما لم يأذن به الله ورسوله من الغناء وآلات اللهو، بل منع منه، وحذر منه حتى جعلتموه طاعة وقربة وظننتم أن حزب الله وجنده يغفلون عن رد قولكم، وتبيين بطلانه، وكسر شبهكم الباطلة ونصرالله ورسوله، نقول لكم: كلامكم هذا قد تضمن شيئين:

أحدهما إباحة سماع الألحان (٧٢ب) والنغمات المستلذة بشرط أن لا يعتقد المستمع محظورا، ولم يسمع على مذموم في الشرع، ولم يتبع فيه هواه.-

والثاني أن ما أوجب للمستمع الرغبة في الطاعات، والاحتراز من الذنوب وتذكر وعد الحق، ووصول الأحوال الحسنة إلى قلبه فهو مستحب.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا... ٦١/٤ وانظر صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب ١٤٣٢/١٤٣١/٣.

فعلى هاتين المقدمتين بنى من قال باستحبابه وربما أوجبه بعضكم أحياناً بناء على هاتين المقدمتين إذا أراد[1] أنه لا يؤدي[2] الواجب إلا به، وعليهما بنى من فضله على سماع القرآن من عدة وجوه، لأنهم رأوا أنما يحصل به أنفع مما يحصل بالقرآن، وهاتان المقدمتان كلاهما غلط مشتمل على كلام مجمل من جنس استدلالهم بما ظنوه من العموم في قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[3] وبما وعد الله في الآخرة من السماع الحسن.

وولد بين هاتين المقدمتين اللتين لبس فيهما الحق بالباطل أولاد سفاح لانكاح وتولد منهما، قول لم يذهب إليه أحد من السلف الصالح البته، وهو أن هذا السماع طاعة وقربة تقرب إلى الله، فإنه وإن نقل عن بعض أهل المدينة[4] وغيرهم أنه يرخص في الغناء واستماعه، فلم يقل: إنه طاعة وقربة ومستحب في الشرع، بل كان فاعله يراه مكروهاً وتركه أفضل[5] أو يراه من الذنوب التي يتاب منها، أو يراه مباحاً كالتوسع في لذات المطاعم، والمشارب والملابس والمساكن فإما رجاء الثواب بفعله والتقرب إلى الله به، فهذا لا يحفظ عن أحد من سلف الأمة وأئمتها .

بل المحفوظ عنهم أنهم قالوا: إنما يفعل هذا الفساق كما قاله

---

(١) في الأصل إذا راد.

(٢) في الأصل لا يود.

(٣) سورة الزمر آية ١٨.

(٤) مثل بعض أهل المدينة، ابراهيم بن سعد، تلبيس ابليس ص ٢٥٨.

(٥) في الأصل اسل.

مالك[1]، وأن ذلك من إحداث الزنادقة كما قاله الشافعي[2]، وانه من المحرمات كما قاله أبو حنيفة[3]، وأنه من الباطل والبدع كما قاله الإمام أحمد[4] بل حفظ عنهم أنه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. صح ذلك عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه[5] وقال الشافعي: «الغناء لهو مكروه شبيه بالباطل من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته»[6].

ولو كان قربة وطاعة لكان المستكثر منه من خيار الأمة وقد حكم غير واحد من أهل العلم، على أن مدعى ذلك مخالف لاجماع المسلمين.

قال القاضي أبو الطيب الطبري[7] وغيره: وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء دينا وطاعة، ورأت إعلانه في المساجد والجوامع وسائر البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة.

وليس في الأمة من رأى هذا الرأى. فعبد الله بن مسعود لكمال علمه وفقهه في الدين ومعرفته بأحوال القلوب، ومفسدات الأعمال أخبر أن الغناء مادة النفاق ينبته في القلب وينميه كما يفعل الماء في

---

(١) تلبيس أبليس ص ٢٥٨.
(٢) (٣) تلبيس ابليس ص ٢٥٨ .
(٤) تلبيس ابليس ص ٢٥٦.
(٥) سبق تخريجه ص ١٠٩ .
(٦) سبق تخريجه ص ١٢٤ .
(٧) سبق ترجمته ص ١١٨ .

البقل، وكذلك قوله: «الغناء رقية الزنا[1]» والشافعي لوفور علمه ومعرفته ومحله الذي أحله الله به من الدين علم أن هذا مما يصد القلوب عن القرآن ويعوضها به كما هو الواقع فعلم أن هذا إنما قصده زنديق منافق، يقصد اقتطاع القلوب عن الايمان وصدها عن القرآن ليستعد لقبول ما يلقيه فيها الشيطان من البدع والشبهات والشهوات.

قال امام الزنادقة ابن الراوندى[2]: اختلف الفقهاء في السماع، فقال بعضهم: هو مباح، وقال بعضهم هو محرم، وعندي أنه واجب ذكره أبو عبد الرحمن السلمى[3] عنه في مسألة السماع[4] واعتضد به وكذلك[5] شيخ الملاحدة وإمامهم ابن سيناء[6] في الإشارات أمر بسماع

---

(١) هذا القول معروف عن الفضيل بن عياض وليس عن ابن مسعود كما صرح بذلك المؤلف في إغاثة اللهفان حيث قال «وهذه التسمية معروفة عن الفضيل بن عياض انظر أغاثة اللهفان ١/٢٦٣ .

(٢) هو أحمد بن يحيى الراوندي ملحد زنديق كان يلازم الرافضة وأهل الالحاد له مؤلفات تحارب الاسلام وتبين خروجه من الاسلام منها كتاب في الطعن على محمد ﷺ، وغير ذلك توفي سنة ٢٩٨ انظر المنتظم ٦/٩٩.

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد السلمى صحب جده أبا عمر بن نجيد وسمع الأصم وطبقته، صاحب حديث مجود وكان ذا عناية بأخبار الصوفية صنف في التفسير والتاريخ وبلغت تصانيفه مائة من تصانيفه عيوب النفس وطبقات الصوفية مات سنة ٤١٢هـ، بنيسابور، انظر تاريخ بغداد ٢/٢٤٨، وشذرات الذهب ٣/١٩٦.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٥٧٠.

(٥) في الأصل ولذلك.

(٦) هو الحسين بن عبدالله بن سيناء ولد بمدينة بخاري واشتغل بالعلوم وحصل الفنون سلك طريق الملاحدة الاسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشيء من كلام الصوفية له مؤلفات عدة منها النجاة والإشارات مات سنة ٤٢٨هـ انظر مجموع الفتاوى ١١/٥٧١ وفيات الأعيان ٣/١٥٧.

الألحان وعشق الصور وجعل ذلك مما يزكى النفوس ويهذبها ويصفيها[1] وقبله معهم معلمهم الثاني أبو نصر الفارابي[2] **إمام أهل الألحان**، فرضي الله عن الإمام محمد بن ادريس الشافعي، وجزاه عن نصيحته للإسلام خيراً، فكل هذا مما يشهد لقوله أن غناء التغبير من إحداث الزنادقة.

فصل

إذا عرف هذا فنحن نذكر ما في هاتين المقدمتين اللتين لبس فيهما الحق بالباطل واستولد من سفاحهما هذا الولد الذي هو شر الثلاثة، أن هذا السماع طاعة وقربة.

أما احتجاجكم بأن النبي ﷺ سمع ما أنشد بين يديه من الشعر ولم ينكره وأنه قال ما يشبه الشعر فنقول في الشعر ما قاله الأئمة[3] «انه كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح».

وقد ثبت في الصحيح[4] عن النبي ﷺ أنه قال: (إن من

---

(١) انظر الاشارات والتنبيهات ٨٢/٤.

(٢) هو محمد بن محمد بن طرخان الفارابي من حذاق الفلاسفة وصاحب التصانيف في المنطق والموسيقى تعلم على يد عدد من العلماء منهم يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني، ومتى بن يونس الحكيم، وتناول كتب ارسطاطاليس وتمهر في استخراج، معانيها وهو في جانب العقيدة منحرف، ضال فيها، وفيات الأعيان ١٥٣/٥. مجموع الفتاوى ٩٩/٤.

(٣) المراد بالأئمة الشافعي أنظر مناقب الشافعي ٦٠/٢.

(٤) الحديث عن أبي بن كعب وغيره من الصحابة وقد أخرجه البخاري، كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ٤٢/٨.

الشعر حكمة) وكان ينصب لحسان منبرا ينشد عليه الشعر الذي يهجو به المشركين وقال : (اللهم أيده بروح القدس)[1]. وقال: إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيه[2] وقال عن عبدالله بن رواحة: (أن أخا لكم لا يقول الرفث) وعبدالله بن رواحة هو القائل:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... كما انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين (٧٤أ) المضاجع[3]

وقد استنشد النبي ﷺ الشريد بن سويد[4] مائة قافية من شعر أمية بن أبي الصلت[5] وهو يقول: هيه هيه[6] وسمع قصيدة كعب ابن زهير[7] وأنشدته عائشة شعر أبي كبير الهذلي[8] وقالت: أنت أحق

(١) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره من الصحابة وقد أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد ١٢٢/١. ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت ١٩٣٣/٤.

(٢) الحديث عن عائشة وقد أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت ١٩٣٣/٤.

(٣) الحديث عن أبي هريرة وقد أخرجه البخاري، كتاب الأدب باب هجاء المشركين ٤٤/٨..

(٤) هو الشريد بن سويد الثقفي له صحبة حديثة في أهل الحجاز، سكن الطائف والمدينة حالف ثقيفا وتزوج آمنة بنت أبي العاص، أنظر الإصابة في تمييز الصحابة ١٤٨/٣.

(٥) هو أمية ابن أبي الصلت بن أبي ربيعة شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام وقرأ الكتب المتقدمة من كتب الله، وكان يخبر بأن نبيا يبعث فلما بلغ خروج الرسول ﷺ كفر حسدا له، الشعر والشعراء ص ٢٧٩ .

(٦) الحديث عن عمرو بن الشريد وقد أخرجه مسلم ـ كتاب الشعر ١٧٦٧/٤.

(٧) انظر قصة اهدار النبي لدم كعب بن زهير قبل اسلامه وقدومه المدينة وانشاده قصيدته الروض الأنف ٢٥٥/٧ ـ ٢٥٧.

(٨) هو عامر بن الحليس الهذلي أبو كبير، شاعر فحل من شعراء الحماسة. اشتهر بكنيته، =

به فاستنشدها إياه فأنشدته:

وإذا نـظرت إلى أسرة[1] وجهـه   بـرقت كـبرق العـارض المتهـلل

فقال: جزاك الله خيراً يا عائشة[2].

وقد أنشده غير واحد منهم حسان بن ثابت[3] وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وكعب بن زهير، والعباس بن مرداس السلمى[4] والنابغة الجعـدي[5] وأنشده عمه العباس قصيدة مدحه بها فقال له ياعم: لا يفضض الله فـاك[6] وأنشدته أخت[7] النضر بن الحارث

= ذكر عن أبي القطان أنه أسلم ثم أتى النبي ﷺ فقال له أحل لي الربا، فقال أتحب أن يؤتى إليك مثل ذلك، قال: لا، فارض لأخيك ما ترضى لنفسك، قال فادع الله أن يذهب عني، الإصابة في تمييز الصحابة ١٦٥/٤ ـ خزانة الأدب ٤٧٣/٣.

(١) أسرة، خطوط الوجه، لسان العرب ٣٥٩/٤.

(٢) حلية الأولياء ٤٦/٣. ديوان الهذليين ص ١٤ القسم الثاني.

(٣) في الأصل نايب.

(٤) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمى، شهد مع النبي ﷺ الفتح وحنين حدث عن النبي ﷺ وروى عنه كنانة وعبد الرحمن بن أنس السلمى وكان من أشجع الناس في شعره، انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٢٧٢/٣.

(٥) هو قيس بن عبدالله بن عدس بن جعده كان يقول الشعر ثم تركه في الجاهلية ثم عاد إليه بعد أن أسلم، وكان معمرا وأنشد النبي ﷺ عددا من أبياته مات باصبهان، وكان عمره ١٢٠ سنة، انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٥٤٠/٣.

(٦) الحديث عن خزيم بن أوس وقد أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة، بـاب انشاد العباس في مدح النبي ﷺ بحضرته ٣٢٧/٣.

(٧) إسمها قتيلة بنت الحارث. البداية والنهاية ٣٣٦/٣.

قصيدة ترثى بها أخاها فرق لها وقال: لو سمعتها قبل ذلك لم أقتله[1].

وأنشده العلاء بن الحضرمي[2] أبياتاً فقال النبي ﷺ: «إن من الشعر حكمة»[3] وقال لكعب بن مالك: ، ما نسى ربك بيت شعر قلته. قال: وما هو يا رسول الله قال: أنشده يا أبا بكر[4] فأنشده:

زعمت سخينة[5] أن ستغلب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب[6]

ومر بجوار من الأنصار وهن يضربن بالدف ويقلن:

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمدا من جار

فقالَ اللهم بارك فيهن[7] ولما قدم من تبوك خرج الولائد[8] والصبيان يتلقونه[9] وجعلوا ينشدون

---

(١) أنظر الخبر في البداية والنهاية ٣/٣٣٦-٣٣٧.

(٢) هو العلاء بن الحضرمي وكان اسمه عبدالله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف الحضرمي إستعمله النبي ﷺ على البحرين وأقره أبو بكر ثم عمر روى عن النبي ﷺ وروى عنه السائب بن يزيد وأبو هريرة وغيرهما مات سنة ١٤هـ وقيل ٢١هـ انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٤٩٧.

(٣) سبق تخريجه. ص ٢٦٢.

(٤) في الأصل يابا بكر.

(٥) سخينة لقب لقريش لأنها كانت تعاب بأكل السخينة، لسان العرب ١٣/٢٠٦.

(٦) في الأصل للمغلاب لسان العرب ١٣/٣٠٦.

(٧) الحديث عن أنس بن مالك وقد أخرجه ابن ماجه، كتاب النكاح باب الغناء والدف، قال البوصيري: في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات وأبو نعيم في الحلية ٣/١٢٠.

(٨) الولائد جمع وليدة وهي الأمة والصبية بنية الولادة، لسان العرب ٣ / ١٤٧٠.

(٩) في الأصل يتلقينه.

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
(٧٤ب) وجب الشكر علينا ما دعا لله داع(١)

وأنشده ﷺ أنس بن زنيم الدئلي(٢)، يوم فتح مكة قصيدة يمدحه به، فعفا عنه بعد أن أهدر دمه يقول فيها:ـ

تعلم رسول الله أنك مدركى وأن وعيدا منك كالأخذ باليد(٣)

وأنشده فروة بن نوفل بن عمرو(٤) لما قدم عليه:

بان الشباب فلم أحفل به بدلاً وأقبل الشيب(٥) والاسلام اقبالا
فالحمد لله إذا لم يأتني أجلى حتى تسربلت للاسلام سربالا

وتمثل الصديق رضى الله عنه بالشعر، وتمثلت به الصديقة ابنته، وعمر بن الخطاب، وعثمان وعلى وبلال، وأبو الدرداء وعمرو ابن العاص.

وقيل لأبي الدرداء مالك لا تشعر فإنه ليس رجل له بيت في الأنصار إلا وقد قال شعرا، قال: وأنا قلت ثم أنشد:

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء، الحديث عن عائشة وقد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة معضلاً، انظر إحياء علوم الدين ٢٧٧/٣، ودلائل النبوة ٢٣٣/٣.
(٢) (٣) أنس بن زنيم بن عمرو الدئلي، أسلم يوم الفتح، وأتى النبي ﷺ يعتذر إليه عن هجائه فيه وأنشده أبياتاً مدحه فيها، الإصابة في تمييز الصحابة ٦٨/١، ٦٩.
(٤) فروة بن نوفل الأشجعي، مختلف في صحبته والصواب، أن الصحبة لأبيه، روى عن النبي ﷺ مرسلا، وجبلة بن حارثة وعائشة، وروى عنه هلال بن يساف، ونصر بن عاصم، قتل في خلافة معاوية، تهذيب التهذيب ٢٦٦/٨، تقريب التهذيب ١٠٩/٣.
(٥) في الأصل شيب، منكر والصواب التعريف.

يـريـد المـرء أن يـعـطى مـنـاه ويـأبى الله إلا مـا أرادا
يـقـول المـرء فـائـدتي ومـالي وتقوى[1] الله أفضل ما استفادا[2]

وقال أبو هريرة: لما وفدت على النبي ﷺ، قلت في الطريق:

يـا ليلة مـن طـولهـا وعنـائـهـا على أنها من دارة الكفـر نجت[3]

وكانت إمرأة سوداء من الصحابة[4]، وكانت مقيمة في المسجد كلما تحدثت قالت:

ويوم الوشـاح[5] من تعاجيب ربنـا ألا إنـه من بلدة الكفـر نجـاني[6]

ولما نعى لمعاوية عبدالله بن عامر[7]، والوليد بن عقبة[8] أنشد:

(١) في الأصل تقوا،

(٢) حلية الأولياء ١/٢٢٥.

(٣) البداية والنهاية ٨/١١٢.

(٤) كانت أمة لحى من العرب فأعتقوها فكانت معهم وكان لها خباء في المسجد وكانت تأتى لعائشة تحدثها ـ حلية الأولياء ٣/٧٠.

(٥) الوشاح، حلى النساء كرسان من اللؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، انظر لسان العرب ٣/٦٣٢.

(٦) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية ٥/٥٢.

(٧) هو عبدالله بن عامر بن كريز، ولد بعد الهجرة بأربع سنين ولاه عثمان البصرة وكان رجلاً سخيا شجاعاً وصولاً ولما حدثت فتنة عثمان انتقل إلى الشام وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة. مات قبل معاوية بسنة، طبقات ابن سعد ٥ / ٤٤ .

(٨) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط روى عن النبي ﷺ وعن عثمان وغيرهما وروى عنه حارثة بن مضرب والشعبي وغيرهما، ولاه عثمان الكوفة ثم عزلة ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة وأقام بالرقة إلى أن مات في خلافة معاوية، انظر الإصابة ٣/٦٣٨.

إذا سار من خلف امرىء وأمامه وأفرد من جيرانه فهو سائر (٧٥أ)

وأنشد خبيب عند موته تلك الأبيات المعروفة التي يقول فيها:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وان يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع[١]

وأنشد أبو بكر عند قدومه المدينة:

كل أمرىء مصبح في رحله والموت أدنى من شراك[٢] نعله[٣]

وأنشد بلال كذلك وهو محموم[٤]:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر[٥] وجليل[٦]
وهل أردن يوماً مياه مجنة[٧] وهل تبدون لي شامة وطفيل[٨]

وكان الصحابة يتناشدون الأشعار بين يدي رسول ﷺ وهو يبتسم[٩] وأنشد حسان في مسجد رسول الله ﷺ فمر به عمر بن

(١) صحيح البخاري مناقب الانصاب باب حدثني عبدالله بن محمد الجعفي حدثنا أبو أحمد الزبيري ١٠١/٥.
(٢) الشراك، سير النعل، لسان العرب ٤٥١/١.
(٣) (٤) الحديث عن عائشة وقد أخرجه البخاري، مناقب الأنصار ـ باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ٨٣/٥.
(٥) إذخر، حشيش طيب الريح أطول من الثيل ينبت على نبته الكولان ـ لسان العرب ٣٠٣/٤.
(٦) الجليل هو الثمام، وهو نبت معروف بالبادية لسان العرب ١٢١/١١، ٧٩/١٢.
(٧) المجنة موضع على أميال من مكة لسان العرب ١٠٠/١٣.
(٨) شامة وطفيل، قيل جبلان بنواحي مكة ـ وقيل عينان، لسان العربي ٤٠٤/١١.
(٩) الحديث عن جابر بن سمرة وقد أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في انشاد الشعر ١٤٠/٥، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

الخطاب فجعل يلحظه[1] فقال لقد أنشدت فيه وفيه من هو خير منك، يريد رسول الله ﷺ فسكت عمر [2] وهذا باب أوسع من أن نستقصيه.

وقد كان الصحابة يرتجزون في الحرب وكان يحدى بين يدي النبي ﷺ بالشعر في الحل والحرم، وكانوا ينشدون الشعر وهم محرمون، وقد أخبر الله سبحانه أن من الشعراء من يؤمن بالله ويعمل صالحاً ويذكر الله كثيراً، وهؤلاء ثنية الله من الشعراء، فلم يذم هؤلاء بل مدحهم على انتصارهم من بعدما ظلموا ولهذا قال النبي ﷺ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه[3] خير له من أن يمتلىء شعراً[4] فذم الجوف الممتلىء بالشعر الذي اشتغل به صاحبه عما فيه سعادته من العلم والإيمان والقرآن وذكر الله كثيراً.

فإن الجوف (٧٥ب) إذا امتلأ بذلك لم يمتلأ من الشعر، ولهذا قال الشافعي رحمه الله الشعر كلام فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيحه[5] وقال في التغبير: إنه من إحداث الزنادقة يصدون به الناس

(١) في الأصل يلخصه.

(٢) الحديث عن أبي هريرة وقد أخرجه، مسلم كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل حسان بن ثابت ٤/١٩٣٢.

(٣) يريه من الورى، داء يدخل الجوف، النهاية لإبن الأثير ٤/١٧٨.

(٤) الحديث عن أبي هريرة وقد أخرجه البخاري كتاب الأدب ـ باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله ٨/٤٥: ـ ومسلم كتاب الشعر ٤/١٧٦٩.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٣/٦٠، وروى مرفوعاً عن عائشة قالت سئل رسول الله ﷺ عن الشعر فقال هو كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح، رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقة دحيم وضعفه ابن معين وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح. وعن =

عن القرآن[1] فبين رحمه الله أن إباحة أحدهما لا يستلزم إباحة الآخر.

فصـــل

إذا عرف هذا فقولك أيها السماعي، إذا جاز سماع الشعر بغير الألحان جاز سماعه بالألحان الطيبة، إذ لا يتغير الحكم بسماعه بالألحان، فحجة فاسدة جداً من وجوه: وهي... لأن[2] تكون حجة عليك أقرب من كونها حجة لك، فإن نفس سماع الألحان مجردا عن كلام يحتاج إلى إثبات إباحة منفردا، وهل هذا المورد الذي ينازعك فيه صاحب القرآن، ومن المعلوم أن أكثر المسلمين على خلاف قولك فيه، كما تقدم حكايته عن الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم.

الوجه الثاني: أنه لو كان كل واحد من الشعر والتلحين مباحاً بمفرده لم يلزم من ذلك إباحتها عند اجتماعهما، فإن التركيب له خاصة، يتغير الحكم بها، وهذه الحجة بمنزلة حجة من قال إن خبر الواحد إذا لم يفد العلم عند انفراده لم يفده مع انضمامه إلى غيره وهي نظير ما يحكى عن اياس بن معاوية[3] أن رجلاً قال له ما تقول في

= عبدالله بن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام رواه الطبراني في المعجم الأوسط وقال لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد وإسناده حسن أنظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٢٢/٨ .

(١) سبقت الإشارة إلى مصدره ص ١١٩ .

(٢) لم ينص في الأصل على ذكر الوجه وهذا هو الوجه الأول.

(٣) هو اياس بن معاوية بن قرة المزنى مشهور بالذكاء، روى عن أنس وسعيد بن المسيب وغيرهما وعنه أيوب وحميد الطويل وغيرهما ثقة، توفي سنة ١٢٢هـ، تهذيب التهذيب ٣٩٠/١، وتقريب التهذيب ٨٧/١.

الماء؟ قال: حلال، قال فالتمر قال: حلال، قال: فالنبيد ماء وتمر فكيف تحرمه فقال له[1]: اياس أرأيت لو ضربتك بكف من تراب أكنت أقتلك؟ قال: لا، قال فإن ضربتك بكف من تبن أكنت أقتلك قال: لا، قال فإن ضربتك بماء أكنت أقتلك؟ قال: لا، قال فإن أخذت الماء والتبن والتراب فجعلته طيناً وتركته حتى يجف وضربتك به أكنت أقتلك؟ قال: نعم (٧٦أ) قال: كذلك النبيذ[2] ومعنى كلامه أن المؤثر هو القوة الحاصلة بالتركيب، وكذلك[3] المفسد للعقل هو القوة المسكرة الحاصلة بالتركيب وكذلك ما نحن فيه الذي يسكر النفوس ويلهيها ويصدها عن ذكر الله وعن الصلاة، قوة تحصل بالتركيب والهيئة الاجتماعية، وليست الأصوات المجتمعة في استفزازها للنفوس بمنزلة صوت واحد، وكذلك ليس الصوت الملحن الذي يوقع به الغناء على توقيع معين وضرب معين لا سيما مع مساعدة آلات اللهو له بمنزلة انشاد الشعر إذا تجرد عن ذلك وهل تروج مثل هذه الشبهة إلا على ضعيف العلم والمعرفة ناقص الحظ منها جداً؟.

الوجه الثالث: أن النبي ﷺ ندب إلى تحسين الصوت بالقرآن وتزيينه به، واستمعه هو وأصحابه فقال: «(زينوا القرآن بأصواتكم)»[4] وقال: (ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت

---

(١) في الأصل فقاله.

(٢) نحوه في تهذيب ابن عساكر ١٧٩/٣.

(٣) في الأصل ولذلك.

(٤) ذكر البخاري الحديث ترجمة لباب من كتاب التوحيد، فقال باب قول النبي ﷺ، الماهر بالقرآن مع الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم ١٩٣/٩. أما الحديث فقد رواه البراء بن عازب وقد أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص ٣٣ وأبو داود كتاب الصلاة باب استحباب الترتيل في القراءة ٧٤/٣ والنسائي كتاب الافتتاح، باب

يتغنى(١) بالقرآن)(٢) وقال لأبي موسى: («لقد مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك)، . . .

فقال: «لو علمت أنك تسمع لحبرته(٣) لك تحبيراً(٤)» وقال: «(لله(٥) أشد اذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب

= تزيين القرآن بالصوت ٣/١٧٩. وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب في حسن الصوت بالقرآن، ١/٤٢٦ والدارمي ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب التغنى بالقرآن ٣/٣٤٠ وأحمد في مسنده ٤/٢٨٥، والحديث صحيح، انظر، صحيح الجامع الصغير ١/٦٦٩.

(١) التغنى تحسين القراءة وترقيقها النهاية لإبن الأثير ٣/٣٩١.

(٢) الحديث عن أبي هريرة وقد أخرجه البخاري ـ كتاب التوحيد باب قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم ٩/١٩٣ ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ١/٥٤٥.

(٣) التحبير تحسين الصوت وتحزينه يقال حبرت الشيء تحبيراً إذا أحسنته النهاية ١/٣٢٧.

(٤) ورد الحديث عن أبي موسى الأشعري ونصه قال، قال رسول الله ﷺ لأبي موسى، لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود، وقد أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن ـ باب حسن الصوت بالقراءة ٦/٢٤١. بلفظ، يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود ومسلم كتاب صلاة المسافر وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ١/٥٤٦. أما الزيادة التي فيها كلام أبي موسى فقد قال ابن الأثير في جامع الأصول ٩/٨٠ قال الحميدي زاد البرقاني «قلت والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيراً «قال وحكى أن مسلما أخرجه ولم أجد هذه الزيادة عندنا من كتاب مسلم هذه الزيادة ذكرها الهيثمى في مجمع الزوائد ونسبها لأبي يعلى عن أبي موسى أن النبي ﷺ هو وعائشة مرا بأبى موسى وهو يقرأ في بيته فقاما يستمعان لقراءته ثم إنهما مضيا فلما أصبح لقى أبا موسى رسول الله ﷺ فقال يا أبا موسى مررت بك البارحة ومعى عائشة وأنت تقرأ في بيتك فقمنا واستمعنا فقال له أبو موسى أما أني يا رسول الله لو علمت لحبرته لك تحبيراً «قال الهيثمى وفيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف ٧/١٧١ مجمع الزوائد.

(٣) في الأصل الله.

القينة إلى قينته[1])» ومع هذا فلا يسوغ أن يقرأ القرآن بألحان الغناء، وتقرن به من الألحان وآلات[2] اللهو ما يقرن بالغناء، حتى ولا عند من يقول بإباحة ذلك في الشعر، بل المسلمون مجمعون على تحريمه وطرد دليلك جواز ذلك بل هو بعينه يقتضيه.

فإن قلت: إذا جاز سماع الأشعار بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان هذا ظاهر من الأمر هذا نص دليلك (٧٦ب) فهل يمكنك طرده؟ وتقول إذا جاز سماع القرآن بغير الألحان الطيبة جاز سماعه بها لا يتغير الحكم فإن قلت ذلك خالفت إجماع الأمة وبطلت «حجتك»[3] وإن قلت لا يلزم من جواز استماعه بدون الألحان الطيبة، جواز اقترانه واستماعه بها، أبطلت دليلك فقد تبين بطلانه على التقديرين.

فصل

وأما المقدمة الثانية وهي قولك: أن ما أوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات وتذكر ما أعد الله لعباده المتقين من الدرجات، ويحمله على التحرز من الزلات، ويؤدي إلى قلبه من صفاء الواردات، فهو مستحب في الدين ومختار في الشرع،

---

(١) الحديث عن فضالة بن عبيد وقد أخرجه ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب في حسن الصوت بالقرآن ٤٢٥/١. وأحمد في المسند ١٩/٦ والحديث ضعيف أنظر ضعيف الجامع الصغير ٣/٣.

(٢) في الأصل ولات.

(٣) في الأصل غير موجودة والسياق يقتضيها.

فنقول في تحقيق هذه المقدمة: أن الله سبحانه يحب الرغبة فيما أمر به والحذر مما نهى عنه ويحب أهل الايمان بوعده ووعيده، ويحب القائمين بمحابه من خشيته ورجائه[1] والإنابة إليه والتوكل عليه وسائر ما يحبه ويرضاه من عبده، ظاهراً وباطناً. ويحب السماع الذي يحصل محبوبه، فإن الوسائل إلى المحبوب محبوبه، والوسائل إلى المسخوط مسخوطه.

فهذه المقدمة التي ذكرتها أيها السماعاتي مبناها على أصلين:
أحدهما: معرفة ما يحبه الله سبحانه.
والثاني: أن سماع الغناء يحصل محبوب الله خالصاً أو راجحاً فإنه إذا حصلا حصل محبوبه ومكروهه والمكروه أغلب كان مذموما، وإن كان محلا لمحبوب ما، وإن تكافأ المحبوب والمكروه فيه لم يكن محبوبا ولا مكروها.

فأما الأصل الأول: وهو معرفة ما يحبه الله ويرضاه ويمدح فاعله ويثني عليه فهو المحك والفرقان، وإليه التحاكم في هذه المسألة وغيرها، وهو الفرق بين من اتخذ الهه هواه وبين من عبد الله (٧٧أ) بما يحبه ويرضاه، فإن رضيت بالتحاكم إلى هذا[2] الأصل، ولم تجد في نفسك حرجاً مما تحكم به وتسلم له تسليماً، حصل الوفاق وزال الخلاف والشقاق،

وهذا الأصل له ميزان يوزن به، ومحك يحك عليه، وكثير من الناس بل أكثرهم غلط فيه فظن في كثير مما يحبه هو وطائفته وشيخه

---

(١) في الأصل وارجايه.

(٢) في الأصل هذه.

ومن يحسن ظنه به أو ما يجده موافقاً لذوقه ووجده وحاله أنه مما يحبه الله ورسوله، ويقرب إلى الله وتنال به كرامته في الدنيا ويوم لقائه.

ولا اله إلا الله كم زلت في هذا الموضع أقدام، وضلت فيه أفهام ونسب إلى محبة الرب تعالى أسخط شيء إليه وأكرهه عنده، ولزم من ذلك أن نسب إلى كراهته أحب شيء إليه وأرضى[1] له، ولا سبيل إلى معرفة ما يحبه ويرضاه إلا بوزنه بميزان الوحي، ونقده على محك الأمر وعرضه على حاكم الشرع وتلقيه من مشكاة النبوة.

ثم اعتباره بدار الضرب[2] فإن كان نقش سكته، «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد»[3] فهو المحبوب المرضى لله الذي يقبله من عبده ويكرمه عليه وإن كان عليه ضرب السكك المحدثة الصادرة على الأراء والأفكار والرسوم والأوضاع فهو المزيف المردود فإذا وقع التحاكم إلى هذا الأصل تقرب كل واحد من المتنازعين من صاحبه، والا رفيقك قيسي وأنت يماني[4].

فصل

وأما الأصل الثاني: وهو أن سماع الغناء الذي فيه النزاع يحصل محبوب الرب تعالى ومراضيه، فالشأن كل الشأن في ذلك، فههنا

---

(١) في الاصل وارضا.

(٢) دار الضرب أي الطبع لسان العرب ١/٥٤٣.

(٣) سبق تخريجه ١٠٣ .

(٤) هذا عجز بيت للمتنبي وصدره كأن رقاب الناس قالت لسيفه، انظر شرح ديوان المتنبي ٤/٤٧٤.

اقتطع الشيطان من اقتطع واستزل من استزل (٧٧ب) واستخف من استخف ﴿ يُثَبِّتُ[١] ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[٢] فيجب أن[٣] يعرف أن المرجع في القرب والطاعات والديانات بينما يحبه الله ويرضاه وبينما يسخطه ويكرهه، إلى الله ورسوله لا إلى رأى ولا قياس ولا ذوق ولا وجد ولا استحسان ولا تقليد ولا منام ولا كشف، ولا حدثني قلبي عن ربي، ولا خوطبت وقيل لي، ولا رأيت فلانا يفعل وهو ممن اعتقد فيه الخير أو كان فلان يفعل وهو ممن يحسن به الظن ونحو ذلك، فليس لأحد أن يبتدع دينا لم يأذن به الله، ويقول هذا يحبه الله لأنه يوصل إلى محبوب الله، بل هذه الطريق بدل دين الله وشرائعه وابتدع الشرك وكل ما لم ينزل به سلطانا، وكل ما في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة ومشايخ الطريق من الحض على اتباع ما أنزل الينا من ربنا ونهى عن غيره، فهو لأجل هذا قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٤]، وهو الخالص لله الموافق لأمره كما قاله الفضيل بن عياض[٥] وغيره[٦].

---

(١) في الأصل ويثبت.

(٢) سورة ابراهيم آية ٢٧.

(٣) هذا مبدأ الوجه الأول من الوجهين اللذين نص على ثنيهما ابن القيم في قوله فيما يأتى الوجه الثاني أن قولهم أن هذا السماع إلى آخره، انظر ما يوضح ذلك في الاستقامة لابن تيمية ١/٢٤٨.

(٤) سورة الملك آية ٢.

(٥) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التيمى الزاهد المشهور أصله من خرسان وسكن مكة ثقة ـ عابد ـ إمام ـ مات ١٨٧هـ، تقريب التهذيب ٢/٨١١٣

(٦) انظر حلية الأولياء ص ٨/٩٥.

والأعمال أربعة: فواحد منها مقبول وثلاثة أرباعها مردودة، فالمقبول ما وافق الأمر وأريد به وجه الله ولا يقبل الله عملاً سواه، والمردود أن لا يكون خالصاً لله ولا موافقاً لأمره، أو ينتفي عنه أحدهما فالمقبول ما وجد فيه الأمران، والمردود ما انتفى عنه الأمران أو أحدهما، ولهذا اشتدت وصاة الشيوخ المستقيمين بهذا الأصل وأخبروا أن من عدل عنه فهو مطرود وعن طريق قصده مصدود.

فقال ابن أبي الحوراي[1]: «من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله[2]» وقال سهل بن عبدالله (٧٨أ) التستري[3]: «كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء فهو عيش النفس وكل فعل يفعله بالاقتداء فهو عذاب على النفس[4]»، وقال أبو حفص النيسابوري[5]: «من لم يزن أفعاله وأقواله كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال[6]»، وقال الجنيد بن محمد[7]: «الطرق كلها

(١) في الأصل بن الجوزى والصواب ما أثبته كما في الرسالة القشيرية ص ١٧، وهو أحمد بن عبدالله بن ميمون بن أبي الحواري صحب أبا سليمان الداراني وغيره، تقريب التهذيب ١/١٤.

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٧.

(٣) هو أبو محمد سهل بن عبدالله التستري صحب محمد بن سوار وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج، عامة كلامه في تصفية الأعمال من المعائب وأسند الحديث واسند عنه توفى سنة ٢٨٣هـ شذرات الذهب ١٨٢/٣.

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٥.

(٥) هو عمر بن مسلم النيسابوري شيخ خراسان صحب عبيدالله الأباوردي تخرج على يديه عدد كثير منهم أبو عثمان النيسابوري وشاه الكرماني وكان من رفقاء أحمد بن خضروية المروزي توفي سنة ٢٦٥هـ حلية الأولياء ٢٢٩/١٠.

(٦) حلية الأولياء ١٠ / ٢٣٠.

(٧) سبق ترجمته ١٣٠.

مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول[١]»، وقال أيضاً: «من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة[٢]».

وقال أبو عثمان النيسابوري:[٣] من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة[٤]، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾[٥] وقال أبو حمزة البغدادي[٦]: «من علم الطريق إلى الله سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله إلاّ متابعة الرسول في أحواله وأقواله وأفعاله[٧]»، وقال أبو عمر بن نجيد[٨]: «كل حال لا يكون عن نتيجة علم فإنّ ضرره أكثر على صاحبه من نفعه[٩] وقال التصوف: الصبر تحت الأمر

(١) الرسالة القشيرية ص ١٩.

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٩.

(٣) هو أحمد بن محمد بن نعيم أبو عثمان النيسابوري روى صحيح البخاري عن محمد بن عمر بن شبه وروى عن أبي طاهر بن خزيمة والمخلدي رحل بنفسه في الحديث سنة ٣٧٨، توفي بغزنة سنة ٤٥٧، شذرات الذهب ٣/٣٠٤.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٢٠.

(٥) سورة النور آية ٥٤.

(٦) هو أبو حمزة البغدادي البزاز، صحب السري والحسن المسوحي عالماً بالقراءات فقيهاً وكان من أقران الجنيد مات سنة ٢٨٩. الرسالة القشيرية ص ٢٤.

(٧) الرسالة القشيرية ص ٢٨.

(٨) هو إسماعيل بن نجيد صحب أبا عثمان الحيري ولقي الجنيد سمع محمد بن إسماعيل البوشنجي وأبا مسلم الكجي وطبقتها مات بمكة سنة ٣٦٦هـ، شذرات الذهب، ٣/٥٠.

(٩) الرسالة القشيرية ص ٢٨.

والنهي[1] وقال أبو يعقـوب النهرجـوري[2]: «أفضل الأحوال ما قارن العلم [3]».

وهذا كثير في كلام المشايخ، وإنما وصوا بذلك لما يعلمونه من حال كثير من السالكين أنه يجري مع ذوقه ووجده وما يراه ويهواه، غير متبع لسبيل اللّه التي بعث بها رسوله وهذا هو اتباع الهوى [4] بغير هدى من اللّه.

ولا ريب أنَّ السماع المحدث من أعظم[5] المحركات للهوى، ولهذا سمي بعض الأئمة المصنفين كتابه في إبطاله وذمه بالدليـل[6] الواضح في النهي عن ارتكاب الهوى الفاضح[7].

ولهذا يأمـر المشايـخ المستقيمون (٧٨ ب) منهم بـاتباع العلم ويعنون به الشريعة كقول أبي يزيد البسطامي[8]: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد علي من العلم ومتابعته[9]، وقال أبو

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٢٨.

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجـوري صحـب الجنيد وعمر المكي وأبا يعقوب السوسي وغيرهم أقام بالحرم سنين مات بمكة سنة ٣٣٠، شذرات الذهب ٣٢٥/٣.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٧.

(٤) في الأصل الهوا.

(٥) في الأصل أعلم.

(٦) في الأصل بالديل.

(٧) لم أقف على معرفة المؤلف.

(٨) هو طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد كان جده مجوسياً فاسلم. قيل لم يخرج من الدنيا حتى استظهر القرآن كله، مات سنة ٢٦١، شذرات الذهب ١٤٣/٣ والرسالة القشيرية ١٣.

(٩) الرسالة القشيرية ص ٢٠.

الحسين النوري[1]: من رأيته يدعي مع اللّه حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه[2] وقال أبو عثمان النيسابوري[3]: الصحبة مع اللّه بحسن الأدب، ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول ﷺ باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم، والصحبة مع أولياء اللّه بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الأهل بحسن الخلق، والصحبة مع الإخوان بدوام بشر، ما لم يكن إثماً، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة والشفقة عليهم. وذلك لأنه لما كان أصل الطريق هو الإرادة والقصد والعمل وذلك يتضمن الحب فكثيراً ما يعمل السالك بمقتضي ما يجده في قلبه من المحبة وما يدركه بذوقه من طعم العبادة وهذا إذا لم يكن موافقاً لأمر اللّه ورسوله، فصاحبه في ضلال وهو ممن اتبع هواه قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ[4] مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا[5]﴾ وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى[6] ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ[7]﴾.

فجعل كلما خالف الأمر فصاحبه متبع هواه، فما ثمّ واسطة، بل إما الأمر وإما الهوى وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم[8] بَعْدَ

(١) سبقت ترجمته ص ١٤٠.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٢٠.

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٧٨.

(٤) في الأصل أفرايت.

(٥) سورة الفرقان آية ٤٣.

(٦) في الأصل يهد.

(٧) سورة القصص آية ٥٠.

(٨) في الأصل أهم.

﴿... ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾[1] وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾[2].

وأعلم أنَّ بدعة السماع تتضمن[3] الغلو في الدين واتباع الهوى (٧٩ أ) والعشو عن ذكر اللّه، فإنَّهم حسبوا أنَّ هذه البدعة دين وقربة تقربهم إلى اللّه، وهذا من أقبح الغلو، وهو يوجب الانحراف عن الصراط المستقيم، واتباع الهوى يوجب الضلال عن سبيل اللّه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ[4] فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾[5].

والعشو عن ذكر اللّه يوجب مقارنة الشيطان له. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ[6] عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾[7]، وذكر اللّه هنا هو كتابه ومن العشو عنه التعوض عنه بسماع الشيطان المحدث. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾[8].

فالشريعة التي جعله ربه عليها تتضمن ما أمره به ورضيه له،

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٠.

(٢) سورة البقرة آية ١٤٥.

(٣) في الأصل يتضمن.

(٤) في الأصل الهوا.

(٥) سورة ص آية ٢٦.

(٦) العشو: الإعراض، انظر تفسير ابن جرير ٢٥/٤٣.

(٧) سورة الزخرف آية ٣٦.

(٨) سورة الجاثية آية ١٨ ـ ١٩.

وكل عمل وحب وذوق ووجد وحال لا تشهد له هذه الشريعة التي جعله عليها فباطل وضلال، وهو من أهواء الذين لا يعلمون، فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به ويتخذه ديناً، وينهي عما يبغضه ويذمه إلاَّبهدى[1] من اللّه وهو شريعته التي جعل عليها رسوله وأمره والمؤمنين باتباعها، ولهذا كان السلف يسمون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء، فيذمونهم بذلك ويحذرون عنهم ولو ظهر عنهم ما ظهر من العلم والعبادة والزهد والفقر والأحوال والخوارق. قال يونس بن عبد الأعلى[2]: قلت للشافعي: تدري ما قال صاحبنا؟ يريد الليث ابن سعد[3] كان يقول (٧٩ ب) لو رأيته «يريد صاحب البدعة»، يمشي على الماء، لا تثق به ولا تعبأ به، ولا تكلمه، قال[4]: قصر واللّه، يريد أنَّ حاله أقبح من ذلك.

وقال أبو العالية[5]: «تعلموا الإسلام والسنة فإذا تعلمتموه فلا

---

(١) في الأصل بهدا.

(٢) هو يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري روى عن ابن عيينة وابن وهب وتفقه على الشافعي وقرأ القرآن على ورش وانتهت إليه مشيخة بلده وكان ورعاً صالحاً عابداً ثقة مات سنة ٢٦٤هـ، شذرات الذهب ٣/ ١٤٩ ـ تقريب التهذيب ٣/ ٢٨٥ .

(٣) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي روى عن نافع وابن أبي مليكه والزهري وغيرهم، روى عنه شعيب ومحمد بن عجلان وغيرهما، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور مات سنة ١٧٥هـ، تقريب التهذيب ٣/ ١٣٨، تهذيب التهذيب ٨/ ٤٥٩ .

(٤) أي الشافعي انظر تلبيس إبليس ص ٢٣ .

(٥) هو رفيع بن مهران الرياحي المقرئ المفسر أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، روى عن علي وابن مسعود وغيرهما.
وروى عنه خالد الحذاء وابن سيرين وغيرهما ثقة كثير الإرسال مات سنة ٩٣ وقيل ٩٠، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٨٤، تقريب التهذيب ١/ ٢٥٢ .

ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فلا ترغبوا عنه يميناً وشمالاً، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء» قال عاصم(١): فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح، قال: فحدثت به حفصة بنت سيرين(٢) فقالت: يا أبا علي(٣) أنت حدثت محمداً بهذا؟ قلت: لا، قالت: فحدثه إذاً(٤).

وقال أبي بن كعب رضي اللّه عنه: عليكم بالسبيل والسنة، فإنَّه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر اللّه ففاضت عيناه من خشية اللّه، فيعذبه، وما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر اللّه في نفسه فاقشعر جلده من خشية اللّه إلاَّ كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلاّ حط عنه خطاياه، كما تحات عن تلك الشجرة ورقها، وإنَّ اقتصاداً في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً أو اقتصاداً، أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم(٥).

---

(١) هو عاصم بن سليمان الأحول روى عن أنس وعبداللّه بن سرجس وبكر بن عبداللّه المزني وغيرهم وروى عنه قتادة وسليمان التيمي وغيرهما ثقة لم يتكلم فيه إلاَّ القطان وكأنه بسبب دخوله في الولاية مات بعد سنة ١٤٠هـ، تقريب التهذيب ١/٣٨٤ تهذيب التهذيب ٥/٤٢.

(٢) حفصة بنت سيرين أم الهذيل الأنصارية البصرية روت عن أخيها يحيى وأنس بن مالك وأبي العالية وغيرهم وروى عنها قتادة وعاصم الأحول وغيرهما، ثقة من الثالثة ماتت بعد المائة تقريب التهذيب ٢/٥٩٤ ـ تهذيب التهذيب ١٢/٤٠٩.

(٣) في الأصل يا با علي.

(٤) حلية الأولياء ٣/٢١٨.

(٥) أورد ابن الجوزي هذا الخبر، مختصراً في تلبيس إبليس ص ١٥.

وقال عبدالله بن مسعود: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة[1] وقيل لأبي بكر بن عياش[2]: يا أبا بكر[3] من السني؟ قال: الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها[4] وهذا أصل عظيم من أصول سبيل الله والطريق الموصل إليه (٨٠ أ) يجب الاعتناء به فإنَّ كثيراً من الأفعال قد يكون مباحاً أو مكروهاً أو محرماً إما بالاتفاق أو فيه نزاع بين العلماء فيستحسنه طائفة من الناس ويفعلونه على أنَّه قربة وطاعة ودين يتقربون به إلى الله، حتى يعدوا[5]من يفعل ذلك أفضل ممن لايفعله، وربما جعلوا ذلك من لوازم طريقهم إلى الله، أو جعلوه[6] شعار الصالحين وأولياء الله، ويكون ذلك خطأ وضلالاً وديناً مبتدعاً لم يأذن به الله، مثال ذلك، حلق الرأس في غير الحج والعمرة من غير عذر واختلف الناس في إباحته وكراهته على قولين وهما روايتان عن أحمد ولا خلاف بينهم أنَّه لا يشرع ولا يستحب، ولا هو قربة إلى الله، ومع هذا فقد اتخذه طوائف من النساك والفقراء ديناً حتى جعلوه شعاراً وعلامة على الدين والنسك والخير، وجعلوه من تمام التوبة، حتى إنَّ من لم يفعل ذلك يكون منقوصاً خارجاً عن الطريق المفضلة المحمودة عندهم ومن فعل

---

(١) الخبر بسنده في تلبيس إبليس ص ١٥.

(٢) هو أبو بكر بن عياش السلمي روى عن خضر بن برقان وروى عنه علي بن حميد فاضل له مصنف في غريب الحديث مقبولة من السابعة تقريب التهذيب ٣٩٩/٣ تهذيب التهذيب ٣٧/١٢.

(٣) في الأصل يا با بكر.

(٤) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الاستقامة ٢٥٥/١ والمراد إذا ذكرت بذم.

(٥) في الأصل يعدون .

(٦) في الأصل جعلوا .

ذلك دخل في هديهم وطريقهم، وهذا خروج عن طريق اللّه وسبيله باتفاق المسلمين، واتخاذ ذلك ديناً وشعاراً لأهل الدين من أسباب تبديل الدين، فكما أنَّه لا حرام إلاَّ ما حرمه اللّه ولا واجب إلاَّ ما أوجبه فلا دين (إلاَّ)[1] ما شرعه ولا مستحب إلاَّ ما أحبه.

فصل

الوجه الثاني: أنَّ قولهم إنَّ هذا السماع يحصل محبوب اللّه، وما حصل محبوب اللّه فهو محبوب له قول باطل، وهو منشأ الضلال في هذه المسألة وأكثر المنحرفين في هذه المسألة حصل لهم الضلال والغي (٨٠ ب) من هذه الجهة فظنوا أنَّ السماع يثير محبة اللّه ومحبة اللّه هي أصل الإيمان الذي هو عمل القلب، وبكمالها يكون كمال الإيمان.

وأبو طالب المكي[2] جعلها نهاية المقامات[3] وأبو إسماعيل الأنصاري[4] يقول: «هي المقام الذي تلتقي[5] فيه مقدمة العامة وساقة الخاصة[6]. «وهؤلاء جعلوا السماع من توابع المحبة ووسائلها

---

(١) في الأصل ما شرعه والمقام يقتضي إضافة إلاَّ.

(٢) هو أبو طالب محمد بن عطية الحارثي العجمي نشأ بمكة روى عن علي بن أحمد المصيصي وغيره ولقي جماعة من المشايخ في الحديث وعلم الطريق وأخذ عنهم له كتب في التوحيد توفي في بغداد سنة ٣٨٦هـ شذرات الذهب ٣/١٢١.

(٣) قوت القلوب ٣/٧٣.

(٤) هو أبو إسماعيل بن عبدالله بن الهروي شيخ خراسان في زمانه سمع من عبدالجبار الجراحي وأبي منصور محمد بن محمد الأزدي وغيرهما صنف عدة مصنفات توفي سنة ٤٨١، شذرات الذهب ٣/٣٦٥.

(٥) في الأصل يلتقي.

(٦) منازل السائرين ص ٧١.

ومنشأ الغلط أن مايثيره هذا السماع المبتدع ونحوه من الحب وحركة القلب ليس هو الذي يحبه الله ورسوله، بل اشتماله على ما لا يحبه الله، بل على ما يبغضه أكثر[1] من اشتماله على ما يحبه الله، وصده عما يحبه الله ويرضاه أعظم من تحريكه لمحابه ومراضيه ونهيه عما يقرب منه أكثر من أمره به ولا ريب أنَّه يثير حباً وحركة لكن منشأ الغلط ظن أنَّ ذلك مما يحبه الله، وإنما ذلك من إتباع الظن ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾[2].

فصل

ومما يوضح ذلك ويبينه أنَّ الله سبحانه بين في كتابة محبته، وذكر موجباتها وعلاماتها، وهذا السماع يوجد مضاداً لذلك، منافياً له قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[3] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[4]، وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.[5]

فهذه ثلاثة أصول لأهل محبة الله تضمنتها هذه الآيات الثلاث.

---

(١) في الأصل الثر.

(٢) سورة النجم آية ٢٣.

(٣) سورة آل عمران آية ٣١.

(٤) سورة البقرة آية ١٦٥.

(٥) سورة المائدة آية ٥٤.

فالآية الأولى (٨١ أ) تضمنت متابعة الحبيب في أقواله وأفعاله وهديه وسيرته والآية الثانية تضمنت إفراد الرب تعالى بالمحبة واخلاص الدين له، وأنَّ لا يحب معه سواه، وكل محبوب فإنما تسوغ[١] محبته تبعاً لمحبة اللّه، فيحبه للّه وفي اللّه لا مع اللّه فمحبة المشركين مع اللّه، ومحبة المخلصين للّه وفي اللّه.

والآية الثالثة تضمنت الجهاد في سبيل اللّه لأعلاء[٢] كلماته واعزاز دينه، وترك الالتفات إلى اللوام.

فهذه الأصول الثلاثة هي الفرقان بين الناس وبها يوزن أهل الانحراف وأهل الصراط المستقيم، فمَن أحبّ شيئاً غير الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً يحبهم كحب الله، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ [٣] فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ[٤]﴾، فلا ينجي العبد إلاَّ أن يكون الله ورسوله أحب إليه من كل شيء، فطاعة الله ورسوله آثر عنده من كل شيء، والله تعالى لم يرضَ[٥] من عباده أن يكون حبهم له ولرسوله كحب الأهل والمال، بل أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله، أحب إليهم من أهليهم وأموالهم ومساكنهم وتجاراتهم وعشائرهم.

---

(١) في الأصل يسوغ.
(٢) في الأصل لا على.
(٣) في الأصل في سبيل الله
(٤) سورة التوبة آية ٢٤
(٥) في الأصل لم يرضى

والمقصود أن للمحبين ثلاثة أصول بها تتحقق محبتهم: الإخلاص، وإفراد محبوبهم تبارك وتعالى بالمحبة، والثاني الجهاد في سبيله، وهو الذي يصدق إيمانهم ومحبتهم ويكذبها، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ (٨١ ب) ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾(١)﴾.

وبذلك وصف أهل المحبة في قوله: ﴿**يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**﴾ فوصفهم بست صفات:

أحدها: محبتهم له.

والثانية: محبته لهم.

والثالثة: ذلهم ولينهم على أوليائه.

والرابعة: عزهم وشدّتهم على أعدائه.

والخامسة: جهادهم في سبيله.

والسادسة: احتمالهم لوم الخلق لهم على ذلك، وأنهم ليسوا بمنزلة مَن يحتمل الملام والعذل في محبة ما لا يحبه الله، ولا بمنزلة مَن أظهر من مكروهات الرب تبارك وتعالى، ما يلامون عليه، ويسمون بالملاميتيه إظهاراً منهم لما يلامون عليه في الظاهر وهم منطوون في الباطن على الصدق والإخلاص ستراً لحالهم عن الناس، فهم فعلوا ذلك لعدم احتمالهم الملام، والأولون احتملوا الملام في ما لا يحبه الله، وأحباء الله فعلوا ما أحبه الله، ولم تأخذهم فيه لومة لائم فالأقسام ثلاثة:

أحدها: مَن يصده اللوم عن محاب الله.

---

(١) سورة الحجرات آية ١٥

والثاني: مَن[1] لا تأخذه في محبة الله لومة لائم.
والثالث: مَن يظهر ما يلام عليه إخفاء لقيامه بمحاب الله.

فالأول مفرط، والثالث مؤمن ضعيف، والوسط هو الوسط الخيار، وهو المؤمن القوي، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.[2] وأعلى[3] ما يحبه الله[4] ورسوله الجهاد في سبيل الله، واللائمون[5] عليه كثير، إذ أكثر[6] النفوس تكرهه، واللائمون[7] عليه ثلاثة أقسام: منافق، ومخذل مفتر للهمة، ومرجف مضعف للقوة والقدرة.

فصل

وأمّا متابعة الحبيب في أقواله وأفعاله، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[8] قالت[9] (٨٢أ) طائفة من

---

(١) في الأصل ما ومَن هو المناسب كما في الذي قبله والذي بعده.
(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله، وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم، كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٢٠٥٢/٤.
(٣) في الأصل أعلا
(٤) في الأصل ما يحبه بدون لفظ الجلالة وزدته ليستقيم الكلام
(٦) في الأصل إذا أكثر والصواب ما أثبته.
(٥) (٧) في الأصل وللإيمان والصواب ما أثبته.
(٨) سورة آل عمران آية ٣١.
(٩) في الأصل مكررة.

السلف: ادعى قوم على عهد النبيّ - ﷺ - (أنهم يحبون الله، فأنزل الله هذه الآية[1] وهي آية المحبة، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فجعل حب العبد لربه موجباً مقتضياً لاتباع رسوله، وجعل اتباع رسوله موجباً مقتضياً لمحبة الرب عبده فإذا عرفت هذه الأصول فعامة السماعاتية مقصرون فيها، وهم في ذلك التقصير بحسب كثرة تعوضهم بالسماع عن القرآن وقلته، حتى آل أمره ببعضهم إلى الانسلاخ من الإسلام بالكلية.

وأمّا مَن فيه منهم محبة الله ورسوله فهم مقصرون في الأصول الثلاثة: وهي الجهاد في سبيل الله، ومتابعة رسوله، وإخلاص الدين له، ففيهم من الشرك الخفي والجلي ما ينافي كمال الإخلاص،[2] وفيهم من البدعة ما ينافي كمال المتابعة، وفيهم من الرهبانية ما ينافي كمال الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل كثير منهم يعد ذلك نقصاً في الطريق، وهم أبعد الناس عن الجهاد حتى يوجد في كثير من العامة مَن هو أكثر جهاداً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر منهم، ومَن هو أشد غضباً وغيرة لمحارم الله وموالاة لأوليائه ومعاداة لأعدائه منهم.

وأمّا الإخلاص، فهذا السماع وتوابعه يقدح في كماله، فإنه في الأصل سماع المشركين أهل المكاء والتصدية ويتبع ذلك من اتخاذهم الشيوخ الأحياء والأموات آلهة من دون الله ما يضاهون به النصارى، وكثير منهم يعطي المخلوق حق الخالق من الحلف به، والنذر له، والتوكل عليه، والسجود له، وحلق الرأس له والتوبة له، وخوفه

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير ١/٣٥٩.

(٢) لعلّ مراده بذلك الأصغر لأن الأكبر ينافي الأصل، لا الكمال فحسب.

ورجائه (٨٢ ب) من دون الله، ولهذا يكون كثير من سماعهم الذي يحرك وجدهم ومحبتهم إنما يحرك وجدهم ومحبتهم لغير الله، فلا العمل صالح[١] ولا القصد خالص، فلا إخلاص، ولا اتباع ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[٢].

وأمّا الشريعة وما أمر الله به ونهى عنه، وأحله وحرمه، ففي كثير منهم من المخالفة لذلك بل من الاستخفاف بمَن يتمسك به، ما فيهم حتى يسقط من قلوبهم تعظيم كثير من فرائض الله ومحارمه، فيضيع فرائضه ويستحل محارمه ويتعدى حدوده إمّا اعتقاداً، وإمّا عملاً، وكثير من خيارهم الذين يعظمون الأمر والنهي يقعون في فروع ما وقع فيه أولئك إمّا جهلاً وإمّا تفريطاً وإمّا تأويلاً، ومن القوم مَن يصرح بسقوط الفرائض،[٣] ويستحل المحرمات، ويقول «الأوراد لأهل الغفلة»، وأمّا أصحاب حضرة السماع فهم مستغنون بوارداتهم عن أوراد العباد، كما أنشد بعضهم.

يطالب بالأوراد مَن كان غافلاً فكيف بقلب كل أوقاته ورد[٤]

وبعض هؤلاء سمع إقامة الصلاة وهو في السماع فقال كنا في الحضرة فصرنا على الباب.

فقال له صاحب القرآن: صدقت والله كنت في حضرة الشيطان فدعيت إلى باب الرحمن، فليتدبر اللبيب الناصح لنفسه ما الذي جره السماع على هذه الطائفة حتى يقول قائلهم إنه قد يكون أنفع للقلب

(١) في الأصل الصالح. معرفاً، والصواب التنكير.

(٢) سورة النجم آية ٢٣

(٣) في الأصل الفرايظن

(٤) لم أعرف القائل

من قراءة القرآن من ستة أوجه أو سبعة فيا أهلاً وسهلاً[١] بسماع الفساق وأهل الشهوات بالنسبة إلى سماع هؤلاء المقربين أرباب الحضرة فإن أولئك لا يقعون في شيء من هذه العظائم، وهم يعترفون بأنهم مذنبون مخطئون، وفي قلب مؤمنيهم من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه أضعاف ما في قلوب (٨٣ أ) كثير من هؤلاء لأن محبة السماع أضعفت من قلوبهم محبة ما يحبه الله وكراهة ما يكرهه، ولهذا ليس للقرآن والصلاة والعلم في قلوبهم من المحبة والحلاوة والطيب ما في قلوب أهل كمال الإيمان، بل قد يكرهون بعض ذلك ويستثقلونه،[٢] ولهم نصيب من حال الذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صماً وعمياناً، ونصيب من حال الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وهم يجدون في نفوسهم استثقال سماع القرآن وقراءته، لما اعتاضوا عنه بضده ونده، وإن ارتاحوا إلى سماعه فللقدر المشترك الذي يكون بينه وبين سماعهم من الأصوات المطربة والألحان، ولهذا يرتاحون لذلك الشعر الكفري والفسقي والزنائي[٣] والمقصود أن هذا السماع الشيطاني من أكبر الأسباب المضادة لأصول[٤] أولياء الله المقربين الثلاثة، الإخلاص، والمتابعة، والجهاد.

---

(١) المقصود من هذا أن الذين يسمعون الغناء وهم يرون سماعهم من الفسوق أهون من سماع هؤلاء الذين يجعلونه قربه

(٢) في الأصل يستثقلون.

(٣) في الأصل والرباني

(٤) في الأصل الأصول

فصل

ومما ابتلى به هؤلاء ما وجدوه في كثير ممن ينتسب إلى الشريعة وإلى الجهاد من ضعف حقائق الإيمان في قلوبهم، وسوء نياتهم ومقاصدهم، وبعدهم عن الإخلاص ومراعاة صلاح قلوبهم، وتزكية نفوسهم وتطهير سرائرهم وأنهم لا يقصدون بالجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، كما وجدوه في كثير ممن يذم السماع الذي لهم من قسوة القلب والبعد عن مكارم الأخلاق وذوق حقيقة الإيمان فصار هذا التفريط في المنكرين عليهم شبهة لهم في التمسك بما هم عليه وعدم التفاتهم إلى مَن ينكره عليهم، ولو أن المنكر عليهم شاركهم فيما عندهم (٨٣ ب) من الأخلاق والمحبة وأعمال القلوب ومراعاتها والفقه في نازلاتها[١] وارداتها لانقادوا له ولرأوه فوقهم في ذلك، ولأقروا[٢] له مذعنين، ولكن نفوسهم لا تنقاد لَمن هو على ضد طريقتهم. ومَن هو من أقسى الناس وأبعدهم عن المحبة وأحكامها وعن أعمال القلوب وأذواق حلاوة المعاملة وإذا تلاقت أرواحهم تنافرت أشدّ النفار فالبلاء مركب من تفريط هؤلاء وعدوان هؤلاء وصارت كل طائفة معرضة عما مع الأخرى من الحق مستطيلة عليها بما معها من الباطل.

وأمّا أهل الصراط المستقيم الوسط العدل الخيار، فيتبرأون من باطل الطائفتين ويقرون بحق الفريقين، وينقادون لما مع كل منهما من الحق، وينكرون ما معهما[٣] من الباطل فمَن قال من الفريقين حي

(١) في الأصل منازلاتها والصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل لا قروا، وزدت الواو ليستقيم الكلام.

(٣) في الأصل ما معها

على الهدى والفلاح، أجاب نداه ولبى دعوته، ومَن قال حي على البدعة، واتّباع ما لم ينزل الله به سلطاناً، أعرض عنه وجاهده بحسب استطاعته وهذا دين الله الذين لا يقبل من أحد ديناً سواه وهو اتّباع ما بعث الله به رسوله في جميع الأمور، وترك اتّباع ما يخالف ذلك، وإجماع القلوب على هذا الاتباع، والترك كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نعمت[1] ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ[2] لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[3].

قال ابن عباس: تبيّض وجوه أهل السنّة والجماعة، وتسوّد وجوه أهل الفرقة والبدعة[4] فتبيّن بطلان استدلال السماعاتية على صحة سماع المكاء والتصدية والغناء بالألحان بما سمعه النبيّ ﷺ وأصحابه من الشعر من كل وجه، وقال صاحب القرآن: وقولك أيها السماعي: «قد جرى على لسان النبيّ - ﷺ - ما هو قريب من الشعر

---

(١) في الأصل نعمة،

(٢) في الأصل أولئك

(٣) سورة آل عمران آية من ١٠٣ إلى آية ١٠٧.

(٤) أنظر تفسير ابن كثير ١/٣٩١

وإن لم يقصد أن يكون شعراً»، فنقول في جواب هذا: الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه، فلو جرى على لسانه الكريم حقيقة الشعر إنشاء وقد أعاذه الله منه قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾[1] لم يكن في ذلك شبهة لك في حل الغناء وسماع الألحان فما أعجب حالكم أيها السماعاتية إذ تحتجون بقوله ﷺ:

اللَّهم لا عيش إلاَّ عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة[2]

وبقوله:

هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت[3]

على حل الغناء والزمر والدفوف[4] والشبابات[5] والرقص، والطرب (٨٤ ب) على تاننا تنتنا، والله تعالى الموفق لَمن يشاء والخاذل لَمن يشاء.

فصل

(٤) **قال صاحب الغناء:** وقد سمع السلف والأكابر الأبيات بالألحان، وممن قال بإباحته من السلف مالك بن أنس وأهل الحجاز

---

(١) سورة يس آية ٦٩

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٨ .

(٣) هذا البيت جاء في حديث جندب بن سفيان ولفظه أن رسول الله ﷺ كان في بعض المشاهد وقد دميت إصبعه فقال (هل أنت إلاّ إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت) وقد أخرجه البخاري ـ كتاب الجهاد والسير، باب مَن ينكب في سبيل الله ٤/٢٢ ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبيّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ١٤٢١/٣ .

(٤) سبق تعريفها ١٠٨ .

(٥) سبق تعريفها ١١١ .

كلهم يبيحون الغناء فأمّا الحداء فالإجماع عنهم على إباحته[1] وهو والغناء.

رضيعا لبان ثدي أم تقاسما   بأسحم[2] داج عوض[3] لانتفرق[4]

قال صاحب القرآن: كلامك هذا يتضمن إثبات باطل وترك حق وهو إن كان عمداً فعظيمة، وإن كان[5] غلطاً فتقصير وتفريط في حق العلم، وذلك أن المعروف عن أئمة السلف من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم، مثل عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وجابر بن عبدالله وغيرهم من الصحابة، وكذلك عن أئمة التابعين، ومَن بعدهم من الأئمة الأربعة وغيرهم إنكاره، حتى ذكر زكريا بن يحيى الساجي[6] في كتابه الذي ذكر فيه إجماع أهل العلم، واختلافهم أنهم متفقون على المنع منه إلاّ رجلان، إبراهيم بن سعد[7] من أهل المدينة، وعبيدالله بن الحسن العنبري[8] من أهل البصرة، وقد تقدم حكاية[9] ذلك، فكيف ينقل عن السلف والأكابر ما هم أبعد الناس منه.

---

(١) أنظر الرسالة القشرية ص ١٥٠.

(٢) بأسحم داج ـ بليل أسود ـ لسان العرب ١٢/٢٨٢ ـ ٢/٢٦٥.

(٣) عوض: أبداً لسان العرب ٧/١٩٢.

(٤) القائل الأعشى. أنظر ديوانه ص ١٢٠.

(٥) في الأصل وإن غلطا والمقام يقتضي كان.

(٦) سبقت ترجمته ص ١١٨ .

(٧) في الأصل سعد بن إبراهيم، وسبقت ترجمته ص ١٠٦.

(٨) سبقت ترجمته ص ١١٨ .

(٩) تقدم في ص ١١٨ .

وأمّا نقلك لإباحته عن مالك بن أنس وأهل الحجاز كلهم فهذا من أقبح الغلط وأفحشه، فإن مالكاً نفسه لم يختلف قوله وقول أصحابه في ذمه والمنع منه وكراهته، بل هو من المبالغين في ذلك، الشاهدين على أهله بالفسق ولهذا لما سأله إسحاق بن عيسى الطباع[1] عمّا يترخص فيه أهل المدينة من الغناء، قال: «إنما يفعله عندنا (٨٥ق أ) الفساق». [2] ومؤلفات أصحابه في تحريمه شاهدة بذلك، والشافعي لم يختلف قوله في كراهته وقال في كتابه المعروف «بأدب القضاة»[3]: «الغنا لهو مكروه شبيه بالباطل، ومَن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته»، [4] وقد قال عن سماع التغبير الذي هو أحسن سماعات هؤلاء «إنه مما أحدثته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن»[5] وأمّا فقهاء الكوفة فمن أشدّ الناس تحريماً للغناء ولم يتنازعوا في ذلك ولم يخالفهم إلاّ العنبري.

فصل

(٥) **قال صاحب الغناء:** وقد ذكر محمد بن طاهر[6] في مسألة

---

(١) سبقت ترجمته ص ١٢٥ .

(٢) سبقت الإشارة إلى مصدره ص ١٢٥ .

(٣) سبق الإشارة إلى مصدره ص ١١٩ .

(٤) في الأصل شهادة

(٥) تقدم ص ١١٩ .

(٦) هو محمد بن طاهر المقدسي ولد سنة ٤٤٨، سمع من ابن ورقاء، والفضل بن المحب وغيرهما ليس بالقوى له أوهام كثيرة في تواليفه قال ابن عساكر جمع أطراف الكتب الستة فرأيته بخطه وقد أخطأ فيه في مواضع خطأً فاحشاً، وله انحراف عن السنّة إلى تصوف غير مرضي، وهو في نفسه صدوق لم يتهم توفي سنة ٥٠٧، انظر شذرات الذهب ١٨/٤ . ميزان الاعتدال ٥٨٧/٣، الأعلام ٤١/٧ .

السماع حكاية عن مالك أنه ضرب بطبل، وأنشد أبياتـاً[1] ومالـك مالك[2]!!

قال صاحب القرآن: قد أعاذ الله مالكاً، وأصحابه من هذا البهتان والفرية ومالك أجل عند الله، وعند أهل الإسلام من ذلك والكذب الفاحش على الأئمة المشهورين صنعة جهلة الكذابين، فلو أن واضع هذه الحكاية نسبها إلى مَن ليس في الشهرة والإمامة والجلالة كما لك لأمكن أن يخفي ويروج على الجهال، وأمّا على إمام دار الهجرة فسبحانك هذا بهتان عظيم.

فصل

(٦) **قال صاحب الغناء:** وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار في ذلك، روى عن ابن جريج[3] أنه كان يرخص في السماع فقيل له إذا أتى بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيّئاتك، ففي أي الجانبين يكون سماعك[4] فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات يعني[5] أنه من المباحات.[6]

---

(١) في الأصل بياتاً.

(٢) أنظر السماع ص ٦٦.

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، روى عن الزهري وزيد بن أسلم وروى عنه الليث، والأوزاعي، ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل مـات سنة ١٥٠، تقـريب التهذيب ١/٥٢٠، تهذيب التهذيب ٦/٤٠٢.

(٤) في الأصل السماع وما أثبته هو المناسب.

(٥) في الأصل يقيمانه

(٦) أنظر الرسالة القشيرية ص ١٥٢.

قال صاحب القرآن: ليس عن ابن جريج (٨٥ ب) وأهل مكة مَن يعرف عنهم الغناء بل المشهور عنهم خلاف ذلك، ثم هذه الحكاية وأمثالها هي إلى أن تكون حجة عليكم أقرب من كونها حجة لكم، فإنه قال يكون السماع لا في الحسنات ولا في السيّئات فجعله بمنزلة اللعب واللهو الباطل، الذي أحسن أحواله أن لا يكون للعبد ولا عليه، ومع هذا فلا بد أن ينقص من حسناته ولم يجعله ابن جريج، ولا أحد قبل هذه الطائفة ديناً وقربة وصلاحاً للقلوب، ويفضله على سماع القرآن من وجوه متعددة، بل غاية ما يحكى عمن يرخص فيه أنه جعله بمنزلة الغناء والضرب بالدف للنساء في العرس، وأيام الأعياد وعند قدوم الغائب، وهو مع ذلك باطل كما في الحديث الذي في السنن «أن امرأة نذرت أن تضرب لقدوم رسول الله ﷺ بالدف، ففعلت، فلما جاء عمر أمرها رسول الله ﷺ بالسكوت وقال: إن هذا رجل لا يحب الباطل»[1] «وسمى الصديق غناء الجويرتين لمكان صغرهما وكونه يوم عيد وخلو ما تغنيان[2] به من آلات المعازف، وغناء الألحان المطربات[3] ولم يقل هو قربة وطاعة

---

(١) الحديث عن عبدالله بن بريدة عن أبيه وقد أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب ٦٢/٥ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب ـ وأبو داود، كتاب الإيمان والنذور باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ٢٣٧/٣ وأحمد في مسنده ٣٥٣/٥. أمّا عبارة (إن هذا رجل لا يحب الباطل جاءت في حديث آخر عن الأسود بن سريع وقد أخرجها أحمد في مسنده ٤٣٥/٣، والحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر الأسود بن سريع ٦١٥/٢ وقال الهيثمي رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف. أنظر مجمع الزوائد ٦٦/٩.

(٢) إشارة إلى حديث عائشة وسبق تخريجه ص ٥٢ .

(٣) في الأصل الطرابات .

وملح للقلوب، بل ثبت عنه في الصحيح[1] أنه قال: (كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل إلاّ رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فإنهن من الحق) ومعلوم أن الباطل من الأعمال هو ما ليس فيه منفعة فهذا يرخص في بعضه أحياناً للنفوس التي لا تصبر على الحق المحض ويرخص منه في القدر الذي يحتاج إليه في الأوقات التي تتقاضى[2] ذلك كالأعياد، والأعراس، وقدوم الغائب، وتلك نفوس الصبيان والنساء والجواري[3] (٨٦ أ) الصغار وهن اللاتي غنين في بيت عائشة وضربن بالدف خلف رسول الله - ﷺ - وعند تلقيه فرحاً وسروراً به.[4]

فهذا كان فرح هؤلاء الضعفاء العقول الذين لا تحتمل عقولهم الصبر تحت محض الحق فكان في إقرارهم بالترخيص لهم في هذا القدر مصلحة لهم، وذريعة إلى انبساط نفوسهم وفرحهم بالحق فهو من نوع الترخيص في اللعب للبنات، وما شاكل ذلك، وهذا من كمال شريعته ومعرفته بالنفوس، وما تصلح عليه وسوقها إلى دينه بكل طريق وفي كل واد ومن المعلوم أن النفوس الصغار والعقول الضعيفة، إذا حملت

---

(١) الحديث عن عقبة وغيره، وقد أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه وذم مَن علمه ثم نسيه ١٥٢٢/٣، والترمذي كتاب الجهاد باب فضل الرمي في سبيل الله ١٧٤/٤، وابن ماجه كتاب الجهاد باب الرمي في سبيل الله ٢/٩٤٠ والنسائي كتاب الخيل باب تأديب الرجل فرسه ٢٢٢/٦، والدارمي كتاب الجهاد باب في فضل الرمي والأمر به ٢٠٤/٢، والحاكم في المستدرك كتاب الجهاد باب من علم الرمي ثم تركه فهي نعمة كفرها ٩٥/٢، وأحمد في مسنده ١٤٤/٤.

(٢) في الأصل تتقاضا

(٣) في الأصل الجوار

(٤) في الأصل سروورا

على محض الحق، وحمل عليهـا ثقله، تفسخت تحته واستعصت ولم تنقد، فإذا أعطيت شيئاً من الباطل ليكون لها عوناً على الحق ومنفذاً له، كان أسرع لقبولها وطاعتها وانقيادها فما لمشايخ الطريق والسالكين إلى الله، والآخذين أنفسهم بالجد المحض والمعرضين عن حظوظهم الذين لم يعبدوا الله شوقاً إلى جنته ولا خوفاً من ناره[1] وذلك عين

(١) إشارة إلى قول رابعة العدوية ونصه قال الثوري لرابعة ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حباً له وشوقاً إليه. أنظر إحياء علوم الدين ٣١٠/٤. قال ابن تيمية في الرد على هذا القول: «فإن هذا القائل ظن ومَن تابعه أن الجنة لا يدخـل في مسماهـا إلاّ الأكل والشرب واللبـاس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات كما يوافقه على ذلك مَن ينكر رؤية الله من الجهمية أو من يقربها ويزعم أنه لا تمتع بنفس رؤيـة الله كما يقوله طائفة من المتفقهة فهؤلاء متفقون على أن مسمى الجنة والآخرة لا يدخل فيه إلاّ التمتع بالمخلوقات ولهذا قال بعض من غلط من المشايخ لما سمع قوله «منكم مَن يريد الدنيا ومنكم مَن يريد الآخرة» قال فأين مَن يريد الله، وقال آخر في قوله تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ قال إذا كانت النفوس، والأموال بالجنة فأين النظر إليه، وكل هذا لظنهم أن الجنة لا يدخل فيها النـظر والتحقيق أن الجنة هي الـدار الجامعة لكل نعيم وأعلى ما فيها النظر إلى وجه الله وهو من النعيم ينالونه في الجنة كما أخبرت به النصوص وكذلك أهل النار فإنهم محجوبون عن ربهم يدخلون النار مع أن قائل هذا القول إذا كان عارفاً بما يقول فإنما قصده أنك لو لم تخلق ناراً أو لو لم تخلق جنة لكان يجب أن تعبد ويجب التقرب إليك والنظر إليك ومقصوده بالجنة هنا ما يتمتع فيه المخلوق أ.هـ. أنظر مجموع الفتاوى ٦٢/١٠. والنبي ﷺ أرشد إلى سؤال الجنة والنجاة من النار عن أنس قال كان رسول الله ﷺ يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة إلخ ٢٠٧٠/٤، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لرجل (ما تقول في الصلاة قال أتشهد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال حولها ندندن، رواه ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ٢٩٤/١، وأحمد في مسنده ٤٧٤/٣ وقال الله عن خليله إبراهيم «واجعلني من ورثة جنة النعيم» سورة الشعراء آية ٨٥.

حظهم وهو نقص في طريقتهم، وهذا الباطل واللهو الذي هو حظ الأطفال والنساء والجـواري،[1] ولا ريب أن الرجـال لم يكن ذلك فيهم، بل كان السلف يسمون الرجل المغنى مخنثاً لتشبهه بالنساء، وقـد روى (اقرأوا والقـرآن بلحـون العـرب وإيـاكم ولحـون العجم والمخانيث والنساء)[2] وسئل القاسم بن محمـد[3] عن الغناء فقـال للسائل: أرأيت إذا ميّز الله يوم القيامة بين الحق والباطل ففي أيهما (٨٦ ب) يجعل الغناء فقال: في الباطل، قال: فـماذا بعد الحق إلاّ الضلال،[4] فكان العلم بأنه من الباطل مستقراً في نفوسهم كلهم وإن فعله بعضهم.

فصل

(٧) قال صاحب الغناء: فهذا الشافعي لا يحرمه ويجعله من

---

(١) في الأصل الجوار

(٢) أخرج البيهقي نحوه في شعب الإيمان ولفظه (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإيّاكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق فإنه سيجيء قوم يرجعون بالقرآن، ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب مَن يعجبهم شأنهم). أنـظر شعب الإيمان لـوحة ٦٧ أ والحـديث ضعيف. أنظر ضعيف الجـامع الصغـير ١/ ٣٢٩.

(٣) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق روى عن أبيه وعمته عائشـة وعبدالله بن جعفر وغيرهم، وروى عنه الشعبي وابن أبي ملكية والزهري وغيرهم ثقة أحد الفقهاء، بالمدينة، قال أيوب، ما رأيت أفضل منه، مات سنة ١٠٦هـ، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٣٣ - تقريب التهذيب ٢/ ١٢٠ .

(٤) أخرجه مختصراً البيهقي في السنن الكبرى كتاب الشهادات باب الرجـل يغنى فيتخذ الغناء صناعة إلخ ١٠/ ٢٢٤.

العوام مكروهاً حتى لو احترف بالغناء أو اتصف على الدوام بسماعه على وجه[1] التلهي ترد به الشهادة، ويجعله مما يسقط المروءة ولا يلحقه بالمحرمات، وليس الكلام في هذا النوع من السماع، فإن هذه الطائفة جلت رتبتهم عن أن يسمعوا بلهو، أو يقعدوا للسماع بسهو، أو يكونوا بقلوبهم متفكرين في مضمون لغو.[2]

قال صاحب القرآن: لم يختلف قول الشافعي في كراهته، والنهي عنه للعوام، والخواص، ولكن هل هي كراهة تحريم أو تنزيه أو يفصل بين بعض وبعض، وهذا مما تنازع فيه أصحابه، وهذا قوله[3] في سماع العامة وأمّا سماع الخاصة الذين تشيرون إليه فهو عند الشافعي من فعل الزنادقة كما تقدم حكاية كلامه[4] فعند الشافعي أن هذا السماع الذي للخاصة أعظم من أن يقال فيه إنه مكروه أو حرام بل هو عنده مضاد للإيمان وشرع دين لم يأذن به الله ولم ينزل به من سلطان وإن كان من المشايخ والصالحين مَن تأول في فعله، وبتأويله واجتهاده، يغفر الله له خطأه، ويثيبه على ما مع التأويل من قصد خالص وإن لم يكن العمل صواباً، والتأويل،[5] والاجتهاد من باب (المعارض)[6] في حق بعض الناس، يدفع به عنه العقوبة كما يدفع بالتوبة والحسنات الماحية، وهذا إنما هو لَمن استفرغ وسعه في طلب

---

(١) في الأصل على الوجه،

(٢) أنظر الرسالة القشيرية ص ١٥٢

(٣) في الأصل قول

(٤) تقدّم ص ١١٩ .

(٥) كذا في الأصل ولعله فالتأويل .

(٦) كذا في الأصل وهو غير واضح .

الحق (٨٧ أ) ما استطاع[١]، وقول الشافعي رضي الله عنه في هؤلاء نظير قوله في أهل الكلام حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام،[٢] وقوله: «لأن يبتلي العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلي بالكلام[٣] في هذه الأهواء» فهذا مذهبه في المتكلمين وتلك شهادته في أهل السماع، وهذا من كمال نصيحته رضي الله عنه، لما علم من دخول الفساد على الأمة من هاتين الطائفتين، وبالجملة فالكلام في السماع على وجهين.

أحدهما: سماع اللهو واللعب والطرب، فهذا يقال فيه مكروه أو محرم أو باطل أو مرخص في بعض أنواعه.

والثاني: السماع المحدث لأهل الدين والقربة، فهذا يقال فيه إنه بدعة وضلالة وأنه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واجماع السالفين جميعهم وإنما حدث في الأمة لما حدث الكلام، فكثر هذا في أهل النظر والعلم، وكثر هذا في أهل الإرادة والعبادة، ولهذا كان يزيد بن هارون[٤]شيخ الإسلام في وقته، وهو من أتباع التابعين ينهي عن مجالسة الجهمية والمغبرة هؤلاء أهل الكلام المخالف للكتاب، والسنة، وهؤلاء أهل السماع المحدث المخالف للكتاب، ولهذا لم يستطع أحد قط، ممن زعم أن هذا السماع قربة ومستحب، أن يأتي

---

(١) في الأصل ماستطاع

(٢) ذكر نحوه ابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٧/١٠، وأبو نعيم في الحلية ١١٦/٩.

(٣) ذكر نحوه البيهقي في مناقب الشافعي ٤٥٢/١، وأبو نعيم في الحلية ١١١/٩، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٧/١٠.

(٤) سبق ترجمته ١٢٤ .

بأثر عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه بذلك إلا من جاهر بالوقاحة والكذب، وزعم أن رسول الله ﷺ سمع[١] هذا السماع، وتواجد عليه حتى شق قميصه (٨٧ب) فليبشر من نسب ذلك إليه بمقعده من النار[٢].

فصل

(٨) قال صاحب الغناء: وقد روى عن ابن عمر وعبدالله بن جعفر آثار[٣] في اباحة السماع، هذا مع تشدد ابن عمر وزهده ودينه وحرصه على متابعة الرسول وبعده من البدع، وعبدالله بن جعفر الطيار[٤].

قال صاحب القرآن: أما ما نقل عن ابن عمر، فإنه نقل باطل، والمحفوظ عن ابن عمر ذمه للغناء، ونهيه عنه، كما هو المحفوظ عن إخوانه من أصحاب الرسول ﷺ، كابن[٥] مسعود وابن عباس وجابر وغيرهم، ممن رضيهم المسلمون[٦] قدوة وأئمة وهذه

(١) في الأصل سملع.

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (تسموا بأسمى ولا تكنوا بكنيتي، ومن رأني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، وقد أخرجه البخاري كتاب، العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٣٨/١، ومسلم عن أبي سعيد الخدري كتاب الزهد باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم ٢٢٩٨/٤.

(٣) في الأصل اثاراً.

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٥٢.

(٥) في الأصل كا ابن.

(٦) في الأصل المسلمين والصواب ما أثبته.

سيرة ابن عمر وأخباره ومناقبه وفتاويه بين الأمة هل تجد فيها أنه عمل هذا السماع أو حضره أو رخص فقد نزه الله سمع ابن عمر عنه، بل وأصحاب ابن عمر.

وأما ما نقلت عن عبدالله بن جعفر، فلا ريب أنه قد نقل عنه ذلك، لكن المنقول عنه أنه كانت له جارية تغنيه في بيته، فيستمتع بسماع غنائها هذا غاية ما نقل عنه، وليس ابن جعفر ممن يعارض به أركان الأمة كابن مسعود وابن عباس وجابر وابن عمر ومن احتج بفعل عبدالله بن جعفر فليحتج بفعل معاوية في[1] قتاله لعلي وبفعل عبدالله بن الزبير في قتاله في الفرقة، وبمثل مروان بن الحكم[2] في خطبته يوم العيد قبل الصلاة[3] وأمثال ذلك مما لا يصلح لأهل العلم والدين أن يدخلوه في أدلة الشرع لاسيما النساك والزهاد، وأهل الحقائق، فإنهم لا يصلح لهم أن يتركوا سبيل مثل أبي ذر وأبي أيوب الأنصاري وعمار بن ياسر (٨٨أ) وأبي الدرداء ومعاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح، والمشهورين بالنسك والعبادة ويتبعون سبيل من اتخذ جارية تغنيه في بيته للهو[4] واللذة ويجعلونه حجة لهم فيما بينهم وبين الله في الرقص وسماع الأغاني المطربة من الشاهد[5] المليح،

---

(١) في الأصل وفي قتاله والمقام يقتضي حذف الواو.

(٢) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ولد بعد الهجرة بسنتين وقيل بأربع روى عن عثمان وعلي وزيد وغيرهم وروى عنه سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين، وغيرهما ولا يثبت له صحبة مات سنة ٦٥، تهذيب التهذيب ٩١/١٠، تقريب التهذيب ٢٣٨/٢.

(٣) الخبر في صحيح مسلم كتاب صلاة العيدين ٦٠٥/٢.

(٤) في الأصل اللهو.

(٥) الشاهد الأمرد، الاستقامة لابن تيمية ٣٢٠/١.

بمساعدة الدفوف[1] والشبابات[2] والمواصيل[3] هذا مع أن الذي فعله عبدالله بن جعفر ، كان في داره لم يكن يجمع الناس على ذلك ولا يدعو إليه ولا يعده ديناً وقربة يقربه إلى الله بل هو من الباطل واللهو.

فصل

(٩) قال صاحب الغناء: ثبت عن النبي ﷺ أنه سمع الحداء[4] وحدا الحدأة بين يديه، وكذلك عمر بن الخطاب بعده، رخص في الحداء، والغناء والحداء كل منهما انشاد باصوات مطربة[5] وهما كما قال الشاعر:

فإن لا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غذته أمه بلبانها[6]

قال صاحب القرآن : قد اتفق الناس على جواز الحداء، وثبت إن عامر بن الأكوع كان يحدو بالصحابة مع النبي ﷺ ففي الصحيحين[7] عن سلمة بن الأكوع[8] قال: خرجنا مع رسول الله

---

(١) سبق تعريفها ص ١٠٨ .

(٢) سبق تعريفها ص ١١١ .

(٣) سبق تعريفها ص ١٦١ .

(٤) الحداء سوق الإبل والغناء لها لسان العرب ١٤/١٦٨ .

(٥) الرسالة القشيرية ص ١٥٢ .

(٦) القائل أبو الأسود الدؤلي لسان العرب ١٣/٣٧١.

(٧) انظر صحيح البخاري، باب غزوة خيبر ٥/١٦٦ ومسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة خيبر ٣/١٤٢٧.

(٨) في الأصل الأكواع.

ﷺ فسرنا ليلاً، فقال: رجل من القوم لعامر بن الأكوع، ألا تسمعنا من هنيّاتك[١] وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لـولا أنت مـا اهتـدينـا ولا تـصـدقـنـا ولا صـلـيـنـا
فـأنـزلـن سـكـينـة عـلـيـنـا وثـبـت الاقـدام إن لاقـيـنـا
«وألـقـين سـكـينـة علينـا»[٢] إنـا إذا صـيـح بـنـا أتـيـنـا
وبالصياح عولوا علينا

(٨٨ب) فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع[٣]، قال: يرحمه الله، قال: رجل من القوم وجبت يانبي الله، لـولا أمتعتنا بـه، وذكر الحـديث وذلك في غـزوة خـيـبر، وفي الصحيح حديث أنجشة[٤] الحبشي الذي كان يحدو بالنبي ﷺ حتى قال النبي ﷺ: «رويدك يا أنجشة سوقك بالقواريـر» يعني النساء، أمره بالرفق بهن لئلا تزعجهن الأبل في المسير إذا اشتد سيرها، ولئلا ينزعجن بصوت الحادي، والحديث متفق عليه[٥] فمن الذي حـرم الحداء؟ حتى يحتجوا[٦] عليه بفعله بين يدي النبي ﷺ.

وأما قولكم: «إن الغنا إن لم يكنه فهما رضيعا لبـان، وهما في

---

(١) هينأتك أي كلماتك أو من أراجيزك، أنظر النهاية لابن الأثير ٥/٢٧٩.

(٢) في الأصل بدون، وألقين سكينة علينا وزدتها كما هو في الصحيحين.

(٣) في الأصل الأكواع.

(٤) انجشة الأسود الحادي كان حبشياً يكني أبا مارية وكان حسن الصوت بالحداء، أنظر الإصابة ١/٦٧، واسد الغابة ١/١٢١.

(٥) الحديث عن أنس وقد أخرجه البخاري كتاب الأدب باب المعاريض مندوحة عن الكذب ٨/٥٧، ومسلم كتاب الفضائل باب رحمة النبي ﷺ للنساء وأمر السواق، ومطاياهن بالرفق بهن ٤/١٨١١.

(٦) في الأصل حتى يحتجون.

بابهما أخوان» فمن أبطل الباطل وهو من جنس استدلالكم على حل الغناء، والسماع، بسماع النبي ﷺ الشعر واستنشاده له، وهل هذا الامن أفسد القياس وأبطله وإذا كان الأمر كما تقولون فلم سمع رسول الله ﷺ وأصحابه الحداء[1] والشعر، ولم ينقل والعياذ بالله عن أحد منهم قط استماع الغناء وحضوره واقامته فضلاً عن اتخاذه طاعة وقربه ودينا، فقياس الغناء على الحداء من جنس قياس الربا على البيع، وقياس نكاح التحليل على نكاح الرغبة، ونكاح المتعة على النكاح المؤبد، وأمثال ذلك من الأقيسة التي تتضمن الجمع بين ما فرق الله ورسوله بينهما.

---

(١) جائز للإنسان أن ينشد الشعر الذي لا رفث فيه، ولا يذكر بمعصية وأن يسمعه من غيره إذا أنشد على الحد الذي كان ينشد بين يدي النبي ﷺ أو عمل به الصحابة والتابعون ومن يقتدى به من العلماء وذلك أنه كان ينشد ويسمع لفوائد منها:

١ ـ المنافحة عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام وأهله.

٢ ـ أنهم كانوا يتعرضون لحاجاتهم ويستشفعون بتقديم الأبيات بين يدي طلباتهم كما فعل ابن زهير وأخت النضر بن الحارث مثل ما يفعل الشعراء مع الكبراء هذا لا حرج فيه ما لم يكن في الشعر ذكر ما لا يجوز.

٣ ـ أنهم ربما أنشدوا الشعر في الاسفار الجهادية تنشيطاً لكلال النفوس وتنبيها للرواحل أن تنهض في أثقالها وهذا حسن لكن العرب لم يكن لها من تحسين النغمات ما يجري مجرى ما الناس عليه اليوم.

٤ ــ أن يتمثل الرجل بالبيت أو الأبيات من الحكمة في نفسه أو ينشطها أو يحركها لمقتضى معنى الشعر أو يذكرها ذكراً مطلقاً ولم يكن السلف يقتصرون في التنشيط للنفوس ولا الوعظ على مجرد الشعر بل وعظوا أنفسهم بكل موعظة ولا كانوا يستحضرون إشعار المغنين ولا كان عندهم من الغناء المستعمل في أزماننا شيء، أنظر الاعتصام ١ / ٢٧٠ .

فصل

(١٠) **قال صاحب الغناء**: يكفينا في هذا الباب ما قد اشتهر، وعلمه الخاص والعام من حديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة، بما تقاولت (٨٩ب) به الأنصار يوم بعاث[١] فأنكر عليهما أبو بكر وقال أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ، دعهما يا أبا بكر[٢] فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا[٣][٤].

قال صاحب القرآن: هذا الحديث من أكبر الحجج عليك، فإن الصديق سمى[٥] الغناء مزمور الشيطان، ولم ينكر عليه النبي ﷺ هذه التسمية وأقر الجويريتين على فعله، إذ هما جويريتان صغيرتان[٦] دون البلوغ غير مكلفتين. قد أظهرتا الفرح والسرور يوم العيد بنوع ما من أنواع غناء العرب ولاسيما الصغار منهن في بيت جارية حديثه السن، بشعر من شعر العرب في الشجاعة ومكارم الأخلاق ومدحها، وذم الجبن ومساوىء الأخلاق، ومع هذا فقد سماه صديق الأمة «مزمور الشيطان»، فيالله العجب كيف صار هذا مزمور الشيطان قربة وطاعة تقرب إلى الله، وتنال بها كرامته وأصحابه جلت رتبتهم أن يسمعوه بنفوسهم، أو لأجل حظوظهم، هذا وكم بين المزمورين فبينهما أبعد ما بين المشرقين، ثم نحن نرخص في كثير من أنواع الغناء مثل

(١) يوم بعاث يوم معروف كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، أنظر لسان العرب ١١٧/٣.

(٢) في الأصل بابكر

(٣) سبق تخريجه ص ٥٢ .

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٥٢.

(٥) في الأصل سما.

(٦) في الأصل جويرتين صغيرتين والصواب ما أثبته.

هذا، ومثل الغناء في النكاح للنساء والصبيان، إذا خلا من الآلات المحرمة، كما نرخص لهم في كثير من اللهو واللعب، وهذا نوع من أنواع اللعب المباح لبعض الناس في بعض الأوقات، فماله وللتقرب والتعبد به، واستنزال الأحوال الإيمانية والأذواق العرفانية والمواجيد القلبية به ونظير هذا دخول عمر رضي الله عنه ـ على النبي ـ ﷺ ، وهروب النسوة (٨٩ب) اللاتي كن يغنين لما رأينه ووضعن[١] دفوفهن تحتهن، فقال النبي ﷺ: «ما رآك الشيطان سالكاً فجا إلا سلك فجا غير فجك»[٢] فأخبر أن الشيطان هرب مع تلك النسوة، وهذا يدل على أن الشيطان حاضر[٣] مع أولئك النسوة، وهرب معهن فقد أقر النبي ﷺ الصديق على أن الغناء مزمور الشيطان وأخبر أن الشيطان فر من عمر لما فر منه النسوة، فعلم أن هذا من الشيطان، وإن كان رخص فيه لهؤلاء الضعفاء العقول من النساء والصبيان لئلا يدعوهم الشيطان إلى ما يفسد عليهم دينهم إذ لا يمكن صرفهم عن كل ما تتقاضاه الطباع من الباطل، والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها فهي تحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما فإذا وصف العمل بما فيه من الفساد مثل كونه من عمل الشيطان لم يمنع ذلك أن يدفع به مفسدة شر منه وأكبر وأحب[٤] إلى الشيطان منه فيدفع بما يحبه الشيطان ما هو أحب[٥] إليه منه ويحتمل ما يبغضه الرحمن لدفع ما هو أبغض إليه منه، ويفوت ما يحبه لتحصيل ما هو أحب إليه منه

---

(١) في الأصل ووضعوا.

(٢) رواه البخاري بكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب ١٤/٥.

(٣) في الأصل حاضراً.

(٤و٥) في الأصل واجب.

وهذه أصول من رزق فهمها والعمل بها فهو من العالمين بالله وبأمره، ولا ريب أن الشيطان موكل ببني آدم يجري منهم مجرى الدم وقد أعين بما ركب في نفوسهم وجبلت عليه طباعهم وامتحنوا به من الشهوة والغضب للشيطان فلا يمكن حفظ (٩٠أ) من هذا شأنه مع عدوه، من كل ما للشيطان فيه نصيب وهو له حظ في كل أعمال العبد حتى فى صلاته كما قال عبدالله: [١] «لا يجعل أحدكم للشيطان حظاً من صلاته» يرى أن حقاً عليه ألا ينصرف إلا عن يمينه فإذا كان هذا القدر من حظ الشيطان في صلاة[٢] العبد فما الظن بما هو أعظم من ذلك وأكبر وسئل ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو إختلاس[٣] يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[٤] وإذا لم يمكن حفظ العبد نفسه من جميع حظوظ الشيطان منه كان من معرفته وفقهه وتمام توفيقه أن يدفع حظه الكبير باعطائه حظه الحقير إذا لم يمكن حرمانه الحظين كليهما، فإذا أعطيت النفوس الضعيفة حظاً يسيراً من حظها يستجلب به من استجابتها وانقيادها خير كبير ويدفع عنها شر كبير أكبر من ذلك الحظ كان هذا عين مصلحتها، والنظر لها والشفقة

---

(١) في الأصل قال النبي ﷺ والصواب ما أثبته. وهذا اللفظ موقوف على ابن مسعود، وأخره مرفوع إلى النبي ﷺ وهو قوله «لقد رأيت النبي كثيراً ما ينصرف عن يساره، وقد أخرجه البخاري كتاب الأذان، باب الانفتال والانصراف عن اليمين والشمال ١/٢١٦.

ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جواز الانصراف من الصلاة عن اليمين والشمال ١/٤٩٢.

(٢) في الأصل صلات.

(٣) في الأصل اختلاص.

(٤) الحديث عن عائشة وقد أخرجه البخاري في كتاب الإذان، باب الالتفات في الصلاة ١/١٩١.

عليها، وقد كان النبي ﷺ يسرب[1] الجواري إلى عند عائشة يلعبن معها ويمكنها من اتخاذ اللعب التي هي في صور خيل بأجنحة وغيرها ويمكنها من النظر إلى لعب الحبشة[2] وكان مرة بين أصحابه في السفر، فأمرهم فتقدموا ثم سابقها فسبقته ثم فعل ذلك مرة أخرى. فسابقها فسبقها فقال: (هذه بتلك[3]) واحتمل ﷺ ضرب المرأة التي نذرت إن نجاه الله أن تضرب على رأسه بالدف[4] لما في أعطائها (٩٠ب) ذلك الحظ من فرحها به وسرورها بمقدمه وسلامته الذي هو زيادة في إيمانها، ومحبتها لله ورسوله، وانبساط نفسها وانقيادها لما تؤمر به من الخير العظيم، الذي ضرب الدف فيه كقطرة سقطت في بحر.

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة قالت كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلى فيلعبن معي، رواه البخاري كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس ٨/٤٧ ومسلم كتاب فضائل الصحابة ٤/١٨٩٠.

(٢) إشارة إلى حديث عروة بن الزبير أن عائشة قالت، لقد رأيت رسول الله ﷺ يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه، أنظر إلى لعبهم رواه البخاري كتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد ١/١٢٣ ومسلم كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ٢/٦٠٩.

(٣) إشارة إلى حديث عائشة ولفظه قالت، سابقني النبي ﷺ فسبقته فلبثنا حتى إذا ارهقني اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتيك، وقد أخرجه أحمد في مسنده ٦/٣٩ ـ وابن ماجة كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء ١/٦٣٦ وأبو داود كتاب الجهاد باب في السبق على الرجل ٣/٢٩.

(٤) سبق تخريجه ص ٢٩٩ .

وهل الاستعانة على الحق بالشيء اليسير من الباطل إلاَّ خاصة الحكمة والعقل بل يصير ذلك من الحق إذا كان معيناً عليه، ولهذا كان لهو الرجل بفرسه وقوسه وزوجته من الحق، لإعانته على الشجاعة والجهاد والعفة، والنفوس لا تنقاد إلى الحق إلاَّ ببرطيل فإذا برطلت بشيء من الباطل لتبذل به حقاً، وجوده أنفع لها وخير من فوات ذلك الباطل، كان هذا من تمام تربيتها وتكميلها فليتأمل اللبيب(١) هذا الموضع حق التأمل فإنَّه نافع جداً والله المستعان.

فصل

(١١) **قال صاحب الغناء**: وندب النبي - ﷺ - إلى تحسين الصوت بالقرآن، فروى البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «حسنوا القرآن بأصواتكم فإنَّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً(٢)» وعن أنس عن النبي - ﷺ - «لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن(٣)».

وقد صح عنه ﷺ أنَّه قال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن(٤)»

(١) في الأصل البيت.

(٢) رواه الدارمي كتاب فضائل القرآن باب التغني بالقرآن ٢/٣٤٠ والحديث صحيح - صحيح الجامع الصغير ١/٦٠١.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣/٤٨٤ والخطيب في تاريخه عن أنس ٧/٢٦٨ وذكره ابن كثير في فضائل القرآن والحديث ضعيف ٤/٦٣١،

(٤) الحديث عن أبي هريرة وقد أخرجه البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى واسروا قولكم أو اجهروا به ٩/١٨٨.

وقد قال الإمام أحمد في تفسيره: «يحسنه بصوته[1] ما استطاع» وقال الشافعي: «نحن أعلم بهذا (٩١ أ) من سفيان»[2] ينكر عليه قوله يستغني به[3].

وإنما هو تحسين الصوت وقال ـ ﷺ ـ: «للّه أشد إذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»[4] فإذا ندب إلى تحسين الصوت بالقرآن والتغني به، جاز أن يحسن الصوت بالشعر ويتغنى به، وأي حرج في تحسين الصوت بالشعر.

قال صاحب القرآن: هذه الأدلة إنما تدل على فضل الصوت الحسن بكتاب اللّه لا على فضل الصوت الحسن بالغناء، الذي هو

---

(١) هذا هو الراجح في معنى يتغنى يؤيده الرواية الأخرى عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنَّه كان يقول قال رسول الله ﷺ لم يأذن اللّه لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن وقال صاحب له يريد يجهر به ـ أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب من لم يتغن بالقرآن ٦/ ٢٣٥ ورواية يجهر به قال ابن حجر فإنَّها إن كانت مرفوعة قامت الحجة وإن كانت غير مرفوعة فالرواي أعرف بمعنى الخبر من غيره لا سيما إذاكان فقيهاً وقد جزم الحليمي بأنَّها من قول أبي هريرة والعرب تقول سمعت فلاناً يتغنى بكذا أي يجهر به وقال أبو عاصم أخذ بيدي ابن جريج فأوقفني على أشعب فقال غن ابن أخي، ما بلغ من طمعك، فذكر قصة فقوله غنى أي أخبرني جهراً صريحاً وأنكر أبو جعفر الطبري تفسير من قال يستغن من حيث اللغة والمعنى ـ فتح الباري ٩/ ٧١ الفتح الرباني ١٤/ ١٨، المغني لابن قدامة ١٠/ ١٦١.

(٢) سبقت ترجمته ص ١٠١ .

(٣) هذا هو القول الثاني في معنى يتغنى وقيل معناه التحزين وقيل التشاغل به وقد جمع بين هذه الأقوال ابن حجر حيث قال يحسن به صوته جاهراً به مترنماً على طريق التحزين مستغنياً به عن غيره من الأخبار، طالباً به غنى النفس راجياً به غنى اليد، أنظر فتح الباري ٩/ ٧٢.

(٤) سبق تخريجه ص ٢٧٣ .

مزمور الشيطان ومن قاس هذا بهذا، وشبه أحدهما بالآخر فقد شبه الباطل بالحق، وقاس قرآن الشيطان على كتاب الرحمن. وهل هذا إلاَّ نظير قول من يقول: إذا أمر اللّه بالقتال في سبيله بالسيف والرمح والنشاب[1] دل ذلك على فضيلة الطعن والضرب والرمي، ثمّ يحتج بذلك على جواز الضرب والطعن والرمي في غير سبيل اللّه، بل على استحبابه، ونظير من قال إذا أمر اللّه بإنفاق المال في سبيله، دل على فضيلة المال، ثمّ يحتج بذلك على جواز إنفاق المال أو استحبابه في غير سبيله، ونظيره قول من يقول إذا أمر اللّه بالاستعفاف بالنكاح دل على فضيلة النساء، ثمّ يحتج بذلك على جواز ما لم يأمر به من ذلك، وكذلك كل ما يعين على طاعة اللّه ومحابه ومراضيه ولا يدل ذلك على أنَّه في نفسه محمود على الإطلاق، حتى يحتج على أنَّه محمود حال كونه معيناً على غير طاعة اللّه من البدع (٩١ ب) والفجور والمعاصي.

إذا ثبت هذا فتحسين الصوت ندب إليه، وحمد الصوت الحسن لما تضمنه من الإعانة على ما يحبه اللّه من سماع القرآن، ويحصل به من تنفيذ معانيه إلى القلوب ما يزيدها إيماناً، ويقربها إلى ربها، ويدنيها من محابه، فالصوت الحسن بالقرآن منفذ لحقائق الإيمان، معين على إيصالها إلى القلوب، فكيف يجعل نظير الصوت الحسن بالغناء الذي ينبت النفاق في القلب، وأخف أنواعه وأقلها شراً «ما وضعته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن»[2]، فالصوت الحسن من هذا ينفذ حقائق النفاق والفجور والفسوق إلى القلب ولهذا يظهر في الأفعال وعلى اللسان، فالسماع الشيطاني الذي يتقرب به أهله إلى

---

(١) النشاب السهام لسان العرب ١/٧٥٧.

(٢) سبق تخريجه ص ١١٩ .

اللّه، ينفذ الصوت الحسن فيه حقائق النفاق إلى القلب، والسماع الآخر الذي يعده[1] أهله لهواً ولعباً، ينفذ ما يكرهه اللّه من شهوات الفسوق إلى القلب فالاعتبار بحقائق المسموع، والصوت الحسن آلة ومنفذ.

فصل

وقوله ـ ﷺ ـ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» إما أن يريد به الحض[2] على أصل الفعل، وهو نفس التغني به، أو على صفته وهو أن يكون تغنيه إذا تغنى به لا بغيره، وهذا نظير ما حمل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ[3]﴾ هل هو أمر بأصل الحكم، أو بصفته إذا حكم فيه قولان ونظيرة أمره ـ ﷺ ـ بالدعاء في السجود، هل هو أمر بأصل الدعاء أو المعنى[4] إذا دعوتم (٩٢ أ) فاجعلوا دعاءكم في السجود فإنَّه (قمن[5] أن يستحاب لكم[6] فقوله: «ليس منا من لم يتغن القرآن» إن أريد به الحض[7] على نفس الفعل كان ذماً لمن ترك التغني به، وإن أريد به المعنى الثاني، وهو أنَّه إذا تغنى فليتغن بالقرآن، كان ذماً لمن تغنى بغيره، لا لمن ترك التغني

---

(١) في الأصل يعد وزدت الهاء ليستقيم الكلام...

(٢) في الأصل الحظ.

(٣) سورة المائدة آية ٤٩.

(٤) في الأصل المعنا.

(٥) قمن أي، خليق وجدير، أنظر النهاية لابن الأثير ٤/١١١.

(٦) الحديث عن ابن عباس وقد أخرجه مسلم، كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ١/٣٤٨.

(٧) في الأصل الحظ.

به وبين المعنيين فرق ظاهر، وقد يصح أن يرادا معاً وأنَّه ذم من ترك التغني به ومن تغنى بغيره والله أعلم.

فصل

(١٢) **قال صاحب الغناء**: صح عن النبي ﷺ أنَّه قال: «صوتان ملعونان: صوت ويل عند مصيبة، وصوت مزمار عند نغمة»(١) ومفهوم خطابه يقتضي إباحة غير هذين الصوتين في غير هاتين الحالتين، وإلاَّ بطلت(٢) فائدة التخصيص.

قال صاحب القرآن: هذا الحديث من أجود ما يحتج به على تحريم الغناء كما في اللفظ الآخر الصحيح «إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت مصيبة لطم الخدود وشق الجيوب ودعاء بدعوى الجاهلية»(٣)

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ثمّ قال البزار والضياء عن أنس/١٩٣، وذكر المنذري في الترغيب، والترهيب نحوه، وقال رواه البزار ورواته الثقات٤/٣٥٠، والحديث حسن، أنظر صحيح الجامع الصغير ٢/٧٠٨.

(٢) في الأصل والبلطت.

(٣) أخرجه الترمذي عن جابر بن عبدالله ـ كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، قال أبو عيسى هذا حديث حسن ٣/٣١٩، ومدار الحديث في جميع طرقه على ابن أبي ليلى محمد بن عبد الرحمن وهو سيء الحفظ وباقي رجال سنده رجال الصحيحين إلا على بن خشرم فهو من رجال مسلم وأصل الحديث في الصحيح، من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه بدون هذه الزيادة،، ولفظه دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئراً، لإبراهيم وفيه، فقال له عبد الرحمن وأنت يا رسول الله فقال يا ابن عوف إنها رحمة ثمّ اتبعها بأخرى فقال ﷺ «إنَّ العين تدمع وإنَّ القلب يحزن ولا نقول إلاَّ ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) رواه البخاري، كتاب الجنائز باب قول النبي إنا بك لمحزونون ٢/١٠٥. =

فنهى عن الصوت الذي يفعل عند المصيبة والصوت الذي يفعل عند النغمة هو صوت الغناء.

قال صاحب الغناء: إنما نهى عن صوت الغناء. **قال صاحب القرآن**: المراد بصوت المزمار هنا هو نفس الغناء، فإنَّ نفس صوت الإنسان يسمى مزماراً، ومزموراً كما قال - ﷺ - لأبي موسى: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود»[1]، فسمى صوته مزماراً وكما قال الصديق - رضي اللّه عنه - لغناء (٩٢ ب) الجاريتين: «أبمزمور الشيطان في بيت رسول اللّه - ﷺ -»[2] ولم يكن معهما مزمور غير أصواتهما فكذلك قوله - ﷺ -: «نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين» ثمّ فسرهما بالغناء والنوح اللذين[3] يثيرهما الطرب والحزن.

= قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٧٤/٣، في شرح الحديث المذكور ووقع في حديث عبد الرحمن نفسه فقلت يا رسول اللّه تبكي أو لم تنه عن البكاء وزاد فيه «إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة، خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان» قال إنما هذا رحمة ومن لا يرحم ولا يرحم انتهى، هكذا أورده الحافظ وسكت عليه، ولا يسكت إلاَّ على ما هو حسن، أو مقارب كذلك تقرر في علم المصطلح أنَّ حديث سيء الحفظ ومجهول الحال، والمدلس والمرسل يتوقف فيه حتى يوجد له عاضد ومتى وجد له عاضد ارتفع إلى درجة الحسن لغيره، وهذا الحديث بهذه الزيادة تترجح صحته لأمرين:

١ - إنَّ الزيادة وردت من راوي الأصل والذي حضر القصة وهو أحفظ لحديثه من غيره، ومما يؤكد ذلك أنَّه هو المستفسر عن بكاء النبي ﷺ.

٢ - إنَّ هذه الزيادة لها شواهد متعددة من السنة تبلغها درجة الصحة أو درجة الشهرة التي لا يجوز ردها واللّه أعلم، أنظر تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة/٤١ - ٤٢.

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٢.

(٢) سبق تخريجه ص ٥٢.

(٣) في الأصل للذين.

وقولك: «إنَّ مفهوم الخطاب يقتضي إباحة غير هذا» فجوابه من وجهين:

أحدهما: إنَّ مثل هذا اللفظ لا مفهوم له عند أكثر أهل العلم، فإنَّ التخصيص في مثل هذا بالعدد. لا يقتضي اختصاص الحكم به كقوله - ﷺ -: «ثلاث في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن»[1]، لا يقتضي أنَّه ليس فيهم من أمر الجاهلية غير هذه الثلاث، ومن قال من الفقهاء بمفهوم العدد، فإنما يكون عنده حجة. إذا لم يكن للتخصيص سبب آخر، وهنا التخصيص لكون هذين الصوتين كانا معتادين في زمنه وعلى عهده - ﷺ - كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ[2]﴾ فإنَّ القتل على هذه الصفة هو الذي كان معتاداً على عهده في العرب.

الثاني: إنَّ اللفظ الذي ذكره رسول اللّه - ﷺ - يدل على مورد النزاع، فإنَّه إذا نهى عن هذا الصوت عند النغمة التي يعذر الإنسان عندها إذ هي محل فرح وسرور كما رخص في غناء النساء في الأعراس والأعياد ونحو ذلك فلأن ينهي عنه في غير هذه الحال أولى وأحرى.

---

(١) وردت هذه الثلاث في حديث أبي مالك الأشعري أنَّ رسول اللّه ﷺ، قال أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب رواه مسلم كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة. ٢/٦٤٤.

(٢) سورة الأسراء، آية ٣١.

فصل

(١٣) قال صاحب الغناء: قد روى ابن طاهر المقدسي[١] أن رجلاً أنشد بين يدي النبي ﷺ:

أقبلت فلاح لها عارضان كالسبج[٢] (٩٣أ)
أدبرت[٣] فقلت لها والفؤاد في وهج
هل على ويحكما إن عشقت من حرج

فقال رسول الله ﷺ: «لا إن شاء الله»[٤] وذكره أبو القاسم القشيري[٥] في رسالته،[٦] وهو نص في إباحة الغناء.

قال صاحب القرآن: هذا الحديث مكذوب موضوع على رسول الله ـ ﷺ ـ لا يشك فيه مَن له أدنى علم بسنّة رسول الله ـ ﷺ ـ وتمييز صحيحها من سقيمها، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدّس الله روحه ـ يقول: «هذا الحديث موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث لا

---

(١) هو محمد بن طاهر المقدسي القيسراني سمع من ابن ورقاء والفضل بن المحب وغيرهما كان من أسرع الناس كتابة وأذكاهم وأعرفهم بالحديث وقال الحافظ ابن ناصر الدين ولولا ما ذهب إليه من إباحة السماع لا نعقد على ثقته الإجماع توفي سنة ٥٠٧، شذرات الذهب ٤/١٨.

(٢) السبج خرز أسود. أنظر لسان العرب ٢/٢٩٤.

(٣) في الأصل ثم أدبرت وحذفت ثمّ لأنها زائدة كما في القشيرية ص ٥٢.

(٤) غير موجودة في القشيرية.

(٥) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري ولد سنة ٣٧٦ سمع أحمد بن محمد الخفاف ومحمد بن أحمد المكي ثقة كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي من تصانيفه أحكام السماع والجواهر، وغيرهما توفي سنة ٤٦٥هـ، تاريخ بغداد ١١/٨٣ ـ شذرات الذهب ٣/٣١٩.

(٦) الرسالة القشيرية ص ١٥٢.

أصل له، وليس هو في شيء من دواوين الإسلام وليس له إسناد»،[1] ومَن له أدنى ذوق في الشعر يعرف أن هذا من شعر المتأخرين، وليس من فحله بل من ثنياته، وشعر العرب أفحل من هذا وأخمس[2] وكيف يظن بالنبي - ﷺ - أنه يقول لا حرج، من غير أن يسأله عن معشوقته أهي ممن يحل له لا فقبح الله واضعه على رسول الله - ﷺ - ما أجرأه على النار.

فصل

(١٤) **قال صاحب الغناء:** فقد روى أن أعرابياً أتى النبي - ﷺ - وأنشده:

لسعت حية الهوى[3] كبدي ... فلا طبيب لها ولا راقي
إلاّ الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيّتي وترياقي

فتواجد النبي - ﷺ - عند سماعه.[4]

---

(١) الاستقامة لابن تيمية ١/٢٩٦.

(٢) كذا في الأصل ولعلها أحسن.

(٣) في الأصل الهواى

(٤) ذكر الحديث بطوله محمد بن علي بن طاهر الهندي الفتني في كتابه، تذكرة الموضوعات ص ١٩٨ وقال إن الحديث في الذيل للديلمي عن أنس وقال بعد أن أورد الحديث. قال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي تفرد به أبو بكر عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر وقال أبو موسى المديني لا أصل لهذا الحديث بهذا السياق والظاهر أنه موضوع وقد سمعت غير واحد عاب المقدسي بإيراد هذا الحديث في كتابه وأورده السهروردي في العوارف ٥/١٢١، وقال يخالج سرى أنه غير صالح وقد تكلم فيه أصحاب الحديث والقلب يأبى قبوله وقال سيف الدين لا تعصب أبلغ من إيراد الحديث الذي لا يخفى وضعه على الجهال فلو خبت يداه عن كتابته لكان خيراً وقد وقفت على استفتاء فيه أفتى =

قال صاحب القرآن: وهذا الحديث أيضاً من الطراز الأول فليتبوأ واضعه على رسول الله ـ ﷺ ـ (٩٣ ب) مقعده من النار، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «هذا كذب مفتري موضوع باتفاق أهل العلم». [(١)] قلت: وركاكة شعره وسماجته، وما تجد عليه من الثقالة من أبين الشواهد على أنه من شعر المتأخرين البارد السمج فقبح الله الكاذبين على رسول الله ﷺ.

وقد اختلف الناس في كفر من كذب عليه وقتله على قولين مشهورين وهما وجهان لأصحاب[(٢)] الشافعي وغيرهم، والذين ذهبوا إلى كفره وقتله. [(٣)] احتجوا بالأثر المشهور.

= عبد الرحمن المقدسي بأن هذا الحديث غير صحيح لأن محمد بن طاهر وإن كان حافظاً لكنهم تكلّموا فيه ونسبوه إلى الإباحة وله كتاب في صفة التصوف روى فيه عن أئمة الدين حكايات باطلة مع أن هذا لا يناسب شعر العرب وإنما يليق بالمولدين وكذلك ألفاظ متن الحديث لا يليق بكلام النبي ﷺ ولا بكلام أصحابه وكذلك معناه لا يليق بأحوالهم من الجد والاجتهاد، وأفتى النووي فيه بأنه باطل لا يحل روايته ويعزر من رواه عالماً بحاله.

(١) الاستقامة لابن تيمية ١ / ٢٩٧.

(٢) في الأصل الأصحاب

(٣) والقول الثاني: إن الكاذب عليه تغلظ عقوبته لكن لا يكفر ولا يجوز قتله لأن موجبات الكفر والقتل معلومة وليس هذا منها، فلا يجوز أن يثبت ما لا أصل له ومَن قال هذا فلا بد أن يقيد قوله بأنه لم يكن الكذب عليه متضمناً لعيب ظاهر فأمّا إن أخبر أنه سمعه يقول كلاماً يدل على نقصه وعيبه دلالة ظاهرة فهذا لا ريب أنه كافر حلال الدم.

وأجاب مَن ذهب إلى هذا القول عن الحديث بأن النبي ﷺ علم أنه كان منافقاً فقتله لذلك لا للكذب.

وهذا الجواب ليس بشيء لأن النبي ﷺ لم يكن من سنته أن يقتل أحداً من المنافقين الذين أخبر الثقة عنهم بالنفاق، أو الذي نزل القرآن بنفاقهم فكيف يقتل رجلاً بمجرد =

«أن رجلاً جاء إلى قوم من العرب، فقال: إني رسول رسول الله - ﷺ - إليكم أن تزوجوني فزوجوه وأكرموه، ثمّ أرسلوا إلى رسول الله - ﷺ - إنا قد فعلنا ما أمرتنا به فأمر بقتله،[1] قالوا وقد توعده بأنه يتبوأ مقعده من النار»، والمباءة المكان اللازم له الذي لا يفارقه، قالوا وقد قال - ﷺ -: «ليس كذب عليّ ككذب على غيري»[2] فلو كان الكذب عليه إنما يوجب التعزير والكذب[3] على غيره يوجبه لكانا سواء، أو متقاربين، قالوا: ولأن[4] الكذب عليه يرجع إلى الكذب على الله، وأن هذا دينه وشرعه ووضعه[5] والكذب على الله أقبح من القول عليه بلا علم، والقول عليه بلا علم من أعظم المحرمات الأربع مبتدئاً بالأسهل منها، ثمّ ما هو أصعب منه ثمّ كذلك بل هو في الدرجة الرابعة من المحرمات قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ

= علمه بنفاقه ثم إنه سمى خلقاً من المنافقين لحذيفة وغيره، ولم يقتل منهم أحداً وأيضاً فالسبب المذكور في الحديث إنما هو كذبه على النبي، ﷺ، كذباً فيه غرض وعليه رتب القتل فلا يجوز إضافة القتل إلى سبب آخر، وأيضاً فإن الرجل إنما قصد بالكذب نيل شهوته ومثل هذا قد يصدر من الفساق كما يصدر من الكفار إلى غير ذلك من الأسباب. أنظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ١٧٥.

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ١٦٥/١ وابن الجوزي في كتاب الموضوعات الباب الثاني ص ٥٥.

(٢) الحديث عن المغيرة بن شعبة وقد أخرجه البخاري كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة على الميت ١٠٢/٢.

(٣) في الأصل والذب.

(٤) في الأصل لين

(٥) في الأصل ووصفه ولعل الصواب ما أثبته .

ٱلْفَوَٰحِشَ[1] مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ (٩٤ أ) مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] فذكر سبحانه المحرمات الأربع مبتدئاً بالأسهل منها، ثم ما هو أصعب منه ثم كذلك حتى ختمها بأعظمها وأشدها، وهو القول عليه بلا علم، فكيف بالكذب عليه قالوا: ولان[3] الكذب عليه بأنه قال كذا، ولم يقله نسبة للقول المكذوب إليه بأنه[4] قاله فالكاذب يعلم أن ما اختلقه كذب، فإذا نسبه إلى رسول الله فقد نسب إليه الكذب، وهذا المذهب كما ترى قوة وظهوراً.

فصل

(١٥) قال صاحب الغناء: وقد روى أن أصحاب الصفة سمعوا يوماً فتواجدوا، ومزقوا ثيابهم ولنا الأسوة فيهم.

قال صاحب القرآن: هذا أيضاً من جراب الكذب، الذي فتحه البهاتون الدجالون ولم يكن في القرون الثلاثة لا بالمدينة ولا بمكة ولا بالشام ولا باليمن ولا بمصر ولا بخراسان ولا العراق، مَن يجتمع على هذا السماع المحدث، فضلاً عن أن يكون نظيره كان على عهد رسول الله ﷺ، ولا كان أحد يمزق ثيابه من السلف الصالح وهم كانوا أعلم بالله وأفقه في دينه من أن يقدموا على محرم في الشريعة باتفاق الأمة وهو إتلاف المال وإضاعته ويعدونه قربة إلى الله تعالى،

---

(١) في الأصل الواحش

(٢) سورة الأعراف آية ٣٣

(٣) في الأصل لين

(٤) في الأصل بأنه وأنه وحذفت وأنه لأنها زائدة.

ولا كان فيهم رقاص بل لما حدث التغيير في أواخر المائة الثانية، وكان أهله من خيار طائفتهم وكان مبدأ حدوثه من جهة المشرق التيَ منها يطلع قرن الشيطان، وبها الفتن[1] (٩٤ ب) قال الشافعي: «خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يصدون به الناس عن القرآن». [2]

فصل

(١٦) **قال صاحب الغناء:** قال أبو طالب المكي[3] في كتابه «القوت» «مَن أنكر السماع مطلقاً غير مقيد، فقد أنكر على سبعين صديقاً». هذا في زمانه ولا ريب أن المنكر بعده يكون إنكاره على أضعاف هؤلاء.

قال صاحب القرآن: إن كان قد حضره وفعله سبعون صديقاً، فقد أنكر عليهم سبعون وسبعون، وأكثر[4] والمنكرون عليهم أعظم علماً وإيماناً وأرفع درجة فليس الانتصار لطائفة من الصديقين على نظائرهم، لا سيما على مَن هو أكبر منهم وأجل وأكثر عدداً. بأولى من العكس، وحينئذ فيعارض[5] قولك بما هو أولى منه.

---

(١) هناك أحاديث تدل على ذلك منها: عن عبدالله بن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق فقال: (ها إن الفتنة ها هنا إن الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان) رواه البخاري كتاب بدء خلق باب صفة إبليس وجنوده ٤/١٥٠.

(٢) سبقت الإشارة إلى مصدره ص ١١٩ .

(٣) سبقت ترجمته ص ٢٨٥ .

(٤) في الأصل وألثر

(٥) في الأصل فتعارض ولعل الصواب ما أثبته

ويقال من أقر على هذا السماع واستحبه وأنكر على مَن أنكره[1] فقد أنكر[2] على سبعين وسبعين وسبعين، وأكثر من الصديقين[3] والعلماء وأيضاً فالذين حضروا هذا اللهو متأولين من أهل الصلاح والزهد والخير، غمرت حسناتهم، ما كان فيهم من السيئات والخطأ من هذا ومن غيره وهذا سبيل كل صالح في هذه الأمة في خطئه[4] وزلله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ[5] ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾[6].

وهذا كالمتأولين من صالحي الكوفيين في النبيذ المسكر وإن كان خمراً، وكذلك المتأولون من صالحي أهل مكة (٩٥ أ) في المتعة والصرف وإن كان سبيلهما سبيل الزنا والربا، وهم من أبعد الناس عن ذلك، وكذلك المتأولون في حل بعض ما حرمه الشارع من الأطعمة من أهل المدينة وغيرهم، وكذلك المتأولون في مسألة حشوش النساء،[7] وكذلك المتأولون في القتال في الفتنة إلى أمثال ذلك مما تأول فيه قوم من أهل العلم والدين من مطعوم أو مشروب أو منكوح، أو مسموع أو عقد ونحو ذلك مما قد علم أن الله ورسوله حرمه لم يجز اتباعهم في ذلك، وإن كان مغفوراً لهم أو من السعي

(١) في الأصل أنكر على ما أنكره والصواب ما أثبته

(٢) في الأصل إنكم

(٣) في الأصل صديقين منكر والتعريف هو الصواب.

(٤) في الأصل في خطابه

(٥) في الأصل ليلفر

(٦) سورة الزمر آية ٣٣ إلى ٣٥.

(٧) حشوش النساء. أدبارهن. أنظر النهاية لابن الأثير ١/٣٩١.

الذي يؤجرون[1] عليه لاجتهادهم أجراً واحداً، فالرب سبحانه يمحو السيئات بالحسنات ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

فصل

وها هنا أصل يجب اعتماده، وهو أن الله سبحانه عصم هذه الأمة، أن تجتمع على ضلالة، ولم يعصم آحادها من الخطأ لا صديقاً ولا غيره، لكن إذا وقع في بعضها خطأ فلا بد أن يقيم الله فيها مَن يكون على الصواب، لأن هذه الأمة شهداء الله في الأرض، وهم شهداء على الناس يوم القيامة وهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر فلا بد أن تأمر[2] بكل معروف وتنهى[3] عن كل منكر، فإذا كان فيها مَن يأمر بمنكر متأولاً، فلا بد أن يقيم الله فيها مَن يأمر بذلك المعروف.

فأمّا الاحتجاج بفعل طائفة من الصديقين في مسألة نازعهم فيها مثلهم، وأكثر منهم فباطل، بل لو كان المنازع لهم أقل منهم عدداً، وأدنى منزلة لم تكن الحجة مع أحدهما إلاّ بكتاب الله وسنّة (٩٥ ب) رسوله - ﷺ - فإن الأمة أمرت بذلك، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[4] فإذا تنازع الأمراء والعلماء والزهاد والعباد في شيء فعليهم

---

(١) في الأصل يؤجر نون

(٢) في الأصل يأمر

(٣) في الأصل وينهى

(٤) سورة النساء آية ٥٩.

جميعهم أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله.

ومن المعلوم أن الصديقين الذين أباحوا بعض المسكرات، والصديقين الذين استحلوا نكاح المتعة واستحلوا الصرف، واستحلوا نكاح التحليل، واستحلوا بعض المطاعم التي حرمها الشارع، واستحلوا قتال أهل القبلة، هم أسبق من هؤلاء وأكبر وخير منهم وأعلم بالله ورسوله، فإذا نهى مَن خالفهم عما نهى الله ورسوله عنه من ذلك لم يكن لأحد أن يقول هذا إنكار على كذا وكذا من الصديقين، وأئمة المسلمين، فإن هذا الإنكار من نظرائهم أو من هو أعلم بذلك منهم وإن كانوا أعلم منه بشيء آخر فالصديقون أنكر بعضهم على بعض، ورد بعضهم على بعض، وخطأ بعضهم بعضاً بل قاتل بعضهم بعضاً، وكل ذلك لله وفي الله وفي مرضاته.

فصل

وها هنا نكتة ينبغي التفطن لها، وهي أنَّ اللّه سبحانه لما سبق في قضائه وقدره وعلمه السابق، أنَّ الأمة لا بدّ أن تختلف، ويكون فيها من يستحل بعض ما حرمه بالتأويل، جعل من[1] المختلفين سلفاً صالحاً خفي عليهم بعض ما جاء به رسوله فخالفوه متأولين، وهم مطيعون (٩٦ أ) للّه ورسوله وإن أخطأوا حكمه في بعض ما اختلفوا فيه للأشتباه والخفاء، كما يكون من خفيت عليه القبلة فصلي بالاجتهاد إلى غير جهتها مطيعاً للّه ورسوله، فلولا اختلاف المتقدمين لهلك المتأخرون، ومن كمال نعمته وتمام رحمته أن جعل في الأمة من

(١) من لا توجد في الأصل وأضفتها لضرورة وجودها.

يعرف ما خفي على الآخر من الصواب وكذلك هذا أيضاً قد يخفي عليه الصواب في شيء آخر ويعرفه ذلك فمجموع الحق عند مجموع الأمة، ووقوع مثل هذا التأويل ممن وقع منه من الأئمة المتبوعين أهل العلم والإيمان صار من أسباب المحنة التي امتحن اللّه بها عباده، وفتنهم بها، وصار فتنة لطائفتين، طائفة اتبعتهم على ذلك وقلدوهم، فيه، معرضين عما أمرهم اللّه ورسوله من إتباع الحق، وحمل التعصب لكثير[1] من أتباعهم على أنهم لم يقفوا عند الحد الذي وقف أولئك عنده وانتهوا إليه بل اعتدوا في ذلك، وزادوا زيادات لم تصدر من تلك الأئمة ولو رأوا من يفعلها ويستحلها لأنكروا عليه غاية الإنكار.

وطائفة أخرى علموا تحريم ما أحله أولئك الأئمة بالتأويل، ووضحت لهم فيه السنة فاعتدوا على المتأولين بنوع من الذم فيما هو مغفور لهم، وتبعهم مقلدون لهم فزادوا في الذم واعتدوا ولم يقفوا عند الحد الذي انتهى إليه من قلدوه.

والقول الوسط والصراط المستقيم بين هذا وهذا معرفة المراتب وإعطاء كل ذي حق حقه، وإتباع القول الموافق لما جاء به الرسول (٩٦ ب) - ﷺ - وعذر من خالفه مجتهداً متأولاً واعتبر ذلك بمسألة السماع التي وقع فيها النزاع فإنَّ الله سبحانه شرع للأمة من السماع ما أغناهم به عما لم [2] يشرعه حيث أكمل لهم دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام ديناً، وهو سماع القرآن الذي شرعه لهم في الصلاة وخارجها مجتمعين ومنفردين حتى كان أصحاب النبي - ﷺ - إذا

---

(١) في الأصل ككثير.

(٢) في الأصل عمالهم.

اجتمعوا أمروا واحداً يقرأ والباقون يستمعون[١]، وكان عمر بن الخطاب يقول، لأبي موسى: «يا أبا موسى ذكرنا ربنا[٢]».

فلما انقرضت القرون الفاضلة حصلت[٣] فترة في هذا السماع المشروع الذي به صلاح القلوب وسعادة الدارين وصار أهل الفتور فيه أحد رجلين، رجل أعرض عن السماع المشروع وغير المشروع، فأورثه ذلك قسوة وفوات حظه من حقائق الإيمان وأذواقه ومواجيده، ورجل أقبل على سماع الأبيات والقصائد، وجعل شربه وذوقه منها، والرجلان منحرفان وخير منهما وأصح سماعاً من جعل سماعه وذوقه ووجده من الآيات، وأقام الله سبحانه من أنكر على أهل السماع المحدث المبتدع وكان في المنكرين المقتصد والجافي والغالي وصار على تمادي الأيام يزداد المحدث من هذا السماع، ويكثر الحدث فيه، ويزداد التغليظ من أهل الإنكار حتى آل الأمر إلى أنواع من التفرق. والاختلاف والمعاداة ومن ثبته الله بالقول الثابت أعطى كل ذي حق حقه، وحفظ حدود اللّه فلم يتعدها[٤] «ومن[٥] يتعد حدود اللّه فقد ظلم نفسه» وحصلت الزيادة في جميع (٩٧ أ) أنواع البدع وازدادت على الأيام تغليظاً فإنَّ أصل سماع القصائد كان تلحيناً بإنشاد قصائد

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٥٣٣.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ١/٢٥٨، وابن سعد في الطبقات ٤/١٠٩، وذكره ابن كثير في كتاب فضائل القرآن ملحق بتفسيره باب من أحب أن يسمع القراءة من غيره ٤/٦٢٥، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/٣٩١، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ٥٢٦.
يعتدها.

(٣) في الأصل حصلة.

(٤) في الأصل يعتدها

(٥) في الأصل لم يتعد،ا واستقامة الكلام كما أثبت.

مرقّقة للقلوب، تتضمن تحريك المحبة والشوق والخشية والحزن والأسف وغير ذلك، وكانوا يشترطون له المكان والإمكان والخلان، ويشترطون أن يكون المجتمعون لهذا السماع من أهل الطريق المريدين لوجه اللّه والدار الآخرة، وأن يكون الشعر المسموع خالياً عما تحظر الشريعة سماعه وتكرهه، وبعضهم كان يشترط أن يكون القوال منهم، وبعضهم يشترط كون الذي أنشأ القصيدة من أهل الطريق إلى غير ذلك من الشروط والأوضاع التي احترزوا بها من مفسدات السماع.

ولكن لما كان الأصل غير مشروع آل الأمر إلى ما آل إليه من الفساد الذي لا يعلمه إلاَّ اللّه لأنَّه من عند غير اللّه، فليس عليه حارس وحافظ من اللّه بل هو بمدرجة كل سالك في الباطل، وهو مجمع المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع وما ذبح على النصب، ثمّ إنَّهم أضافوا إلى هذا الصوت، ما ينفذه ويوصله إلى شغاف القلب من الآلات التي أخفها التغبير، وهو ضرب بقضيب على جلد أو مخدة على توقيع خاص فعظم إنكار الإئمة لذلك كالشافعي وأحمد فقال الشافعي: «هو من إحداث الزنادقة[1]» وقال أحمد: «بدعة[2]» ثمّ لم يقتصروا على هذه[3] الحركة فتعدوها إلى حركة الدفوف، وهي أقبح من حركة التغبير وفيها ما فيها وزيادة التشبه بالنساء، فإنَّ الدف[4] في الأصل إنما هو للنساء عادة ورخصة، وقد لعن رسول اللّه (٩٧ ب) - ﷺ - المتشبهين[5] من الرجال

(١) سبقت الإشارة إلى مصدره ١١٩ .

(٢)سبقت الإشارة إلى مصدره ١٢٤ .

(٣) في الأصل هذه مكررة.

(٤) سبق تعريفه ص ١٠٨ .

(٥) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي اللّه عنه، ونصه، قال لعن رسول اللّه ﷺ المتشبهين =

بالنساء، ثمّ لم يقتصروا على هذه الحركة حتى تعدوهـا إلى حركـات الأوتار والعيدان، التي هي في الأصل من إحداث الفلاسفة أعـداء الرسل، ثمّ ضموا إلى ذلك حركة الرقص، التي سببها استخفـاف الشيطان لأحدهم وركوبه على كتفه ودقه برجليه في صدره، وكلما دقه برجليه ورقص على صدره رقص هو كرقص الشيـطان عليه، وقـد شاهد ذلك بعض أهل البصائر عياناً، ثمّ ضموا إلى صوت الغنـاء صوت اليراع[1] والشبابة[2] وغيرها فاقتضت هذه الهيئة الاجتماعيـة حركة باطنة، فإنَّ استماع الأصوات المطربة، يثير حركة النفس بحسب تلك الأصوات، وللأصوات طبائع متنوعـة بتنوع آثـارها في النفس وكذلك للكلام المسموع نظمه ونثره، فيجمعون بين الصوت المناسب والحرف المناسب فيتولد من بينهما حركات نفسية تثير كامنها وتزعـج قاطنها، وهذا أمر يشترك فيه بنـو آدم من المؤمنين والكفـار والأبرار والفجار، ويثير من قلب كل أحد ما فيه، ومعلوم أنَّ النفوس فيها الشهوات كامنة، ولكنها مقهورة مقيدة، بقيود الأوامر، فإذا صادفها السماع أحياها وأطلقها من قيودها وأفتكها من أسرها، وأجلب عليها بكل معين وممد، وهذا أمر لا ينكره إلاَّ أحد رجلين إما غليظ كثيف الحجاب وإما مكابر، فمضرة هذا السماع عـلى النفوس أعـظم من مضرة حميا الكؤوس[3].

ولما كانت المفسدة فيه ظاهرة معلومة، أخرجـه أهله في قالب

= من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال رواه البخاري، كتاب اللباس ـ باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال ٧/ ٢٠٥.

(١) سبق تعريفه ١٧٨ .

(٢) سبق تعريفها ١١١ .

(٣) حميا الكؤوس، شدته وحدته المعجم الوسيط ١/ ٢٠٠.

يلطف ما فيه من المنكر فجمعوا عليه أخلاطاً من الناس، وقالوا: إنَّ هذا (٩٨ أ) الاجتماع شبكة نصطاد بها النفوس إلى التوبة ونسوقها بها إلى اللّه والدار الآخرة، ونعم واللّه هو شبكة وأي شبكة، يصطاد بها الشيطان النفوس المبطلة إلى ما هو أعظم من المعاصي الظاهرة، ويقودها بها إلى الغي والهوى، فلهذا نسبه هؤلاء الفساق من المخانيث والزناة وعشاق الصور، فجعلوه شبكة لهم لصيد الأغيد والغيداء[١] والغزال والغزالة ووضعوه على ما يليق بمقاصدهم من الأوضاع، فشرطوا أن يكون المغنى أمرد جميلاً، تدعو صورته وصوته وشكله ودله وحركاته إلى تعلق القلوب به وعشقه فإن فات فامرأة كذلك، وإذا جمع السماع العاشق والمعشوق، وتقابلاً وتعانقاً في الرقص. فظن شراً ولا تسأل عن الخبر.

وإذا حضر المردان الحسان هذا السماع فهو عندهم الغاية[٢] ولا سيما إذا ألبسوهم المصبغات، وزينوهم كما تزين العرائس وأخلوا لهم طايق[٣] الرقص، ودار حولهم العشاق والفساق كالهالة حول القمر وأداروا عليهم من الأعين النطاق، فللشيطان، لا للّه كم من زعقة وصرخة وزفرة وأنة وحسرة ووجد وأسف وحزن وكم من قلوب تشقق قبل الجيوب، وعبرات تسكب في غير رضا علام الغيوب، فيا لها حضرة ما أحبها إلى الشيطان، وما أبغضها إلى الرحمن، ويتزايد الأمر حتى يغنوا بأشعار طالما[٤] عصى اللّه بها في الأرض، من أشعار

---

(١) الغيداء المرأة المتثنية من اللين وقد تغايدت في مشيها لسان العرب ٣/٣٢٨.

الأغيد، الوسنان المائل العنق. لسان العرب ٣/٣٢٧.

(٢) في الأصل الثايفة.

(٣) طايق الرقص، وسط الرقص، لسان العرب ١٠/٢٣٢.

(٤) في الأصل طال ما.

الفساق والفجار المتضمنة لتهييج النفوس على ما يبغضه اللّه ويمقت عليه ومدح ما حرمه، ولعن فاعله، والابتهاج به، والافتخار (٩٨ ب) بنيله، والتبجح بالوصول إليه، وربما تعدوا ذلك إلى الغناء بالأشعار الكفرية التي تحاد ما أنزل اللّه كأشعار أهل الإلحاد من الاتحادية والحلولية والأشعار المتضمنة لكثير من ألفاظ القرآن كقوله:

قمت ليل الصدود إلاَّ قليلا ثمّ رتلت ذكركم ترتيلا

إلى أن يقول:

قل لراقي الجفون إن لجفني في بحار الدموع سبحا طويلا[١]

ومر في السورة يستعرضها هكذا إلى آخرها، وهذا فعل من لا يرجو للّه تعالى ولا لكتابه وقاراً، بل قد سقطت حرمة القرآن والدين من قلبه، وكثيراً ما يغنون بأبيات تتضمن اعتقاد الكفار، وقد لا يدري المغني ولا السامعون، بل قد يغنون بما لا يستجيزه الكفار من أهل الكتاب، ولولا الإطالة لذكرنا من أشعارهم هذه كثيراً، وزادوا أيضاً في آلات[٢] اللهو حتى تعدوا إلى آلات اليهود والنصارى والمجوس والصابئة على اختلاف أنواعها وعظمت البلية[٣]، واشتدت بذلك الفتنة حتى ربا فيها الصغير وهرم فيها الكبير، واتخذوا ذلك ديدناً وديناً وجعلوه من الوظائف الراتبة، بالغدو والإصال وفي الأماكن والأوقات الفاضلات، واعتاضوا به عن سماع الآيات وعن إقامة الصلوات، ووقعوا تحت قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ[٤]﴾ وتحت قوله: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا

(١) لم أعرف القائل.

(٢) في الأصل اللات.

(٣) في الأصل البكية.

(٤) سورة مريم آية ٥٩.

مُكَآءً وَتَصْدِيَةً[1]﴾ فإنَّ «المكاء» هو الصفير وتوابعه من الغناء، «والتصدية» التصفيق بالأيدي (٩٩ أ) وتوابعه، فإذا كان هذا سماع المشركين الذي ذمه اللّه في كتابه، فكيف إذا اقترن بالمكاء المواصيل[2] والشبابات[3] وبالتصدية الدفوف[4] المصلصلات[5]، والرقص والتكسر. والتثني بالحركات الموزونات، فكأنَّ القوم إنما حل لهم المكاء والتصدية لما انضمت إليه هذه المؤكدات، فهناك ذهب حرامه وبقي حلاله، وزال نقصه وخلفه كماله، ثمّ يتفاقم أمره إلى أن يشتمل على ما يتضمن الكفر بالرحمن والاستهزاء بالقرآن والطعن في أهل الإيمان، والاستخفاف بالأنبياء والمرسلين والتحضيض على جهاد المؤمنين ومعاونة الكفار والمنافقين واتخاذ المخلوق إلهاً من دون رب العالمين وجعل ذلك من أفضل أحوال العارفين، ويفعلون في هذا السماع ما لا يفعله اليهود ولا النصارى ولا الصائبة ولا المجوس، فصار السماع المحدث دائراً بين الكفر والفسوق والعصيان، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه، وكفره من أغلظ الكفر وأشده، وفسوقه من أعظم الفسوق وأبلغه، فإنَّ تأثيره في النفوس من أعظم التأثير، يغذيها ويغنيها، ولذلك سُميَّ غناء ويوجب للنفوس أحوالاً عجيبة، يظن أصحابها أنها من جنس كرامات الأولياء، وإنما هي من الأمور الطبيعية المبعدة عن اللّه، والشيطان يمد أصحابها في هذا السماع بأنواع الإمداد كما قال تعالى: ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾[6]﴾ وقال

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٥.

(٢) سبق تعريفها ص ١٦١ .

(٣) سبق تعريفها ص ١١١ .

(٤) سبق تعريفها ص ١٠٨ .

(٥) سبق تعريفها ص ١٧١ .

(٦) سورة الأعراف آية ٢٠٢.

للشيطان: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ[1]﴾.

وصار في أهل هذا السماع المحدث الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ضد ما أحبه اللّه وشرعه من دينه الحق الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه من عامة الوجوه (٩٩ ب) إذ صار مشتملاً على أكثر ما حرمه اللّه ورسوله فإنَّ اللّه تعالى قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ن[2]﴾، فاشتمل هذا السماع على هذا الأمور الأربعة التي هي قواعد المحرمات، فإنَّ فيه من الفواحش الظاهرة والباطنة والإعانة على أسبابها والإثم والبغي بغير الحق والشرك باللّه، ما لم ينزل به سلطاناً والقول على اللّه بغير علم ما اللّه به عليم فإنَّه تنوع وتعدد طرقه، وتفرق أهله فيه وصاروا شيعاً، لكل قوم ذوق ومشرب وطريق يفارقون به غيرهم، حتى في الأشعار والألحان والحركات والأذواق وصار من فيه من العلم والإيمان ما ينهاه عما فيه من أنواع الكفر والفسوق والعصيان، يريد أن يجد له حداً يفصل فيه بين ما يسوغ منه «ومالا يسوغ[3]»، فلايكاد ينضبط حتى إنَّ منهم من شرط، شروطاً تتعذر ويندر وجودها، حتى إنَّه اجتمع مرة ببغداد في حال عمارتها ووجود الخلافة بها أعيان الشيوخ الذين يحضرون السماع المصون فلم يجدوا من يصلح له إلاَّ ثلاثة نفر أو أربعة، وسبب هذا أنَّه ليس من عند اللّه، فوقع فيه الاضطراب والاختلاف وصار أهله «من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، كل

---

(١) سورة الأسراء آية ٦٤.

(٢) سورة الأعراف آية ٣٣.

(٣) في الأصل ما يسوغ والصواب ما أثبته.

حزب بما لديهم فرحون» ثمّ المصيبة العظمى، والداهية الكبرى[١] أنَّه مع اشتماله على المحرمات كلها أو أكثرها أو بعضها يرون أنَّه من أعظم (١٠٠ أ) القربات وأجلها. قدراً وأنَّ أهلها هم صفوة أولياء اللّه وخيرته من خلقه، ولا يرضون بمساواة السابقين الأولين من سلف الأمة وأئمتها، حتى يتفضلوا عليهم وفي غلاتهم وزنادقتهم من يساوون أنفسهم بالأنبياء والمرسلين، وفيهم من يفضل نفسه عليهم، إلى غير ذلك من أنواع الكفر.

وجماع الأمر أنه صار فيه وفيما يتبعه في وسائله ومقاصده وصفته ونتيجته، شبه مما في السماع الشرعي، وما يتبعه في ذلك، فاشتبه الأمر والتبس الحق بالباطل ونفوس أهله غالباً لا تميز لها ولهذا أكثر أهله أهل الجهل، وضعفاء العقول ممن قل نصيبه من العلم والإيمان، وأجدب قلبه من حقائق القرآن كالنساء والصبيان وأهل البوادي وجهلة الأعراب، ولهذا كان أهله إذا عقدوه ينزل عليهم المقت، وحفت بهم الشياطين وغشيتهم السخطة، وذكرهم إبليس فيمن عنده وأهل السماع الإيماني القرآني، إذا حضروه تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده[٢]، فتقذف، الملائكة في قلوب أهل هذا السماع، ما يزدادون به علماً وإيماناً، وفي قلوب أهل ذلك السماع ما يزدادون به نفاقاً وعصياناً حتى إن آثار الشياطين لتوجد على أهل هذا السماع، يراها كل صاحب

---

(١) في الأصل اللبري.

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري انهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال «لايقعد قوم يذكرون الله عزّ وجلّ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده، رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٤/٤.

بصيرة في صفحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم وحركاتهم وأحوالهم، حتى إن كثيراً منهم ليصعق كما يصعق المصروع، ويزبد كما يزبد المصروع ويجري (١٠٠ب) على لسانه من الكلام ما لايفهم معناه، ولا هو بلغته كما يجري للمصروعين كما وجد ذلك في أقوام كانوا يتكلمون في سماعهم بلغات التتار الكفار، وذلك لتنزل شياطينهم عليهم، وتكلمهم على ألسنتهم، يظنون أنهم بذلك من أولياء الله وإنما هم أولياء الشيطان وحزبه ولهذا يفعلونه على الوجه الذي يحبه الشيطان ويكرهه الرحمن وذلك من وجوه:

أحدها: أن العبادات الشرعية مثل الصلاة والصيام والاعتكاف والحج، قد شرع فيها من مجانبة مباشرة النساء المباحة في غيرها، ما هو من كمالها وتمامها وأعظم ذلك الحج، فليس من محرم يباشر فيه النساء، ولا ينظر إليهن لشهوة، والمعتكف قريب منه، والصائم دونه، والمصلي لا يصاف المرأة، بل تتأخر عنه، بل مرورها بين يديه داخل السترة تقطع صلاته بالنص(١)، ومس المرأة لشهوة ينقض الطهارة عند الجمهور ومطلقاً عند الشافعي(٢).

فإذا كان هذا في النظر والمباشرة المباح في غير حال العبادة، نهى

(١) وردت أحاديث تنص على أن المرأة تقطع الصلاة منها، عن أبي ذرقال قال رسول الله ﷺ «إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب قدر ما يستر المصلي ٣٢٥/١.

(٢) والقول الثالث أنه لا ينقض بحال كقول أبي حنيفة وغيره وروى شيخ الإسلام أن الصحيح في المسألة أحد قولين إما الأول وإما الثالث وأما وجوب الوضؤ من مجرد مس المرأة لغير شهوة فهو أضعف الأقوال أنظر مجموع الفتاوي ٢٣٥/٢١، ٢٣٦.

الله عنه حال العبادة، لمنافاته لها فكيف بالنظر إلى الصور المحرمة من الرجال والنساء، والاستمتاع بأصواتهن إذا كانوا هم المغنين، ولا يتم واجب السماع عند القوم إلا بذلك، وإلا كان سمجاً بارداً، فحضور الشاهد في السماع من باب مالا يتم الواجب إلا به عندهم.

وقد كان بعضهم يصلي بالليل وقد أوقد شمعة على وجه أمرد مليح جميل الصورة يستحلي محاسنه في الصلاة، ويجد في قلبه من الباعث على الصلاة (١٠١أ) والسهر في العبادة أمراً عجيباً، ويعد ذلك من عباداته وقرباته ولا ريب أن النفس تتحرك عند رؤية الصورة الحسنة، وسماع الصوت الحسن مالا تتحرك لغيرهما، فالأحوال والهمة التي تثيرها سماع الألحان بمنزلة الأحوال والهمة التي يثيرها استجلاء محاسن الصور سواء وللشيطان براطيل ومداخل، فيلقي في قلب الرجل أنك لا تنظر للفسق ولا تسمع اللهو وإنما تنظر للعبرة وتتذكر ما أعد الله لعباده وأوليائه.

عند لقائه من الصور المستحسنات فاستدل بالشاهد على الغائب، وعلى الباقي بالفاني ألا ترى، إلى قول القائل فيمن[١] يحبه:

فإذا راك العابدون تيقنوا   حور الجنان لدى النعيم الخالد[٢]

ويقول له: إنما تسمع أيضاً للفكرة والعبرة وتأخذ من السماع مالا يأخذ غيرك، وأخبرني غير واحد ممن يجد من حاله وقلبه وهمته عند هذا السماع، وعند رؤية الصور الجميلة مالايجده في غيره، فحركة القلب عند السماع كحركته[٣] عند رؤية الصور التي أمر الله أن يغض

(١) في الأصل في من

(٢) لم أعرف القائل.

(٣) في الأصل لحركته.

بصره عنها، فهل يقول عارف بالله وأمره أن هذه الحركة بالله ولله، كلا والله، إن هي إلا بالنفس وللشيطان، وغايتها أن تكون حركة ممزوجة مركبة مما لله وللنفس والشيطان هذا أعلى مراتبها، والذي يكشف لك قناع هذه المخبأة ويسفر لك عن وجهها، أنك تجد (١٠١ب) كثيراً ممن يعاني الأعمال الشاقة، إذا تعلق قلبه بصورة جميلة، أو سمع صوتاً حسناً ازداد حرصه وقوته وهمته على ما يعانيه من الأعمال وحمل منه مالايحمله الخلي، واستلذ سهر الليالي وركوب الأهوال، فإن الحب يطير، والرجاء يسير، فيصادف تلك الصورة والصوت من قلبه حباً كامناً، لما هو بصدده فيزعجه ويثيره حتى تطوع له نفسه ببذله مالاتطوع من غيره، فتصادف سماع الأصوات المطربة، ورؤية الصور الجميلة من قلب المريد نوع محبة الله والدار الآخرة، فيثيرها ويزعجها لكن يقلبها نفسانية، ويدخل نصيب الشيطان وحظ النفس فيزاحمها، وتشتبك إحدى المحبتين بالأخرى وتلتبس بها، وأكثر المريدين حظهم ناقص من العلم والتمييز، ويجد أحدهم للمحبة وجداً وذوقاً وليس له تمييز بين صحيحها وسقيمها، ولا يجد له عند من يلومه ويعذله شيئاً من المحبة والذوق والأنس الذي وجده فيشتد نفاره منه، ولا يصغي إليه، ولا يعرج عليه.

فصل

وأنت إذا تأملت العبادات من الصلاة والحج والاعتكاف والصيام والوضوء، رأيت شأن الصور المباحة منافياً لها غاية المنافاة، فالحج منع المحرم فيه من النكاح والمباشرة والوطء[١] والأسباب

(١) في الأصل الوطى.

الداعية إليه، وفسد حجة ببعض ذلك، وكذلك[1] الاعتكاف نهي فيه عن مباشرة الحلال من الصور والصيام دون ذلك، وفي الصلاة منعت المرأة أن تؤم الرجال، وأن تسمعهم صوتها بالتسبيح عندما ينوب في الصلاة (١٠٢أ) وأن تقف في صفهم، بل تتأخر عن صفوف الرجال وجعل مرورها بين يدي المصلي قاطعاً لصلاته، ومسها بشهوة مبطلاً لوضوءه عند الجمهور، وعند الشافعي مبطل للوضوء مطلقاً، كل هذا لتخلوا العبادات من ملابسة الصور والتعلق بها ويصير تعلق القلب كله بالله وحده، فبدل الذين ظلموا دينا غير الذي شرع لهم وجعلوا حضور الشاهد المليح، والأصوات المطربة المهيجة على عشق الصور قربة تقربهم بزعمهم إلى الله، وتدنيهم من رضاه، وهذا من أعظم تبديل الدين، ومتابعة الشيطان وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يحكى عن بعض الملوك «أنه قال. لشيخ رآه قد عمل مثل هذا السماع، وأحضر فيه من الصور الجميلة والأصوات المطربة ما أحضره: ياشيخ إن (كان) هذا[2] طريق الجنة فأين طريق النار[3] وحكى لي شخص آخر مغنياً عزم على التوبة، فقيل له عليك بصحبة الفقراء فإنهم يعملون على حصول الآخرة والزهد في الدنيا فصحبهم فصاروا يستعملونه في السماع ولا تكاد التوبة تنتهي إليه لتزاحمهم عليه، فترك صحبتهم وقال، أنا كنت عمري تائباً ولا أدري.

الوجه الثاني: أن التطريب بالآلات الملهية محرم في السماع

---

(١) في الأصل لذلك.

(٢) في الأصل **إن هذا** طريق، والمقام يقتضي زيادة كان.

(٣) أنظر الاستقامة لابن تيمية ٣١٧/١ .

الذي يحبه الله ورسوله وهو سماع[1] القرآن، فكيف يكون قربة في السماع الذي لم يشرعه بل ذمه[2] (١٠٢ب) وذم أهله وهل يصح في عقل أو فطرة، مذموم عند الله ينضم إلى مذموم آخر فيصير المجموع محبوباً مرضياً، فهذه الآفات ونحوها التي في السماع أعظم من آفات الكبائر. الظاهرة، والله المستعان.

الوجه الثالث: كثرة ايقاد النيران بالشموع وغيرها، المفرق للقلوب القاطع لها عن جمعيتها على الله، حتى لو كان في الصلاة[3]، لفرق القلب وشتته.

الوجه الرابع: التنوع في المطاعم والمشارب والمسموعات[4] على اختلاف أنواعها وليس هذا شأن أرباب العبادات، وإنما هو شأن أصحاب الشهوات.

الوجه الخامس: ما يقارنه من الرقص والتكسر والتخنيث الذي هو سمة النساء وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء[5].

الوجه السادس: ما يقارنه من آلات اللهو والمعازف وقد ثبت في صحيح البخاري[6] أن النبي ﷺ قال: «يكون في هذه الأمة قوم

---

(١) في الأصل تماع.

(٢) في الأصل مكرر.

(٣) في الأصل الصلات.

(٤) في الأصل المسمومات والصواب ما أثبته.

(٥) سبقت الإشارة إليه وتخريجه ص ٣٣٣.

(٦) صحيح البخاري كتاب الاشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ١٣٨/٧.

يستحلون الخمر والحرير والمعازف» فجعل استحلال المعازف بمنزلة استحلال الخمر ولبس الحرير، والمعازف آلات اللهو كلها من الشبابة[1] والطنبور[2] والعود[3] ونحوها.

السابع: ما يقارنه من عشراء السوء وخلطاء الشر الذين يضيعون الصلوات، ويتبعون الشهوات، فزبون هذه السلعة وفرسان هذا الميدان كل بطال وباطول ليس في قلبه محبة الله وخشيته والاستعداد للقائه، بل ولا معرفته ومعرفة دينه، بل زبونه وفرسانه كل عاشق ومعشوق، ومن قلبه هائم في أودية اللهو واللعب (١٠٣ أ) وهمته عاكفة على محبة المليح والمليحة.

الثامن: ما يقارنه من حركات النفوس المختلفة، والأصوات المنكرة، والحركات، العظيمة التي لا يمكن ردها ودفعها بعد قيام موجبها التام كما[4] لا يمكن دفع السكر عن النفس بعد تعاطي أسبابه.

التاسع: أنه مضاد لمقصود الصلاة وذكر الله، فإن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، والسماع يأمر بالفحشاء والمنكر ومَن أنكر ذلك بلسانه فقلبه أعلم، وأهل هذا السماع يعلمون من نفوسهم من الفحشاء والمنكر ما يعلمونه، ولهذا يتقاضى من كل أحد من الفواحش بحسب استعداده، فيتقاضى من بعض هؤلاء صحبة الأحداث

---

(١) سبق تعريفها ص ١١١ .

(٢) سبق تعريفه ص ١٦٦ .

(٣) سبق تعريفه ص ١٦٦ .

(٤) كما ساقطة من الأصل وزدتها ليستقيم الكلام.

الحسان الصور ومشاهدتهم ومعاشرتهم، وتمتلىء قلوبهم من عشقهم وتألههم ويبرطلهم إبليس بالعفة عن الفجور بهم وقد ظفر منهم بما هو أحب إليه من فجورهم بهم بكثير، فإنه قد جعلهم تماثيل بين القلب وبين الله، فهم لها عاكفون بقلوبهم، وصاحب الفجور الذي قد قضى شهوته، وفرغ قلبه ولم يجعل تلك الصورة تمثالاً بين قلبه وبين الله أحسن حالاً منهم، فليتدبر اللبيب هذه اللطيفة، وليصرخ إلى مقلب القلوب ومصرفها أن يثبت قلبه على دينه، ويصرفه على طاعته.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي - ﷺ - أنه قال: «العينان تزنيان وزناهما النظر، واليد تزنى وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والقلب يتمنى ويشتهي. والفرج يصدق ذلك، أو يكذبه»(١) فجعل لكل (١٠٣ ب) عضو من هذه الأعضاء زنا يخصه، فكيف يتقرب إلى الله بزنا العين، وإن قال الناظر أنا لا أنظر لشهوة بل لعبرة، قيل له: فلم نهاك الله عن النظر، وأمرك بغض البصر وقيل له: أمّا ما دامت النفس حية، والشيطان موجوداً، والطباع على حالها فكلا، وقيل له: صاحب الشرع أعلم بأحكام هذا النظر منك حيث يقول: «لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى، وليست لك الأخرى»(٢)، وقيل له: الشيء متى كان في نفسه مفسدة، أو داعية إلى

(١) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان باب زنا الجوارح، دون الفرج ٦٧/٨، ومسلم نحوه كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ٢٠٤٧/٤

(٢) الحديث عن بريدة وقد أخرجه أبو داود كتاب النكاح باب ما يؤمر به من غض البصر ٢/٢٤٦ والترمذي كتاب الأدب، باب ما جاء في نظر الفجأة ١٠١/٥ والدارمي كتاب الرقاب، باب في حفظ السمع ٢٩٨/٣ وأحمد في مسنده ٣٥٧/٥ والحديث صحيح، صحيح الجامع الصغير ٢٣١٦/٣.

المفسدة، فإن الشارع يحرمه مطلقاً حكمة منه وصيانة وشفقة وحمية، وقيل له: كم قد هلك قبلك من هالك بهذا الظن الفاسد، ظن أنه ينظر عبرة فأوقعه نظره في أعظم الحسرة كما قيل:

وأنا الذي اجتلب[١] المنية طرفه فمَن المطالب والقتيل القاتل[٢]

وقال آخر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك[٣] المناظر
رأيت الذي لأكله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر[٤]

قلت ولي من قصيدة:

يا مرسلاً لسهام اللحظ مجتهدا أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
أرسلت طرفك ترتاد الشفاء فما رأى رسولك إلّا رائد العطب[٥]

ولا سيّما النفوس التي فيها رقة ولطافة ورياضة، فإن الصوت والصورة أسرع تأثيراً فيها من النار في يابس الحطب، حتى إنها لتتقوت بذلك أحياناً وبهذا رضي الشيطان من هذه الطائفة فإنه[٦] لم يبال (١٠٤ أ) بعد أن أوقعهم فيما يفسد قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، أن لا يشغلهم بجمع[٧] الأموال وطلب الجاه والولايات فإن فتنة أحدهم بذلك أعظم من فتنته بهذه الأمور فإن جنس هذه

---

(١) في الأصل أجلب
(٢) القائل المتنبي ديوانه ٣/٣٦٧
(٣) في الأصل ابعتك
(٤) القائل جارية، روضة المحبين ص ٩٧.
(٥) روضة المحبين ص ٩٧.
(٦) في الأصل فان والمقام يقتضي زيادة الهاء.
(٧) في الأصل بجميع

الأمور مباح، وقد يستعان بها على طاعة الله..

وأمّا ما شغل به هؤلاء نفوسهم، فإنه دين فاسد منهي عنه، مضرته راجحة على منفعته، ولو لم يكن في هذا السماع من المفسدة إلاّ تشبه الرجال بالنساء فإن الغناء في الأصل إنما جعل للنساء، ولذلك ما شرع منه في الأعراس والأعياد إنما شرع للنساء والجواري[1] الصغار والولدان الحديثي الأسنان.

فإذا تشبه بهم الرجل كان مخنثاً[2] وقد لعن الرسول - ﷺ - المخنثين من الرجال[3] وكذلك مَن يحضرونه في السماع من الشاهد فيهم من التخنيث بقدر ما تشبهوا به من أمر النساء، وعليهم من اللعنة بقدر نصيبهم من ذلك التشبه وقد أمر النبي - ﷺ - بإخراج المخنثين ونفيهم وقال: «أخرجوهم من بيوتكم»[4] فكيف بمَن يقربهم ويعظمهم ويتعبد قلبه بهم، ويجعلهم طواغيت يعظمون بالباطل الذي حرمه الله ورسوله، وأمر بعقوبة أهله وإذلالهم وهل هذا إلاّ مضادة الله في أمره وقد قال - ﷺ -: «مَن حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله في أمره»[5] فإذا كان هذا في الشفاعة بالكلام فكيف بمَن يعظم المتعدين[6] لحدود الله ويعينهم في ذلك ويجعله ديناً

(١) في الأصل الجوار

(٢) المخنث هو المتثنى والمتكسر. أنظر لسان العرب ١٤٥/٣.

(٣) (٤) الحديث عن ابن عباس وقد أخرجه البخاري كتاب اللباس باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ٢٠٥/٧.

(٥) الحديث عن عبدالله بن عمر وقد أخرجه أبو داود كتاب الأقضية باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها ٣٠٥/٣ وأحمد في مسنده ٧٠/٣ والحديث صحيح. أنظر صحيح الجامع الصغير ١٠٦٦/٣.

(٦) في الأصل المعتدين

لا سيما إذا كان التعظيم بما هو من جنس الفواحش، فإن مَن يعظم القينات المغنيات والمغنين ويجعل لهم نوع رئاسة وعز لأجل ما يستمع (١٠٤ ب) به منهن من الغناء وغيره، فقد تعرض من غضب الله ومقته وسلب نعمه عنه إلى أمر عظيم، ولله كم زالت بهؤلاء نعمة عمَن أنعم الله عليه فما رعاها حق رعايتها، وقد شاهد الناس من ذلك ما يطول وصفه، وما امتلأت دار من أصوات هؤلاء وألحانهم وأصوات معازفهم ورهجهم،[1] إلا وأعقب ذلك من حزن أهلها ونكبتهم وحلول، المصائب بساحتهم ما لا يفي بذلك الشرور من غير إبطاء وسل الوجود ينبيك عن حوادثه والعاقل مَن اعتبر بغيره.

الوجه العاشر: أن رفع الأصوات بالذكر المشروع مكروه، إلا حيث جاءت به السنّة، كالآذان[2] والتلبية وفي الصحيح[3] عن أبي موسى قال: «كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في سفر فكنا إذا علونا ارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وقد قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[4] وقال: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً [5] وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ

---

(١) الرهج الشغب لسان العرب ٢/٢٨٥.

(٢) كأذن واستقامة الكلمة كما أثبت.

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبة ٨/١٠١ ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٣/٢٠٧٦.

(٤) سورة الأعراف آية ٥٥

(٥) في الأصل وخفية

﴿ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾[2] وقال الحسن البصري: «رفع الصوت بالدعاء بدعة» ونص عليه الإمام أحمد وغيره وقال قيس بن عباد[3] من كبار التابعين: «كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر وعند الجنائز وعند القتال»[4] وهذه المواطن الثلاث تطلب فيها النفوس الحركة الشديدة عند الذكر والدعاء لما فيه من الحلاوة (١٠٥ أ) ومحبة ذكر الله ودعائه وعند الجنائز بالحزن والبكاء، وعند القتال بالغضب والحمية، ومضرة رفع الصوت بذلك أعظم من منفعته، بل قد يكون ضرراً محضاً، وإن كانت النفس تشتفي به، وتبرأ النبي - ﷺ - من الصالقة[5] وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة فكيف بالمغنية التي ترفع صوتها بالغناء.

وأمّا القتال فالسنّة فيه أيضاً خفض الصوت، وأمّا هذه الدبادب[6] والأبواق[7] والطبول[8] فإنها لم تكن على عهد الخلفاء

(١) سورة الأعراف آية ٢٠٥. (٢) سورة مريم اية ٣

(٣) هو قيس بن عباد القيسي الضبعي، قدّم المدينة في خلافة عمر روى عن عمر وأبي بن كعب وغيرهما وروى عنه ابن سيرين وأبو نضرة العبدي وغيرهما، ثقة مات ما بين عشر وعشرين ومائة ووهم من عدّه من الصحابة، تقريب التهذيب ١٢٩/٣، تهذيب التهذيب ٤٠٠/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الجهاد باب رفع الصوت في الحرب ٤٦/١٣.

(٥) إشارة إلى حديث أبي موسى ونصه «قال أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة رواه البخاري كتاب الصلاة باب ما ينهي من الحلق عند المصيبة ١٠٣/٣، ومسلم كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ١٠٠/١.

(٦) الدبادب، صوت كأنه دب دب وهي حكاية الصوت، وقيل الكثير الصياح والجلبة. أنظر لسان العرب ٣٧٢/١.

(٧) البوق الذي ينفخ فيه ويزمر، لسان العرب ٣١/٧.

(٨) جمع طبل وهو الذي يضرب به وهو ذو الوجه الواحد والوجهين لسان العرب ٣٩٨/١١.

الراشدين، ولا من بعدهم من امراء[1] المسلمين وإنما حدثت من جهة بعض ملوك المشرق من أهل فارس، وانتشرت في الأرض وتداولها الملوك حتى ربا فيها الصغير وهرم الكبير لا يعرفون غير ذلك وينكرون على مَن ينكره ويزعم بعض الجهال أن هذا من إحداث عثمان، وليس الأمر كذلك بل ولا من فعل من بعده من الخلفاء، وإنما ورثته الأمة من الأعاجم، ولم يكن منه بد تحقيقاً لقول النبي - ﷺ - «لتأخذن أمتي مأخذ الأمم قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع فقالوا: فارس والروم قال: ومن الناس إلاّ هؤلاء» وكما في الحديث الآخر «لتركبن سنن مَن كان قبلكم حذو القذة[2] بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: فمَن» والحديثان في الصحيح[3] فأخبر أنه لا بد من أن يكون في الأمة من يتشبه باليهود والنصارى وبفارس والروم وظهور هذا الشبه في الطوائف، إنما يعرفه من عرف الحق وضده، وعرف الواجب والواقع[4] وطابق (١٠٥ ب) بين هذا وهذا، ووازن بين ما عليه

---

(١) في الأصل أمر

(٢) القذة ريش السهم يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان، النهاية لابن الأثير، ٢٨/٤.

(٣) الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ، لتتبعن سنن مَن كان قبلكم ١٢٦/٩، أمّا الحديث الثاني، عن أبي سعيد وقد أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٢٠٦/٤، ومسلم نحوه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود ٢٠٥٤/٤.

(٤) في الأصل والواقع والطابق، واستقامة الكلام يقتضي حذف الطابق.

الناس اليوم وبين ما كان عليه السلف الصالح، فإذا كان رفع الصوت في مواطن العبادات بالذكر والدعاء الذي يحبه الله ويرضاه بدعة مكروهة لا يتقرب بها إلى الله، فكيف يكون رفعه بالغناء الذي هو قرآن الشيطان، قربة وطاعة، وقد سماه النبي - ﷺ - صوتاً فاجراً أحمق ونهى عنه.(١)

الوجه الحادي عشر: أنه يأمر بعشق الصور الذي كرهه الله، وينهي عن العفة وغض البصر الذي أمر الله به، فإن الغناء يتضمن التحريض على الفسق، وذكر محاسن المعشوق ووصفها، وذكر طيب وصاله وعذاب هجره، ولو غنى المغني بأشعار العفة والتخويف من عذاب الله والترغيب في العمل الصالح، وذم الفواحش لاستسمجه الحاضرون، واستثقلوه وتبرموا به، قالوا هذا مبتدع مخالف لسنّة الغناء، ونعم هو مخالف لسنّة الفساق.

الوجه الثاني عشر: أنه يتضمن من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة ما هو معلوم من شأن فاسق،(٢) غالب زبونه وفرسانه لا يصلون، ومَن صلى منهم فإنه من الذين ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ «إِلَى»(٣) ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.(٤) ومَن صلى منهم لله، فإن صلاته صلاة خرجية خالية عما ذكرناه من ذوق الصلاة ومواجيدها وحقائقها، لأن قواه قد انصرفت إلى ذوق السماع، وصار شربه ووجده فيه، ولا يجتمع الذوقان والوجدان والحلاوتان في قلب واحد أبداً، بل الأمر كما قيل:

(١) إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن عوف وقد سبق تخريجه ص ١١٥ .

(٢) المراد به المغنى.

(٣) في الأصل ساقطة وزدتها حسب نص الآية.

(٤) سورة النساء آية ١٤٢.

سـارت مشرقـة وسرت مغـربـاً　　شتـان بـين مشرق ومغـرب[1]

والله يعلم أنّـا لم نتعـد وصفهم، ونعلم أنهم كـذلـك[2] بالجملة[3] فمفاسد السماع، من جنس مفاسد عشق الصور وهي أكثر من أن يحصرها (١٠٦ أ) العد وإنما يشهدها القلب الحي وإلاّ.

فما لجرح بميت إيلام[4]

فصل

(١٧) قال صاحب الغناء: حسن الصوت مما أنعم الله به على صاحبه من الناس، قال تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[5] قيل في التفسير إنه الصوت الحسن[6] وذم الله تعالى الصوت الفظيع، فقال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[7][8].

قـال صاحب القـرآن: كون الشيء نعمـة تقتضي[9] اباحـة استعماله فيما شاء المنعم عليه، فيما أحب المنعم به ورضيه، فـذلك

---

(١) لم أعرف القائل

(٢) في الأصل لذلك

(٣) في الأصل بدون واو والمقام يقتضيها

(٤) سبقت الإشارة إليه والتعريف بقائله ص ١٨٢ .

(٥) سورة فاطر آية ١ .

(٦) أنظر تفسير زاد المسير ٤٧٣/٦، تفسير القرطبي ٣٢٠/١٤، وتفسير النيسابوري بهامش تفسير ابن جرير ٧٤/٢٢، وتفسير ابن كثير ٥٤٧/٣.

(٧) سورة لقمان آية ١٩ .

(٨) الرسالة القشيرية ص ١٥٢ .

(٩) في الأصل لا تقتضي واستقامة الكلام يقتضي حذف لا .

شكر هذه النعمة التي يستوجب بها المزيد من شكرها، فيقيد بالشكر موجودها ويحصل به مقصودها، فهذه النعمة تقتضي استعمال الصوت الحسن في قراءة القرآن، كما كان أبو موسى الأشعري يفعل ذلك حتى كان النبي ﷺ يستمع لقراءته وقال: «مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك، فقال: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً، وقال: لقد أوتي هذا مزماراً، من مزامير آل داود»[1].

وأما استعمال النعم في المباح المحض، فإنه لا يكون طاعة، فكيف في المكروه أو المحرم، وأيضاً فمن المعلوم أن المال نعمة، والجمال نعمة، والقوة نعمة، فهل يسوغ لأحد أن يقول: كون ذلك نعمة يقتضي جواز استعمالها فيما لم يأذن له فيه رب النعمة، وهل الاستدلال بهذا إلا بمنزلة الأستدلال بنعم الله من السلطان والمال والقوة. على ما تتقاضاه الطباع من الظلم والفواحش ونحوها، فاستعمال الصوت الحسن في الأغاني، بمنزله استعمال الصورة الحسنة في الفواحش واستعمال الجاه والمال في الظلم والعدوان، وأيضاً فإن هذه النعمة يستعملها الكفار والفساق في أنواع (١٠٦ب) من الكفر والفسوق، وأكثر ما يستعملها المؤمنون في الإيمان، فإن استمتاع الكفار والفساق بالأصوات المطربة، أكثر من استمتاع[2] المسلمين فإن عند المسلمين من وازع الإيمان، والعوض بالقرآن ماليس عندهم، فأي حمد لهذه النعم بذلك. إن لم يستعمل في طاعة الله.

وقولك: إن الله ذم الصوت الفظيع، فغلط بين، فإن الله سبحانه لا يذم العبد على ماليس من كسبه وفعله كما لا يذمه على

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٢ .

(٢) في الأصل أكثر من استعمال استمتاع وحذفت استعمال ليستقيم الكلام.

دمامته وقبح[1] شكله وإنما يذم العبد بأفعاله الاختيارية دون مالااختيار له فيه، وإنما ذم سبحانه ما يكون باختيار العبد من رفع الصوت الرفيع المنكر، كما يوجد ذلك في أهل الغلظ والجفاء من الفدادين[2] الصخابين[3] بالأسواق كما قال النبي ﷺ: «الجفا والغلظ وقسوة القلب في الفدادين من أهل الوبر[4] وهم الصياحون صياحاً منكراً» وفي صفة النبي ﷺ «ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق»[5].

وقال تعالى عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ[6] وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[7] فأمره أن يغض من صوته وأن يقصد في مشيه، كما أمر المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم وأصحاب السماع لا هذا ولا هذا ولا هذا، بل اطلاق البصير ورفع الأصوات والرقص...

فصل

١٨ - **قال صاحب الغناء:** استلذاذ القلوب الأصوات الطيبة

---

(١) في الأصل مكرر.

(٢) الفدادين: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم أنظر النهاية لابن الأثير ٤١٩/٣.

(٣) الصخب: الضجة واضطراب الأصوات. النهاية لابن الأثير ١٤/٣.

(٤) أهل الوبر أي أهل البوادي أنظر النهاية لابن الأثير ١٤٥/٥ والحديث عن أبي مسعود وقد أخرجه البخاري بدون لفظ قسوة القلب، كتاب المناقب ٢١٧/٤.

(٥) الحديث عن ابن عمر تفسير ابن جرير ١٠٠/٤.

(٦) في الأصل من صوتك.

(٧) سورة لقمان الآية ١٩.

واسترواحها إليها مما لا يمكن جحوده، فإن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمال تقاسي تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليها بالحداء قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾[1] وحكى اسماعيل بن علية[2] قال: كنت أمشي مع الشافعي (١٠٧/أ) وقت الهاجرة[3] فجزنا، بموضع يقول فيه قوال شيئاً، فقال: مل بنا إليه ثم قال لي: أيطربك هذا فقلت: لا فقال: مالك حس[4] **قال صاحب القرآن**: لقد كنت أيها السماعي غنياً أن تستشهد على هذه المسألة بحكاية مكذوبة[5] مختلقة على الشافعي، يعلم كذبها من له معرفة بالناس وطبقاتهم.

والشافعي أخذ عن إسماعيل بن علية وهو من أكبر شيوخه، وأما ابنه إبراهيم[6] تلميذ عبد الرحمن بن كيسان الأصم[7]، فكان الشافعي يذمه ويقول فيه: «أنا مخالف لابن علية في كل شيء حتى في

---

(١) سورة الغاشية آية ١٧.

(٢) هو اسماعيل بن ابراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم أبو بشر البصري المعروف بابن عليه ثقة حافظ من الثامنة مات سنة ١٩٣ تقريب التهذيب ٦٦/١.

(٣) الهاجره نصف النهار عند اشتداد الحر لسان العرب ٢٥٤/٥.

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٥٣.

(٥) في الأصل ملذوبة.

(٦) هو ابراهيم بن اسماعيل بن علية جهمي هالك كان يناظر ويقول بخلق القرآن ذكره أبو العرب في الضعفاء وقال أبو الحسن العجلي جهمي خبيث ملعون وقال ابن معين ليس بشيء له مصنفات في الفقه شبه الجدل حدث عنه بحر الخولاني وياسين بن أبي زراره مات سنة ٢١٨ لسان الميزان ٣٤/١.

(٧) هو عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول من أفصح الناس وأورعهم وأفقهم له تفسير عجيب ومن تلاميذه ابراهيم بن اسماعيل بن عليه وهو من طبقة أبي هذيل العلاف وأقدم منه لسان الميزان ٤٢٧/٣.

قول لا إله إلا الله، فإني أقول لا إله إلا الله الذي كلم موسى من وراء حجاب، وهو يقول لا إله إلا الله الذي خلق في الهواء[1] كلاماً أسمعه موسى[2]، وهذا هو الذي يذكر له أقوال شاذة في الفقه وأصوله، ويظن من لا علم عنده أنه اسماعيل، وليس الأمر كذلك[3]، فإن أباه اسماعيل من أجل شيوخ الشافعي وأحمد وطبقتهما، ثم لو صحت هذه الحكاية لم يكن فيها إلا ما هو مدرك بالإحساس من أنّ الصوت الطيب لذيذ مطرب، وهذا أمر مشترك فيه جميع الناس ليس مما يحتاج أن يستدل فيه بشهادة الشافعي، بل ذكر الشافعي في مثل هذا غض من منصبه، كما ذكر ابن طاهر عن مالك تلك الحكاية المشهورة[4]، ولولا شهرة زهد أحمد وورعه لوضعوا عليه

(١) في الأصل الهوى.

(٢) هذا قول الجهمية في كلام الله وأوضح شيخ الإسلام ابن تيمية حكم من قال هذه العبارة حيث قال لو قال إن معنى كلامي أنه خلق صوتاً في الهواء فاسمعه موسى كان كلامه كفراً وهو قول الجهميه الذين كفرهم السلف وقالوا يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا لكن من كان مؤمناً بالله ورسوله ولم يبلغه من العلم ما يبين الصواب فإنه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر إذ كثير من الناس يخطىء فيما يتأوله من القرآن ويجهل كثيراً مما يرد من معاني الكتاب والسنة والخطأ والنسيان مرفوعان على هذه الأمة والكفر لا يكون إلا بعد البيان والأئمة الذين أمروا بقتل مثل هؤلاء قيل إنهم أمروا بقتلهم لكفرهم وقيل لأنهم إذا دعوا الناس إلى بدعتهم أضلوا الناس فقتلوا لأجل الفساد في الأرض، مجموع الفتاوي ١٢/٥٢٣ ـ ٥٢٤.

(٣) في الأصل لذلك.

(٤) نص الحكاية المشهورة عن مصعب الزبيري قال حضرت مجلس مالك بن أنس فسأله أبو مصعب عن السماع فقال مالك ما أدري أهل العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك ولا يقعدون عنه ولا ينكره إلا غبي جاهل أو ناسك عراقي غيظ الطبع. أنظر السماع لابن طاهر ص ٤٦.

حكاية في اباحة السماع، وأهل المواجيد والفساق والمبطلون أعلم[1] بهذه المسألة ولذة السماع وطيبه من أئمة الدين الذين رفع الله في العالمين أقدارهم، وأعلى منازلهم فما لكم (١٠٧/ب) وللاستشهاد بهم في أمرأنتم أعرف به منهم، وهلا استشهدتم بهم في حكم هذه المسألة ومحلها من الشرع، كما استشهدنا بكلامهم في كون الصوت الحسن موجباً للذة أمر حسي، لكن أي شيء في هذا مما يدل على الأحكام الشرعية من كونه مباحاً أو مكروهاً ومحرماً، أو كون الغناء طاعة وقربة وهل هذا إلا نظير قول القائل: استلذاذ النفوس للوطء[2] أمر لا يمكن جحوده، ولذلك استلذوها بالنظر والمطاعم والمشارب والملابس، فأي دليل في هذا لمن هداه الله إلى ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به ويأذن فيه، وهل هذا إلا شبهة للاباحية الذين خلعوا ربقه الشريعة من أعناقهم، القائلين ما الذي حال بين الخليقة وبين رسوم الطبيعة، ومن المعلوم أن جميع هذه الأجناس فيها الحلال والحرام والمعروف والمنكر، ثم المناسب لطريقة الزهد والفقر والتصوف الاستدلال بذلك على كراهتها، والبعد منها، وأن يستدل بكون الشيء لذيذاً مشتهى على كونه مبايناً لطريق الارادة والتصوف التي مبناها على الزهد في الحظوظ وهذه الطريقة وإن لم تكن صحيحة في الشرع فهي أقرب إلى طريقتكم وأصولكم من الاستدلال بها عل الإباحة والقربة، وكلا الاستدلالين باطل فكون الشيء لذيذاً أو مشتهى أو مما تستروح إليه النفوس لا يدل على كونه حلالاً ولا حراماً، ولهذا ذم الله من اتبع الشهوات وذم من تقرب إليه بترك ما أباحه منها فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) في الأصل علم.

(٢) في الأصل للوطى.

ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾[1] وقال النبي ﷺ للنفر الذين قال أحدهم: أما أنا فاصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أفتر، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم (١٠٨/أ) فقال: «لكني[2] أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وأكل اللحم فمن رغب[3] عن سنتي فليس مني»[4].

والعمل لا يمدح أو يذم بمجرد اشتماله على اللذة وعدمها، بل إنما يمدح منه ما كان لله أطوع، ولعامله في الدارين أنفع سواء كان فيه لذة أو مشقة، فكم[5] من لذيذ هو طاعة ومنفعة، وكم من مشق هو معصية ومضرة وبالعكس، والمناسب أن تستدل بهذا على تحسين الصوت بالقرآن لا على تحسينه بالغناء، فإن الإستعانة بجنس الذات على الطاعات والقربات مما جاءت به الشريعة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[6] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾[7].

وفي الصحيح[8]: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة يحمده

---

(١) سورة المائدة آية ٨٧.

(٢) في الأصل لكن وما أثبته كما في الصحيحين.

(٣) في الأصل رغم.

(٤) الحديث عن أنس بن مالك وقد أخرجه البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ٧/٢ ومسلم كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ١٠٢٠/٢.

(٥) في الأصل فلم.

(٦) سورة المؤمنون آية ٥١.

(٧) سورة البقرة آية ١٧٢.

(٨) الحديث عن أنس وقد أخرجه مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والأستغفار باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ٢٠٩٥/٢.

عليها، ويشرب الشربة يحمده عليها». فيرضى عمن استعان باللذات على شكره وحمده، ولذلك جعل في مجامعة الرجل لأهله أجراً وقربة[1] لاستعانته بهذه اللذة على العفة، والله سبحانه خلق فينا الشهوات واللذات لنستعين بها على كمال مصالحنا وتمامها، فخلق فينا شهوة الأكل واللذة به وهي من نعمه علينا إذ بها بقاء نفوسنا وقوانا لنستعملها في طاعته ونتقوى بها على مرضاته، وخلق فينا شهوة النكاح ولذته وهي من نعمه علينا إذ بها تكثير النسل الذي يكون منه من يذكر الله ويعبده، فإذا استعملنا هذه القوة فيما يحبه الله ويرضاه كان ذلك سعادتنا في الدنيا والآخرة.

وكنا من الذين أنعم الله عليهم، وإن استعملناها فيما حرم علينا كنا ظالمين معتدين، والله سبحانه خلق الصوت الحسن وجعل النفوس تحبه[2] وتلتذ به، فإذا استعنا بذلك على استماع ما أمرنا باستماعه وهو كلامه، وحسنا أصواتنا بتلاوته (١٠٨/ب) كما أمر نبينا كنا ممن استعمل نعمه في طاعاته، كما كان أصحابه يأمرون أبا موسى أن يسمعهم كلام الله بصوته الطيب الذي استلذه رسول الله ﷺ واستمع له، وشهد له بأنه من مزامير آل داود ففي مثل هذا السماع كانوا يستعملون الصوت الحسن، ويجعلون التذاذهم به عوناً على طاعة الله وعبادته باستماع كتابه، فيثابون على هذا الالتذاذ باللذة المأمور بها، كما يثابون على لذاتها بالأكل والشرب واللباس والنصر والظفر المعينة لهم على طاعته، وكما يثابون على لذات قلوبهم بالعلم

(١) إشارة إلى حديث أبي ذر وفيه «وفي بضع أحدكم صدقة» أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب بيان إن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٤/٦٩٧.

(٢) في الأصل محبه.

والإيمان، وحلاوته وطيبه ونعيمه فإنها أعظم اللذات، وحلاوته أصدق الحلاوات، ونفس التذاذه وإن كان متولداً عن سعيه وهـو في نفسه ثواب سعيه فهو مثاب عليه، أيضاً، فإن المؤمن يثاب على علمه وعلى ما يتولد من علمه وعلى ما يلتذ به من ذلك بما هو أعظم لذة منه، فلا يزال متقلباً في نعم ربه وفضله وهي في نمو وتولد يولد له بعضها بعضاً كالتجارة والزراعة، فأما أن يستدل بمجرد التذاذ الإنسان للصوت، أو ميل الطفل إليه أو استراحة البهـائم به عـلى جوازه واستحبـابه في الدين، وأنه قربة إلى رب العالمين فهذا من الضلال المبين، وإذا كانت الأطفال والبهائم تستروح بالأكل والشرب فهل يدل ذلك على حل كل مأكول ومشروب.

فصل

وأصل غلط هذه الطائفة أنهم يجعلون الخـاص عامـاً والمقيد مطلقاً، فيجيئون إلى ألفاظ في كلام اللّه ورسوله قد أباحت أو حمدت نوعاً من السماع فيدرجون فيها سماع المكاء والتصدية، ويجيئون إلى المعاني (١٠٩/أ) التي دلت على الإباحة أو الاستحباب في نوع من الأصوات والسماع فيجعلونها دالة على نوع يضادها، وهذا جمع بين ما فرق اللّه ورسوله بينه بمنزلة من قاس الربا على البيع والسفاح على النكاح ونظائر ذلك من الأقيسة الباطلة التي عبدت بنظائرها الشمس، والقمر، وجعل أربابها للّه أنداداً سووهم برب العالمين.

وكذلك من عدل برسول اللّه ـ ﷺ ـ بشراً يطيعه في كل ما أمر أو عدل بكلام اللّه كلاماً آخر أو بشرعه شرعاً آخر، فهذا كله[١] من

(١) في الأصل كله مكرر.

أصول الشرك والضلال، وهذا مقام ينبغي لمن نصح نفسه وعمل لمعاده تدبره والتوقف فيه، فإنَّه ما بدلت الأديان في سالف الأزمنة وهلم جرا إلاَّ بمثل هذه المقاييس، فمن عمد إلى كلام اللّه الذي أنزله وأمر باستماعه، فعدل[1] به سماع بعض الأشعار وآثره عليه وأخذ ذوقه ومواجيده وصلاح قلبه منه فهو «ممن اتخذ من دون اللّه أنداداً يحبهم كحب اللّه والذين آمنوا أشد حباً للّه».

ويا عجباً لمن ذاق طعم الإيمان كيف يعدل[2] بالكلام الذي فضله عل غيره كفضل اللّه على خلقه[3]، وبالكلام الذي ما تقرب العباد إلى الله بأحب إليه منه كلاماً نزه اللّه ورسوله وأولياءه عنه، وجعله صلاة للمشركين وقرآناً لهم، وقرآناً لعدوه الشيطان، ورقية، لمحارمه، ومادة للنفاق، وما أحرى هذا أن يكون من الذين يقولون: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[4] (١٠٩/ب) ونظير هذا سواء ما وقع فيه طوائف من الجهال ممن ينتسب إلى معرفة وإرادة وزهد من الاستدلال بكون الجمال نعمة على جواز التمتع بالصور الجميلة مشاهدة ومباشرة[5] وعشقاً، فهؤلاء في الصور، وأولئك في الأصوات، لكن الواقعون في فتنة الصوت منهم

(١) في الأصل فعذل.

(٢) في الأصل يعذل.

(٣) إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول اللّه ﷺ من شغله قراءة القرآن عن مسألتي وذكرى أعطيته أفضل ثواب السائلين وفضل كلام اللّه على سائر الكلام كفضل اللّه على خلقه.
أخرجه الدارمي كتاب فضائل القرآن باب فضل كلام اللّه على سائر خلقه ٢/٤٤١.

(٤) سورة الشعراء آية ٩٧ ـ ٩٨.

(٥) في الأصل ومنشاره.

من له من العقل والدين والمعرفة ما ليس في الواقعين[١] في فتنة الصور، فإنَّه ليس في أهل الصور رجل مشهور بين الأمة بعلم ودين وسلوك وخير، بخلاف أهل الأصوات، ولكن أهل الأصوات طرقوا لأهل الصور الطريق، ونهجوا لهم السبيل، ونقطوا لهم فخطوا وارتادوا لهم المنازل، فخطوا وطيبوا لهم السير فساروا وجدوا بهم إلى مطارح الجمال، فطاروا وديدبوا[٢] لهم فطاب لهم اللعب وغنوا لهم فاستفزهم إلى المليح والمليحة الطرب، ووصفوا لهم سمر القدود وورد الخدود وتفلك النهود وسواد العيون وبياض الثغور، ونادوا: «حي على الوصال» فما وصل الحبيب بمحظور، فأجاب القوم منادى الهوى إذ نادى بهم بحي على غير الفلاح، وباعو أنفسهم بالغبن[٣] وبذلوها في مرضاة الصور الجميلة بذل المحب أخى سماح، تالله ما حمدوا عقبى سيرهم، لما حمد القوم السرى عند الصباح[٤]، ولقد رأيت من هؤلاء من يحتج بقوله: «إنَّ الله جميل يحب الجمال»[٥]: وينسى قوله: «إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[٦] وينسى قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا[٧] مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ وينسى قول النبي - ﷺ -: (١١٠/أ) «النظرة سهم مسموم من سهام

---

(١) في الأصل الواقين.

(٢) ديدبوا دبأته بالعصاد بأضربته لسان العرب ٧١/١.

(٣) الغبن الوكس والوكس النقص لسان العرب ٣١٠/١٣، ٢٥٧/٦.

(٤) سبق تخريجه ص ٩٣.

(٥) الحديث عن عبدالله بن مسعود وقد أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١.

(٦) الحديث عن أبي هريرة وقد أخرجه مسلم كتاب البر/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله ١٩٨٧/٤.

(٧) في الأصل مكررة سورة النور آية ٣٠.

إبليس فمن غض بصره أورثه اللّه حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه»(١) أو كما قال، ويحتجون بحديث «من عشق وكف وكتم فمات مات شهيداً»(٢) ولم يعلموا أنَّه خبر موضوع على رسول اللّه - ﷺ - أتهم به النقاش(٣) ورمى لأجله بالعظائم(٤)، ويحتجون بحديث روى

(١) الحديث عن حذيفة وغيره وقد أخرجه الحاكم في المستدرك - كتاب الرقاق باب النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة ٣١٤/٤ وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي وضعفه المنذري عن حذيفة وأخرجه الطبراني عن ابن مسعود كما في كشف الخفاء ٣٢٨/٢.

(٢) الحديث عن ابن عباس وغيره وقد أخرجه الخطيب في تاريخه ١٥٤/٥، والديلمي بلا سند كما في كشف الخفاء ٢٦٣/٢، وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات ص ١٩٩ وابن عساكر في تاريخه كما في كشف الخفاء ٢٦٣/٢.

(٣) محمد بن الحسن بن محمد بن زماد الموصلي أبو بكر النقاش روى عن أبي مسلم الكجي وطبقته وقرأ بالروايات ورحل إلى عدة مدائن وصار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه وقال طلحة بن محمد الشاهد كان النقاش يكذب في الحديث وقال البرقاني كل حديث النقاش منكر وقال أبو القاسم اللالكائي تفسير النقاش إشقاء الصدور وليس بشفاء الصدور مات سنة ٣٥١هـ، ميزان الاعتدال ٥٢٠/٣ .

(٤) وأيضاً لا يجوز أن يكون من كلامه فإنَّ الشهادة درجة عالية مقرونة بدرجة الصديقية ولها أعمال وأحوال هي شرط في حصولها وهي نوعان عامة وخاصة فالخاصة الشهادة في سبيل اللّه والعامة خمس مذكورة في الصحيح ليس العشق واحداً منها وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة تنال به درجة الشهادة هذا من المحال ولو كان إسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطاً ووهماً ولا يحفظ عن رسول اللّه ﷺ لفظ العشق في حديث صحيح البتة ثمّ إنَّ العشق منه ما هو حلال ومنه ما هو حرام فكيف يظن بالنبي ﷺ أنَّه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنَّه شهيد فترى من يعشق امرأة أو يعشق المردان ينال بعشقه درجة الشهداء وهل هذا الإخلاف المعلوم من دينه ولا يحفظ عن إمام من الأئمة أنَّه شهد له بصحة بل ولا بحسن كيف وقد أنكروا على سويد هذا الحديث ورموه لأجله بالعظائم واستحل بعضهم غزوه لأجله وأنكره عليه يحيى بن معين وقال هو ساقط كذاب وقال الإمام أحمد متروك الحديث وقال النسائي ليس بثقة، أنظر زاد المعاد ١٥٤/٣.

فيه أنَّ النبي ـ ﷺ ـ لما سمع ذلك المنشد ينشده:

هل على ويحكما[1] * إن عشقت من حرج

فقال: لا إن شاء اللّه وهو حديث وضعه على رسول اللّه ـ ﷺ ـ بعض الفساق كما تقدم[2].

ويحتجون بأنَّ العشق والمحبة غير داخل تحت الاختيار، ولا يملك العبد دفعة عن نفسه، كما كان هكذا فإنَّ اللّه لا يعذب عليه وينسون أنَّ قولهم به وتعاطيهم لأسبابه مقدور وبه يتعلق التكليف، فلما خانت أعينهم وتمنت أنفسهم واتبعوا النظرة النظرة تمكن داء العشق منهم، فعز على الأطباء دواؤه كما قيل:

تولع بالعشق حتى عشق * فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة * فلما توسط منها غرق[3]

(١١٠/ب) ويكرمون صاحب الصورة المليحة على ما يبذل لهم من صورته وشهوده وتوابع ذلك، كما يكرم أصحاب السماع ذا الصوت الحسن على ما يبذل لهم من صوته، وإن اجتمع فيه الأمران نال عندهم من الكرامة أعلاها ومن الحظوة منتهاها، ولهذا إذا رأى هؤلاء من جمع بين الصورة الجميلة والصوت اللذيذ من غلامة وغلام، علقوا بقلوبهم وهممهم عليه، وانقادت أسرارهم وجوارحهم إليه، وشقوا عليه القلوب قبل الجيوب، وبذلوا في مرضاته كل مطلوب، وقد زين الشيطان لكثير من هؤلاء أنَّ عشق الصور الجميلة إذا لم

---

(١) في الأصل غير واضحة ووضحتها من الرسالة القشيرية ص ١٥٢.

(٢) تقدم ص ٣٢١.

(٣) لم أعرف القائل.

يقارنه فاحشة محبة محمودة، وأنها محبة للّه وفي اللّه وهم نظير أصحاب الأصوات المطربة فالطائفتان «رضيعا[1] لبان ثدي أم تقاسما»[2].

والعارف يعلم أنَّ هذا أعظم من مواقعة الكبيرة، فإنَّها معصية أدنى[3] أحواله أن يذم نفسه ويلومها عليها، ويخاف مقت اللّه[4] وغضبه ولعنته، وأما هذا فمتقرب متعبد بالعكوف على تمثال الجمال وقد حال بين قلبه وبين ذي العظمة والجلال، فأين مؤمن فاسق قد جمع سيئة وحسنة خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

يخاف ذنوباً لم تغب عن وليه * ويرجوه فيها فهو راج وخائف[5]

من مبتدع ضال يجعل ما نهى اللّه عنه قربة، وما كره اللّه ديناً، وهو يرى[6] المنكر معروفاً والمعروف منكراً، قد زين له سوء عمله فرآه حسناً ومن جعل ما لم يأمر اللّه به ولا أحبه محبوباً له، فقد شرع ديناً لم يأذن اللّه به وذلك باب الشرك كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ (١١١/أ) أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[7] فإن محبة الصور تعظم حتى تصير أندادا وطواغيت يتدين بها أهلها، وتشرب في قلوبهم أعظم من حب الذين أشربوا في قلوبهم العجل، وكم بين محبة عجل إلى محبة غزال أغيد[8] تسبي محاسنه القلوب

(١) في الأصل رضيع.
(٢) صدر بيت سبق مروره وتعيين القائل ص ٢٩٦ .
(٣) في الأصل أذني.
(٤) في الأصل للّه.
(٥) لم أعرف القائل.
(٦) في الأصل يراى.
(٧) سورة البقرة آية ١٦٥ .
(٨) سبق تعريفه. ص ٣٣٤ .

وتأسر العقول، فهؤلاء أشربوا في قلوبهم الخشف[1]، كما أشرب أولئك في قلوبهم العجل، وهذا بخلاف من مالت نفسه إلى المحرمات مؤمناً بأنَّ اللّه حرمها ويمقت[2] عليها ويخاف عقابه على فعلها، **وأنه** لا يحبها محبة محضة بل عقله وإيمانه يبغض ذلك ويكره، وينهى عنه، ولكن غلبة طبعه وهواه يدعوه إلى ارتكابها على خوف ووجل من اللّه فهذا ترجى له رحمة اللّه، إما بأن يوفقه لتوبة نصوح تكفر عنه سيئاته، أو يستعمله في طاعة كثيرة وحسنات ماحيه ترجح بسيئاته، وإما بمصائب يبتليه بها يكفر بها عنه، وإما بغير ذلك من الأسباب التي يرحمه بها، بخلاف من اعتقد أنَّ هذه المحبة للّه فإنَّ طباعه واعتقاده يتعاونان على قوتها وزيادتها ويجتمع فيها داعي الطبع وما يعتقده من داعي الشرع، وهذا الداء العضال الذي هلك به من هلك ونجا من سبقت له من اللّه الحسنى.

فصل

ومما ينبغي أن يعلم أنَّ مجرد الحسن لا يثيب[3] اللّه عليه ولا يعاقب وليس في دين أحد من الأنبياء محبة أحد لحسنه، ولو كان الحسن مما يرفع اللّه به درجة صاحبه ويزيده به ثواباً لكان يوسف الصديق أفضل من غيره من الأنبياء لحسنه (وإذا)[4] استوى شخصان في الأعمال الصالحة وكان أحدهما أحسن صورة أو أحسن صوتاً

(١) الخشف الظبي لسان العرب ٩/٧٠.

(٢) في الأصل وتمقت.

(٣) في الأصل لا يثيبا.

(٤) في الأصل بدون إذا وزدتها ليستقيم الكلام.

(١١١/ب) كانا عند اللّه سواء، فإنَّ أكرم الخلق.

عند اللّه أتقاهم، ولكن صاحب الصورة الجميلة اذا صان جماله عن محارم اللّه وعف عنها كان أفضل من غيره من هذا الوجه، وهو بمنزلة صاحب المال والقدرة إذا عف عن قدرة، فإنَّه أفضل ممن عفافه عفاف عجز، فإنَّ ما امتحن به صاحب القدرة والمال والجمال من الأسباب الداعية إلى إتباع الهوى أو قضاء الشهوة أعظم مما امتحن به من خلا من ذلك، فجهاد هذا وصبره أعظم، وهذا عام في جميع الأمور التي أنعم اللّه بها على بني آدم وابتلاهم بها فمن كان فيها شاكراً صابراً كان من أولياء اللّه المتقين وكان أفضل ممن لم يمتحن، وإن لم يكن المبتلي صابراً شكوراً بل فرط فيما أمر به ونهى عنه كان له حكم أمثاله، وكان من سلم من هذه المحنة خيراً منه، فمن امتحن وصبر فهو خير الأقسام، ويليه من سلم من المحنة، والثالث من امتحن فوقع فهو المأخوذ المعاقب إلاَّ أن يتداركه اللّه، فمن كان له مال يتمكن من إنفاقه في الفواحش والظلم فخالف هواه وأنفقه فيما يبتغي به وجه[1] اللّه فهو نظير من كان له حسن وجمال فعف به عن محارم اللّه وصانه من الفواحش.

ونظير من كان له صوت حسن فصانه عن الغناء ومزامير الشيطان واستعمله في تزيين كتاب اللّه والتغني به، كان كل واحد من هؤلاء يثاب على عمله الصالح الذي يشاركه فيه من ليس له مثل ذلك الجمال والصوت (١١٢/أ) والمال، ويثاب ثواباً آخر على صرفه ما يتقاضاه من الصورة والصوت والقوة إلى مرضاة اللّه، وتعطيلها عن

---

(١) في الأصل واجه.

مساخطه، فثوابه يشبه ثواب المجاهد، فصاحب الصوت الطيب المطرب الذي يمكنه أن يغنى بالشعر، إذا قرأ القرآن بصوته الطيب وتغنى به أثيب ثواب من تغنى بكتاب اللّه وترك التغني بالشعر، ويثاب أيضاً على قصده إسماع أهل الإيمان كتاب اللّه ولذتهم بقراءته وانتفاعهم بها، فيثاب ثلاثة أنواع من الثواب بالقصد والنية، ثواب المجاهد، وثواب التالي، وثواب المحسن النفاع لغيره، فإن شهد مع ذلك أذن اللّه عزّ وجلّ لقراءته واستماعه لها فقرأه بصوته الطيب ليأذن اللّه له ويستمع لقراءته كما قال النبي - ﷺ - «ما أذن اللّه لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به[1]» وقال: «للّه[2] أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته[3]» فثواب ذلك أمر آخر:

ومَن كان له جمال وحسن فعف عما حرم الله وخالف هواه، وكسا جماله وحسنه لباس التقوى الذي هو خير اللباس، كان من هذا[4] الوجه أفضل ممن لم يؤت مثل هذا الجمال، ولم يمتحن بهذه المحنة، ولهذا تجد وجه المطيع لله قد كسى من الجمال والحسن والملاحة ما لم يكسه وجه العاصي، فإن كان جميل الوجه ازداد جمالاً إلى جماله الخلقي، وألقيت عليه من المحبة والجلالة والحلاوة ما لم يلق على غيره، وإن حرم (١١٢ ب) جمال[5] الوجه وحسنه ألبس من جمال

---

(١) سبق تخريجه. ص ٢٧٢ .

(٢) في الأصل اللّه.

(٣) سبق تخريجه. ص ٢٧٣ .

(٤) في الأصل هذه

(٥) جمال في الأصل مكررة.

الطاعة وبهجتها ونورها وحلاوتها أحسن مما فاته من الجمال الظاهر، وكلّما كبر وطعن في السن ازداد حسناً وحلاوة وملاحة، وأمّا جميل الوجه إذا لم يصن جماله وحسنه وبذله وتبذل به فإنه كلّما كبر وطعن في السن ازداد وحشة وظلمة وقبحاً، وكلّما ازداد من الفواحش والمعاصي ازداد حتى تكسف ظلمة المعصية شمس حسنه، وتخسف قمرها ويعلو قبحها،[1] وسوادها الجمال الصوري فتراه على السنين لا يزداد إلاّ قبحاً ووحشة ونفرة عنده.

وفي هذا المقام الوجوه أربعة: وجه جمع له بين اللباسين لباس الجمال ولباس التقوى فذلك أجمل الوجوه، ووجه جمع له بين لباس القبح ولباس المعصية فهو أقبح الوجوه، ووجه ألبس لباس الجمال الظاهر ولم يكس لباس التقوى، ووجه ألبس لباس التقوى وإن لم يلبس لباس الجمال، فإن قلت من أين اكتسبت الوجوه الحسن والقبح من الأعمال قلت إن لم يكن لك فراسة أهل الإيمان فتدبر قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾[3] قال ابن عباس وغيره: «هم المتفرسون الذين يأخذون بالسيما وهي العلامة»[4] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾[5] فهذه ثلاث آيات في الفراسة.

واسمع قول المتوسمين من هذه الأمة قال عثمان بن عفان ـ

---

(١) في الأصل قبحوها

(٢) في الأصل وجوهم. سورة الفتح آية ٢٩.

(٣) سورة الحجر آية ٧٥.

(٤) تفسير ابن جرير ٣١/١٤، زاد المسير ٤٠٩/٤.

(٥) سورة محمد آية ٣٠

رضي الله عنه ـ: «ما أضمر[1] رجل شيئاً إلاّ أظهره الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه»، ودخل عليه رجل فقال له عثمان: (١١٣ أ) «يدخل أحدكم والزنا في عينيه، فقال يا أمير المؤمنين أوحى بعد رسول الله ﷺ، قال: (لا)[2] ولكن ما عمل أدمي (عملاً)[3] إلاّ ألبسه الله رداءه» أو كما قال.[4]

وقال[5] ابن عباس: «إن للحسنة لنوراً في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الزرق، ومحبه في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب، وسواداً في الوجه، وضعفاً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق»[6]، وهذا الأمر يكون كامناً في القلب في الدنيا، ويفيض على صفحات الوجه، فيراه مَن له فراسة صادقة، فإذا كان يوم القيامة صار هو الظاهر ورآه كل أحد عياناً قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[7] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى[8] الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[9] وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾[10] إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[11] فالأول: من

---

(١) في الأصل ما أصم ولعل والصحيح ما أثبت كما في تفسير ابن كثير ٣/٤٢٨.

(٢) في الأصل قال والمقام يقتضي لا.

(٣) في الأصل غير موجودة والسياق يقتضيها.

(٤) تفسير القرطبي ١٠/٤٤.

(٥) في الأصل قال وقال والأولى لا محل لها.

(٦) أنظر تفسير ابن كثير مختصراً ٤/٤٠٥.

(٧) سورة آل عمران آية ١٠٦.

(٨) في الأصل تر

(٩) سورة الزمر آية ٦٠

(١٠) في الأصل ناظرة

(١١) سورة القيامة آية ٢٣.

نضرة النعيم . وبهجته ، والثاني : من النظر وقال تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ (١) وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا (١١٣ ب) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (٣) وقال النبي - ﷺ - : «لا تزال المسألة بأحدهم حتى يجيء يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم» (٤) وقال : «مَن سأل الناس وله ما يكفيه جاءت مسألته خدوشاً (٥) أو كدوحاً (٦) في وجهه يوم القيامة» (٧) وقال : «أول زمرة تلج الجنة على صورة القمر ليلة

---

(١) سورة عبس من آية ٣٨ إلى آية ٤٢ .

(٢) سورة المطففين آية ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) سورة يونس آية ٢٦ ـ ٢٧ .

(٤) الحديث عن ابن عمر وغيره وقد أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس ٧٢٠/٢ .

(٥) خدوشاً خدش الجلد قشره بعود أو نحوه خدشه يخدشه خدشاً، النهاية لابن الأثير ١٤/٢ .

(٦) كدوحاً الكدوح الخدوش وكل أثر من خدش أو عض فهو كدح، النهاية لابن الأثير ١٥٥/٤ .

(٧) الحديث عن ابن مسعود وقد أخرجه الترمذي كتاب الزكاة باب مَن تحل له الزكاة ٣٢/٣ قال أبو عيسى حديث ابن مسعود حديث حسن وقد تكلّم شعبه في حكيم بن جبير من أجل هذا الحديث والنسائي كتاب الزكاة باب حد الغنى ٩٧/٥ وأبو داود كتاب الزكاة باب مَن يعطي الصدقة وحد الغنى ١١٦/٢ وابن ماجه كتاب الزكاة باب =

البدر ثمّ الذين يلونهم كأشد كوكب في السماء إضاءة»[1] وأمثال هذا كثير مما فيه وصف وجوه أهل السعادة بالحسن والبهاء والجمال والنضرة، ووجوه أهل الشقاوة بالقبح والسواد والوحشة، وأظهر هذه السمات على الوجوه سمة الصدق والكذب، فإن الكذاب يكسي وجهه من السواد بحسب كذبه، والصادق يكسي وجهه من البياض بحسب صدقه، ولهذا روي عن عمر بن الخطاب أنه أمر بتعزير شاهد الزور بأن يسود وجهه، ويركب مقلوباً على الدابة،[2] فإن العقوبة من جنس الذنب، فلما سوّد وجهه بالكذب وقلب الحديث سوّد وجهه وقلب في ركوبه، وهذا أمر محسوس لمن له قلب، فإن ما في القلب من النور والظلمة والخير والشر يسري كثيراً إلى الوجه والعين وهما أعظم الأعضاء ارتباطاً بالقلب.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾[3] فهذا التعريف داخل تحت المشيئة معلق بها، ثم قال ولتعرفنهم في لحن القول فهذا قسم محقق لا شرط فيه، وذلك أن ظهور ما في قلب الإنسان على لسانه أعظم من ظهوره على وجهه، لكنه يبدو في الوجه بدؤا خفياً يراه الله ثم يقوى حتى يصير صفة في

= مَن سأل عن ظهر غنى ١/٥٨٩ والدارمي كتاب الزكاة باب مَن تحل له الصدقة ١/٣٨٦، والحاكم في المستدرك كتاب الزكاة باب مقدار الذي يحرم السؤال ١/٤٠٧ وأحمد في مسنده ١/٣٨٨ والحديث صحيح. أنظر صحيح الجامع الصغير ٢/١٠٧٦.

(١) الحديث عن أبي هريرة وقد أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة الجنة ٤/١٤٣ ـ ومسلم كتاب الجنة باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم ٤/٢١٧٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/٥٨.

(٣) سورة محمد آية ٣٠.

الوجه يراها (١١٤ أ) أصحاب الفراسة، ثم يقوى حتى يظهر لجمهور الناس، ثم يقوى حتى يمسح الوجه على طبيعة الحيوان الذي هو على خلقه من قرد أو خنزير كما جرى على كثير من الأمم قبلنا، ويجري على بعض هذه الأمة، كما وعد به الصادق الذي لا ينطق عن الهوى.

فصل

وأهل جمال الصورة يبتلون بالفاحشة كثيراً واسمها فإن الله سماها فاحشة[١] وسوءاً[٢] وفساداً[٣] وخبثاً[٤] وشبهة وإجراماً[٥] وهذه الأشياء ضد الجمال فعلم أن الجمال الذي يحبه الله ليس جمال الصورة، فإن الله لا ينظر إلى مجرد الصورة فكيف يكون محبوباً له والجمال منه ما يحبه الله ومنه ما يبغضه، فإن الله يبغض التجمل بلباس الحرير والذهب، ويبغض التجمل بلباس الخيلاء وإن كان ذلك جمالاً، فالجمال ثلاثة أنواع، جمال خال عن معارضة مفسدة فهذا يحبه الله، وجمال مشتمل على مفسدة مبغوضة لله فهذا يكرهه الله، وجمال فيه شائبة من هذا وهذا فهذا يكرهه الله من وجه ويحبه من وجه، هذا إذا كان جمالاً كسبياً، وأمّا إن كان جمالاً خلقياً لا يتعلق بكسب العبد فهذا لا يتعلق به ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم ولا حب ولا بغض

(١) (٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾. سورة الإسراء ٣٢.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿قال ربّ انصرني على القوم المفسدين﴾ سورة العنكبوت آية ٣٠.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ سورة الأنبياء آية ٧٤.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ سورة الأعراف آية ٨٤.

إلاّ إذا استعان به على ما يحبه الله أو يكرهه كما تقدم وقد قال النبي ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»[١] وقال: «إن الله يبغض الفاحش البذيء»[٢] وقال: «إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش»[٣] وكل واحد من الجمال والقبح له متعلقا الخلق والخلق، والخلق يظهر أثره في القول والعمل فها هنا ثمانية أقسام جمال في الخلق والخلق. والقول والفعل فصاحبه أحمد الخلق. وأحبهم إلى الله ويقابله قبح في الخلق والخلق والقول والفعل فصاحبه أقبح الخلق وأبغضهم إلى الله، ثم قد يركب بعض هذه[٤] الأقسام مع بعض فيكـون للرجل (١١٤ /ب) جمال في شيء وقبح في غيره، وقد يكون جماله أكثر من قبحه فيغطيه[٥] ويستره وبالعكس، وقد يتعادل فيه هذا وهذا.

ومَن تأمل أحوال الخلق وجدهم كذلك، وفي الغالب يكون بين جمال الظاهر والباطن تلازم، وبين قبح الظاهر والباطن تلازم، فإن لكل باطن عنواناً من الظاهر يدل عليه ويعرف به، وقد جعل الله سبحانه بين الخلق والخلق والظاهر والباطن ارتباطاً والتئاماً وتناسباً، ومن ههنا تكلّم الناس في الفراسة، واستنبطوا علمها وهو من ألطف

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٦٢ .

(٢) الحديث عن أبي الدرداء وقد أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق.
قال أبو عيسى وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس وأسامة بن شريك وهذا حديث حسن صحيح ٣٦٢/٤.

(٣) الحديث عن عائشة وقد أخرجه مسلم كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ١٧٠٧/٤ .

(٤) في الأصل هذا

(٥) في الأصل فيغيطه

العلوم وأدقها، وأصله معرفة المشاكلة والمناسبة والأخوة التي عقدها الله سبحانه بين المتشاكلين، ومَن لم يكن له نصيب منها لم يكد ينتفع بنفسه ولا بغيره.

وأنت إذا تأملت العالم فقل أن ترى خلقاً مشوهاً إلاّ وثم خلق قبيح وفعل يناسبه وقول يناسبه اللهم إلاّ لمعارض من تأدب وتعلّم يخرجه من مقتضى طبعه كما يحصل لكثير من الحيوان البهيم من التعليم والتأديب والتمرين ما يخرجه عن مقتضى طباعه، وقل أن ترى خلقاً جميلاً إلاّ وثم خلق وفعل وقول يناسبه اللهم إلاّ لمعارض سوء أخرجه عن مقتضى طبعه، كالطفل الذي ولد على الفطرة فلو خلي لما نشأ إلاّ على فطرة الإسلام، لكن معارض الكفر أخرجه عن فطرته، والنبي - ﷺ - ذكر «إن الله جميل يحب الجمال»[1] للفرق بين الكبر الذي يبغضه الله وأنه ليس من الجمال، وبين الجمال الذي يحبه، فإنه لما قال: «لا يدخل الجنة مَن في قلبه مثقال ذرة من كبر» (١١٥/أ). قالوا: يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً أفمن الكبر ذلك، فقال: «لا إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس[2]» فأخبر أن تحسين الثوب والنعل قد يكون من الجمال الذي يحبه الله كما قال تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[3] فإذا كان الظاهر جميلاً والباطن جميلاً أحبه الله، وإذا كان الباطن جميلاً والظاهر غير جميل لم يضره عند الله شيئاً وإن كان كاسداً عند الناس فإنه عند الله عزيز غال، فإذا كان للعبد صوت حسن ولو

(١) سبق تخريجه ص ٣٦٢.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٦٢.

(٣) سورة الأعراف آية ٣١.

من أحسن الأصوات وبذا بصوته واستعمله في الغناء أبغض الله صوته كما يبغض الصورة المستعملة في الفواحش ولو كانت من أجمل الصور وأحسنها، فهذا فصل نافع جداً في الفرق بين الجمال الذي يحبه الله ويكرهه.

فصل

(١٩) قال صاحب السماع: إذا كان النبي ﷺ قد أخبر عن ربه أنه[١] يستمع للصوت[٢] الحسن، والنبي ﷺ استمع صوت أبي موسى وأعجبه وأثنى عليه، وقال: «قد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود» فقال له أبو موسى: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً»[٣] أي زينته وحسنته، ومنه البرد المحبر.

وقد روى أن داود كان يستمع لصوته الحسن الأنس والجن والطير والوحش وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات من قراءته[٤].

قال صاحب القرآن: عجباً لكم أيها السماعاتية ولاستدلالكم، فلو أن المنكرين عليكم كرهوا حسن الصوت وعابوه وذموه مطلقاً، لكان في ذلك احتجاج[٥] عليهم كيف وهم أحبر الناس (١١٥/ب) في الصوت الحسن، لكن الشأن فيما يؤدي بالصوت.

---

(١) في الأصل أن.

(٢) في الأصل لصوت ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٧٢ .

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٥٣.

(٥) في الأصل احتجاجاً.

فهذه الآثار التي ذكرتموها وأكثر منها إنما تدل على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ومن نازع في هذا فالاستدلال بها على تحسين الصوت بالغناء الذي هو قرآن الشيطان ومادة النفاق ورقية الفواحش أفسد من قياس الربا على البيع، فإن بين الغناء والقرآن من التباين أعظم مما بين البيع والربا،[1] ومما بين النكاح والسفاح[2]، ومما بين الشراب الحلال والشراب الحرام، فأين سماع المكاء والتصدية الذي ذمه الله في كتابه، وأخبر أنه سماع المشركين من سماع أنبيائه ورسله وأوليائه وحزبه المفلحين.

وأين سماع المخانيث والقينات والفساق والمغنين من سماع الخلفاء الراشدين والمهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان، واقتفوا طريقتهم المثلى، وسبيلهم الأقوم، وسلكوا منهاجهم الواضح.

وكيف يقاس مؤذن الشيطان الداعي بحى على غير الفلاح، على مؤذن الرحمن الداعي إلى السعادة والنجاح، وقد تقدم ذكر الحديث الذي رواه الطبراني في معجمه[3] عن النبي ﷺ أن الشيطان قال: يارب اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر قال: اجعل لي (١١٦/أ) مؤذناً قال مؤذنك المزمار[4].

فمن قاس قرآن الشيطان ومؤذنه على قرآن الرحمن ومؤذنه فالله حسيبه ومجازيه، وسيعلم يوم الحشر أي بضاعة أضاع، وعند الميزان أيثقل أم يخف بما قدم به من السماع، وها هنا الناس أربعة أقسام:

---

(١) في الأصل مما بدون واو وزدتها ليستقيم الكلام.

(٢) في الأصل الفساح والسفاح الزنا، النهاية لابن الأثير ص ٢/٣٧١.

(٣) تقدم ص ٥٦ .

(٤) في الأصل أولاً.

أحدها: من يشتغل بسماع القرآن عن سماع الشيطان، **والثاني**: عكسه، والثالث: من له نصيب من هذا وهذا، والرابع: **ليس له** نصيب لا من هذا ولا من هذا.[١]

فالاشتغال بسماع القرآن الرحماني حال السابقين الأولين وأتباعهم ومن سلك سبيلهم.

والثاني: حال المشركين والمنافقين والفجار والفساق **والمبطلين** ومن سلك سبيلهم.

والثالث: حال مؤمن له مادتان مادة من القرآن ومادة من الشيطان وهو للغالب عليه منهما.

والرابع: حال الفارغ من ذوق هذا وهذا فهو في شأن وأولئك في شأن فهذه الآثار التي تضمنت مدح الصوت الحسن بالقرآن وما يحبه الله من احتج بها على السماع الشيطاني فقد بخس حظه من العلم والمعرفة.

فصل

(٢٠) **قال صاحب الغناء**: الصوت الحسن يطيب السير، ويقطع المشاق، ويحمل سامعه معه مالايحمله بدونه (١١٦/ب)، ولهذا لما حدا ذلك الغلام بالإبل **قطعت** مسيرة ثلاثة أيام في يوم، فلما حط عنها أحمالها ماتت، فإن طيب الصوت هون عليها مشقة الحمول فلم تحس[٢] بها، فلما وضعت عنها أحمالها فرغت قواها.

---

(١) في الأصل أولاً.

(٢) في الأصل تحسن.

قال أبو بكر الرقي:[1] «وحدا هذا الغلام بجمل فهـام على وجهه وقطع حباله قال: ولم أسمع صوتاً أطيب منه ووقعت لوجهي حين سمعته حتى أشار عليه سيده بالسكوت فسكت[2]. قال صاحب القرآن: لا ريب أن الصوت المتناهي في الحسن يحرك النفوس تحريكاً عظيماً جداً خارجاً عن العادة، وقد شاهد الناس وسمعوا من ذلك ما هو معلوم، والأصوات من أعظم[3] المحركات للنفوس، ولا يعادلها شيء في حركة النفوس إلا الصور، فـإذا اتفق قوة المؤثـر واستعداد المحل قوى التأثير حتى يغيب عن الحس أحياناً، ويحول بين سامعه وبين مباشرة المؤلم المؤذي فلا يشعر به.

وإذا صادف محلاً مستعداً كصغر أو أنوثة أو جزع أو فرح أو قوة حب أو رياضة ولطافة روح، حركة غاية الحركة، وأزعج قاطنه، وأثار ساكنه، وهذا لا يدل على جواز ولا تحريم ولا مدح ولاذم بل دلالته على الذم والمنع أقرب من دلالته على الجواز والاستحباب، فإن هذا يفسد النفوس أكثر مما يصلحها، ويضرها أكثر مما ينفعها، وإن كان فيه منفعة[4] يسيرة فآفته ومضرته أكبر من نفعه وقد قال تعالى للشيطان: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾[5] فالصوت الشيطاني يستفز

---

(١) هو أبو بكر محمد بن داود الدينوري أقام بالشام وكان من اقران أبي علي الروزباري إلا أنه عمر صحب أبا عبدالله بن الجلاء وصحب أيضاً أبا بكر الدقاق وأبا بكر البصري مات بعد الخمسين والثلثمائة ـ الرسالة القشيرية ص ٢٨ ـ طبقات الصوفية ٤٤٨.

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٥٣.

(٣) في الأصل من أعلم.

(٤) في الأصل مبعه.

(٥) سورة الأسراء آية ٢٦٤.

بني آدم، وصوت الشيطان كل صوت في غير طاعة الله نسب إلى الشيطان لأمره به ورضاه به وإلا فليس هو الصوت نفسه، فصوت الغناء وصوت النوح وصوت المعازف[1] (١١٧/أ) من الشبابات[2] والأوتار وغيرها كلها من أصوات الشيطان التي يستفز بها بني آدم فيستخفهم ويزعجهم.

ولهذا قال السلف[3] في هذه الآية: «إنه الغناء»، ولا ريب أنه من أعظم أصوات الشيطان التي يستفز بها النفوس ويزعجها ويقلقها، وهو ضد القرآن الذي تطمئن به القلوب وتسكن وتخبت إلى ربها، فصوت القرآن يسكن النفوس ويطمئنها ويوقرها، وصوت الغناء يستفزها ويزعجها ويهيجها كما قيل:

حامل الهوى تعب * يستفزه الطرب
كلما انقضى[4] سبب * عاد منك بي سبب
تضحكين لاهية * والمحب ينتحب
تعجبين من سقمي * صحتي هي العجب[5]

فلو لم يكن دليل على أن صوت الغناء والمعازف هو صوت الشيطان لما يستفز به السامع ويقلقه به ويزعجه ويزيل طمأنينته لكفى به دليلاً.

وكذلك صوته الذي يستفز به النفوس عند المصيبة وهو النوح،

(١) سبق تعريفها ص ١٧١ .
(٢) سبق تعريفها ص ١١١ .
(٣) منهم مجاهد، زاد المسير ٥/٥٨.
(٤) في الأصل انقضا.
(٥) القائل أبو نواس ديوانه ص ٢٧٠ .

فيستفزها بهذا الصوت إلى الحزن والأسف والسخط بما قضى الله، ويستفزها بذلك الصوت إلى الشهوة والارادة والرغبة فيما يبغضه الله فينهاها بصوت النوح، عما أمرها الله به، ويأمرها بصوت الغناء بما نهاها الله عنه، وهذا الصوت هو أحد الأسباب الخمسة التي أقسم الشيطان أنه يحتنك بها ذرية آدم ويستأصلهم إلا قليلاً. وهي استفزازهم بصوته، والاجلاب عليهم بخيله ورجله، ومشاركتهم في أموالهم وأولادهم[1]، فكل راكب في معصية الله فهو من خيالة الشيطان، وكل ماش في معصية الله فمن رجالته، وكل مال أخذ من غير حله وأخرج في غير حقه فهو شريك صاحبه (١١٧/ب) فيه، وكل ولد من نطفة زنا فهو شريك أبيه فيه.

فتبارك من جعل كلامه شفاء لصدور المؤمنين، وحياة لقلوبهم، ونورا لبصائرهم، وغذاء لقلوبهم، ودواء لسقامهم، وقرة لعيونهم، وفتح به منهم أعينا عميا وأذانا صما وقلوباً غلفا، وأمطر على قلوبهم سحائب ديمة[2] فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فاشرقت به الوجوه، واستنارت به القلوب، وانقادت به الجوارح إلى طاعته ومحبته، فصبغ القلوب به معرفة وإيماناً، وملأها حكمة وايقاناً ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[3] لا كصبغة السماع التي تملأ القلوب هوى وشهوة وظلمة وشركا، وتعور بصيرة القلب وتطمس نوره وتنكسه وتخنث عزمه.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾. سورة الأسراء آية ٦٤.

(٢) ديمة المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق لسان العرب ٢١٩/١٢.

(٣) سورة البقرة آية ١٣٨.

فقل أن ترى[1] سماعيا ألا وهو مخنث العزيمة يلوح التخنيث على شمائله وحركاته.

وقد سمى النبي ﷺ صوت الغناء «صوتاً فاجراً احمق»[2]، فوصفه بالفجور والحمق، فالفجور الظلم والحمق الجهل وقال لقمان لابنه: «واقصد في مشيك واغضض من صوتك»[3] والمغني والرقاص أبعد الناس من هذا، فلا هذا غض من صوته ولا هذا قصد في مشيه.

فصل

(٢١) **قال صاحب الغناء**: نحن نتحاكم في هذه المسألة إلى سيد الطائفة الجنيد[4] قال أبو عمرو الأنماطي[5] سمعته يقول وقد سئل ما بال الإنسان يكون هادئاً فإذا سمع السماع اضطرب فقال: «إنَّ اللّه لما خاطب الأرواح في الميثاق الأول بقوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[6] استفرغت عذوبة سماع (الكلام)[7] الأرواح، فإذا سمعوا السماع حركهم[8] ذكر ذلك.

---

(١) في الأصل ترا.

(٢) سبق تخريجه ص ١١٥.

(٣) سورة لقمان آية ١٩.

(٤) سبقت ترجمته. ص ١٣٠.

(٥) هو علي بن محمد بن علي بن بشار بن سلمان أبو عمرو الإنماطي بغدادي من أصحاب النورى والجنيد كان أبو العباس بن عطاء أوصى إليه بكتبه حين مات وكان ينشط إليه ومن جهته وقع إلى الناس كتاب ابن عطاء في فهم القرآن تاريخ بغداد ١٢/٧٣.

(٦) سورة الأعراف آية ١٧٢.

(٧) في الأصل ساقطة وزدتها كما في الرسالة القشيرية ص ١٥٣.

(٨) في الأصل حركتم.

(١١٨/أ) **قـال صاحـب القــرآن :** من دعي إلى تحكيم اللّه ورسوله، وما أنزل على نبيه من الكتاب والحكمة فلم يرض بذلك، ودعا إلى تحكيم من يصيب ويخطئ، ولم يوله اللّه الحكم فيما شجر بين المتنازعين، فقد بخس حظه وأضاع نصيبه.

فهذا النقل إن كان ثابتاً عن الجنيد فهو نقل عن غير معصوم، وإن لم يكن ثابتاً عنه وهو الأليق بمثل جلالته ومعرفته فهو نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم،[١] فكيف يكون حجة والجنيد أعرف باللّه من أن يقول مثل هذا، فـإنَّ هذا الاضـطراب يكون لجميـع الحيوان ناطقه وأعجمه، ويكون للكفار والمنافقين والفساق والفجار، ثمّ الاضطراب قد يكون لحلاوة الصوت ومحبته واستلذاذه، وقد يكون للخوف منه وهيبته، وقد يكون للحزن والجزع، وقد يكون للغضب، وأيضاً فمن المعلوم قطعاً أنَّ الصوت المسموع ليس هو ذلك الخطاب الأول ولا هو متعلق به ولا هو منه بسبيل.

وأيضاً فإنَّ هذا الاضطراب على قرآن الشيطان والغناء الذي هو مـادة النفاق ورقيـة الفجور كيف يحـرك للخـطاب بقـولـه ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٢].

وأيضاً فإنَّ العبد لو سمع كلام اللّه بلا واسطة كما سمعه موسى بن عمران، لم يكن[٣] سماعه بعد **لأصـوات والألحان** والغناء محركاً لذلك مذكراً به.

---

(١) في الأصل مصوم.

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢.

(٣) في الأصل يكون.

بل المأثور أنَّ موسى مقت الآدميين وأصواتهم وكلامهم(١) لما وقر في مسامعه من كلام ربه جل جلاله، وأيضاً فإنَّ استلذاذ الصوت أمر طبيعي لا تعلق له بكونهم سمعوا خطاب الرب في الأزل أصلاً، وأيضاً فإنَّ أحداً لا يذكر ذلك السماع أصلاً(٢) إلاَّ بالخبر عنه، وأيضاً فإنَّ معنى الآية ينبو عما حملها من قال (١١٨/ب) بهذا القول من وجوه متعددة.

منها: أنَّه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾(٣) ولم يقل من آدم، ولا قال. من ظهره، ولا قال من ذريته(٤).

ومنها: أنَّه أشهدهم على أنفسهم ولا بدّ أن يكونوا(٥) عند هذا الإشهاد موجودين والنفوس البشرية إنما تحدث عند خلق أبدانها لأنها مخلوقة قبل الأبدان.

ومنها: أنَّ المقصود بهذا الإشهاد إثبات الحق وإقامة الحجة، وهذا إنما حصل بعد خروجهم إلى هذه الدار وإقامة الحجة عليهم من الرسل، وبما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة، وكيف

---

(١) نص الأثر عن ابن عباس قال «إنَّ اللّه ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام وصايا كلها فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب عزّ وجلّ» وهذا إسناده ضعيف فإنَّ جويبر ضعف والضحاك لم يدرك ابن عباس.
تفسير ابن كثير ١/٥٨٩.

(٢) في الأصل إلاَّ أصلاً والمقام يقتضي حذف لا.

(٣) في الأصل ذياتهم سورة الأعراف آية ١٧٢.

(٤) في الأصل ذيته.

(٥) في الأصل يكون.

تقوم الحجة عليهم بأمر لا يذكره أحد منهم.

ومنها: أنَّه قال: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ أي حذار أن يقولوا ولئلا يقولوا، فأخبر أنَّ هذا الإشهاد والتقرير لئلا يحتجوا عليه[1] سبحانه يوم القيامة بغفلتهم عنه، فكيف تقوم عليهم الحجة بأمر كلهم عنه غافل لا يذكره أحد منهم.

ومنها: أنَّه قال أو تقولوا إنما أشرك أباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم، فأخبر أنَّه أقام عليهم الحجة لئلا يحتجوا عليه بتقليد الأباء، فلو أهلكهم لأهلكهم بذنوب غيرهم، وهذا كله حصل بعد إرسال الرسل[2]، وإنزال الكتب وتركيب العقول والأسماع والأبصار فيهم، فكيف يحصل بهذا العهد الذي لا يذكره أحد (حجة)[3] ثمّ إنَّ الجنيد في السماع كان له أحوال أولها حضوره،ثمّ المنع من التكلف له والرخصة لمن صادفه.

قال القشيري: [4] «سمعت محمد بن الحسين [5] يقول: سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر[6] يقول: سمعت أبا بكر بن ممشاد[7]

---

(١) في الأصل عليهم.

(٢) في الأصل الرسول والصواب ما أثبته.

(٣) في الأصل غير موجودة وزدتها ليستقيم الكلام.

(٤) الرسالة القشيرية ص ١٥٣.

(٥) هو محمد بن الحسين العلوي سمع أبا حامد بن الشرقي ومحمد بن إسماعيل المروزي وطبقتها وكان سيداً نبيلاً صالحاً توفي سنة ٤٠١ هـ.
شذرات الذهب ١٦٢/٣.

(٦) لم أعثر على ترجمته.

(٧) لم أعثر على ترجمته.

(١١٩/أ) يقول: سمعت الجنيد يقول: «السماع فتنة لمن طلبه، ترويح لمن صادفه»، فأخبر أنَّه فتنه لمن قصده، ولم يجعله لمن صادفه قربة، ولا مستحباً. بل جعله من نوع الراحة، فكيف يقول مع هذا أنَّه يذكر الخطاب المتقدم، ثمّ إنَّ الجنيد ترك السماع وتاب منه ومنع منه أصحابه كما تقدم حكاية ذلك(١).

فصل

(٢٢) **قال صاحب السماع**: فهذا أبو علي الدقاق(٢) من شيوخ القوم وساداتهم يقول ما حكاه عنه القشيري(٣): قال: سمعته يقول: «السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم».

قال صاحب القرآن: «إن كان أبو علي الدقاق من شيوخ القوم، فأبو علي الروذباري الذي شهد له القشيري بأنَّه أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة، وقد صحب الجنيد والطبقة الثانية، وكان يقول: «إستاذي في التصوف الجنيد(٤)، وفي الفقه أبو العباس ابن سريج(٥) وفي الأدب ثعلب(٦)، وفي الحديث إبراهيم الحربي»(٧) سئل

---

(١) تقدم ص ١٤١.

(٢) لم أعثر على ترجمته.

(٣) الرسالة القشيرية ص ١٥٣.

(٤) سبقت ترجمته ص ١٣٠.

(٥) هو أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ولي قضاء شيراز روى الحديث عن الحسن بن محمد الزعفراني وجماعة وأخذ الفقه عن أبي القسم الإنماطي وعنه أخذ فقهاء الإسلام ومنه انتشر مذهب الشافعي توفي سنة ٣٠٦ هـ. شذرات الذهب ٢٤٧/٣.

(٦) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس المعروف بثعلب ولد سنة ٢٠٠ إمام الكوفيين في النحو واللغة سمع إبراهيم بن المنذر الحزامي ومحمد بن سلام الجمحي وغيرهما روى عنه محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش وغيرهما كان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهوراً بالحفظ ورواية الشعر القديم توفي سنة ٢٩١، تاريخ بغداد ٢٠٤/٥.

(٧) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الحربي ولد سنة ١٩٨ سمع عفان بن مسلم وعبدالله بن =

عمن يسمع الملاهي ويقول: هي لي حلال لأني قد وصلت إلى درجة لا يؤثر في اختلاف الأحوال، فقال نعم، قد وصل لعمري ولكن إلى سقر[1].

فقول أبي علي: «هو مباح للزهاد لحصول[2] مجاهداتهم» هو الذي أنكره أبو علي بعينه، ثمّ إنَّ هذا التقسيم مما ترده الشريعة، فإنَّ ما حرمه اللّه ورسوله يستوى في تحريمه العامة والخاصة كسائر المحرمات، فلم يحرم اللّه على العامة شيئاً ويبيحه للخاصة ثمّ يستحبه لخاصة الخاصة وهل هذا إلا من جنس التلاعب بالدين. فلو قال قائل: الخمر. حرام[3] على العوام لبقاء نفوسهم وما[4] يقع فيها من العربدة والشر، مباح لمن جاهد (١١٩/ب) نفسه عن ذلك، مستحب لمن قلبه حي لا يؤثر فيه شربه، (لما)[5] كان فرق بينه وبين هذا التقسيم، وأين في شرع اللّه ورسوله فعل مباح لبعض المكلفين، حرام بعينه على بعضهم، مستحب لبعضهم مع استوائهم في التكليف

صالح العجلي وغيرهما وروى عنه موسى بن هارون ويحيى بن صاعد وغيرهما كان إماما في العلم رأسا في الزهد عارفاً بالفقه بصيراً بالإحكام حافظاً للحديث صنف كتباً كثيرة منها غريب الحديث وغيره توفي سنة ٢٨٥ . تاريخ بغداد ٢٧/٦ .

(١) أنظر الرسالة القشيرية ص ٢٦.

(٢) في الأصل الحصول.

(٣) في الأصل الحرام.

(٤) في الأصل ومل.

(٥) في الأصل غير موجودة والسياق يقتضيها.

وأسبابه، هـذا مما لا يمكن مجيء الشرع بـه وإذا اختلفت الأحكام باختلاف المكلفين اختلفت باختلاف أوصافها كتحريم نكاح الإماء[1] على القادر الواجد لنكاح حرة، وإباحته للعاجز الخائف العنت، وكوجوب الصوم على المقيم والمرأة الطاهر، وإباحة الفطر للمسافر[2] ووجوبه[3] على الحائض، وكوجوب الزكاة على المالك للنصاب وسقوطها عن العاجز عنه، وتحريم النكاح والوطء[4] على المحرم وإباحته للحلال، وتحريم دخول المسجد على الجنب وإباحته للطاهر.

فهذا هو الذي تجيء به الشرائع وهو تعليق الأحكام بالأوصاف واختلافها بسببها فأما أن يكون الفعل حراماً على العامة مباحاً للخاصة مستحباً لخاصة الخاصة فهذا شرع دين لم يأذن به اللّه، ثمّ ما الضابط المفرق بين من يحرم عليه ويباح ويستحب، وما هو العامي الذي يحرم عليه والخاص الذي يباح له والخاص الخاص الذي يستحب له، وهل هذا وأمثاله إلاَّ فتح باب تبديل الدين[5] وتغييره واللّه المستعان.

(٢٣) قال[6] **صاحب الغناء**: «فهذا ذو النون المصري[7] من سادات القوم ومشايخ الطريق، سئل عن الصوت الحسن **فقال**:

---

(١) في الأصل الإمام.

(٢) في الأصل للمساد.

(٣) في الأصل ووجوه.

(٤) في الأصل الوطي.

(٥) في الأصل الذي.

(٦) لم يأتي ذكر فصل وهو خلاف ما سار عليه.

(٧) تقدم ترجمته ص ١٣٥ .

«مخاطبات[1] وإشارات أودعها اللّه في كل طيب وطيبة»، وسئل مرة أخرى عن السماع، (١٢٠/أ) فقال: «وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق[2]».

قال صاحب القرآن: الحكاية عن أضعاف هؤلاء لا تجدى عليك شيئاً فلم ذا التكثر بما لا يفيد، ثمّ إنَّ هذا الكلام لا تعرف صحته عن ذي النون والكذب على المشايخ كثير جداً، وقد رأى أهل العلم وسمعوا من ذلك ما لا يحصيه إلاَّ اللّه، ثمّ لو سلمت صحة هذا عن ذي[3] النون فله حكم أمثاله من غير المعصومين الذين يجوز عليهم بل يجب وقوع الخطأ منهم، وغاية أحدهم أن يعذر فيما صدر منه باجتهاده، ويكون ذلك العمل منه مغفوراً بنيته وصدقه وحسناته وغير ذلك وأما أن يجعل قدوة للناس في ذلك فكلا ولما.

وذو النون قد نقل عنه أنَّه لما دخل بغداد اجتمع إليه الصوفية فيهم قوال فاستأذنوه في أن يقول بين يديه فأذن له فابتدأ[4] يقول:

صغير هواك عذبني * فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت في قلبي * هوى[5] قد كان مشتركا.
أما ترثي لمكتئب[6] * إذا ضحك[7] الخلي بكا

(١) في الأصل مخاطباً.
(٢) الرسالة القشيرية ص ١٥٣.
(٣) في الأصل عن ذا.
(٤) في الأصل فابتد.
(٥) في الأصل هوا.
(٧) المكتئب الحزين. لسان العرب ١/٦٩٥.
(٦) في الأصل اضحك.

فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض، ثمّ قام رجل من القوم فتواجد فقال له ذو النون: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾(١) فجلس الرجل(٢).

قال أبو علي الدقاق: كان ذو النون صاحب إشراق على ذلك الرجل حيث نبهه(٣) أن ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قبل ذلك منه وقعد،(٤) وذو النون أحد الشيوخ الذين حضروا السماع (١٢٠/ب) تأويلاً، وليس ذو النون بأجل من سفيان(٥) الثوري، وشريك بن عبدالله(٦) ومسعر بن كدام،(٧) ومحمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى(٨) وغيرهم من أئمة الكوفة الذين

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٨.

(٢) ، (٤) الرسالة القشيرية ص ١٥٥.

(٣) في الأصل ينهه.

(٥) هو سفيان بن سعيد الثوري أبو عبدالله الكوفي ـ ثقة ـ حافظ ـ فقيه ـ عابد ـ إمام ـ حجة من رؤوس الطبقة السابعة وكان ربما دلس تقريب التهذيب ١/٣١١.

(٦) هو شريك بن عبدالله بن أبي شريك النخعي أبو عبدالله الكوفي روى عن زياد بن علاقة وعاصم بن سليمان الأحول وروى عنه ابن مهدي ووكيع وغيرهما صدوق يخطئ كثيراً تغير حفظه وكان عادلاً فاضلاً عابداً شديداً على أهل البدع مات سنة ١٨٨، تهذيب ٣٣٣/٤، تقريب التهذيب ٣٥١/١.

(٧) هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي أبو سلمة الكوفي روى عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة وعطاء وغيرهما وروى عنه سليمان التيمي وابن إسحاق وغيرهما ثقة ثبت فاضل مات سنة ١٥٣هـ أو ١٥٥هـ تهذيب التهذيب ١١٣/١٠، تقريب التهذيب ٢٤٣/٢.

(٨) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري أبو عبد الرحمن الكوفي روى عن أخيه عيسى وابن أخيه عبدالله بن عيسى وغيرهما وروى عنه ابنه عمران وابن جريج وغيرهما صدوق سيء الحفظ جداً مات سنة ١٤٨، تهذيب التهذيب ٣٠١/٩، تقريب التهذيب ١٨٤/٢.

استحلوا النبيذ المسكر تأويلاً، ولا بأجل من عطاء[1] بن أبي رباح وابن جريج[2] وغيرهما ممن استحل المتعة والصرف، ولا بأجل من الأعمش[3] والطائفة ممن استحل الأكل في رمضان بعد طلوع الفجر، ولا بأجل ممن استحل أكل ذي الناب من السباع والمخلب من الطير، ولا بأجل ممن استحل إتيان النساء في أدبارهن، ولا بأجل ممن جوز للصائم أكل البرد[4]، ولا بأجل ممن جوز نكاح الزانية مع استمرارها على البغاء، وجوز نكاح البنت المخلوقة من مائه سفاحاً،[5] وغير ذلك بالتأويل، وكذلك الذين استحلوا، قتال على بن أبي طالب من أهل الشام، وكذلك الذين قاتلوا معه من أهل العراق والحجاز إلى أمثال ذلك، مما تنازعت فيه الأمة فليس لأحد أن يحتج لأحد القولين: بمجرد قول أصحابه وفعلهم وإن كانوا من أهل العلم والدين، وليس لعالم أن يترك الإنكار عليهم وبيان ما بعث الله به رسوله لأجل محلهم

---

(١) هو عطاء بن أبي رباح روى عن ابن عباس وابن عمرو وغيرهما وروى عنه مجاهد والزهري وغيرهما ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال مات سنة ١١٤، تهذيب التهذيب ١٩٩/٧، تقريب التهذيب ٢٢/٢.

(٢) سبقت ترجمته ص ٢٩٨.

(٣) هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ولد بالكوفة سنة ٦١ روى عن أنس وإسماعيل بن رجاء وغيرهما وروى عنه الحكم بن عتبة وأبو إسحاق السبيعي وغيرهما ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع لكنه يدلس مات سنة ١٤٨ تهذيب التهذيب ٢٢٢/٤ وتقريب التهذيب ٣٣١/١.

(٤) الذي نقل عن أبي طلحة عن أنس قال مطرنا برداً وأبو طلحة صائم فجعل يأكل منه قيل له أتأكل وأنت صائم فقال إنما هذه بركة رواه أحمد ٢٧٩/٣ والبزار كما في كشف الأستار إلى زوائد البزار برقم ١٠٢٢ وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٧/٢ وهذا اجتهاد من أبي طلحة والجمهور على خلافه.

(٥) صاحب هذا القول الشافعي تفسير القرطبي ١٠٦/٥.

من العلم والدين، ولا لأحد أن يقدح فيهم ويفسقهم لما هم عليه من العلم والدين. فلا يحتج بقولهم ولا يؤثمهم ولا يترك الإنكار عليهم.

فهذا ميزان أهل العلم والاعتدال والسالك الذي يريد الله ورسوله والدار الآخرة لا يقنعه في مثل هذا اتباع مَن ليس قوله، بحجة، بل عليه أن يتبع الصراط المستقيم وما دل عليه كتاب الله وسنّة رسوله وكان عليه أصحاب نبيّه.

فهذه الأصول الثلاثة منها وصل السائرون إلى الله وبها تمسكوا، وما خالفها فهو من السبل الذي (١٢١/أ) على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه. (١)

فصل

الوجه الثاني: (٢) قوله: «إن الصوت الحسن مخاطبات وإشارات أودعها الله كل طيب وطيبة، ولا يجوز أن يراد به أن كل صوت طيب كائناً ما كان، فإن الله أودعه مخاطبات يخاطب بها عبادة».

فإن هذا القول كفر صريح فإن ذلك يستلزم أن تكون(٣)

---

(١) عن عبدالله بن مسعود قال (خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيماً قال ثمّ خطّ عن يمينه وشماله ثمّ قال هذه السبل ليس منها سبيل إلاّ عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) رواه أحمد ٤٦٥/١.

(٢) لم يذكر المؤلف قبله الوجه الأول ولا بعده وجهاً ثالثاً ويحتمل أن يكون الوجه الثاني هنا زائد أو أنه سقط الوجه الأول في ما مضى والوجه الثالث في ما يأتي.

(٣) في الأصل أن تكون الأصوات أن تكون الأصوات الطيبة وحذفت الجملة الأولى لأنها مكررة.

الأصوات الطيبة التي يستعملها المشركون وأهل الكتاب في الاستعانة بها على كفرهم قد خاطب الله بها عباده، وأن تكون الأصوات الطيبة التي يستفز بها الشيطان لبني آدم قد أودعها الله مخاطبات يخاطب بها عباده، وأن تكون أصوات الملاهي قد أودعها الله مخاطبات يخاطب بها عباده.

ومن المعلوم أن هذا لا يقوله عاقل، ثمّ لو كان الأمر كذلك فلم فات الأنبياء والصديقين وأئمة الإسلام سماع هذه الأصوات الطيبة لينالوا ذلك الخطاب منها.

فإن استماع مخاطبات الحق من أفضل القربات فلا يصح أن يكون إطلاق هذا الكلام وعمومه حقاً.

بقي أن يقال: هذا خاص ومقيد بالصوت الحسن إذا استعمل على الوجه الحسن، فهذا حق مثل أن يزين به كلام الله فالصوت الحسن إذا تلى به كتاب الله فإنه يكون حينئذ قد أودع مخاطبات وإشارات تضمنها الكلام، والصوت الحسن أعان على وصولها وتنفيذها إلى القلب، فهاتان مرتبتان لحمل[1] هذا الكلام إحداهما باطلة قطعاً، والثانية صحيحة قطعاً تبقى بين عموم تلك المرتبة وخصوص هذه مراتب عديدة.

منها أن يحمل ذلك على ما يجد المستمع في قلبه من المخاطبات (١٢١/ب) والإشارات من الصوت وإن لم يقصده المصوت فهذا كثير ما يقع لهم، وأكثر الصادقين الذين حضروا هذا السماع يشيرون إلى هذا المقصد، وصاحب هذه الحال يكون لما يسمعه مذكراً له بما كان

(١) في الأصل يحمل

في قلبه من الحق وهذا يكون على وجهين:

أحدهما: من الصوت المجرد الذي لا يفهم معناه كأصوات الطيور والرياح والآلات وغيرها، فهذه الأصوات كثيراً ما ينزلها السامع على حاله فيحرك منه ما يناسبه من فرح أو حزن أو غضب أو شوق وغيره كقول بعضهم:[1]

رُبَّ ورقاء[2] هتوف في الضحى * ذات حسن صدحت[3] في فنن[4]
ولقد أبكي فلا أفهمها * وهي قد تبكي فلا تفهمني
غير أني بالجوى[5] أعرفها * وهي أيضاً بالجوى تعرفني

والثاني: أن يكون من الصوت المشتمل على الحروف المنظومة التي لها معنى يفهم، فينزلها السامع على ما يليق بحاله دون ما قصده به القائل مثل أن يكون في الشعر عتاب وتوبيخ، أو أمر بالصبر على المكروه، أو ذم على التقصير في القيام بحقوق المحبة، وتحزين على ما فرط فيه مفرط من الحقوق أو غضب وحمية على جهاد العدو أو مقاتلته أو أمر ببذل النفس والمال في نيل المطلوب ورضا المحبوب أو غير ذلك من المعاني المجملة المشتركة، وربما قرع السمع حروف أخرى لم ينطق بها المتكلم ولكن هي على وزن حروفه التي نطق بها، كما نقل عن بعضهم[6] أنه سمع قائلاً يقول: «سعتر[7] بري» فحصل له وجد،

---

(١) القائل دلف بن جحدر الشبلي قول على قول ٦/٢٦٣.

(٢) ورقاء الحمامة لسان العرب ١٠/٣٧٦.

(٣) صدحت رفعت صوتها بغناء أو غيره لسان العرب ٢/٥٠٩.

(٤) الفنن الغصن لسان العرب ١٣/٣٢٧.

(٥) الجوى الحرقة وشدّة الوجد من عشق أو حزن لسان العرب ١٤/١٥٧.

(٦) المراد ببعضهم أبو سليمان الدمشقي. أنظر شرح إحياء علوم الدين ٦/٥٠٩.

(٧) سعتر النبات المعروف في كتب الطب ينبت بنفسه في البراري يقصد بذلك بيعه ويصفه بأنه بري غير مستنبت شرح إحياء علوم الدين ٦/٥٠٩.

فقيل له: ما سمعت؟ فقال: سمعت (١٢٢/أ) اسع[١] ترى بري،[٢] وكل واحد إنما يسمع من حيث[٣] هو كما يحكي أن عتبة الغلام[٤] سمع قائلاً يقول:

سبحان رب السماء * إن المحب لفي عناء

فقال: عتبة، صدقت، وسمع رجل[٥] آخر ذلك القول فقال: كذبت،[٦] فكل منهما سمع على ما شاكل حاله وهذه هي التي يسميها القوم إشارات ومخاطبات من جنس دلالات الألفاظ والإشارات من جنس دلالات القياس، وهذه يستعملها القوم كثيراً فيما يرونه ويسمعونه، وبعضهم يغلو فيها غلواً مفرطاً، وكثير من الناس ينبو فهمه عنها، والصواب فيها التوسط وهي تصح بثلاثة شروط:

أحدها: أن يكون المعنى[٧] صحيحاً في نفسه.

---

(١) إسع اجتهد في طاعتي شرح إحياء علوم الدين ٦/٥٠٩.

(٢) برى بكسر الباء أي خيري ومواهب كرامتي ٦/٥٠٩.

(٣) (٥) الرسالة القشيرية ص ١٥٦.

(٤) هو عتبة بن أبان الغلام وسمى بالغلام لأنه كان في العبادة كأنه غلام رهبان لا لصغر سنه كان يأوي إلى المقابر والصحارى ويخرج إلى السواحل فيقيم فيها فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فيشهد الجمعة ثم يأتي إخوانه فيسلم عليهم وكانوا يشبهونه في الحزن بالحسن البصري مات في قتال الروم، طبقات الصوفية للشعراني ١/٥٤، حلية الأولياء ٦/٢٢٦.

(٦) قال بعض ذوي البصائر أصابا جميعاً وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخطر الصدفي المآل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم. إحياء علوم الدين ٢/٢٨٩.

(٧) في الأصل المعنا.

الثاني: أن لا يكون في اللفظ ما يضاده.

الثالث: أن يكون بينه وبين معنى اللفظ الذي وضع له قد مشترك يفهم بواسطته. فإذا كانت دلالة الإشارة مؤيدة بهذه الأصول الثلاثة فهي إشارة صحيحة، ولنذكر لذلك أمثلة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[1] فحقيقة هذا أنه لا يمس محله[2] إلاَّ المطهر، وإشارته أنه لا يجد حلاوته ويذوق طعمه ويباشر حقائق قلبه إلاَّ القلب المطهر من الأنجاس والأدناس، وإلى هذا المعنى أشار البخاري في صحيحه[3] فهذه من أصح الإشارات.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[4] أشارت[5] هذه الآية أن بر القلب يوجب نعيم الدنيا، وأن الفجار لفي جحيم أشارت[6] هذه الآية أن فجوره[7] يوجب جحيمها، وهذا قد يقال: (١٢٢/ب) أنه مراد مع النعيم والجحيم الأكبرين، وقد يقال: إنه مفهوم بإشارة الآية وهو أظهر.

---

(١) سورة الواقعة آية ٧٧ ـ ٧٩.

(٢) في الأصل ملحه

(٣) أنظر صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿قل فاتوا بالتوراة فاتلوها﴾ وقول النبي ﷺ (أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها وأعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به وأعطيتم القرآن فعملتم به إلخ...) قال البخاري: «لا يمسه لا يجد طعمه ونفعه إلاّ مَن آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلاّ الموقن» إلخ ١٩٠/٩.

(٤) سورة الانفطار آية ١٣.

(٥) (٦) في الأصل إشارة.

(٧) في الأصل إن برّ القلب فجوره واستقامة الكلام يقتضي حذف بر القلب.

ومنها قوله عن نبيّه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١) فمن أصح الإشارات إشارة هذه الآية وهي أن مَن صحب الرسول(٢) ﷺ وما جاء به بقلبه وعمله وإن لم يصحبه ببدنه، فإن الله معه.

ومنها قوله تعالى لرسوله: «وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»(٣) فأشارت هذه الآية أن محبة الرسول وحقيقة ما جاء به إذا كان في القلب فإن الله لا يعذبه لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإذا كان وجود الرسول في القلب مانعاً من تعذيبه فكيف بوجود الرب(٤) تعالى في القلب فهاتان إشارتان.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٥) فدلالة لفظها أنه لا يغير نعمه التي أنعم بها على عباده حتى يغيروا طاعته بمعصيته كما قال في الآية الأخرى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٦) واشارتها أنه إذا عاقب قوماً وابتلاهم، لم يغير ما بهم (١٢٣/أ) من العقوبة والبلاء، حتى يغيروا ما بأنفسهم من المعصية إلى الطاعة كما قال العباس عم رسول الله ﷺ: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة(٧) ومنه قول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا

(١) سورة التوبة آية ٤٠. (٢) في الأصل الرسول الله ولفظ الجلالة زائد.
(٣) سورة الأنفال آية ٣٣.
(٤) في الأصل ربّ
(٥) سورة الرعد آية ١١.
(٦) سورة الأنفال آية ٥٣.
(٧) أخرجه الزبير بن بكار في الأنساب بإسناد له كما في فتح الباري ٤٩٧/٢ أن العباس لما استسقى به عمر قال اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبه وقد توجه =

صورة»[1].

فإذا منع الكلب والصورة دخول الملك إلى البيت، فكيف تدخل معرفة الرب ومحبته في قلب ممتلىء بكلاب[2] الشهوات وصورها، وكذلك قوله: (لا أحل المسجد لحائض ولا جنب[3](فإذا حرم بيت الرب على الحائض والجنب، فكيف بمعرفته ومحبته والتنعم بذكره على حائض القلب وجنبه، فهذه اشارات صحيحة وهي من جنس مقاييس الفقهاء بل أصح من كثير منها.

فصل

وأما قوله: «إن السماع وارد حق يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق». فهذا الكلام ظاهره متناقض، لأن قائله وصفه بأنه وارد حق يزعج القلوب إلى الحق، ثم حكم عليه بأن من أصغى إليه بنفس تزندق، ووارد الحق يزعج القلوب إلى الحق لا يكون الإصغاء إليه موجباً للتزندق.

= القوم بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث فارخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس.

(١) الحديث عن أبي طلحة وقد أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم أمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٤/١٣٩ ومسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان الخ ٣/١٦٦٤.

(٢) في الأصل بكتاب.

(٣) الحديث عن عائشة وقد أخرجه أبو داود كتاب الطهارة باب في الجنب يدخل المسجد ١/٦٠ وابن ماجة كتاب الطهارة باب ما جاء في اجتناب الحائض المسجد ١/٢١٢ قال البوصيري في الزوائد إسناده ضعيف محدوج لم يوثق وأبو الخطاب مجهول.

(١٢٣/ب) والذي يصح حمل كلام هذا القائل عليه أن السماع الذي قصده أولاً هو السماع الذي يقصده أهل الإرادة لله فهو يحرك قلوبهم إلى الله الذي يريدون وجهه وهـو معبودهم ومحبـوبهم ونهاية مطلوبهم، فهم[١] يسمعون بالله ولله، فسماعهم يزعج قلوبهم إلى الله لما فيها من محبته وارادته، والسماع يحرك نار الارادة ويضرمها ثم قال: من أصغى إليه بنفس تزندق، فإن أصغى إليه بإرادة العلو في الأرض والرئاسة وجعل محبة الخالق من جنس محبة المخلوق وجعل ما يطلب من قرب الرب تعالى والوصول (إليه)[٢] من جنس ما يطلب من قرب المخلوق والوصول إليه أوجب له ذلك تزنـدقاً في الاعتقـاد، فيصير صاحبه منافقاً زنديقاً ولهذا تزندق بالسماع طوائف لا يحصيهم إلا الله، كما تزندق بالكلام ولم يكن أضر على الأمة من هاتين الطائفتين أهل السماع وأهل الكلام، وقد ذم الشافعي رحمه الله الطائفتين وبالغ في ذمهم وشهد على إحداهما بأن طريقتهم من إحداث الزنادقة، وحكم على الأخرى بأن تضرب بالجـريد والنعـال ويطاف بهـا في القبائـل والعشائر[٣] لعلمه رضي الله عنه بالضرر الداخل على الأمة والدين من الطائفتين، وتلغى شهادة هذا الذائق للسماع بأن من أصغى إليه بنفس تزندق.

والنفس إما أن يراد بها ذات الإنسان أو روحه المدبرة لبدنه، أو صفاتها من الشهوة والغضب والهوى وغيرها، فإن البشر لا يخلو[٤] من ذلك ولو فرض أن قلبه يخلو[٥] عن حركات هذه القوى فعدمها شيء

---

(١) في الأصل فهو.

(٢) في الأصل بدون إليه والمقام يقتضيها

(٣) سبق تخريجه ص ٣٠٤ .

(٤)،(٥) في الأصل لا يخلوا.

وسكونها[1] شيء أخرى والعدم (١٢٤/أ) ممتنع عليها، وغايتها أن تسكن، ومن شأن السماع أن يحرك الساكن ولابد، فكيف يمكن الإنسان أن يسكن لشيء مع ملابسته لما يوجب حركته هذا من المحال عادة، وهو من التفريق بين الملزوم ولازمه، أو الجمع بين الشيء وضده، وهو نظير أن يقال: أدم النظر إلى هذه المرأة الشابة الحسناء الجميلة، من غير أن تحرك نفسك لأرادتها وطلبها، وهل الأمر بهذا إلا من أحمق الناس ولهذا قال بعض العارفين: إن أحوال السماع بعد مباشرته تبقى غير مقدورة للإنسان، بل خارجة عن حد التكليف وهذا غير معذور فيه لمباشرته أسبابه، فهو كمن زال عقله بالسكر اختياراً.

وقوله: ومن أصغى إليه بحق تحقق[2] فيه أمران:

أحدهما: أن يقال: الإصغاء إليه بحق لا يخالطه باطل أمر غير مقدور عليه لبشر، وغاية ما في قوة صاحب الرياضة والصفاء التام أن يكون حال الإصغاء لا يجد في نفسه إلا طلب الحق وارادته، ولكن من أين يثق بنفسه أنه يبقى على ذلك، والواقع أنه إذا سمع خالط الإصغاء بالحق الإصغاء بالنفس، فإن تجرد الإنسان عن صفاته اللازمة لذاته ممتنع.

الأمر الثاني: أن يقال لك: ومن أين لك أن كل من أصغى إليه بحق تحقق[3] بل المصغي إليه بحق قد يحصل له من الزندقة والنفاق علماً وحالاً مالاشعور له به كما قال عبدالله بن مسعود: (الغناء

---

(١) في الأصل سلونها.

(٢) في الأصل تحقق عليه وحذفت عليه لأنها زائدة وكذلك تحقق بالياء والصواب بالتاء.

(٣) في الأصل يحقق.

ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل)[١] والنفاق هو الزندقة (١٢٤/ب) وامتحن أهل الغناء بأهل القرآن، وأهل القرآن بأهل الغناء، وابتلي كل واحد من الفريقين بالآخر فلا يصطلحان إلا إذا ترك أحدهما ما عنده لما عند الآخر، وامتحن كلا من الإنسان والشيطان بالآخر، وسلط كلا منهما على الآخر وأعانه عليه، فأعان الإنسان على الشيطان بطاعته وذكره وتقواه وصبره واستعاذته بربه منه، وأعان الشيطان على الإنسان بفجوره[٢] ونسيانه لربه ومعصيته لأمره.

وامتحن بدن الإنسان وجوارحه بنفسه ونفسه بدنه وجوارحه ولا تزال الخصومة بين يدي الرب تعالى بين. هؤلاء الممتحن بعضهم ببعض حتى تختصم الروح والبدن بسبب ذلك الامتحان والفتنة فيحكم بينهما بأعدل الحكم، وجعل سبحانه حكمة هذه الفتنة والمحنة استخراج صبرهم وصدقهم فمن صبر وصدق كانت الفتنة في حقه عين كماله وسعادته، ومن لم يصبر ولم يصدق كانت هذه المحنة سبب هلاكه، فهذه المحنة عين حكمته فهي[٣] كالكير الذي ميز بين الطيب والخبيث ولولا هذا الإمتحان لما تميز هذا من هذا، وإذا عرف العبد هذا فما أولاه بالصبر والتأسي إذا علم[٤] أن العالم كله في محنة وبالله التوفيق.

وسمع[٥] قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٦] فقال: شرح الله

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٩.

(٢) في الأصل نفجوره.

(٣) في الأصل فها.

(٤) في الأصل إذا أعلم.

(٥) في الأصل سمع قارئاً ولعل فاعل سمع رجل أو ما أشبه ذلك سقط.

(٦) سورة الانشراح من آية ١ - إلى ٤.

صدر رسوله أتم الشرح، ووضع عنه وزره كل الوضع، ورفع ذكره كل الرفع، وجعل لاتباعه حظاً من ذلك إذ كل متبوع فلأتباعه حظ ونصيب من حظ متبوعهم في الخير والشر على حسب اتباعهم (١٢٥/أ) له.

فأتبع الناس لرسوله ﷺ أشرحهم صدراً، وأوضعهم وزراً، وأرفعهم ذكراً، وكلما قويت متابعته علماً وعملاً وحالاً وجهاداً، قويت هذه الثلاثة حتى يصير صاحبها أشرح الناس صدراً، وأرفعهم في العالمين ذكرا.

وأما وضع وزره فكيف لا يوضع عنه ومن في السماوات والأرض ودواب البر والبحر يستغفرون له، وهذه الأمور الثلاثة متلازمة كما أن[١] أضدادها متلازمة فالأوزار والخطايا تقبض الصدر وتضيقه، وتخمل الذكر وتضعه، وكذلك ضيق الصدر يضع[٢] الذكر ويجلب[٣] الوزر، فما وقع أحد في الذنوب والأوزار إلا من ضيق صدره وعدم انشراحه، وكلما ازداد الصدر ضيقاً كان أدعى إلى الذنوب والأوزار[٤] لأن مرتكبها إنما يقصد بها شرح صدره، ودفع ماهو فيه من الضيق والحرج وإلا فلو اتسع بالتوحيد والإيمان ومحبة الله ومعرفته وانشرح بذلك لاستغنى عن شرحه بالأوزار[٥]، ولهذا أكثر من يواقع المحظور إنما يدفع به عن نفسه مافيها من الهم والغم والضيق، وكثيراً ما تبرد شهوته وارادته، ومع هذا يحرص على[٦] المعاودة تداوياً منه

---

(١) في الأصل كما اضدادها وزدت أن ليستقيم الكلام.

(٢و٣) في الأصل بالتاء واستقامة الكلام بالياء في الموضعين.

(٤و٥) في الأصل الأوزار.

(٦) في الأصل عن.

بزعمه كما أفصح عن هذا شيخ الفسوق أبو نواس[1] بقوله:

وكأساً شربت على لذة * وأخر تداويت منها بها

فإذا حمل العبد الأوزار[2] أوجب له ذلك ضيق الصدر وخمول الذكر ثم خمول الذكر يوجب له ضيق الصدر (١٢٥/ب) فلا يزال المعرض عن طاعة الله ورسوله متردداً بين هذه المنازل الثلاث، كما لا يزال المطيع لله ورسوله الذي باشر قلبه روح التوحيد، وتجريده ومحبة الله ورسوله وامتثال أمره دائراً بين تلك المنازل الثلاث.

وإذا ثقل الظهر بالأوزار[3] منع القلب من السير إلى الله، والجوارح من النهوض في طاعته، وكيف يقطع مسافة السفر مثقل بالحمل على ظهره، وكيف ينهض إلى الله قلب قد أثقلته الأوزار، فلو وضعت عنه أوزاره لنهض وطار شوقاً إلى ربه ولا نقلب عسره يسراً، فإن ضيق الصدور وحمل الوزر وخمول الذكر من أعظم العسر ومعه يسر يقلبه إليه وهو تجريد التوحيد تجريد الطاعة بمتابعة الرسول، وهما الأصلان اللذان ختم بهما السورة فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ فالنصب: التفرغ للعبادة والطاعة والرغبة إلى الله وحده وتجريد توحيده، فمتى قام بهذين الأصلين حصل له من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر بحسب ما قام به وبدل عسره يسراً.

---

(١) هو الحسن بن هانىء أبو علي الحكمي الشاعر المعروف بأبي نواس ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة قرأ القرآن علي يعقوب الحضرمي وسمع الحديث من حماد بن زيد وعبد الواحد ابن زياد وغيرهما كان كثير المجون وقال كلثوم العتابي فيه لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد. تاريخ بغداد ٤٣٦/٧ ـ شذرات الذهب ٣٤٥/١.

(٢) في الأصل الأزوار.

(٣) في الأصل الأزوار.

وسمع قارئاً[1] يقرأ: «والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» فقال: لو أن الناس أخذوا كلهم بهذه السورة لوسعتهم أو كفتهم كما قال الشافعي رضي الله عنه: «لو فكر الناس في سورة والعصر لكفتهم[2] فإنه سبحانه قسم نوع الإنسان فيها قسمين خاسراً ورابحاً، فالرابح من نصح نفسه بالإيمان والعمل الصالح ونصح الخلق بالوصية بالحق المتضمنة (١٢٦/أ) لتعليمه وارشاده والوصية بالصبر المتضمنة لصبره هو أيضاً، فتضمنت السورة النصيحتين واالتكميلين وغاية كمال القوتين بأخصر لفظ وأوجزه وأهذبه وأحسنه ديباجة وألطفه موقعاً.

أما النصيحتان فنصيحة العبد نفسه، ونصيحته أخاه بالوصية بالحق والصبر عليه، وأما التكميلان فهو لتكميله نفسه وتكميله أخاه، وأما كمال القوتين فإن النفس لها قوتان قوة العلم والنظر وكمالها بالإيمان، وقوة الارادة والحب والعمل وكمالها بالعمل الصالح، ولا يتم ذلك لها إلا بالصبر فصار ههنا ستة أمور ثلاثة يفعلها في نفسه ويأمر بها غيره تكميل قوته العلمية بالإيمان والعملية بالاعمال الصالحة والدوام على ذلك بالصبر عليه وأمره لغيره بهذه الثلاثة، فيكون مؤتمراً بها آمراً بها متصفاً بها معلماً لها داعياً إليها، فهذا هو الرابح كل الربح وما فاته من الربح بحسبه وحصل له نوع من الخسران والله المستعان وعليه التكلان.

---

(١) في الأصل سمع قارئاً ولعل فاعل سمع رجل أو ما أشبه ذلك سقط أو أن سمع مبني للمجهول وحصل تصحيف.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٤٨/٤ .

فصل

٢٤ ـ **قال[١] صاحب الغناء**: لا ندري ما غرضك بهذه الشواهد وتكثيرها ولا ندري ما تعلقها بمسألة السماع وارتباطها بها نفياً وإثباتاً.

قال صاحب القرآن: الغرض بهذه الشواهد التنبيه على فتح سماع القرآن وما يثيره من كنوز العلم والإيمان، والاستغناء عن فتح سماع الشعر وما يثيره من النفاق والشهوات، والموازنة بين هذا الذوق في القرآن الذي ذكر منه دون سم الخياط بالنسبة إلى ما وراءه وبين ذوق سماع[٢] الشعر، فهل يجد صاحب الغناء في سماعه لطيفة (١٢٦/ب) من هذه اللطائف التي ينبهنا عليها أدنى تنبيه، وهل يمكنه أن يستثمر من الغناء فائدة من هذه الفوائد التي تنبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل، فإن وجد شيئاً من هذا الذوق فليفدنا إيّاه وليضع فيه كتاباً أو أوراقاً، أفلا يستحي العاقل من نفسه إن لم يستح[٣] من الله ورسوله وعباده المؤمنين أن يعرض عن مثل هذا الذوق والمعرفة إلى ذوق الغناء الذي هو قرآن الشيطان، ثم لا يقنع بذلك حتى يراه قربة وطاعة وزيادة في حاله وإيمانه ثم لا يقنع بذلك حتى يرجحه عن سماع القرآن من وجوه متعددة فوالله لو كان الأمر كما تزعمون[٤] لما سبقتم صاحب القرآن إليه ولزاحمكم عليه أشد مزاحمة، ولكن كلام الله عنده أجل وأوقر وأعظم أن يزاحمه بقرآن الشيطان أو

---

(١) في الأصل (صاحب الغناء) وزدت (قال) ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل (السماع).

(٣) (إن لم يستحي) والصواب ما أثبته

(٤) في الأصل (يزعمون)

يجمع بينه وبينه، فإنه لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً.[1]

(٢٥) قال[2] صاحب الغناء: فأوجدونا في السنّة كراهية رسول الله ﷺ للغناء ومنعه منه أصرح مما ذكرتم لنزداد بصيرة. **قال صاحب القرآن**: في بعض ما ذكرنا كفاية لَمن بصره الله وقد روى أبو يعلى[3] الموصلي في مسنده[4] من حديث أبي برزة **قال**: «كنا مع النبيّ ﷺ في سفر فسمع رجلين يتغنيان، **فقال**: مَن هذان؟ فقيل له: فلان وفلان، **فقال**: اللهم اركسهما[5] في الفتنة ركساً ودعهما إلى النار دعا». فلو كان الغناء مباحاً أو قربة لم يدع عليهما وقد روى الطبراني (١٢٧/أ) في معجمه من حديث ابن عباس **قال**: قال رسول الله ﷺ: «قال إبليس لربه: يا رب قد أهبط آدم، وقد علمت أنه سيكون كتاب ورسل فما كتابهم ورسلهم قال: رسلهم الملائكة والنبيون منهم، وكتبهم التوراة والزبور والإنجيل والفرقان. **قال**: فما

---

(١) سبق الإشارة إليه (ص ١٧٩).

(٢) لم يقل فصل وهو خلاف ما سار عليه.

(٣) هو أحمد بن علي بن المثنى التميمي صاحب المسند الكبير ولد سنة ٢١٠ سمع علي بن الجعد ويحيى بن معين وغيرهما، حديث عنه أبو حاتم بن حبان وأبو بكر الإسماعيلي وغيرهما وثقة ابن حبان ووصفه بالإتقان والدين وقال يزيد بن محمد الأزدي كان أبو يعلى من أهل الصدق والإمانة والدين والحكم توفي سنة ٣٠٧هـ تذكرة الحفاظ للذهبي ٧٠٧/٢.

(٤) مسند أبو يعلي ورقة ٣٥٤/أ كما أخرجه أحمد في مسنده ٤٢١/٤، والبزار كما في كشف الأستار رقم ٢٠٩٣ والطبراني في المعجم الكبير ٣٨/٧ وذكره الذهبي في ترجمة يزيد من الميزان ٤٢٤/٤ وقال غريب منكر والحديث منكر جداً أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان ص ١٣٤.

(٥) اركسهما إرجعهما وأرددهما، النهاية لابن كثير ٢٥٩/٢.

كتابي قال: كتابك الوشم، وقرآنك الشعر، ورسلك الكهنة، وطعامك ما لا يذكر اسم الله عليه، وشرابك كل مسكر، وصدقك الكذب، وبيتك الحمام، ومصائدك النساء، ومؤذنك المزمار، ومسجدك الأسواق»[1] وقال أبو الصهباء: سألت ابن مسعود عن هذه الآية «ومن الناس مَن يشتري لهو الحديث» فقال عبدالله: «هو والذي لا إله غيره: الغناء». وقال ابن عباس: «نزلت هذه الآية في الغناء» صح ذلك عنهما[2] قال أبو عبدالله الحاكم:[3] «تفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع»[4] وقال ابن مسعود: «إذا ركب الرجل الدابة فلم يذكر اسم الله عليه ردفه الشيطان، فقال له تغن فإن لم يحسن قال له تمن».[5] وفي سنن ابن ماجه[6] أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: (أتأذن لي في الغناء من غير فاحشة فإني لا أرزق إلاّ من دفي بكفي، فقال: لا آذن لك ولا كرامة كذبت عدو الله، لقد رزقك حلالاً طيباً

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٦ .

(٢) سبقت الإشارة إلى تخريجه ص ١١٣ .

(٣) سبقت ترجمته ص ١٠٣ .

(٤) المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير ٢/٢٥٨.

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه كتاب الجامع باب ركوب الثلاثة على الدابة ١٠/٣٩٧ والطبراني في المعجم الكبير ٩/١٧٠ وابن أبي الدنيا ص ٣٩ . وقال الهيثمي رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح. أنظر مجمع الزوائد والحديث ضعيف جداً. أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان ص ٩٥.

(٦) سنن ابن ماجة كتاب الحدود باب في المخنثين ٢/٨٧١ كما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨/٦٠ والمزي في تهذيب الكمال ٤/١٥٨ وابن عدي في الكامل ٧/٢٦٥٦ وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٦٣ وهذا الخبر موضوع والمتهم به يحيى بن العلاء أو بشير بن نمير فإنهما جميعاً متروكان كما ذكره الحافظ في التقريب ١/١٠٢ وانظر أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان ص ٣٩٨.

فاخترت ما حرم الله من رزقه مكان ما أحل الله، أمّا **إنك إن نلت** بعد التقدمة منه شيئاً ضربتك ضرباً وجيعاً، وحلقت رأسك مثله، ونفيتك من أهلك وأحللت سلبك[1] نهبه[2] لفتيان (١٢٧/ب) المدينة، فقام وبه من الشر والخزي ما لا يعلمه إلاّ الله، فلما ولي قال النبي ﷺ: «هؤلاء العصاة مَن مات منهم بغير توبة حشره الله يوم القيامة كما كان مخنثاً عرياناً لا يستتر من الناس بهدبه[3] كلّما قام صرع».

وفي الغيلانيات[4] عن علي قال رسول الله ﷺ: (بعثت بكسر المزامير، وأقسم ربي لا يشرب عبد في الدنيا خمراً إلاّ سقاه الله يوم القيامة حميماً بعد معذباً أو مغفوراً له ثم قال النبي ﷺ: كسب المغنية والمغنى حرام، وكسب الزانية سحت[5] وحق على الله أن لا يدخل الجنة بدن[6] نبت من سحت[7]) فلو كان الغناء حلالاً لم يكن حراماً، ولم يقرن بينه وبين كسب الزانية، وبين عمله وعمل الزانية،

(.) السلب هو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب مما يكون عليه ومعه من سلاح وثيابه وغيرها، النهاية لابن الأثير ٢/٣٨٧.

(٢) النهب الغارة والسلب أي لا يختلس شيئاً له قيمة عالية، انظر النهاية لابن الأثير ٥/١٣٣.

(٣) بهدبه بطرف ثوبه، لسان العرب ١/٧٨٠.

(٤) الغيلانيات ١/٢٢٨. تحقيق د. مرزوق بن هياس الزهراني.

(٥) السحت الحرام الذي لا يحل كسبه، النهاية لابن الأثير ٢/٣٤٥.

(٦) في الأصل بدنا

(٧) وأخرجه أيضاً الآجري في تحريم النرد والشطرنج ص ١٩٤ وأورده ابن الجوزي في تلبيس إبليس مختصراً ص ٢٦٣ وهذا الحديث منكر جداً، أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان ص ٦٨.

وفي مسند مسدد بن مسرهد[1] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير، قالوا يا رسول الله: أمسلمون هم قال نعم، يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله ويصدقون ويصلون، قالوا: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: اتخذوا المعازف والقينات والدفوف، وشربوا على هذه الأشربة، فباتوا على شرابهم ولهوهم فأصبحوا قد مسخوا)[2] وفي مسند الإمام أحمد[3] والترمذي[4] وابن ماجه[5] عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحل شراء المغنيات ولا بيعهن ولا تعليمهن ولا إعارة[6] فيهن وثمنهن حرام، وتلا[7] هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ[8] عِلْمٍ﴾). (١٢٨/أ) وفي صحيح

---

(١) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل البصري الأسدي روى عن عبدالله بن يحيى بن أبي كثير وعيسى بن يونس وفضيل بن عياض وغيرهم وروى عنه أبو داود والترمذي والنسائي ثقة حافظ يقال أول مَن صنف المسند بالبصرة مات سنة ٢٢٨ تهذيب التهذيب ١٠/١٠٧ وتقريب التهذيب ٢/٢٤٢.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي ص ٣٥ وأبو نعيم في الحلية ٣/١١٩ وابن أبي شيبة في مصنفه ١٥/١٦٤ والحديث حسن لغيره أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان ص ٣٥.

(٣) مسند أحمد ٥/٢٦٨.

(٤) الترمذي كتاب تفسير القرآن باب سورة لقمان ٥/٣٤٥ قال أبو عيسى هذا حديث غريب إنما يروى من حديث القاسم عن أبي أمامة والقاسم ثقة وعلى بن يزيد يضعف في الحديث قال سمعت محمداً يقول القاسم ثقة وعلى بن يزيد يضعف.

(٥) ابن ماجة كتاب التجارات باب ما لا يحل بيعه ٢/٧٣٣.

(٦) في الأصل ولا عاره.

(٧) في الأصل وتلى.

(٨) سورة لقمان آية ٦.

البخاري[١] عن عبد الرحمن[٢] بن غنم قال حدثني أبو[٣] عامر[٤] أو أبو مالك الأشعري والله ما كذبني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم تروح عليهم بسارحة[٥] لهم، فيأتيهم رجل لحاجة فيقولون له: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله عز وجل ويضع العلم عليهم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة[٦]) وهذا حديث صحيح لا مطعن فيه، وأخطأ مَن طعن فيه بأن البخاري علقه ولم يسنده، فإن البخاري في صحيحه احتج[٧] به وجزم بروايته عمن علقه عنه، فقال: «وقال هشام بن عمار[٨] وقد لقي البخاري هشام

---

(١) سبق تخريجه ص ٥١.

(٢) هو عبد الرحمن بن غنم الأشعري مختلف في صحبته روى عن عمر وعثمان وغيرهما وروى عنه ابنه محمد وعطية بن قيس ومكحول الشامي وغيرهم ذكره العجلي في كبار ثقات التابعين مات سنة ٧٨ تهذيب التهذيب ٦/٢٥١، تقريب التهذيب ١/٤٩٤.

(٣) في الأصل ابن.

(٤) إسمه عبدالله بن هاني الأشعري وقيل ابن وهب وقيل عبيد بن وهب وهو عم أبي موسى الأشعري له عن النبي ﷺ حديث واحد استشهد بحنين، تهذيب التهذيب ١٢/١٤٤، تقريب التهذيب ٢/٤٤٣.

(٥) في الأصل سارحه وما أثبته كما في البخاري.

(٦) قال ابن القيم في الإغاثة ١/٢٧٨، وجه الدلالة منه أن المعازف هي آلات اللهو كلّها لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك ولو كانت حلالاً لما ذمهم على استحلالها ولما قرن استحلالها باستحلال الخمر والخز فإن كان بالحاء والراء المهملتين فهو استحلال الفروج وإن كان بالخاء والزاء المعجمتين فهو نوع من الحرير غير الذي صح عن الصحابة رضي الله عنهم إذ الخز نوعان أحدهما من حرير والثاني من صوف وقد روى هذا الحديث بالوجهين.

(٧) في الأصل واحتج وحذفت الواو ليستقيم الكلام.

(٨) هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسره بن أبان السلمي روى عن معروف الخياط وصدقه =

ابن عمار وروى عنه، وقد رواه عن هشام ثقتان ثبتان لا مطعن فيهما فهو صحيح متصل عند أهل الحديث». [1]

فصل

(٢٦) قال صاحب الغناء: قد روى الإمام أحمد[2] عن نافع

= ابن خالد وحاتم بن إسماعيل وغيرهم وروى عنه البخاري والنسائي وابن ماجه وغيره صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح من كبار العشرة مات سنة ٢٤٥ تهذيب التهذيب ١١/٥١ تقريب التهذيب ٢/٣٢٠.

(١) يضاف إلى ذلك.

١ ـ أن البخاري لو لم يسمع من هشام لم يستجز الجزم به عنه إلاّ وقد صح عنه أنه حدث به وهذا كثيراً ما يكون لكثرة من رواه عنه عن ذلك الشيخ وشهرته فالبخاري أبعد خلق الله عن التدليس.

٢ ـ أنه أدخله في كتابه المسمى بالصحيح محتجاً به فلولا صحته عنده لما فعل ذلك.

٣ ـ أنّا لو ضربنا عن هذا كله صفحاً فالحديث صحيح متصل عند غيره. أنظر إغاثة اللهفان ١/٢٧٧.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/٣٨ وأخرجه أيضاً أبو داود كتاب الأدب باب كراهة الغناء والزمر وابن ماجه كتاب النكاح باب الغناء والدف ١/٦١٣ والبيهقي في السنن كتاب الشهادات باب ما جاء في ذم الملاهي من المعازف والمزامير ونحوها. ١/٢٢٢ وابن حبان ٢/٥٤ والطبراني في المعجم الصغير ١/١٣ وهذا الحديث صحيح ثابت عن نافع برواية الثقات عنه وهو من الأدلة الواضحة على تحريم استماع المزامير. قال ابن رجب في نزهة الأسماع ص ٤٨ قيل للإمام أحمد هذا الحديث منكر فلم يصرح بذلك ولم يوافق عليه واستدل الإمام أحمد بهذا الحديث.

وقال ابن الوزير اليماني في توضيح الأفكار ١/١٥٠ (صحيح على الأصح) وروى ابن ماجه هذا الحديث عن مجاهد برقم ١٩٠١ وهذا لا يعكر على رواية نافع لأن إسناده ضعيف فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. وقال أبو داود وهذا الحديث أنكرها قال صاحب عون المعبود ١٣/٢٦٩ ولا يعلم وجه النكاره بل إسناده قوي وليس بمخالف لرواية الثقات.

قال: (كنا مع ابن عمر في سفر فسمع صوت زامر فوضع إصبعيه في أذنيه وعدل عن الطريق، ثم قال: يا نافع أتسمع؟ قلت لا فراجع الطريق ثم قال هكذا رأيت رسول الله ﷺ فعل» فلو كان صوت الزمر حراماً لما أقرّ عبدالله نافعاً على أن يسمعه، وإنما سد ابن عمر أذنيه تورعاً وكراهة، وكذلك فعل النبيّ ﷺ، وإذا ثبت حل الزمر فالشبابات[1] والمواصيل[2] والدفوف[3] المصلصلة[4] مثله، (١٢٨/ب) قال صاحب القرآن: عجباً لكم أيها السماعاتية كيف تدعون المحكم، وتتمسكون[5] بالمتشابه؟ وهذا شأن كل مبطل وهذا الحديث هو إلى أن يكون حجة عليكم أقرب من أن يكون حجة لكم على ما تقررونه من سماع ما حرمه الله ورسوله.

فإنَّ سد النبي ﷺ لأذنيه من (أبين)[6] الأدلة على أنَّ هذا الصوت منكر، وهو من الأصوات التي ينبغي سد الآذان عند سماعها، لأنها مما يبغضه اللّه ورسوله وسد الأذنين عند هذا الصوت نظير غض البصر عند رؤية المحرمات.

وأما كونه لم يأمر نافعاً بسد أذنيه عنده فلان المحرم إنما هو الاستماع والإصغاء لا السماع من غير إصغاء واستماع، فلا يجب على الإنسان سد أذنيه عند سماع الأصوات المحرمة، وإنما الذي يحرم قصد

---

(١) سبق تعريفها ص ١١١ .

(٢) سبق تعريفها ص ١٦١ .

(٣) سبق تعريفها ص ١٠٨ .

(٤) سبق تعريفها ص ١٧١ .

(٥) في الأصل ويتسلون.

(٦) في الأصل أين.

استماعها والإصغاء إليها ونظير هذا احتجاجكم بغناء الجويريتين في بيت النبي ﷺ، وأنَّه سمعه ولم ينكره فأخطأتم في النظر ولم تفرقوا بين فعل النبي ﷺ وفعلكم، ولا بين فعل نافع وفعلكم، فأنتم تقصدون الاستماع والسماع غير الاستماع، وكذلك فرق الفقهاء في سجود التلاوة بين السامع والمستمع، فاستحبوه للمستمع ومنهم من أوجبه عليه بخلاف السامع.

والسامع هو الذي يصل الصوت إلى مسامعه من دون[1] قصد إليه والمستمع المصغي بسمعه إليه والأول غير مذموم فيما يذم استماعه ولا ممدوح فيما يمدح استماعه وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[2] فمدحهم على الإعراض (١٢٩/أ) عنه ولم يذمهم على سماعه إذا كان عن غير قصد منهم. وقال النبي ﷺ: (من استمع[3] إلى حديث قوم وهم له كارهون، صب في أذنيه الآنك[4] يوم القيامة[5]) أو كما قال، وكذلك ما رواه الحافظ أبوبكر ومحمد بن محمد بن سليمان الباغندي[6] في الجزء الثاني من حديثه حدثنا أبو نعيم

(١) في الأصل من قصد إليه وزدت دون ليستقيم الكلام.

(٢) سورة القصص آية ٥٥.

(٣) في الأصل من حديث وجعلت إلى بدلها كما في البخاري.

(٤) الآنك هو الرصاص الأبيض - وقيل الأسود وقيل هو الخالص منه. النهاية لابن الأثير ٧٧/١.

(٥) الحديث عن ابن عباس وقد أخرجه البخاري كتاب التعبير باب من كذب في حلمه ٥٤/٩.

(٦) هو محمد بن محمد بن سليمان المعروف بابن الباغندي سكن بغداد وحدث بها سمع من محمد بن نمير وعلي بن المديني وغيرهما وروى عنه أبو بكر الشافعي وأبو علي الصواف وغيرهما وقال الخطيب البغدادي لم يثبت من أمر ابن الباغندي ما يعاب به سوى التدليس ورأيت كافة شيوخنا يحتجون بحديثه ويخرجونه في الصحيح مات سنة ٣١٢ تاريخ بغداد ٢٠٩/٣.

هو عبيد الله بن هشام الحلبي[1] - وقال فيه أبو حاتم[2]: صدوق[3] - حدثنا ابن المبارك[4] عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر[5] عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (من قعد إلى قينة يسمع منها صب يوم القيامة في أذنيه الآنك) وفي بعض ألفاظه «من قعد إلى قينة يستمع منها[6]» وكذلك ما مدح من المستمع إنما هو الاستماع والإصغاء كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ[7] ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ

---

(١) في الأصل عبيد والصواب عبيد الله وهو عبيد الله بن هشام الحلبي جرجاني الأصل روى عن مالك بن أنس وأبي المليح الرقي وغيرهما وروى عنه أبو داود حديثاً واحداً صدوق تغير في آخر عمره فتلقن تهذيب التهذيب ٧/٧٦، تقريب التهذيب - ١/٥٤٦.

(٢) هو محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي ولد سنة ١٩٥ روى عن محمد بن عبدالله الأنصاري وعثمان بن الهيثم وغيرهما وروى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم وهو أحد الحفاظ مات سنة ٢٧٧ تهذيب التهذيب ٩/٣١، تقريب التهذيب ٢/١٤٣.

(٣) الجرح والتعديل ٦/٥.

(٤) هو عبدالله بن المبارك التيمي المروزي روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وغيرهما وروى عنه الثوري ومعمر بن راشد وغيرهما مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير مات سنة ١٨١ تهذيب التهذيب ٥/٣٨٢ تقريب التهذيب ١/٤٤٥.

(٥) هو محمد بن المنكدر بن عبدالله التيمي روى عن أبيه وعمه وغيرهما وروى عنه إبناه يوسف والمنكدر وغيرهما ثقة فاضل مات سنة ١٣٠ أو بعدها، تهذيب التهذيب ٩/٤٧٣، تقريب التهذيب ٢/٢١٠.

(٦) ذكره ابن حجر الهيتمي في الزواجر وقال رواه ابن صصرى في أماليه وابن عساكر في تاريخه ٨/٢٧٠، قال الحافظ في اللسان ٥/٣٤٩ وقال الدارقطني تفرد به أبو نعيم عن ابن المبارك ولا يثبت هذا عن مالك ولا عن ابن المنكدر وذكره ابن الجوزي في العلل ٢/٣٠٠ ونقل عن أحمد قال هذا حديث باطل وقال ابن العربي في أحكام القرآن ٣/١٤٩٤ (لا يصح).

(٧) في الأصل عبادي.

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[1] وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ[2] إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[3] وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[4] ولا يختص بحاسة السمع بل[5] يتعلق بحاسة السمع، و[6] يتعلق بحاسة الشم والنظر واللمس كذلك، فإنَّ المحرم لا يحرم عليه شيء من الطيب إذا حملته الريح وألقته في خياشيمه ولا يجب عليه سد أنفه كذلك، وإنما الذي منع منه القصد لشمه واستنشاقه وتروحه وهذا شيء، ومجرد شمه من غير قصد شيء آخر وكذلك النظر إنما المحرم منه قصد النظر وإتباع النظرة النظرة لا نظر الفجاءة ولهذا قال النبي ﷺ: «لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الأخرى»[7] (١٢٩/ب) وقال علي: «سألت رسول اللّه ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري»[8] وكذلك اللمس إنما المحرم منه قصد مس بشرته بشرة المحرم فلو وقعت بشرته على بشرة المحرم من غير قصد لزحمة أو غيرها لم يكن ذلك حراماً، ولكن هل سمعتم معاشر أصحاب الغناء أنَّ رسول اللّه ﷺ أو أحداً من أصحابه استحضر مغنياً أو مغنية وجلس إليها قصداً، أو كان جالساً ناحية أو ماراً في طريق فسمع صوت جويريات أو زمارة، ولم

---

(١) سورة الزمر آية ١٨.

(٢) في الأصل صفرنا.

(٣) سورة الأحقاف آية ٢٩.

(٤) سورة الأعراف آية ٢٠٤.

(٥) في الأصل بل بما يتعلق والسياق يقتضي حذف بما.

(٦) في الأصل بل ما يتعلق والسياق يقتضي حذف بل ما.

(٧) سبق تخريجه ص ٣٤٥.

(٨) رواه أبو داود كتاب النكاح باب ما يؤمر به من غض البصر ٢/٢٤٦ والحديث صحيح. أنظر صحيح الجامع الصغير ١/٢٣٤.

يقصد استماعه، فطفرتم القنطرة، وجعلتم هذا حجة في استحضار القينات والمغنين والرقاصين والشبابات[1] والمواصيل[2]، وجعلتم لهم الأجرة والحباء والكرامة والخلع ومزقتم عليهم القلوب قبل الثياب[3]، وجدتم لهم بما بخلتم على الأرملة والمسكين واليتيم بالحبة منه، وزعمتم أنَّ ذلك قربة وطاعة، وصدقتم هو قربة إلى الجحيم وطاعة للشيطان الرجيم ثمّ جلستم منه منصتين وقمتم له على الأقدام متواضعين معظمين، والمصيبة العظمى والداهية الكبرى نسبتكم ذلك إلى شريعة خاتم الرسل التي هي أكمل شريعة طرقت العالم إباحة واستحباباً، ومعاذ الله وحاش شريعته من نسبة ذلك إليها، وليس العجب من جاهل قلبه في غطاء عن العلم لا يفرق بين مافعل الرسول وما يفعله هؤلاء، ولكن العجب ممن نصب نفسه للعلم والتأليف ويعد نفسه من الأئمة (١٣٠/أ) الهداة المرشدين، لا يفرق بين هذا وهذا، ويحتج على جواز الاستماع على الوجه المذكور بسماع صوت الزمارة، وسماع غناء الجويريتين فهلا فعلتم مثل فعل الجويريات، وأخذتم الدفوف، وضربتم بها في الطرقات وغنيتم بغنائهن، واقتصرتم على ذلك ولم تضموا إليه سائر المحرمات والقبائح؟ فلو فعلتم ذلك مع قبحه لكان أسهل وأقل إثماً وأدنى إلى الخلاص[4].

---

(١) سبق تعريفها ص ١١١ .

(٢) سبق تعريفها ص ١٦١ .

(٣) في الأصل الثبات.

(٤) أ ـ ومن الردود أيضاً أنَّه ﷺ إنما لم يأمر ابن عمر بسد أذنيه لأنَّه تقرر عندهم أنَّ أفعاله ﷺ حجة كأقواله فحين فعل ذلك بادر ابن عمر إلى التأسي به وكيف يظن به أنَّه ترك التأسي وهو من أشد الصحابة تآسياً.

ب ـ إنَّ تلك الزمارة لم تكن مما يتخذه أهل هذا الفن الذي هو محل النزاع من الشبابات التي يتقنونها وتحتها أنواع كلها تطرب ومعلوم أنَّ زمر الراعي في قصبة ليس كزمر من =

فصل

(٢٧) قال صاحب الغناء: فقد روى الإمام أحمد في مسنده(١) عن عائشة أنَّ جارية من جواري الأنصار أهديت إلى زوجها فقال رسول اللّه ﷺ: ما الذي قالوا؟ قالوا: لم نقل شيئاً، فقال: الأنصار قوم فيهم غزل ألا قلتم

أتيناكم اتيناكم * فحيونا نحييكم(٢)

فهذا ندب منه إلى الغناء وتعليل بأنَّ القوم الذين فيهم غزل لا يصبرون عن الغناء.

قال صاحب القرآن: هذا الحديث أولاً قد ضعفه الإمام أحمد ولم يصححه ثمّ لو صح فهو ترخيص في الغناء العارض وهو في

= جعله صنعة وتأنق فيه وفي طرائقه التي اخترعوا فيها نغمات تحرك إلى الشهوات.

جـ - أنَّه إنما سد النبي ﷺ أذنيه مبالغة في التحفظ حتى لا يسمع أصلاً فتبين بذلك أنَّ الامتناع من أن يسمع ذلك خير من السماع وإن لم يكن في السماع أثم.

د - انَّه لو قدر أنَّ الاستماع لا يجوز فلو سد هو ورفيقه لم يعرفا متى ينقطع الصوت فيترك المتبوع سد أذنيه.

هـ - انَّه لم يعلم أنَّ الرفيق كان بالغاً أو كان صغيراً دون البلوغ والصبيان يرخص لهم في اللعب ما لا يرخص فيه للبالغ.

و - أنَّ هذه واقعة عين قرر عليها الراعي فلا يدري على أي وجه وقع فلا تعارض ما ورد من أدلة كثيرة يفيد مجموعها التحريم - أنظر مجموع الفتاوى ٣٠/٢٢٢ وكف الرعاع عن محرمات السماع ملحق مع الزواجر ٢/٣٠٣ توضيح الأفكار ١/١٥٠.

(١) مسند أحمد ٣/٣٩١ وأخرجه أيضاً ابن ماجة كتاب النكاح باب الغناء والدف ١/٦١٢.

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٥٢.

الأعراس للنساء بغناء الأعراب وأين ذلك من هذا السماع أو الغناء المعتاد، فبينه وبين غناء الأعراب المرخص فيه كما بين المسكر والشراب الحلال، وكما بين الميتة والمذكاة.

وأيضاً فإنَّ غاية ما فيه قول الشعر

أتيناكم أتيناكم

ومن حرم مثل هذا وإن سمى (١٣٠/ب) غناء، ثمّ لو ثبت أنَّه غناء لم يلزم منه الرخصة للرجال ولا في عموم الأحوال، وقد كان عمر بن الخطاب (إذا سمع صوت دف قصد إليه فإن كان في عرس تركه وإلاَّ أنكره)[١].

فصل

(٢٨) **قال صاحب الغناء**: السماع ألطف غذاء للأرواح عند أهل المعرفة والذوق[٢]، وما كان بهذه المنزلة كيف يمنع منه.

قال صاحب القرآن: صدقت، فإنَّ السماع فيه تغذية للنفوس بل هو من أقوى أغذيتها حتى قيل: إنَّه لم يسم غناء إلاَّ أنَّه[٣] يغني النفس لكن الكلام معك في مقامين:

أحدهما: أن يقال: هل هو غذاء للنفس أو غذاء للروح[٤] على أصلك؟، فإن أدعيت أنَّه غذاء للروح كانت دعوى مجردة لا يمكنك تصحيحها البتة فإنَّ مايجده صاحبه به من التغذية أمـر معلوم، ولكن من

(١) سبق تخريجه ص ١٣٣ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٥٤.

(٣) في الأصل الانه.

(٤) في الأصل أو غذاء للروح إلى على والمقام يقتضي حذف إلى.

أين له أنَّه غذاء لقلبه[1] وروحه وليس غذاء لنفسه؟، ثمّ نتبرع لك بالدليل على أنّه من أعظم أغذية النفس، فإنَّه محض حقها وحظها وشهوتها وليس من الحق الواجب عليها المراد منها، وما هذا شأنه فهو مجرد حظ النفس وغذاؤها وهذا بين لمن له فرقان بين قوت قلبه وروحه وقوت نفسه. وقبيح بالسالك الصادق أن يؤثر حظ نفسه وإرادتها على حق ربه ومراده منه حتى يفنى بحظه عن الحق الذي عليه، بل يبلغ به تلبيس النفس والشيطان إلى أن يصير محض حظه (١٣١/أ) وقوت[2] نفسه هو الطريق إلى اللّه ويجعله طريق[3] الخواص، وطريقة الأمر وإتباع الرسول عنده طريقة العوام، ولهذا جعل الجنيد[4] الزاعمين أنهم يصلون إلى اللّه بهذه الطريق واصلين إلى سقر[5]. وصدق، فإنَّ اللّه لا يصل إليه (أحد)[6] إلاَّ من الطريق التي فتحها ونهجها على ألسن رسله[7] ونصبها[8] لعباده وسد جميع الطرق إليه دونها، فلم يفتح لأحد قط إلاَّ من تلك الطريق، فالسالك من غيرها لا يصل إليه أبداً، وكل من لم يصل إليه فهو واصل إلى سقر. قال أبو القاسم الجنيد: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلاَّ طريق رسول اللّه ﷺ»[9] وقال: «يقول اللّه عزّ وجلّ: «وعزتي

---

(١) في الأصل القلبة.

(٢) في الأصل قوة.

(٣) في الأصل الطريق.

(٤) سبقت ترجمته ص ١٣٠ .

(٥) هذا الكلام لأبي علي الروذباري وليس للجنيد انظر ٣٦٦.

(٦) في الأصل بدون أحد والمقام يقتضيها.

(٧) في الأصل رسوله.

(٨) في الأصل نصيبها.

(٩) الرسالة القشيرية ص ١٩.

وجلالي لو أتوني من كل طريق واستفتحوا من كل باب ما فتحت لهم حتى يدخلو خلفك»[1].

---

(١) لم أعثر على مصدره.

المقام الثاني: أن أغذية النفوس تنقسم إلى طيب وخبيث، وحلال وحرام، كما تنقسم أغذية الأبدان، وليس كل ما يغذي به الإنسان في بدنه أو نفسه يكون طيباً ولا ريب أن سماع الألحان والمعازف المحرمة يتغذى به أهله تغذية قوية، وكلما كان السامع أجهل كان غذاؤه به أقوى، كما يغذي به الأطفال وضعفاء العقول، ولهذا يشتد تأثيره في النساء وأهل البوادي والأعراب وكل من ضعف عقله ومعرفته.

فأما السماع الشرعي فهو أصلح الأغذية وأطيبها وأنفعها للعارفين، وهو غذاء قلوبهم الذي لا يشبع منه كما قال إمام أهل هذا السماع (١٣١/ب) عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله»[١] وفي صفة القرآن: «لا تنقضي[٢] عجائبه ولا يشبع منه العلماء[٣]، فهو قوت القلوب وغذاؤها[٤] ودواؤها[٥] من

---

(١) سبقت الإشارة إلى مصدره ص ١٨٠. (٢) في الأصل ينقضى.

(٣) هذا جزء من حديث رواه علي وقد أخرجه الترمذي كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن قال أبو عيسى هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مجهول وفي الحارث مقال ٥/١٧٣.
كما أخرجه الدارمي كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن ٢/٣١٢ وقال الحافظ ابن كثير «لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبرء حمزة من عهدته على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما إنه تعمد الكذب في الحديث فلا وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم من رفعه وهو كلام حسن صحيح والله أعلم.
أنظر تفسير ابن كثير ٤/٥٨٢.

(٤) في الأصل غذاؤه.

(٥) في الأصل دواؤه.

أسقامها[١] وشفاؤها[٢] وأما السماع الشعري الشيطاني فهو سحت وقلب تغذى[٣] بالسحت بعيد من الله غير الله أولى به.

فصل

(٢٩) قال صاحب الغناء: شأن القوم الذين أنكرتم عليهم السماع شأن آخر، واشاراتهم التي يتلقونها من السماع غير إشارة أهل اللهو والبطالة، وإن كان ظاهره محذوراً أو مكروهاً ولهذا سئل الشبلي[٤] عن السماع فقال: ظاهره فتنة وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارات حل له السماع بالعبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية،[٥] ولهذا قال بعض العارفين: لا يصلح[٦] السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة، وقلبه حي بنور الموافقه،[٧] وسئل أبو يعقوب النهرجوري[٨] عن السماع فقال: حال تبدي الرجوع إلى الاسرار من حيث الاحراق[٩] وقالوا: السماع على قسمين:

---

(١) في الأصل اسقامه.

(٢) في الأصل شفاؤه.

(٣) في الأصل تغذا.

(٤) سبقت ترجمته ص ١٣٤ .

(٥) الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

(٦) في القشيرية (لا يصح).

(٧) في الأصل بنور المشاهدة.

(٨) سبقت ترجمته ص ٢٧٩ .

(٩) الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

سماع بشرط العلم والصحو فمن شرط صاحبه معرفة الاسامي [1] والصفات وإلا وقع في الكفر المحض .

وسماع بشرط الحال، فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية والتنقي من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة، وسئل رويم [2] عن وجود الصوفية عند السماع فقال: [3] يشهدون المعاني التي تعزب عن غيرهم فتشير إليهم إلى إلى فيتنعمون بذلك من الفرح، ثم يقع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء، فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح ومنهم من يبكي كل إنسان على قدره [4] وقال الحصري: [5] ايش أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه ينبغي [6] أن يكون سماعك سماعاً متصلاً غير منقطع وينبعي أن يكون ظمأ دائم فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه [7] وقالوا: السماع نداء والوجد قصد، وقال أبو عثمان المغربي [8]: قلوب أهل الحق حاضرة وأسماعهم مفتوحة [9] .

---

(١) في الأصل الأسماء.

(٢) هو رويم بن أحمد كان مقرئاً وفقيهاً على مذهب داود بن علي الأصبهاني مات ببغداد سنة ٣٠٣ ـ تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٠) والرسالة القشيرية (ص ٢٠).

(٣) في الأصل مكرر.

(٤) الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

(٥) هو: علي بن ابراهيم الحصري البصري سكن مدينة بغداد وهو شيخ وقته ينتمي إلى الشبلي. مات ببغداد سنة ٣٧١ ـ الرسالة القشيرية (ص ٣٠) وتاريخ بغداد (١١/ ٣٤٠).

(٦) في الأصل (أيبقى) كما في الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

(٧) في الأصل (ازدادوه) والصواب ما أثبته.

(٨) هو: سعيد بن سلام المغربي، ولد بالقيروان ورد بغداد وأقام بها مدة ثم خرج منها إلى نيسابور صحب ابن الكلاتب وحبيبا المغربي وغيرهم مات سنة ٣٧٣.
الرسالة القشيرية (٢٩) وتاريخ بغداد (٩/ ١١٢).

(٩) الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

وقال أبو سهل الصعلوكي:[1] المستمع بين استتار وتجل[2] فالاستتار يوجب التلهيب، والتجلي يوجب الترويح، والأستتار يتولد منه حركات المريدين. وهو محل العجز والضعف، والتجلي، يتولد منه سكون الواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين، وذلك صفة الحضرة، ليس فيها إلا الذبول تحت موارد الهيبة[3] قال تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾[4] وقال أبو عثمان الحيري:[5] السماع على ثلاثة أوجه:

فوجه منها للمريدين والمبتدئين، يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويخشى عليهم في ذلك الفتنة والمرآءآة.

والثاني: للصادقين فيطلبون الزيادة في أحوالهم، ويستمعون من ذلك ما يوافق أوقاتهم.

والثالث: لأهل الاستقامة (١٣٢/ب) من العارفين، فهؤلاء لا

---

(١) هو محمد بن سليمان بن محمد العجلي أبو سهل الصعلوكي ولد سنة ٢٩٦ سمع من ابن خزيمة وأبي العباس السراج وغيرهما وتفقه على أبي إسحاق المروزي كان فقيهاً أديباً شاعراً مفسراً كاتباً رحل إلى العراق ونيسابور. توفي سنة ٣٦٩ ـ طبقات الشافعية للسبكي (١٦٨/٣).

(٢) في الأصل تجلى.

(٣) الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

(٤) سورة الاحقاف آية (٢٩).

(٥) هو: سعيد بن اسماعيل الحيري ولد في باري ونشأ بها سمع بالري من محمد بن مقاتل وموسى بن نصير وسمع بالعراق من محمد بن اسماعيل الأحمسي وحميد بن الربيع اللخمي ثم انتقل إلى نيسابور وسكنها حتى توفي.
تاريخ بغداد (٩٩/٩).

يختارون على الله فيما يرد على قلوبهم من الحركة والسكون[1] وقد حكي عن أحمد بن أبي[2] الحواري أنه قال: سألت أبا سليمان[3] عن السماع فقال: من اثنين أحب إلى من واحد[4] وأبو سليمان ممن لايدفع محله عن الامامة والمعرفة وسئل أبو الحسين النوري[5] عن الصوفي فقال: من سمع السماع وآثر الأسباب[6]، وقال أبو عثمان المغربي: من ادعى السماع ولم يسمع صوت الطنبور وصرير الباب، وصفير الرياح فهو مفتر مدع، وكان بعض المشايخ[7] ممن صحب الجنيد[8] يحضر موضع السماع فإن استطابه فرش ازاره وجلس، وقال الصوفي: مع قلبه وإن لم يستطبه قال السماع الأرباب القلوب وأخذ نعله ومر.

قال صاحب القرآن : إن الكلام على ما ذكرته من هذه الكلمات من وجهين: مجمل ومفصل. أما المجمل: فإنه ليس فيها من أدلة الشرع التي تثبت بها الأحكام الخمسة، وليس فيها ما يقتضي اباحة ولا استحباباً ولا مدحاً ولاذماً، وغايتها حكايات عن أقوام، أخبر كل

---

(١) الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

(٢) أحمد بن أبي الحواري من أهل دمشق صحب أبا سليمان الداراني وسفيان بن عيينه وغيرهما. مات سنة ٢٣٠.
الرسالة القشيرية (ص ١٧).

(٣) هو: عبد الرحمن بن سليمان الداراني كان كبير الشأن في علوم الحقائق والورع من أهل دمشق، مات سنة ٢١٥
الرسالة القشيرية (ص ١٥).

(٤) الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

(٥) سبقت ترجمته (ص ١٤٠).

(٦) الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

(٧) المراد ببعض المشايخ ابن زيري. أنظر الرسالة القشيرية (ص ١٤٥).

(٨) سبقت ترجمته (ص ١٣٠).

منهم عن حاله ووجده في السماع، فأي برهان في هذا، وأي دليل لمن نصح نفسه، وألهم رشده، ووقاه الله شر نفسه حتى يجعل هذه الحكايات قدوة، ويدعو الناس بها إلى قرآن الشيطان وسماعه والتقرب به إلى الله؟

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة * وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم(١)

وأما الوجه المفصل (١٣٣/أ) فنذكر ما في كل جملة من هذا الكلام من الحق والباطل، وما يحتمل الأمرين ونعطي كل ذي حق حقه قضاء بحق النصيحة، واتباعاً لمرضاة الرب تعالى وبراءة من العصبية، وايثاراً للعلم والعدل، ولا قوة إلا بالله، أما قولك: إن القوم لهم في السماع شأن آخر غير شأن أهل اللهو والبطالة، فصدقت ولكن لهم فيه خطر(٢) آخر غير خطر(٣) أهل اللهو والبطالة، فهم فيه على خطر عظيم زلت فيه أقدام وتعثرت فيه بأذيالها(٤) عقول وأحلام، ونصب لهم به ابليس شبكته، وأحكمها بأنواع الحبائل والمصائد، فلو رأيت القوم فيها يخبطون لم يتخلص منهم إلا الواحد بعد الواحد، فسئل ناجيهم عما لاقى مع القوم في شبكة السماع يخبرك خبراً مسنداً لا إرسال فيه ولا انقطاع.

أما ما حكيت عن الشبلي فهو نقل مجمل غير معلوم الصحة عن غير ثابت العصمة، فليهن(٥) المتمسك به نصيبه من العلم والهدى، والشبلي ومن هو أكبر من الشبلي من الشيوخ، لابد من عرض أحواله

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٧٢).

(٢و٣) في الأصل حظر.

(٤) في الأصل باذيالها فيه عقول والمقام يقتضي حذف (فيه).

(٥) في الأصل فليتهن.

وأقواله على ما بعث الله به رسوله من الهدي ودين الحق، فيقبل منها ما وافق الحق، ويرد منها ما خالفه وما احتمل الأمرين جعل من المحتملات التي لا تقبل مطلقاً ولا ترد مطلقاً، وبهذا الميزان يوزن كلام من دون رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله كائناً من كان.

والشبلي كان يعرض له أحياناً (١٣٣/ب) ما يزيل عقله، ويختلط حتى يذهب به إلى المارستان[١] ومن كان بهذه الحال لا تكون أحواله وأفعاله حجة في طريق الحق والسلوك إلى الله، وله مع ذلك أقوال وأفعال حسنة جداً ومتوسطة، وبين بين فلا تهدوا بما[٢] غلط فيه، ولا يلحق ما غلط فيه بها، فيجعل محجة[٣] وطريقاً، وقد جعل الله لكل شيء قدراً.

وشيخه أبو القاسم الجنيد بن محمد[٤] شيخ القوم غير مدافع، أعرف بهذا الشأن منه وأصح طريقاً وأقرب إلى الاتباع، قد أخبر أن السماع فتنة لمن طلبه، فإذا كان لابد من التقليد فليقلد الجنيد أولى من تقليد الشبلي وقد أطلق القول بأنه فتنة طالبه، وليس مراده أنه فتنة في الظاهر فقط فإنه إنما يتكلم على صلاح القلوب وفسادها، وإنما أراد أنه يفتن القلب لمن طلبه، أو وهذا نهي وذم لا اطلاق واباحة وقوله: من عرف الإشارة حل له السماع بالعبرة، يضاهي قول من قال: هو حرام على العامة، مباح للخاصة، مستحب لخاصة الخاصة، مما لا تأتي به شريعة وتأبى حكمة الله أن تشرعه، فتكون الحل والحرمة تبعاً

(١) المارستان: دار المرضى وهو معرب. : الصحاح للجوهري (٣/٩٧٨).
(٢) في الأصل كذا ولعل الصواب فلا يعتد.
(٣) في الأصل محبة.
(٤) سبقت ترجمته ص ١٣٠ .

للعموم والخصوص وكان شيخنا قدس الله روحه يقول: ما أعلم أحداً من المشايخ المقبولين، يؤثر عنه في السماع نوع رخصة وحمد (إلا)[1] ويؤثر عنه الذم والمنع[2] وهذا من رحمة الله بعباده الصالحين، حيث يردهم في آخر أمرهم إلى الحق (١٣٤/أ) الذي بعث الله به رسوله، ولا يجعلهم مصرين على ما يخالف الحق قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].

فإن قيل: ما معنى[4] قوله: «مَن عرف الإشارة حل له السماع بالعبرة» قيل: الإشارة هي الاعتبار، والقياس بأن يجعل المعنى الذي في القول مثلاً مضروباً لمعنى حق يناسب حال المستمع، ولهذا قال: «باطنه عبرة» أي يعتبر به، ولكن من أين لهذا القائل أن كلّما أمكن أن يعتبر به الإنسان يكون حلالاً فإن الاعتبار قد يكون بما يسمع، ويرى من المحرمات، فهل يحل لأجل أن يعتبر أن يقصد النظر إلى الصور المبتدعة[5] بالجمال التي حرم الله النظر إليها؟ ويقول: نظري إليها عبرة أعبر منها إلى ما أعدّ الله لعباده في جنته، كما قال القائل:

وإذا راك العابدون تيقنوا * حور الجنان لدى النعيم الخالد[6]

ويسمع الأصوات اللذيذة المحرمة ويقول: هي عبرة إلى أمثال ذلك.

---

(١) في الأصل بدون (الا) والمقام يقتضيها.

(٢) الاستقامة لأبي تيمية (١/٤٠٥).

(٣) سورة آل عمران آية (١٣٥).

(٤) في الأصل (المعنا).

(٥) كذا في الأصل ولعلها (المبدعة). (٦) لم أعرف القائل.

فصل

وأمّا قول[(١)] القائل: لا يصلح السماع إلاّ لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي، فيقال له: أي السماعين تعني؟ سماع الآيات أو سماع[(٢)] الغناء والأبيات؟ فإن أردت السماع الأول فهو السماع لإحياء[(٣)] القلوب، وأمّا أموات القلوب (١٣٤/ب) فلا نصيب لهم من هذا السماع، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[(٥)] فجعل الناس في هذا السماع قسمين: أهل استجابة وهم الأحياء، وأموات وهم المعرضون عنه سماعاً وإجابة، وإن أردت السماع الثاني فلا ريب أنه يحيى النفس، ويميت القلب، ولكن أصحابه يغلطون فيظنون أن الذي حى منهم قلوبهم وإنما هو نفوسهم، وآية ذلك أنه لو أحى منهم قلوبهم لملأها من حب كلامه وسماعه، والإصغاء إليه والاشتغال به وتدبر معانيه، فإن زمن الحياة يضيق عن استغراقه بل عن استغراق بعضه، فلا يبق في القلب الحي متسع لغيره أبداً. وهذا أمر معلوم بالذوق كما قال:

لو كان في قلبي كقدر قلامة[(٦)] فضلاً لغيرك ما أتتك رسائلي[(٧)]

---

(١) في الأصل (قولك)

(٢) في الأصل (أسماع)

(٣) في الأصل (أحياء)

(٤) سورة النمل أية (٨٠).

(٥) في الأصل (ترجعون) وهو تحريف حسب نص الآية: سورة الأنعام آية (٣٦).

(٦) القلامة ما سقط من الظفر. الصحاح (٥/٢٠١٤).

(٧) لم أعرف القائل.

فصل

وأما قول القائل: إن السماع حال يبدي الرجوع إلى الأسرار من حيث الإحراق، فهذا وصف منه لما يتعقبه السماع من الأحوال الباطنة، وقوة الحرارة والإحراق، وهذا أمر يحسه المرء ويجده في السماع، ولكن ليس في ذلك ما يقتضي مدحاً ولا ذماً ولا إباحة ولا تحريماً، إذ مثل هذا قدر مشترك بين السماع الكفري والفسقي والإيماني[1] فعباد الصلبان والأوثان والنيران والشيطان يجدون في سماعهم مثل هذا، وعشاق المردان والنسوان والأهل والأوطان يجدون مثل هذا وأقوى منه، نعم السماع الذي يختص بالأحوال المختصة[2] بأهل الله وخاصته هو سماع القرآن فإنه إذا أعقب حالاً كانت مختصة بالمؤمنين العارفين (١٣٥/أ) بالله لا يشركهم فيها من سواهم، فلا نجعل المشترك خاصاً ولا الخاص مشتركاً.

فصل

وأمّا قول القائل: السماع على قسمين: سماع بشرط العلم والصحو فشرط صاحبه معرفة الأسماء والصفات وإلا وقع في الكفر إلى آخره، فمراده بالأسماء والصفات أسماء الرب تعالى وصفاته، فإذا كان المسموع هو الأبيات الشعرية التي يذكر فيها أسماء المخلوقين وصفاتهم ومحاسنهم، وأنتم تأخذون مقصودكم منها بطريق الإشارة والاعتبار، فهذا مع ما فيه من الخطر العظيم الموقف لصاحبه على شفا جرف

(١) في الأصل (وإيماني).

(٢) في الأصل (المختص).

هار، يحتاج أن يفرق بين ما يوصف به الرب تعالى، وبين ما لا يوصف به لئلا ينزل ما يسمعه من صفات المخلوق ونعوتهم على صفاته تعالى فيقع في الفتنة والكفر، هذا إذا كان صاحبه صاحياً يعلم ما يقول المغني، فإذا كان غير راسخ في معرفة ما يوصف الله به وما لا يوصف، وأسكره السماع، ونزل ما يسمعه من الغناء[1] على أسماء ربه وصفاته، فقد تعرّض من ربه تبارك وتعالى لغاية المقت والطرد والبعد عنه ولا يسلم من فتنة وكفر، وأحسن أحواله أن يكون صادقاً جاهلاً، فينجو بصدقه ويرحم لجهله، وإمّا أن يكون من خواص أولياء الله، وسادات العارفين به ممن يقتدي به في هذا الشأن فمعاذ الله، وكيف يليق بمَن يدعى محبة الله والسلوك[2] إليه أن يعتبر أسماءه وصفاته من أبيات الغناء التي أحسن أحوالها أن تكون قيلت في امرأة أو جارية حلال؟ وغالب أحوالها قيلت في الحرام (١٣٥/ب) وشبب بها فيه، ويدع تلقي ذلك من كلامه الذي تعرف به إلى عباده، ويتجلى فيه بأسمائه وصفاته وأفعاله لقلوبهم، لولا مرض مزمن في القلوب وشهوة يريد صاحبها تنفيذها تجاه الأسماء والصفات هيهات هيهات، بل هي فتنة ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ونحن لا ننكر وجود ذلك، فالمحب[3] يعتبر بكل ما يراه ويسمعه، ويكاد يخاطبه عن حبيبه ويخبره عنه، وإنما ينكر رضي الحبيب بذلك ومحبته له وتقريبه لصاحبه فهذا لون ووجود الاعتبار لون.

(١) في الأصل (المعنى).

(٢) في الأصل (والشلوك).

(٣) في الأصل (بالمحب).

فصل

وأمّا[1] قوله؛ وسماع بشرط الحال: فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية، والتنقي من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة، فعند القوم أن أحكام العلم شيء، وأحكام الحال شيء آخر أي وواجب هذا غير واجبه ولهذا جعلوا سماع صاحب العلم غير سماع صاحب الحال، وشرطوا في أحدهما غير ما شرطوه في الآخر، فشرطوا في سماع صاحب العلم معرفته بالأسماء والصفات، وشرطوا في سماع صاحب الحال الفناء عن أحوال البشرية، والتنقي من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة، ومرادهم بهذا فناؤه عن نفسه، وشعوره بأوصافها وأحكامها ثم فناؤه عن حظوظه، وإرادته التي لها، وذلك إنما يكون عند توليه سلطان الحقيقة على شرة وظهور أحكامها التي تنسخ أحكام الشريعة[2] والحقيقة التي يشيرون إليها هي حقيقة التوحيد التي يفنى صاحبها عن شهود السوى، وغير ارداة[3] السوى، فلا يبقى لقلبه شهود غير الله (١٣٦/أ) ولا يراد سواه، فهذا شرح كلامهم فيقال أولاً: لا يمكن الاستغناء عن أحوال البشرية ما دامت البشرية موجودة، فإن الفقر إلى لوازم البشرية أمر ذاتي وما بالذات لا يستغني عنه ألبتّة[4] قد يستغني لشهود الفقر المطلق إلى الغنى بذاته الذي كل شيء مفتقر إليه، ويفنى بشهود فقره إليه عن فقره إلى ما سواه، فيكون في غناه فقيراً إليه، وفي فقره غنياً به.

---

(١) في الأصل (وإنما)

(٢) في الأصل (البشرية)

(٣) في الأصل (وارادة)

(٤) في الأصل (لا يستغني عنه ألبتّة عنه) وحذفت عنه الثانية ليستقيم الكلام.

ويقال ثانياً: إذا كان في هذه الحال التي قد فنى بها عن أحوال البشرية، فكيف يصح له العبور في هذا السماع الذي كله أحوال البشرية إلى شهود الحقيقة وأحكامها؟ وهي إنما نالها من طريق هذا السماع، ودخل إليها من بابه، فلا يحصل له ذلك حتى يفنى عن الكائنات، ولا يبقى له شهود بالأحوال البشرية ويفنى عن الحظوظ البشرية كلها.

ويقال ثالثاً: لا يصل إلى هذا الحد إلاّ إذا ظهر سلطان التوحيد على قلبه، وهو المشار إليه بقوله: بظهور أحكام الحقيقة، ومعلوم قطعاً أن مع ظهور سلطان التوحيد لا يبقى له سعة إلى الغناء وسماع الأبيات، فإن سلطان التوحيد قد قهر حواسه وملك عليه مشاعره، وصار التصرف له وحده فهو في هذه الحال في شغل عن كثير من أوراده بوارده، فضلاً عن فراغه لصفات ليلى وسعدى ومي، والعبور من هذا السماع إلى الأسماء والصفات فما هذا التناقض واللعب؟ وهل يبقى سلطان التوحيد وظهور أحكام الحقيقة في القلب والسمع موضعاً لسماع غير كلام المحبوب وذكر أسمائه وصفاته؟

(١٣٦/ب) **ويقال رابعاً**: لو كان هذا الذوق والاعتبار صحيحاً، لكان حصوله وتناوله من كلام المحبوب الذي لهذا القصد تكلّم الله به وأنزله إلى عباده، وتعرف به إليهم ودلهم به عليه، وهداهم به إليه، وأمّا سماع الغناء فإنما وضع لأمر آخر فلا تلبسوا على أهله وعلى أهل القرآن، فإنه إنما وضع للفتنة لا للعبودية، وللنفاق لا للإيمان، وللفسوق والزنا لا للرشد والصلاح، وما جاء منه غير ذلك **فبالعرض** لا بالقصد، والفتنة فيه من وجهين:

من جهة البدعة في الدين، ومن جهة الفجور. أمّا البدعة فما

يحصل به من الاعتقادات الفاسدة التي لا تصلح لله[1] هذا مع ما يصد عنه من الاعتقادات الصالحة والعبادات النافعة، إمّا بطريق المضادة، وإمّا بطريق الاشتغال فإن النفس تشتغل وتستغني بهذا عن هذا. وأمّا الفجور في الدنيا فلمّا يحصل به من دواعي الزنا والفواحش والإثم، فأصول المحرمات الأربعة قد تحصل فيه، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

تقولوا على الله ما لا تعلمون

فصل

وأمّا قول رويم:[3] وقد سئل عن وجود الصوفية عند السماع فقال: يشهدون المعاني التي تعزب (عن غيرهم)[4] فتشير إليهم إلى إلى فهذا وصف لما يعتريهم من الحال، وليس في ذلك (١٣٧/أ) ما يقتضي مدحاً ولا ذماً. وغايتهم أنهم يشهدون[5] بقلوبهم معاني يفرحون بها والفرح يتبع المحبة، فمَن أحب شيئاً فرح بوجوده وتألم بفقده، والمحبوب المفروح به قد يكون نافعاً وقد يكون ضاراً، فإذا كان نافعاً كانت محبته حقاً وإن[6] كان ضاراً كانت محبته باطلاً. قال

---

(١) في الأصل الا الله.

(٢) سورة الأعراف آية (٣٣).

(٣) سبقت ترجمته ص ٤٢٣ .

(٤) في الأصل ساقط وزدته ليستقيم الكلام كما تقدم في بداية الكلام عن الشبهة ص ٤٠١ .

(٥) في الأصل يشدون.

(٦) في الأصل مكررة

تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(٢).

وقد يكون العبد محباً لله صادقاً في ذلك لكن يكون ما يشهده من المعاني المفرحة خيالات لا حقيقة لها، فيفرح بها ويكون فرحه بغير الحق وذلك مذموم، فيكون له نصيب من قوله: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾(٣) وما أوفر نصيب السماعاتية من هذا الفرح والمرح، وما أشد الخوف عليهم مما ذكر بعده وإلى الرغبة في التوفيق.

وقد علم أن سماع المكاء والتصدية مما ذكر الله في القرآن عن المشركين ولا يخلو من نوع شرك جلي أو خفي، ولهذا تضل عنهم تلك الأمور الباطلة أحوج ما كانوا إليها حتى يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، حتى يرونها ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(٤) ومع هذا فقد يكون في تلك المعاني التي تشهد وتحتجب من حقائق الإيمان ما يفرح به المؤمنون (١٣٧/ب) أيضاً، ولولا ما فيه ما التبس أمره على فريق من المؤمنين، ولكن لبس فيه الحق بالباطل، وبالحق الذي فيه نفق على من نفق عليه من المريدين، لكن لضعف إيمانهم نفق عليهم، ولو تحققوا بكمال الإيمان لتبين لهم ما فيه من مواد

---

(١) سورة البقرة آية (١٦٥)

(٢) سورة البقرة آية (٩٣).

(٣) سورة غافر آية (٧٥).

(٤) سورة النور آية (٣٩).

الشرك والنفاق والفسوق، ولبس الحق بالباطل وقد يبيّن الله سبحانه ذلك لَمن أراد أن يكمل إيمانه منهم، فتابوا منه كما يتاب من الفواحش والمعاصي الظاهرة، كما تاب مَن تاب من أكابر العلماء مما دخلوا فيه من البدع الكلامية، وأبى غيرهم إلاّ إصراراً وإقامة ما هو ميسر له، تظهر بهم وفيهم حكمة الله وحلمه وهو أحكم الحاكمين.

فصل

وأما قول الحصري: إيش أعمل[1] بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه؟ إلى آخره فهذا الكلام من أبين العيب والذم لأهل هذا السماع فإنه منقطع، ومن يسمع منه منقطع، والمؤمن عمله ديمة كما قال النبي ﷺ: «(أحب العمل إلى اللّه ما داوم عليه صاحبه[2])»، وهذا إنما هو في السماع القرآني لا في السماع الشعري، فإنّه دائم بدوام المتكلم به، تزول الدنيا بأهلها وهو دائم لا يزول، وإذا سمعه المؤمنون في الجنة من الرحمن عزّ وجلّ فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك، وتنسيهم لذة سماعه ما هم فيه من النعيم حتى يستفرغ جميع ما هم فيه من النعيم، كما ينسيهم (١٣٨/أ) ذلك لذة نظرهم إلى وجهه، وما أقل نصيب أصحاب الصور والأصوات من هذا النظر والسماع.

نزه لحاظك عن سواه إن ترد * نظراً إليه في محل ثوابه

---

(١) في الأصل عمل وما أثبته كما في الرسالة القشيرية (ص ١٥٤).

(٢) الحديث عن عائشة وقد أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه (٧/١٩٩).

ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصدها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام وغيره (١/٥٤٠).

وكذاك سمعك صنه عن سمع الغناء * ليلذ يوم لقائه بخطابه
أتروم رؤيته بمقلة خائن * هيهات أنَّ مطيعه أولى به
ويروم سمع قد تملى بالغنا * أن يستلذ خطابه بكتابه
هيهات ما أدنى المحال من الأولى * طلبوا الوصول وما أتوا من بابه(١)

وقوله: ينبغي أن يكون لصاحب السماع ظمأ دائم وشرب دائم كلما ازداد شربه ازداد ظمؤه حق، ولكن ظمأ إلى ماذا وشرب مماذا فمحبة الرحمن وكلامه الذي قد فنى بكلام محبوبه عن كلام غيره، وبسماعه عن سماع غيره، وبمراده عن مراد نفسه، له ظمأ دائم إلى كلام محبوبه، لا يزال عطشان كلما ازداد شرباً إزداد ظمأ، وكلما ازداد له سماعاً وتلاوة ازداد فيه ذوقاً وحلاوة، وكلما قطع علماً من أعلامه بدأ له علم آخر إلى غير نهاية.

فيسمعه والقلب قد زاد شوقه * يقول أهل بعد السماع تداني
فيشرب منه القلب مغناه ظاميا * فيا عظم ما يلقي من الهيمان
فيذكر شيئاً قاله بعض من خلا * تمالا عليه القلب والأذنان
كأن رقيباً منك يرعى خواطري * وآخر يرعى مقلتي ولساني
فما نظرت عيناي بعدك منظرا * من الحسن إلاَّ قلت قدر مقاني
ولا سمعت أذناي بعدك مسمعا * من القول إلاَّ أمسكا بعناني(٢).

فصل

وأما قوله: السماع نداء والوجد قصد فهذا الكلام مطلق مجمل، فإنَّ المستمع يناديه ما يسمعه بحق تارة وبباطل أخرى،

---
(١) لم أعرف القائل.
(٢) لم أعرف القائل.

والواجد قاصد مجيب للمنادي الذي قد يدعو إلى حق، وقد يدعو(١) إلى باطل، فإنَّ الواجد يجد في نفسه إرادة وقصداً للإجابة لمن ناداه، إلى(٢) ما تدعوه نفسه إليه فأهل الوجد والقصد الصحيح قالوا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(٣) أجابوا منادي الإيمان(٤) إذ ناداهم: حي على الفلاح، وواصلوا(٥) السير إليه مع الدليل بالغدو والترواح وفنوا بمراده عن مرادهم فبذلوا أنفسهم في مرضاته بذل المحب بالرضا والسماح وسيحمدون عند اللقاء مسراهم، فإنما يحمد القوم السري عند الصباح.

وأهل الغناء ناداهم منادى الشيطان: حي على رقية الزنا ورائد الفسوق والعصيان، فأجابوه: بلبيك داعي الشهوات وسمسار اللذات ها نحن لدعوتك مستجيبون، وفي مرضاتك مسارعون، نحن قوم(٦) ندور حول قطب رحا الطيبات نقطع هذه الأوقات بما يناسب الأوقات إذا أبدت (١٣٩/أ) لنا الطيبات ناجذها طرنا إليها زرافات ووحداناً، فإذا لاح لنا وجه الشاهد انقادت له قلوبنا محبة واذعاناً، فما لنا ولثقيل الدم كثيف الطباع يأمر بالاشتغال بالتلاوة والتسبيح، وأوراد العباد وينهانا عن السماع كأنه ما سمع قول شاعرنا:

---

(١) في الأصل وقد يدعوا.

(٢) في الأصل إلاَّ.

(٣) سورة آل عمران آية (١٩٢ - ١٩٣).

(٤) في الأصل للإيمان.

(٥) في الأصل واوصلو.

(٦) في الأصل مكرر.

يـا عـاذلي أنت تنهـاني وتـأمـرني * والـوجـد أصـدق نهاء وأمـار
وإن أطعك وأعص الوجد رحت عما * عن اليقـين إلى[1]أوهـام أخبـار[2]

ولا قول من تقدمه

خـذ مـاتـراه ودع شيئـاً سمعت بـه * في طلع البدر مايغنيك عن زحل[3]

والله يشهد وكفى بالله شهيـداً أنَّ هذا حـال كثير من السـماعاتيـة لا كلهم، ويحتجون على حل هذا السماع بحضور من حضره[4] من الصادقين الـذين برأهم الله من هؤلاء الأراذل. بـراءة المسيح من عباد[5] الصليب ولكن سماع الغناء اسم جنس هذا فرد من أفراده، وهو سماع كثير ممن يتقرب بالسماع ويراه صلاحاً لقلبه أو أكثرهم في هذا الزمان، ولا أعني بذلك أصغريهم ولكن أريد به ألذ ديناً.[6]

فصل

وأمـا قـول أبي عثمان المغـربي: قلوب أهـل الحق حـاضرة وأسماعهم مفتوحة، فكلامه صحيح قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[7] قالـوا: معناه: حاضر القلب ليس بغـائبـه، وتأمل قوله عزّ وجلّ: ﴿لمن كان له

(١) في الأصل إلاَّ.
(٢) لم أعرف القائل.
(٣) في الأصل رجل. سبق التعريف بقائله ص ١٦٦ .
(٤) في الأصل من حضوره.
(٥) في الأصل عبادة.
(٦) كذا في الأصل وهي غير واضحة.
(٧) سورة ق آية (٣٧).

قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ فجعله ذكرى لمن جمع بين القلب (١٣٩/ب) الحي، وأصغى بسمعه وحضر بقلبه (لا)[1] كما يفعله كثير من السماعاتية عند السماع الشيطاني، كيف تنفتح[2] له صدورهم، وتصغي إليه أسماعهم، وتشهد قلوبهم، فإذا جاء السماع الإيماني فهم صم بكم عمى ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[3] والظاهر والله أعلم أنَّ أبا عثمان إنما أراد أهل السماع الإيماني القرآني، فإنهم أهل الحق ولم يرد أهل السماع الشعري الشيطاني، فإنَّهم لا قلوب حاضرة ولا أسماع مفتوحة.

فصل

وأما قول أبي سهل الصعلوكي[4]: المستمع بين إستتار وتجل[5] إلى آخر كلامه، فهو كلام دال على أحوال أهل السماع المحدث وهو مطلق يتناول السماع الشرعي والبدعي، لكن هو إلى وصف حال أهل السماع المحدث أقرب وهو وصف لبعض أحوالهم، فإنَّ أحوالهم أضعاف ذلك، وأما استدلاله بالآية فما أبعدها مما استدل به عليه، فإنَّ الآية إنما سيقت[6] للإخبار[7] عن الجن الذين صرفهم الله إلى رسوله يستمعون القرآن ليقيم عليهم حجة وليبلغوا من ورآهم

---

(٢) في الأصل غير موجودة والمقام يقتضيها.

(٢) في الأصل ينفتح.

(٣) سورة فصلت جزء آية (٤٤).

(٤) في الأصل الصعوكي وسبقت ترجمته (ص ٤٢٤).

(٥) في الأصل وتجلى.

(٦) في الأصل سقيت.

(٧) في الأصل الأخبار.

فانصتوا لاستماعه ليعلموا حقيقته ويفهموه ويحفظوه ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾(١) فصاروا باستماعه مؤمنين، وبتبليغه عن رسول اللّه ﷺ منذرين، وهذا شأن كل من سمع من رسول اللّه ﷺ وبلغ عنه.

فصل

(١٤٠/أ) **وأما قول أبي عثمان**: السماع على ثلاثة أوجه إلى آخره فهو كلام مطلق يحتمل سماع الآيات، ويحتمل سماع الأبيات، ويحتمل ما هو أعم من ذلك، ولكن هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها لا تحصل إلاَّ بالسماع الذي يحبه اللّه ويرضاه، فإنَّ الأحوال الشريفة إنما تستثمر من شجرته ويؤتي إليها من بابه، ولا يخشى على أهله فيه فتنة ولا مرآة، إلاَّ كما يخشى عليهم في سائر الطاعات، ودواهم باستعمال الصدق والأخلاص وكذلك السماع للطائفة الثانية الذين يطلبون به زيادة في أحوالهم، فإنَّ أحوالهم إن كانت مستقيمة محبوبة للّه مرضية له لم يحصل فيها الزيادة إلاَّ بالسماع الذي يحبه ويرضاه، وإن كانت غير مستقيمة أمكن حصول المزيد فيها بالسماع الشعري.

وأما سماع أهل الاستقامة من العارفين فلا يمكن أن يكون غير السماع الذي تكمل به استقامتهم ومعارفهم، وإلاَّ لم يكونوا مستقيمين ولا عارفين(٢) وهو السماع الذى قال اللّه تعالى فيه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي

(١) سورة الأحقاق جزء آية (٢٩).

(٢) في الأصل ولا عافين.

ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝﴾[1] وإذا سمعوا ﴿مَآ أُنزِلَ﴾[2] إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين).

فصل

وأما ما حكي عن أبي سليمان أنه قال: السماع من اثنين أحب إلي من واحد. فنقل مجمل منقطع لا نعلم صحته عن غير معصوم، فلا يفيد إلاَّ تسويد (١٤٠/ب)الورق والوجوه، ثمّ لو صح فليس فيه ذكر المسموع. والظاهر أنَّه أراد سماع القرآن لا السماع الشيطاني، سماع الغناء. فإنَّ أبا سليمان قدس الله روحه لم يكن من رجال سماع الغناء ولا معروفاً بحضوره كما أنَّ الفضيل بن عياض[3] وإبراهيم بن أدهم[4] ومعروف الكرخي[5] وأمثالهم لم يكونوا من أهل هذا السماع، بل هم من أعظم الناس براءة منه وهذه[6] مسألة اختلف

(١) ليس في الأصل بقية الآية وزدتها. سورة القصص آية (٥٥).

(٢) في الأصل ساقط وزدته حسب الآية سورة المائدة آية (٨٣).

(٣) سبقت ترجمته (ص ٢٧٦).

(٤) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن جابر أبو إسحاق العجلي ولد في حدود المئة سكن الشام وحدث عن أبيه وأبي إسحاق السبيعي وغيرهما. وحدث عنه سفيان الثوري وبقية بن الوليد وغيرهما. قال النسائي: هو ثقة مأمون أحد الزهاد توفي سنة ١٦٢هـ.
سير أعلام النبلاء (٣٨٧/٧).

(٥) هو معروف بن الفيرزان أبو محفوظ المعروف بالكرخي أحد المشتهرين بالزهد كان يوصف بأنَّه مجاب الدعوة روى عن الربيع بن صبيح وبكر بن خنيس وغيرهما وروى عنه خلف بن هشام وزكريا بن أسد وغيرهما توفي سنة ٢٠٠.
تاريخ بغداد (١٩٩/١٣) وسير أعلام النبلاء (٣٣٩/٩).

(٦) في الأصل هذا.

فيها أهل العلم، وهي قراءة الجماعة بصوت واحد فكرهها طائفة واستحبوا قراءة الإدارة وهي يقرأ هذا، ثمّ يسكت فيقرأ الآخر حتى ينتهوا، واستحبتها طائفة وقالوا: تعاون الأصوات يكسو القراءة طيباً وتجلالة وتأثيراً في القلوب، وتأمل هذا في تعاون الحركات بالآلات المطربة كيف يحدث لها كيفية أخرى؟ فإنَّ الهيئة الاجتماعية لها من الحكم ما ليس لإفرادها، وفصلت طائفة وقالوا: كان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والباقون يستمعون(١) فلم يكونوا يقرأون جملة، ولم يكونوا يديرون القراءة (بل)(٢) القاريء واحد، والباقون مستمعون، ولا ريب أنَّ هذا أكمل الأمور الثلاثة، واللّه أعلم.

فصل

وأما قول أبي الحسين النوري الصوفي من سمع السماع وأثر الأسباب فهذا أيضاً من جنس ما قبله فلا يعتمد عليه، ولعل النوري إنما أراد به الصوفي (١٤١/أ) المذموم لابس ثوبي الزور، فإنه يجمع بين ايثار السماع الذي يدل على البطالة وضعف الإرادة والعبادة، وآثر الأسباب التي تضعف توكله واعتماده على المسبب، فضعف من قلبه سلطان «إياك نعبد بايثار السماع والبطالة، وسلطان «إياك نستعين» بايثار الأسباب، وضعف التوكل وإلا فالنوري أجل من أن يجعل هذا شرطاً في الصوفي المحقق.

---

(١) سبقت الإشارة إلى مصدره ص ١٨٠ .

(٢) ليست في الأصل والسياق يقتضيها.

فصل

وأما قول أبي عثمان المغربي: من ادعى[1] السماع ولم يسمع صوت الطنبور وصرير الباب وصفير الرياح فهو مفتر مدع، فظاهره منكر مستبشع ومراده به أن اعتباره بالسماع لا يختص بنوع واحد بل أي نوع سمعه من الأصوات المجردة أو الأصوات التي معها الحروف حرك ساكنه وأزعج قاطنه، فإن في قلبه من الحب والهيبة والشوق مالايقصر تحريكه على نوع واحد من المسموع، بل كل مسموع تحركه بخلاف المفتون فإنه يقتصر على السماع الذي يحبه أهل الفتنة ولا يحركه سواه، ولا يتأثر بغيره، فهذا يدل على أنه مدع مفتر فهذا مجمل كلامه وليس فيه بيان مرتبة المسموع والفرق بين ممدوحه ومذمومه وحلاله وحرامه، وإنما فيه[2] تحريكه باختلاف أنواعه لصاحب (١٤١/ب) المحبة واعتباره به، وقد تقدم اشباع الكلام في ذلك.

فصل

وأما كون ذلك الصوفي كان يحضر مواضع السماع فإن استطابه فرش ازاره وجلس، وقال الصوفي: مع قلبه وإن لم يستطبه مر وأخذ نعليه، فيا عجبا إيش في هذه الحكاية ما يدل على حكم السماع وإن كان صاحبها صادقاً صالحاً فليس بمضمون العصمة وله أسوة أمثاله من السماعاتية، على أن هذا الفعل وأمثاله عليه بينة في طريق القوم،

---

(١) في الأصل من ادعا.

(٢) في الأصل إنما قيه.

فإن وقوف المريد مع (ما)[1] يسطيبه قلبه عين حظه وارادته، وهذه الطريق كثير من القوم يسلكها، وهي المشي مع طيب القلب وذوقه ووجده (من غير)[2] اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، وهذا ضلال بعيد في الطريق وهو مبدأ ضلال من ضل من العباد والنساك والمنتسبين إلى طريق الفقر والتصوف.

وحقيقة هذه الطريق اتباع الهوى بغير هدى من الله، وهذا هو الذي ذمه العارفون بالله وبأمره من مشايخ الطريق، ومجرد طيب القلب ليس دليلاً على أنه إنما طاب بما يحبه الله ويرضاه، بل قد يطيب بما لا يحبه الله ويرضاه بل بما يكره ويسخطه، لاسيما القلوب التي أشربت حب الأصوات الملحنة فإنها تطيب[3] بما ينبت النفاق في القلب، واطلاق (١٤٢/أ) القول بأن الصوفي مع قلبه هو من جنس ما ذم به هؤلاء حتى جعلوا من أهل البدع، لأنهم أحدثوا في طريق الله أشياء لم يشرعها الله ولا رسوله، وقد ذكر الخلال[4] بإسناده عن عبد الرحمن بن مهدي[5] وذكر هؤلاء فقال: «لا تجالسوهم ولا أصحاب[6] الكلام، وعليكم بأصحاب القماطر فإنهم بمنزلة المعادن

(١) في الأصل ساقطة وزدتها ليستقيم الكلام.

(٢) في الأصل ساقطة وزدتها ليستقيم الكلام.

(٣) في الأصل طيب.

(٤) تقدم ترجمته ص ١٢٤ .

(٥) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري روى عن أيمن بن نابل وجرير بن حازم وغيرهما وروى عنه ابن المبارك وابن وهب ويحيى بن معين وغيرهم ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث قال ابن المديني ما رأيت أعلم منه، مات سنة ١٩٨.

: تهذيب التهذيب (٦/٢٧٩) وتقريب التهذيب (١/٤٩٩).

(٦) في الأصل ولا صاحب.

والغواصين، هذا يخرج درة، وهذا يخرج قطعة ذهب، وكان الشافعي سيء الظن بالطائفتين شديد الطعن فيهم طائفة المتكلمين وأهل البدع من الصوفية، وكلامه فيهما مشهور حتى قال: لو تصوف في أول النهار لم يأت نصف النهار إلا وهو أحمق، وأما أئمة الصوفية أهل العلم والاتباع والتعبد بالكتاب والسنة فهم من ورثة الأنبياء وأئمة المتقين، وكلماتهم دواء للقلوب، وهم حجة على هؤلاء، وكلامهم في الوصية باتباع الكتاب والسنة كثير، مثل قول شيخهم على الإطلاق أبي القاسم الجنيد:[1] من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث فلا يقتدى به في هذا الشأن[2] وقوله: الطرق كلها مسدودة على الخلق[3] إلا من أقتفى أثر الرسول[4] وقول أحمد بن أبي الحواري[5]: كل من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله[6] وقول سهل بن عبدالله[7]: كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء فهو عيش النفس وكل فعل يفعله بالاقتداء فهو عذاب على النفس[8] ومثل هذا كثير فالمهتدون من مشايخ الصوفية (١٤٢/ب) دائماً يحرصون على العلم، ويوصون باتباعه لما علموا في الخروج عن العلم من المهالك والمتالف والله أعلم.

---

(١) سبقت ترجمته (ص ١٣٠).

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٧٨).

(٣) في الأصل الحق كما في الرسالة القشيرية (ص ١٩).

(٤) سبق تخريجه (ص ٢٧٨).

(٥) سبقت ترجمته (ص ٢٧٧).

(٦) سبق تخريجه (ص ٢٧٧).

(٧) سبقت ترجمته (ص ٢٧٧).

(٨) سبق تخريجه (ص ٢٧٧).

وقد سئل أبو علي الروذباري[١] عن السماع فقال: ليتنا تخلصنا منه رأساً برأس[٢] وهذا الكلام من مثل هذا الشيخ الذي هو من أجل مشايخ القوم الذين صحبوا الجنيد[٣] وطبقته يدل على (أن)[٤] حضور الرجل منهم للسماع لايدل على مذهبه واعتقاده، وهذا مما غلط فيه كثير منهم فإن كثيراً من المشايخ الذين نقل عنهم إنما نقل عنهم حضوره، وذلك لا يدل على أن مذهبهم إباحته فضلاً عن استحبابه، فإن أحدهم قد يكون حضره معتقداً إباحته، وقد يحضره معتقداً كراهته، وقد يعتقد تحريمه ويحضره، فإنه ليس بمعصوم من المعصية وقد يتأول وقد يقلد من يراه جائزاً، وقد يعتقد التوبة منه بعد حضوره، وقد يأتي بحسنات ماحية لذنبه فمن أين لكم أن مجرد حضور الشيخ له يدل على مذهبه واعتقاده وإباحته فضلاً عن استحبابه؟ فهذا أبو علي الروذباري كان يحضره، وقد قال فيه هذه المقالة، وتمنى أن يكون لا له ولا عليه، ولو كان عنده من جنس القربات[٥] والمستحبات لم يقل ذلك فيه كما لا يقول قائم الليل وصائم النهار وتالي القرآن (١٤٣/أ) ليتني تخلصت من ذلك رأساً برأس، ولكن يتمنى الخلاص رأساً برأس لتقصيره وتفريطه فيما أمر به ونهى عنه، ويرى أن هذه الطاعات لا تنجيه فيود أنها قابلت تفريطه وسيئاته وراح رأساً برأس كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

---

(١) هو أحمد بن محمد الروذباري صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء والطبقة أظرف المشايخ واعلمهم بالطريقة، توفي بمصر سنة ٣٢٢،
الرسالة القشيرية ص ٢٦.

(٢) الرسالة القشيرية ١٥٤.

(٣) سبقت ترجمته (ص ١٣٠).

(٤) في الأصل على حضور واستقامة الكلام يقتضي زيادة أن.

(٥) في الأصل قربات.

وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافا لا لي ولا علي[1]. يريد الخلافة خشية أن لا يكون قد قام بحقوقها فخوفه كان يحمله على ذلك القول، ولم يقل ذلك في أبي بكر بل مازال يشهد له في القيام في الخلافة بالحق، وبالجملة فحضور من حضر السماع من القوم لا يدل على مذهبه، وقد اختلف الفقهاء هل يؤخذ مذهب الإمام من فعله؟ ولأصحاب أحمد في ذلك وجهان: والذين قالوا: لا يؤخذ من فعله مذهبه قالوا: قد يفعله تقليداً أو يكون متأولاً أو ناسياً أو مخطئاً، ومع هذه الاحتمالات لا يجوز أن يضاف إليه فعله مذهباً[2] والله أعلم آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

---

(١) أنظر صحيح البخاري، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب (١٢/٥).

(٢) وأما الذين قالوا يؤخذ به قالوا لأن العلماء ورثة الأنبياء في العلم والتبليغ والهداية والاتباع فلا يجوز أن يأتي بما لا دليل عليه عنده حذراً من الضلال والإضلال لاسيما مع الدين والورع وترك الشبهة.
أنظر صفة الفتوى والمستفتي (ص ١٠٣ ـ ١٠٤).

ملحق الرسالة

صفـة الجـوابـات

الجواب الأول

جواب قاضي القضاة تقي الدين السبكي[1]

قال: الحمدلله،

السماع على الصورة المذكورة منكر وبدعة لم يرد عن نبي من الأنبياء ولا أتى به كتاب منزل من السماء، بل هو من أفعال الجهال والشياطين واجتماع الدف[2] والشبابة[3] قال جماعة من العلماء بتحريمه ولم يقل الشافعي بإباحته، واجتماع الرجال والنساء من المنكرات التي يجب إنكارها على الوجه المذكور، ولا يجوز اجتماع الرجال والنساء إلا في مواضع مخصوصة ليس هذا منها فزعمهم[4] أن ذلك قربة كذب وافتراء على الله (٧/ب) وعلى دينه.

وكونه يزيد في أذواقهم لا يقوله إلا جاهل أو متجاهل، فإن الذي يزيد في الأذواق هو السماع على غير هذه الصورة، والمواجيد

---

(١) هو علي بن عبد الكافي السبكي الحافظ الأصولي اللغوي النحوي المقرىء رحل في طلب العلم وسمع من ابن الصواف والموازيني وتخرج به خلق في أنواع العلوم، توفي سنة ٧٥٦. شذرات الذهب (٤/ ١٨٠).

(٢) سبق تعريفه ص ١٠٨.

(٣) سبق تعريفها ص ١١١.

(٤) في الأصل بزعمهم واستقامة الكلام ما اثبته.

الإيمانية إنما تقوى وتزيد في السماع المشروع كسماع القرآن والسنة والعلم وأخبار الصالحين وما يؤثر في القلوب ونحو ذلك على غير الصورة المذكورة في الاستفتاء الواقعة بين أكثر الجهال.

وقولهم: إن من رقص غفر له كذب فالرقص نقص والغناء سفاهة.

وقولهم: إن من أنكر ذلك عليهم محجوب، غالب ما يصدر هذا الكلام من جاهل أو شيطان متزى بخلاف زيه، ولو كان قائل ذلك ممن يتقيد بالسماع المشروع كان كلامه صحيحاً ولم يتوجه الإنكار عليه.

وقولهم: إنه ليس من أهل الحقيقة فغالب من ينطق بالحقيقة لا يعرف معناها.

وقولهم: من أهل القشور، إن أراد به ما الفقهاء عليه من العلم ومعرفة الأحكام فليس من القشور بل من اللب، ومن قال عليه: إنه من القشور استحق الأدب، والشريعة كلها لباب.

وكونهم وصلوا إلى ما لم يصل إليه الفقهاء، فليعلم أن من وصل لا يقول هذا الكلام وكل من الفقهاء والصادقين واصل إلى ما قسم له من ميراث النبوة، وكثير ممن سواهم لم يصل إلى شيء.-

وكل يدعون وصال ليلى وليلى لا تقر لهم بذاك[١]

وتلك الأشياء التي يخرجونها كالأذن[٢] ونحوه أفعال الزواكر[٣]

---

(١) لم أعرف القائل.

(٢) في الأصل كاللاذن.

(٣) لم يتبين لي معناه .

المرائين الشياطين الذين يأكلون الدنيا بدعوى الدين، وكذلك إمساك الحيات ونحوه، ولم يرد في كرامات (٨/أ) الأولياء شيء من ذلك، والأحوال لا يعرف هؤلاء شيئاً منها ومن دعا بذلك الناس إلى الله تعالى لم يسمع منه ويمنع من ذلك، والحقيقية والشريعة لا يختلفان، ومن زعم اختلافهما لم يعرف الحقيقة ولا الشريعة.

وليست الأفعال التي يفعلها هؤلاء طاعة ولا قربة ولا دينا شرعه الله لعباده ولا رضيه منهم، ولم يفعل رسول الله ﷺ شيئاً من ذلك، ومن نسب ذلك إلى رسول الله ﷺ على أنه فعله يؤدب أدبا شديدا، ويعزر تعزيراً بليغاً، ويدخل في زمرة الكذابين على رسول الله ﷺ، فيتبوأ مقعده من النار وليس هذا من الحق بل من الباطل، ولا هو طريقة أولياء الله وحزبه واتباع رسوله بل طريقة أهل اللهو واللعب والباطل، ويسوغ الانكار على هؤلاء ويثاب من ينكر عليهم بيده وقلبه ولسانه، وهو من المنكر الذي يدخل في معنى الأحاديث الواردة في المنكرات.

والقائلون من هؤلاء إن السماع قربة يتقرب بها، إن أراد سماع القرآن والسنة وحكايات الصالحين ونحوها مما له أثر في القلوب فصحيح، وإن أراد السماع على الصورة المستفتي فيها فليس بصحيح.

ومن قال: إنه مباح، فحيث لم يجتمع فيه دف وشبابه ولا رجال ونساء أو من يحرم النظر إليه على الصورة المنكرة ولا كلام فحش ولا تغزل حرام ونحو ذلك فصحيح هو مباح من جنس المباحات (٨/ب) كلها، وأما إذا حصل فيه منكر من النظر إلى صورة محرمة، أو سماع مالا ينبغي وما أشبه ذلك فليس بمباح بل حرام. والشافعي إنما قال باباحة الأول لا الثاني.

والصغيرة إذا أصر عليها صارت كبيرة ولا يمحوه بعد ذلك إلا الاستغفار بالقلب والتوبة الصادقة، وأما الاستغفار باللسان والقلب مصر فتوبة الكذابين ولا يفيد ولا يرفع المعصية، قال يحيى بن معاذ الرازي[1]: الاستغفار باللسان توبة الكذابين.

والاحتجاج بالذين لعبوا في المسجد بالحراب[2]، وبحديث بنات النجار[3] صحيح في النوع الذي أباحه الشافعي لا في النوع المستفتي فيه والله أعلم.

صورة خطه كتبه علي السبكي الشافعي.

صورة الجواب الثاني

جواب الشيخ جلال الدين بن قاضي القضاة حسام الدين الحنفي[4]

قال: كذلك نقول[5] بما افتى به مولانا قاض القضاة في

(١) هو يحيى بن معاذ أبو زكريا الرازي سمع اسحاق بن سليمان الرازي ومكى بن ابراهيم البلخي وغيرهما روى عنه الغرباء من أهل الري وهمذان وغيرهما أحاديث مسندة قليلة، انتقل عن الري وسكن نيسابور إلى أن مات بها سنة ٢٥٨. تاريخ بغداد (١٤/٢٠٨).

(٢) سبق تخريجه ص ٥٢.

(٣) سبق تخريجه ص ٩١.

(٤) هو أحمد بن الحسن بن أحمد الرازي بن حسام الدين ولد سنة ٦٥١ بمدينة أنكوريه تفقه على والده وغيره وقرأ التفسير والنحو على يزيد بن أيوب الحنفي والفرائض على أبي العلاء البخاري كان جامعاً للفضائل سخياً حسن العشرة، توفي سنة ٧٤٥.
انظر: الطبقات السنيه في تراجم الحنفية (١/٣٧٤).

(٥) في الأصل بعد نقول عبارة «أن ظاهر الشرع الشريف صلوات عليه وسلم» وهي غير مستقيمة في سياقها وموضوعها.

العالمين[1] أسبغ الله ظله أن جميع المنكرات والبدع يجب على أهل الاسلام انكارها، فمن كان قادراً على إزالتها بيده فليفعل فإن لم يقدر عليها فلينكر بلسانه فإن لم يقدر فلينكر[2] بقلبه وذلك أضعف الإيمان كما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حين بلغه الخبر أن طارق ابن شهاب[3] أنكر على معاوية يوم عيد وقال: الصلاة قبل الخطبة وكان قدم الخطبة على الصلاة فعند ذلك قال أبو سعيد الخدري: أما هذا فقد قضى ما عليه (٩/أ) سمعت رسول الله ﷺ يقول: «(من يرى منكرا فليغيره بيده)[4] الحديث المشهور وأبو سعيد خاف من معاوية، وأما طارق بن شهاب كان معه رجال ما خاف منه، وبذلك كله كتبه أحمد بن الحسن الرازي الحنفي.

صفة الجواب الثالث

وهو جواب قاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق الحنفي[5] (و)[6] الله الموفق.

هذا الجواب المسؤول عنه بهذه الصفات المذكورة بدعة وحرام

---

(١) التعبير ـ بقوله العالمين غير مستقيم.

(٢) في الأصل فليك.

(٣) هو طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي أبو عبدالله رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه روى عن الخلفاء الأربعة وبلال وغيرهم وروى عنه قيس بن مسلم ومخارق الأحمسي وغيرهما، مات سنة ٨٢ أو ٨٣.
انظر: تهذيب التهذيب (٣/٥) وتقريب التهذيب (١/٣٧٦).

(٤) الذي أنكر عليه طارق بن شهاب هو مروان وليس معاويه.
كما جاء في صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الايمان.. الخ (١/٦٩).

(٥) لم أعثر على ترجمته.

(٦) في الأصل الله الموفق بدون واو والمقام يقتضيها.

تسقط به العدالة[1] وترد به الشهادة وتذهب به المرؤة، ولا نعرف في حله قولا لأحد ممن يعتد (به)[2] قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[3] فالمكاء: التصفيق، والتصدية: الصفير وقال تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾[4] قال محمد بن الحنفية[5]: هو الغناء[6] وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾[7] قال عبدالله: سامدون في لغة أهل اليمن لغة حمير هو الغناء، يقال: سمد فلان إذا غنى،[8]، ولو كانت هذه الصفات المذكورة من جملة الدين ومما يتقرب به إلى الله سبحانه لوجب إظهار شرعها من الشارع وبيان حكمها لئلا يكون الدين بدونها ناقصا، وقد قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ[9] دِينَكُمْ[10]﴾ وبقوله تعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[11] وبحديث أبي أمامة: ﴿أن النبي ﷺ «نهى عن شراء المغنيات وبيعهن وعن تجارة فيهن وأكل اثمانهن حرام﴾» أخرجه الترمذي[12].

---

(١) في الأصل العدال. (٢) في الأصل يعتد بدون به والمقام يقتضيها.

(٣) سورة الأنفال آية (٣٥). (٤) سورة الحج آية (٣٠).

(٥) هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو القاسم ابن الحنفية المدني ثقة عالم من الثانية، مات بعد الثمانين.

انظر: تقريب التهذيب (٢/١٩٢).

(٦) المغني لابن قدامة (١٠/١٥٥). (٧) سورة النجم آية (٦٠).

(٨) في الأصل إذا غنا. (٩) في الأصل للم.

(١٠) سورة المائدة آية (٣). (١١) سورة الشعراء آية (٢٢٤).

(١٢) الذي في الترمذي بلفظ «عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا أنزلت هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) إلى آخر الآية.

سنن الترمذي كتاب البيوع باب كراهية بيع المغنيات (٣/٥٧٠).

وقال: هو من رواية (٩/ب) على بن يزيد[١]، وبقوله عليه السلام: «لئن يمتلىء بطن أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعرا»[٢] قال أبو عبيده:[٣] «يريه يأكل بطنه يقال وراه يريه» قال الشاعر:[٤]

وراهن ربي مثل ما قد ورينني * وأحمى على أكبادهن المكاويا

وبقوله عليه السلام: «(كان أبليس أول من ناح وأول من تغنى)»[٥] وبحديث زمارة الراعي[٦]، وأنه عليه السلام وضع أصبعيه

---

(١) في الأصل زيد والصحيح يزيد على بن يزيد بن أبي زياد الالهاني روى عن القاسم بن عبد الرحمن ومكحول الشامي وروى عنه عبيدالله بن زحر ومعان بن رفاعة السلمى وغيرهما ضعيف، مات سنة بضع عشرة ومائة.
تهذيب التهذيب (٣٩٦/٧) وتقريب التهذيب (٤٦/٢).

(٢) سبق تخريجه ص ٢٦٩ .

(٣) هو معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي البصري النحوي، ولد سنة ١١٠ روى عن هشام ابن عروة وأبي الوليد بن داب وغيرهما وروى عنه أبو بكر بن محمد المازني وعمر بن شبه النميري وغيرهما صدوق أخباري وقد رمى برأى الخوارج، مات سنة ٢٠٨ .
انظر: تهذيب التهذيب (٢٤٦/١٠) وتقريب التهذيب (٢٦٦/٢) وتاريخ بغداد (٢٥٢/١٣)..

(٤) قائل هذا البيت عبد بني الحسحاس (لسان العرب ٣٨٧/١٥).

(٥) في الأصل تغنا. وهذا الحديث أورده الغزالى في الأحياء من حديث جابر وقال العراقي = لم أجد له أصلاً من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبي طالب ولم يسنده ولده في مسنده.
انظر: احياء علوم الدين وحاشيته (٢٨٥/٢).

(٦) سبق تخريجه ص ٥٣ .

في أذنيه وعدل عن الطريق حتى انقطع صوتها، وكذا ابن عمر فعل، فلولا أن ذلك ممنوع من سماعه في شريعته لما وضع أصبعيه في أذنيه وقد قال ابن مسعود: «الغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب»[1] ونحوه عن عمر بن عبد العزيز[2]، وقال عثمان: «ما تمنيت ولا تغنيت ولا مسست ذكر بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ[3]» فتنزه عن الغناء وتبجح بتركه.

وقد قال ابن عمر لقوم مروا به وهم محرمون وفيهم رجل يتغنى: «ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم»[4] وقد سئل القاسم بن محمد[5] عن الغناء فقال للسائل: «انهاك عنه وأكرهه لك

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٩.

(٢) نص قول عمر عبد العزيز عن عمر بن عبيد الله الأرموى قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن جل وعز فإنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب.
انظر: تلبيس أبليس ص ٢٦٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب الطهارة، باب كراهة مس الذكر باليمين والاستنجاء باليمين (١/١١٣) والطبراني في المعجم الكبير (١/٨٥) وأحمد في مسنده عن عمران بن حصين (٤/٤٣٩) قال الهيثمي رواه الطبراني عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف وقال ابن دقيق العيد في الإمام وقد وثق» **مجمع الزوائد ٩/٨٦**.

(٤) ذم الملاهي لابن أبي الدنيا ص ٤٠.

(٥) سبقت ترجمته ص ٣٠٢.

إلى آخره»[1] وقال[2] الشعبي[3]: «لعن المغنى والمغنى لـه[4]» وقال الضحاك[5]: «الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب»[6].

وأما قول علماء الأمصار وأئمة الفتوى في سائر الأقطار، فقد قال ائمتنا: لو استأجره للغناء أو النوح أو قرأة شعر لم يجز ولا أجر له، لأنها (١٠/أ) معصية والايجار على المعصية باطلة، ولقد بـالـغ أئمتنا في ذلك حتى منعوا منه أهل الذمة أيضاً.

قال أبو يوسف[7] في حق أهل الذمة: «انهم يمنعون من المزامير وضرب العيدان والغناء والصنوج[8] والطبول[9] ولعب الحمام وطيرانها

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي ص ٤٠ . وذكـره ابن الجوزى في تلبيس ابليس ص ٢٦٤ .

(٢) ذكـره ابن أبي الدنيـا في ذم المـلاهي ص ٤٠ وذكـره ابن الجـوزى في تلبيس أبليس ص ٢٦٤ .

(٣) سبقت ترجمته ص ١١٧ .

(٤) في الأصل والمغنى والمقام يقتضي إضافة له.

(٥) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، روى عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما وروى عنه الحسن بن يحيى البصري وحكيم بن الديلم وغيرهما صدوق كثير الارسال، مات بعد المائة. تهذيب التهذيب (٤/٤٥٣) وتقريب التهذيب (١/٣٧٣).

(٦) ذكره ابن الجوزى في تلبيس ابليس ص ٢٦٤ .

(٧) هو يعقوب بن ابراهيم ابو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة سمع أبا اسحاق الشيباني وسليمان التيمي، وغيرهما روى عنه محمد بن الحسن الشيباني وعلى بن الجعد وغيرهما، سكن بغداد وتولى القضاء بها، مات سنة ١٨٢ .
تاريخ بغداد (١٤/٢٤٢).

(٨) الصنوج: هو الذي يتخذ من صفر يضرب احداهما بالأخرى مختص بالعـرب وذوي الأوتار مختص بالعجم وهما معربان.
انظر: لسان العرب (٢/٣١١) وكف الرعاع مطبوع مع الزواجر (٢/٣١٢).

(٩) سبق تعريفها ص ٣٤٩.

في الرستاق والسواد» وفي الهداية[١] «ولا من يغني الناس لأنه يجمعهم على كبيرة» وفي شروط العدالة ومنها أن لا يلعب بشيء من الملاهي وينظر في هذا إن كانت مستشنعة بين الناس كالمزامير والطنابير[٢] لم تجز شهادته، وإن لم تكن مستشنعة نحو الحداء وضرب القضيب[٣] جازت شهادتهم إلا أن يتفاحش بأن يرقصوا به فيدخل في حد المعاصي والكبائر فحينئذ تسقط العدالة، وقد جعل أبو حنيفة سماع الغناء من جملة ما يبتلي به المرء، وهو مذهب سائر الكوفيين سفيان الثوري، وحماد[٤]» والشعبي[٥] ولا خلاف بينهم في ذلك، وكذلك أهل البصرة لا يخالفون فيه ويكرهونه إلا ما روى عن عبيدالله[٦] بن الحسن العنبري أنه كان لا يرى به بأسا كذلك ابراهيم بن سعد[٧].

وأما مالك فإنه نهى عن الغناء واستماعه وقال: «إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب»[٨] وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابراهيم بن سعد. وقد سئل مالك عما يترخص به أهل

---

(١) الهداية بذيل شرح فتح القدير (٧/٤٠٩)
(٢) سبق تعريفها ص ١٦٦.
(٣) القضيب: العود. لسان العرب (١/٦٧٩).
(٤) سبقت ترجمته ص ١١٧.
(٥) سبقت ترجمته ص ١١٧.
(٦) سبقت ترجمته ص ١١٧.
(٧) سبقت ترجمته ص ١١٨.
(٨) انظر: تلبيس ابليس ص ٢٥٨.

المدينة من الغناء فقال: «إنما يفعله عندنا الفساق»[١] وكذا[٢] قال ابراهيم ابن المنذر[٣].

وأما الشافعي فقال الحسن بن عبد العزيز[٤] الجروى: سمعت محمد بن أدريس الشافعي رضى الله عنه يقول: «تركت بالعراق شيئا يقال له[٥] التغبير (١٠/ب) أحدثته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن»[٦].

قال البيهقي: «الرجل يغني يتخذ الغناء صناعة له يؤتى عليه ويؤتى له ويكون مشهوراً معروفا والمرأة»[٧] قال الشافعي:

«لا يجوز شهادة واحد منهما»[٨] لأنه من اللهو المكروه الذي

---

(١) تلبيس ابليس ص ٢٥٧.

(٢) في الأصل (ولذا).

(٣) سبقت ترجمته ص ١٢٥.

(٤) هو الحسن بن عبد العزيز الجروى من أهل مصر قدم بغداد وحدث بها عن يحيى بن حسان وبشر بن بكر وغيرهما روى عنه أبو بكر ابن أبي الدنيا وابراهيم الحربي وغيرهما، كان من أهل الدين والفضل مذكوراً بالورع والثقة موصوفاً بالعبادة، قال عبد الرحمن ابن أبي حاتم سئل عنه أبي فقال: ثقة، مات سنة ٢٥٧).
تاريخ بغداد (٧/٣٣٧).

(٥) في الأصل (يقول له).

(٦) أخرجه الخلال في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب في ذكر التغبير ص ١٦٧.

(٧) في السنن الكبرى للبيهقي (١٠/٢٢٣).
قال باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صناعة له يؤتى عليه ويأتى له ويكون منسوباً إليه مشهوراً به معروفاً أو المرأة.

(٨) في الأصل (منها).

يشبه الباطل، فإن من فعل هذا كان منسوباً إلى السفه، ومن رضى هذا لنفسه كان مستخفا، وإن لم يكن محرما بين التحريم»[1] .

وحكى الطبري[2] عن الشافعي أن الرجل إذا جمع الناس لسماع غناء الجارية فهو سفيه مردود الشهادة[3] وغلظ في ذلك حتى قال: «هو دياثة»[4] وحكى كراهته للتغبير[5] وهو الطقطقة[6] بالقضيب وقال: «وضعته الزنادقة»[7]

وأما الإمام أحمد فقال الأثرم[8]: سمعت أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول: «التغبير محدث»[9] قال أبو الحارث[10]: سألت أبا

---

(١) نحوه في السنن الكبرى للبيهقي (١٠/٢٢٣).

(٢) سبقت ترجمته ص ١١٨ .

(٣) (٤) تفسير القرطبي (١٤/٥٦).

(٥) تلبيس أبليس ص ٢٥٩ .

(٦) الطقطقة حكاية صوت القضيب. تاج العروس (٦/٤٢٣).

(٧) تلبيس ابليس (ص ٢٥٨).

(٨) هو أحمد بن محمد بن هانىء أبو بكر الطائي صاحب أحمد بن حنبل سمع حرمى بن حفص وعفان بن مسلم وغيرهما وروى عنه موسى بن هارون ومحمد بن جعفر الراشدي وغيرهما له كتاب في علل الحديث ومسائل أحمد بن حنبل وكان يعد في الحفاظ والأذكياء ثقة ثبت، توفي سنة ٢٦١ .
تاريخ بغداد (٥/١١٠) وتقريب التهذيب (١/٢٥).

(٩) أخرجه الخلال في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب في ذكر التغبير (ص ١٦٦)،

(١٠) هو أحمد بن محمد الصائغ من أصحاب أحمد بن حنبل أكثر رواية المسائل عنه وجود الرواية عن أبي عبدالله وكان أبو عبدالله يكرمه ويقدمه وكان له عنده موضع جليل.
تاريخ بغداد (٤/١٢٨) وطبقات الحنابلة (١/٧٤).

عبدالله وقلت له: انه ترق عليه القلوب فقال: «هو بدعة» وكرهه ونهى عن استماعه[1] قال عبدالله بن داود[2]: «أرى أن يضرب صاحب التغبير[3]» والتغبير اسم لهذا السماع وروى عن أحمد أنه قال: «الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني»[4]. وذهب بعض أصحابه[5] إلى تحريمه.

قال أحمد فيمن مات وخلف ولدا يتيما وجارية مغنية، فاحتاج الصبي إلى بيعها تباع ساذجة قيل له: إنها تساوي مغنية ثلاثين ألف وتساوي ساذجة عشرين ديناراً. قال: «لا تباع ألا على أنها ساذجة[6]. فهذا كتاب ربنا سبحانه وهذه سنة نبيه نبي الرحمة ﷺ وهذه أقوال ائمة الدين والامناء على شريعة سيد العالمين الذين استعملهم الله (١١/أ) لخدمتها، وجعل أقوالهم المأخوذ بهاينهون عن السماع الموصوف بهذه الصفات، ويمنعون من فعله، ويجعله بعضهم مسقطا للعداة، وبعضهم ذاهبا بالمروؤة وبعضهم من قبيل أفعال السفهاء والمجانين ورعونات النفس، فبأي شيء يعدل عن ذلك أم في أي مسلك يبتغي الهدى فيه من المسالك.

ثم لم يكتف القائلون به بإباحة فعله على الوجه المسؤول عنه

(١) كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال، باب في ذكر التغبير (ص ١٦٦).
(٢) لم أعثر على ترجمته.
(٣) فتيا في ذم الشبابة والرقص والسماع ص ٣٠.
(٦) تلبيس ابليس ص ٢٥٦.
(٥) في الأصل (أصحاب)
(٦) تلبيس ابليس ص ٢٥٧.

حتى جعلوه قربة وطاعة ومثار إشراق النفوس بالأنوار الآلهية، وذلك كذب وافتراء وما أشبههم بالدخول تحت مفهوم قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[1] وأن ذلك قريب من الكذب على الله وعلى رسوله سيما إن اجتمعوا فيه على الصور الحسان والملابس الجميلة، واتخاذ الأراييج من العنبر ونحوه مما يحرك النفوس الشهوانية إلى إكثار النظر وتكريره، وربما دعته نفسه إلى ملامسة بدنه، فإن يمكن الشيطان منه دعاه إلى أفحش من ذلك.

قال بقية[2]: «اللوطية على ثلاثة أقسام:

فقسم ينظرون.

وقسم يصافحون.

وقسم يفعلون ذلك الفعل القبيح[3].

ودعوى هؤلاء جواز ذلك وأنه قول الشافعي، فالكلام[4] في اجتماع هذه الأمور من الرقص والغناء واستعمال آلة الضرب وحضور المرد والنساء وربما كان ذلك في بيت من بيوت الله سبحانه فهذا قدر لم يقل أحد بحله وقد بلغت الوقاحة بقوم من المتصوفة إلى أن ادعوا فيما ذكر في صدر الاستفتاء من حضور السماع والرقص أنه يثير ساكن

---

(١) سورة الشورى آية ٢١.

(٢) هو بقية بن الوليد بن صائد الكلاعي روى عن محمد بن زياد الالهاني وصفوان بن عمرو وغيرهما، وروى عنه ابن المبارك وشعبة وغيرهما، مات سنة ١٩٨ هـ.
تهذيب التهذيب (٤٧٣/١) وتقريب التهذيب (١٠٥/١).

(٣) ذكر الذهبي هذا القول ونسبة إلى أبي سهل الصعلوكي.
انظر الكبائر ص ٥٨. وذكره ابن حجر الهيتمي في الزواجر ولم ينسبه لأحد ١١٨/١.

(٤) في الأصل (فللكلام).

المحبة، ويحرك كامن الوجد (١١/ب) ولعمري لو كان السماع خالياً من الصور الحسان وحسن صوت المغني و(ليس)[١] فيه دف[٢] ولا مزمار[٣] لما أشرقت نفسه به، ولا اتخذه قربة، فعلم أن الذي حمله على ذلك إنما هو شهوات نفسانية وطلبات دنيوية، وهذه طرائق أرباب البطالة ومن غلبت عليهم محبة ما دعاهم الشيطان إليه، فنعوذ بالله من الخذلان.

ولو بسط القول في تفاصيل أفعالهم وأقوالهم وحقيقة أحوالهم لرأيت بدائع البدع ومنكرات الشنع، فالله أسأل العصمة والهداية وبلطفه الاستعانة والكفاية وهو حسبنا ونعم الوكيل صورة خطه كتبه ابراهيم بن عبد الحق الحنفي عفا الله عنه.

صفة الجواب الرابع:

جواب الشيخ أبي عمر بن أبي الوليد المالكي[٤] قال: الحمد لله وهو حسبي مثل المكتوب أعلاه يقول أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي.

صفة جواب خامس:

جواب أخيه الشيخ عبدالله قال: وكذلك[٥] يقول عبدالله بن أبي الوليد المالكي[٦].

---

(١) في الأصل (وفيه دف) والمقام يقتضي إضافة (ليس).

(٢) سبق تعريفه ص ١٠٨.

(٣) سبق تعريفه ص ١٠٨.

(٤) لم أعثر على ترجمته.

(٥) في الأصل ولذلك.

(٦) لم أعثر على ترجمته.

صفة جواب سادس:

للشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن الحنبلي[1] قال اللهم وفق للصواب.

الهيئة المسؤول عنها من السماع بدعة محرمة باتفاق الجمهور من العلماء، وفاعل هذا والحالة هذه آثم ساقط المرؤة مردود الشهادة، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذم ذلك والنهي عنه وكشف وجه فساده، وكثرة ذم السلف والأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء لهذه الأفاعيل والنهي عن هذه الأباطيل، ولو بسط ذلك لاحتمل (١٢/أ) مجلدات.

وقد تضمنت هذه الحالة المسؤول عنها وجوها نهى عنها شرعا، واجتماع الدف والشبابة والغناء منهى عنه باتفاق الجمهور، وحضور النساء مع الرجال على تلك الحالة غير سائغ أيضاً، ومن أعظم البدع والمنكرات دعواهم كون ذلك قربة يتقرب به إلى الله سبحانه، فإن هذه الدعوى كذب من القول وباطل من الكلام وافتراء على الشريعة المطهرة طهرها الله تعالى عن مثل أفعال هؤلاء الجهلة الضلال مرتكبي الباطل مظهري المحال، فقد علموا[2] الطريقة في الحقائق فإنه إنما

(١) هو أحمد بن الحسن بن عبدالله بن قدامة الحنبلي ولد سنة ٦٩٣ كان متفنناً عالماً بالحديث وعلله والنحو واللغة والأصلين وله في الفروع القدم العالي قرأ على ابن تيمية عدة مصنفات في علوم شتى وسمع من الفراء وابن الواسطى درس بعده في مدارس ثم سافر في آخر عمره إلى مصر ليدرس بمدرسة السلطان حسن وأقام بها مدة يدرس ويشتغل ويفتي ثم ولي القضاء بدمشق إلى أن مات سنة ٧٧١.
شذرات الذهب (٦/٢١٩).

(٢) في الأصل (علسو).

يتقرب إلى الله عز وجل بما شرع لا يتقرب إليه بالمحرمات ومنكرات البدع.

وقولهم إن الرقص سبب للمغفرة وأن المنكر عليهم محجوب كذب وبهت، وإمساكهم النيران واظهار الأذن ونحو ذلك من أفعالهم كدم الأخوين[١] الذي يتخيل إلى الرآى، كونه دما حقيقة أمور منكرة ليست أحوالاً للصلحاء ولا كرامات للأولياء، ومن اعتقد ذلك كرامة فهو أضل منهم، والحقيقة هي التقرب إلى طاعة الله تعالى بالاخلاص واصلاح الباطن علماً واعتقاداً وأدباً موافقاً للأفعال الظاهرة هي من[٢] الشريعة المأمور بها ومن فعل الهيئة المسؤول عنها من السماع فقد خالف أمر الشريعة في ذلك، وخالف سلوك الحقيقة إذا لم يراع أمر الباطن بالكف عن استماع الملاهي المضرات[٣] وهذه الأفعال لم يفعلها أحد من السلف الماضين ولا الأئمة المتبعين بل كثر الذم لها (١٢/ب) من السلف وتبعهم على ذلك الدهماء من الخلف، ويسوغ الانكار على هؤلاء، ويثاب المنكر عليهم بانكاره وليس الاستغفار من غير عزم القلب والندم توبة معتبرة، وحديث اللعب بالحراب ليس فيه دلالة على هذا السماع، وحديث أنس بن مالك رضى الله عنه في ذكر بنات النجار وهن يضربن بدف فيه ذكر الدف غير ذي الجلاجل[٤] بمفرده

---

(١) كذا في الأصل وهي غير واضحة.

(٢) في الأصل مكررة.

(٣) في الأصل (المظرات).

(٤) الجلاجل: إما أن يراد بها ما تعتاده العرب وأهل القرى وبعض متفقهة الأمصار ومتصوفيهم وهو الظاهر من وضع حلق من حديد داخل الطار شبه السلاسل وإما أن يراد بها ما يصنع أهل الفسق وأعوان شربة الخمور من اتخاذ صنوج لطاف توضع في خروق تفتح لها في جوانب الدف فممنوع لأنها أشد طراباً. =

من غير شبابة، وليس النزاع فيه فقد جاء في الدف بمفرده غير هذا، وإذا رفع أمر هؤلاء الفاعلين لهذه الهيئة المنكرة والأفعال المبتدعة إلى ولي الأمر أيده الله تعالى منعهم عن مثل هذه الأفعال وزجرهم عن اختلاط النساء بالرجال في هذه الحال، وعزرهم التعزير الرادع لأمثالهم بمثله[1] ليكون ذلك سبباً صاداً لأمثال هؤلاء عن ارتكاب مثل ذلك، ويجب المبالغة في عقوبتهم بالتعزير على قولهم: إن ما وصلوا إليه هو اللباب دون غيرهم، وعلى قولهم: إنهم متقربون بأفعالهم المنكرة، فإن التقرب إلى الله تعالى إنما يكون بما أمر به وحض[2] عليه وميزه ودعى إليه قال الشيخ موفق الدين الحنبلي:[3] «هذه الأفعال معصية ولعب ذمه الله ورسوله، وكرهه أهل العلم وسموه بدعة ونهوا عن فعله، ولا يتقرب إلى الله تعالى بمعاصيه ولا يطاع بارتكاب مناهيه، ومن جعل وسيلته إلى الله معصيته كان حظه الطرد والابعاد، ومن اتخذ اللهو واللعب ديناً كان كمن سعى في الأرض بالفساد، ومن طلب الوصول إلى الله عز وجل من غير طريق رسول الله ﷺ (١٣/أ) وسنته فهو آيس من الوصول إلى المراد[4].

= كف الرعاع ملحق بالزواجر (٢/٢٩٢).

(١) قوله بمثله لا يتضح وجه ايراد هذه الكلمة هنا.

(٢) في الأصل (وحظ).

(٣) هو عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ولد سنة ٥٤١ بجماعيل حفظ القرآن وتفقه ثم أرتحل إلى بغداد فادرك الشيخ عبد القادر فسمع منه وغيره وتفقه على أبي الفتح بن المنى حتى فاق الأقران وانتهى إليه معرفة المذهب وأصوله وكان مع ذلك زاهداً ورعا تقيا، توفي سنة ٦٢٠.

ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٣٣) وشذرات الذهب (٥/٨٨).

(٤) فيتا في ذم الشبابة والرقص والسماع (ص ٢٧).

وقال الشيخ تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح الشافعي[1]: «حق على ولاة الأمر وفقهم الله وسددهم قمع هذه الطائفة، وبذل الوسع في إعدام أفعالهم الخبيثة واستتابتهم وأن لا يأخذهم في الله لومة لائم، قال وقولهم في السماع: إنه من القربات والطاعات قول مخالف لاجماع المسلمين، واجماعهم على خلاف هذا منقول محفوظ معلوم، ثم قال: وليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب[2]» والله تعالى أعلم صورة خطه كتبه أحمد بن الحسن الحنبلي.

صفة الجواب السابع:

للشيخ عماد الدين بن كثير الشافعي[3] قال: حسبي الله ونعم الوكيل، استعمال آلات الطرب والاستماع إليها حرام، كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية، من ذلك حديث عبد الرحمن بن غنم

---

(١) هو: عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ولد سنة ٥٧٠ سمع من عبيدالله بن السمين ومنصور الفراوي وطبقتهما كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث واللغة سافر من أجل العلم إلى الموصل وخراسان وغيرهما ثم اشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية والمدرسة الرواحية، توفي في سنة ٦٤٣. وفيات الأعيان (٢/٢٤٣) وشذرات الذهب (٥/٢٢١).

(٢) فتاوى ابن الصلاح (٢/٥٠٠).

(٣) هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي ولد سنة ٧٠٠ حفظ التنبيه ومختصر بن الحاجب وأخذ عن ابن تيمية وقرأ في الأصول على الاصبهاني ولازم الحافظ المزي وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم واشتهر بالضبط والتحرير وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير ومن مصنفاته التفسير والبداية والنهاية وغيرهما، توفي سنة ٧٧٤.
شذرات الذهب (٦/٢٣١).

استقصينا الأحاديث الآثار المروية في هذا المقام لضاق هذا الموضع عنه وقد أفردناه في جزء على حدة.

وأما اتخاذ هذا الطرب قربة وطريقة ومسلكا يتوصل به إلى نيل الثواب فهو بدعة شنعاء لم يقله (١٤/أ) أحد من الأنبياء، ولا نزل به كتاب من السماء، وفيه مشابهة بالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا﴾وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾(١) يعني التصفيق والصفير اللذين الدف والشبابة أطم وأعظم منهما وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «(الجرس مزمار الشيطان)»(٢) فإذا كان هذا في الجرس فما ظنك بالدف المصلصل بالصنوج(٣) والشبابات المتنوعة الأشكال والأصوات، ولهذا قال الصديق: لتينك الجاريتين اللتين كانتا تضربان(٤) بالدف عند ابنته عائشة يوم العيد، فانتهرهما وقال: «أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ» فقال النبي ﷺ: «(دعهما يا أبا بكر(٥) فإن لكل قوم عيدا»(٦) وهذا عيدنا) فأقره على قوله «مزمور الشيطان» واستثنى من ذلك يوم العيد لمثل تلك الجواري اظهاراً للفرح والسرور كما أقرت الحبشة على لعبهم يوم العيد في المسجد بالحراب، ولا يقول

---

(١) سورة الانفال آية (٣٥).

(٢) الحديث عن أبي هريرة كتاب اللباس والزينة باب كراهة الكلب والجرس في السفر (١٦٧٢/٣).

(٣) سبق تعريفه ص ٤٥٩ .

(٤) في الأصل (يضربان) والصواب كما أثبت.

(٥) في الأصل (يابا بكر).

(٦) سبق تخريجه ص ٥٢ .

أحد أنهم لو أرادوا ذلك في كل وقت وحين يقرون عليه .

والمقصود أن اتخاذ هذا السماع المحرم قربة من أكبر المنكرات وأعظم المبتدعات، ولهذا لما اشتبه أمره على بعض المتصوفة بعد القرون الثلاثة، ورأوا أن لهم فيه وجدا وذوقا ولم يحيطوا علما بمفسدته ووخيم عاقبته أنكر عليهم الأئمة أشد الأنكار، حتى قال الإمام أبو عبدالله محمد بن أدريس الشافعي: «تركت بالعراق شيئاً احدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به عن القرآن» (١٤/ب)[1] فهذا قوله في التغبير وهو عبارة عن التوقيع بقضيب أو نحوه على جلد يابس، وانشاد أشعار ربانية مرققة للقلوب ومحركة للسواكن، ومع هذا وسمهم بالزنادقة فكيف لو رأى ما أحدثه هؤلاء الذين في زماننا من الاستماع والرقص على الدفوف والشبابات من وجوه حسان إما مرد وإما نسوان ويزعمون أنهم في ذلك الحال في الحضرة الربانية والمعارف الروحانية، ويقول قائلهم: من رقص غفر له أو ما أشبه ذلك، فإن أضافوا مع ذلك مخالطة النسوان والأحداث مع الشخير والنخير، وإظهار الأحوال من الأذن والاصباغ ونحو ذلك مما غالبه مصنوع مفتعل يجعلونه ذريعة إلى أكل أموال الناس بالباطل، وأنهم من الأولياء الواصلين كان ذلك أبعد لهم عن الحق واضل سبيلا عن الهدى.

والعلماء لا ينكرون وقوع الكرامات من الأولياء وأن ذلك قد كان ويكون مما لا ينحصر ولا يمكن عده كثرة، ولكن من كان على الطريقة المستقيمة والسنة القويمة كان حاله موافقاً صحيحاً نافعاً، فإنه

---

(١) انظر: تلبيس أبليس ص ٢٥٨.

الأشعري[1] قال: حدثني أبو عامر[2] أو أبو مالك والله ما كذبني أنه سمع النبي ﷺ يقول: «(ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخمر والحرير والمعازف)» وذكر الحديث بطوله وقد رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم[3].

ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[4]، وأبو داود[5] وابن ماجة[6] في سننيهما بأسانيد صحاح لا مطعن فيها، وصححه غير واحد من الأئمة. والمعازف هي آلات الطرب قاله الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري[7] في صحاحه[8]، وهو معروف في لغة العرب وعليه شواهد، ثم قد نقل غير واحد من الأئمة إجماع العلماء (١٣/ب) على تحريم اجتماع الدفوف والشبابات، ومن الناس من حكى في ذلك خلافاً شاذاً، وأما انفراد كل واحد من الدف

---

(١) سبقت ترجمته ص ٤١٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٤١٠ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه (١٣٨/٧).

(٤) مسند أحمد (٣٤٢/٥).

(٥) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخز (٤٦/٤).

(٦) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات (١٣٣٣/٢).

(٧) هو اسماعيل بن حماد الجوهري من فاراب وهي بلاد الترك وكان من أذكياء العالم أخذ عن خاله ابراهيم بن اسحاق الفارابي وأبي سعيد السيرافي وغيرهما وكان يضرب به المثل في حفظ اللغة وحسن الكتابة دخل بلاد ربيعة ومضر في طلب العلم واللغة توفي سنة ٣٩٣.

لسان الميزان (٤٠٠/١) والنجوم الزاهرة (٢٠٧/٤).

(٨) انظر: الصحاح (١٤٠٣/٤).

واليراع[1] ففيه نزاع معروف في مذهب الإمام الشافعي، والذي عليه أئمة الطريقة العراقية التحريم وهم أقعد بمعرفة المذهب من الخراسانين ويتأيد ما قالوه بالحديث المتقدم ولا يستثنى من ذلك إلا ضرب الدف للجواري في مثل أيام الأعياد، وعند قدوم الغائب المعظم، وفي العرس كما دلت على ذلك الأحاديث كما هو مقرر في مواضع، ولا يلزم من إباحة ذلك في بعض الأحوال اباحته في كل حال، كما أن الحرير إباحة ذلك للحكة في السفر وفي الحرب إذا فاجأته ولم يجد غيره ونحو ذلك، ولا يقول أحد أن الحرير لبسه مباح في كل حال، ولذلك نظائر ذلك وأما الآثار عن السلف فكثيرة جداً فمن ذلك قول عبدالله بن مسعود وناهيك به فقهاً وعلماً وعملاً ونصحاً: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الربيع البقل»[2] صح ذلك عنه ومن الناس من يرفعه إلى النبي ﷺ والصحيح أنه موقوف، وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هو والله الغناء[4]. روى الترمذي[5] وغيره[6] في ذلك حديثاً أنها أنزلت في القينات، وأن ثمنهن حرام، ولو

---

(1) سبق تعريفه ص ١٧٨ .

(2) سبق تخريجه ص ١٠٩ .

(3) في الأصل غير موجود وزدتها حسب نص الآية. سورة لقمان آية (٦).

(4) انظر: تلبيس ابليس ص ٢٦٠.

(5) نص الحديث عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام» في مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) إلى آخر الآية. رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة لقمان (٥/٣٤٥).

(6) قوله وغيره مثل أحمد رواه في مسنده (٥/٢٥٧) والحميدي في مسنده (٢/٤٠٥).

إنما يصدر عن الوالي العارف إما حجة في الدين أو حاجة للمسلمين كما كانت الكرامات المروية عن السلف رضى الله عنهم أجمعين، وقد توجد الحال عن غير متبع للكتاب والسنة ولكن يكون ذلك وبالا وحجة عليه كالعالم إذا لم ينتفع بعلمه قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي:[1] قلت للشافعي: كان صاحبنا يعني الليث بن سعد[2] يقول: «إذا (١٥/أ) رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة «فقال الشافعي»: قصر، رحمه الله بل إذا رأيتم الرجل يمشي على النار ويطير في الهواء[3] فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة[4]».

فهذه نصوص الأئمة رحمهم الله في مثل هذا المقام فقد قال الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[5] فمدار الأمر كله على المتابعة للشريعة النبوية في الأقوال والإفعال والنيات، فمهما ثبت أنه قد قاله أو فعله فهو الحق الذي لا معدل عنه ولا حق وراه، وما لم يقله ولم يفعله فهو من البدع التي قال ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[6] وفي لفظ (وكل ضلالة في النار)» وثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: «كل عمل ليس

---

(١) سبقت ترجمته ص ٢٨٢.

(٢) سبقت ترجمته ص ٢٨٢.

(٣) في الأصل (الهوى).

(٤) سبقت الإشارة إلى مصدره ص ٢٥٩.

(٥) سورة النحل آية (٤٣).

(٦) سبق تخريجه ص ١٠٤.

عليه أمرنا فهو رد)[1]». وروى عنه أنه ﷺ قال: «(ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة إلا أمرتكم به، وما تركت شيئاً يباعدكم عن النار إلا وقد بينته لكم)»[2] وعنه قال: «(تركتكم على البيضاء ليلها ونهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)»[3] وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾[4].

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5] وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[6] الآية.

والأيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً، والمقصود أنه لم يكن ﷺ لا هو ولا أصحابه يستمعون هذا السماع المبتدع، وإنما كان سماعهم الإصغاء إلى القرآن وتدبر آياته واستنباط المعاني العظيمة منه كما وصفهم الله تعالى بذلك في كتابه كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٣.

(٢) عن أبي ذر قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علماً قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم» رواه أحمد في مسنده (١٥٣/٥) والطبراني في المعجم الكبير (١٥٥/٢).

(٣) الحديث عن العرباض بن سارية وقد أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١٦/١) والحاكم في المستدرك (٩٦/١) وأحمد في مسنده (١٢٦/٤) والحديث صحيح.

انظر: صحيح الجامع الصغير (٨٠٥/٢).

(٤) سورة النور آية (٥٤).

(٥) سوية النور آية (٦٣).

(٦) سورة آل عمران آية (٣١).

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[(٣)]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[(٥)]. وقال بعض الصحابة: «لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله»[(٦)].

وفي هذا إشارة لمنصف من نفسه، فمن يهيج عند سماع الأبيات ولا يتأثر بسماع الآيات ينوح ويبكي عند سماع الصوت الرغيد، ولا يبالي عند سماع الوعد والوعيد، فمن كانت هذه صفته فليس هو على الطريقة الصحيحة بل هو من الذين إن لم يتوبوا ويقلعوا نودي عليهم يوم القيامة بالخزي والفضيحة والله سبحانه وتعالى[(٧)] أعلم وصورة خطه (١٥/ب) كتبه إسماعيل بن كثير الشافعي.

---

(١) سورة الانفال آية (٢).

(٢) سورة الزمر آية (٢٣).

(٣) سورة ص آية (٢٩).

(٤) سورة النساء آية (٨٢).

(٥) سورة محمد آية (٢٤).

(٦) قائل هذا القول عبدالله بن مسعود. انظر نحوه في إحياء علوم الدين (١/٢٧٣).

(٧) في الأصل (سبحانه تعالى) بدون واو والمقام يقتضيها.

الفهـــارس

١ ـ فهـرس الآيـات

الآيـــة	الصفحة

- ل -

- و -

٢ - فهـــرس الأحـاديــث

٣ - فهـــرس الآثـــار

الأثـــار	الصفحة

٤ ـ فهـــرس الأعـــلام

٥ ـ فهـــرس الأبيـــات الشعـــريـــة

الشطــــر الأول	الصفحة

فهرس المصادر والمراجع

١ آداب البحث والمناظرة: تـأليف محمد الأمـين الشنقيطى ـ نشر الجـامعة الاسلامية.

٢ ابن قيم الجوزية: محمد بن مسلم الغنيمي ـ نشر المكتب الإسلامي.

٣ ابن قيم الجوزية حياته وآثاره: تأليف بكر بن عبدالله أبو زيد ـ نشر مكتبة المعارف الرياض ط ١٤٠٥هـ.

٤ ابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامي: تأليف عوض الله جاد حجازي نشر دار الطباعة المحمدية ١٣٨٠ هـ.

٥ أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان: تأليف عبدالله بن يوسف الجديع ـ نشر مكتبة دار الأقصى، الكويت.

٦ الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان ـ نشر محمد عبد المحسن الكتبى صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط ١ ـ ١٣٩٠ هـ.

٧ أحكام القرآن: محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ـ نشر دار المعرفة، بيروت.

٨ إحياء علوم الدين: تـأليف محمد بن محمـد الغـزالي ـ نشر مكتبـة دار التراث ـ شارع الجمهورية، القاهرة.

٩ ارواء الغليل: تأليف ناصر الدين الألباني ـ نشر المكتب الاسلامي ط ١ سنة ١٣٩٩ هـ.

١٠ الاستقامة: تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية ـ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

١١ أسد الغابة: تأليف على بن أبي الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير نشر دار أحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان.

١٢ أصول الدعوة: تأليف عبد الكريم زيدان ـ نشر مكتبة المنار الاسلامية ١٤٠١ هـ.
١٣ الإشارات والتنبيهات: تأليف أبي علي بن سيناء ـ نشر دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م.
١٤ الإصابة في تمييز الصحابة: تأليف أحمد بن على العسقلاني ـ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٥ تأليف ابراهيم موسى الشاطبي ـ نشر دار الفكر بيروت، لبنان ١٤٠٥ هـ.
١٦ الاعلام: تأليف خير الدين الزركلي ط ٣.
١٧ إعلام الموقعين: تأليف ابن قيم الجوزية ـ نشر مكتبة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون ١٣٨٨ هـ.
١٨ إغاثة اللهفان: تأليف ابن قيم الجوية ـ نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ ط الأخيرة ١٣٨١ هـ.
١٩ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تأليف يحمد بن محمد الخلال نشر دار الاعتصام ط ١ سنة ١٣٩٥ هـ.
٢٠ الأم: تأليف محمد بن أدريس الشافعي ـ نشر دار المعرفة بيروت.
٢١ البداية والنهاية: تأليف اسماعيل بن عمر بن كثير ـ نشر مكتبة الفلاح طبع في مطبعة الفجالة الجديدة القاهرة.
٢٢ البدر الطالع: تأليف محخمد بن علي الشوكاني ـ نشر دار المعرفة.
٢٣ بغية الوعاة: تأليف عبد الرحمن السيوطي ـ نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ.
٢٤ تاج العروس: تأليف محمد مرتضى الزبيدي ـ نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢٥ التاج المكلل: تأليف صديق حسن خان.
٢٦ تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٧ تاريخ مدينة دمشق: تأليف علي بن الحسن بن عساكر ـ نشر مجمع اللغة العربية بدمشق.
٢٨ تحريم النرد والشطرنج والملاهي: تأليف محمد بن الحسين الآجري نشر إدارة البحوث العلمية والافتاء وادعوة والارشاد، ط ١ ١٤٠٢ هـ.
٢٩ تذكرة الحفاظ: تأليف أبي عبدالله شمس الدين الذهبي ـ نشر دار أحياء التراث بيروت.
٣٠ تذكرة الموضوعات: تأليف محمد بن طاهر الهندي الفتني ـ+نشر دار إحياء التراث العربي بيروت سنة ١٣٩٩ هـ، ط ٢.
٣١ الترغيب والترهيب: تأليف عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ـ نشر دار أحياء التراث العربي بيروت ط ٣، ١٣٨٨ هـ.
٣٢ تفسير ابن كثير: تأليف اسماعيل بن كثير ـ نشر أسعد طرابزوني الحسيني.
٣٣ تفسير الخازن: تأليف محمد بن ابراهيم الشهير بالخازن ـ نشر دار الفكر، بيروت.
٣٤ الجامع لأحكام القرآن: تأليف محمد بن أحمد القرطبي ـ نشر مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٩ هـ.
٣٥ تقريب التهذيب: تأليف أحمد بن حجر العسقلاني ـ نشر صاحب المكتبة العلمية، طبع دار المعرفة بيروت لبنان ط ٢ ١٣٩٥ هـ.
٣٦ تلبيس أبليس: تأليف عبد الرحمن بن الجوزى ـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ.
٣٧ تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة: تأليف أحمد بن يحيى النجمى ـ نشر جامعة الإمام.
٣٨ التمثيل والمحاضرة ـ تأليف عبد الملك بن محمد الثعلبي ـ نشر دار أحياء الكتب العربية، القاهرة سنة ١٣٨١ هـ.
٣٩ تهذيب بن عساكر: تأليف علي بن حسن بن عساكر ـ نشر مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣١ هـ.
٤٠ تهذيب التهذيب: تأليف أحمد بن حجر العسقلاني ـ طبع بمطبعة دائرة

المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد ط ١ ١٣٢٦ هـ.
٤١ تهذيب الكمال: تأليف يوسف المزى ـ نشر دار المأمور للتراث، بيروت ط ١، ١٤٠٢ هـ.
٤٢ توضيح الأفكار: تأليف محمد بن اسماعيل الصنعاني ـ نشر مكتبة الخانجي ط ١، ١٣٦٦ هـ.
٤٣ تيسير العزيز الحميد: تأليف سليمان بن عبدالله بن عبد الوهاب نشر المكتب الاسلامي ط ٥ ١٤٠٢ هـ.
٤٤ جامع الأصول في أحاديث الرسول: تأليف المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ـ نشر مكتبة الحلواني سنة ١٣٩٢ هـ.
٤٥ جامع البيان في تفسير القرآن: تأليف محمد بن جرير الطبري ـ نشر دار المعرفة، بيروت سنة ١٣٤٣ هـ.
٤٦ الجامع الصحيح: تأليف محمد بن عيسى بن سورة، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٤٧ الجرح والتعديل: تأليف عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. نشر دار أحياء التراث العربي، بيروت.
٤٨ جلأ العينين في محاكمة الأحمدين: تأليف نعمان خير الدين الآلوسي ـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٩ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: تأليف ابن قيم الجوزية ـ نشر مكتبة نهضة مصر.
٥٠ الحسبة عند ابن القيم: إعداد محمد بن عوض قرين ـ نشر كلية الدعوة والإعلام بالرياض.
٥١ حلية الأولياء: تأليف أحمد بن عبدالله الاصفهاني ـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٢ خزانة الأدب: تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي ـ دار صادر بيروت.
٥٣ خطبة الحاجة: تأليف محمد ناصر الدين الألباني ـ نشر المكتب الاسلامي.
٥٤ خلاصة الأثر: تأليف محمد أمين بن فضل الحموي ـ نشر دار صادر بيروت.

٥٤ خلق أفعال العباد: تأليف محمد بن اسماعيل البخاري ـ نشر مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ١٣٨٩ هـ.
٥٦ دراسة حديث نضر الله امرأ: تأليف عبد المحسن بن حمد العباد ـ طبع في مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ط ١، ١٤٠١ هـ.
٥٧ الدرر الكامنة: تأليف أحمد بن حجر العسقلاني ـ نشر دار الكتب الحديثة.
٥٨ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: تأليف عبد الرحمن السيوطي نشر محمد أمين دمج بيروت.
٥٩ الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة: تأليف عبد العزيز بن باز. نشر إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.
٦٠ دلائل النبوة: للبيهقي ـ نشر محمد عبد المحسن الكتبى صاحب المكتبة السلفية ط ١، ١٣٨٩ هـ.
٦١ دور الشباب في حمل رسالة الاسلام: تأليف عبدالله ناصح علوان نشر دار السلام، بيروت ١٤٠٣ هـ.
٦٢ ديوان ابن الفارض: نشر دار صادر ـ ودار بيروت سنة ١٣٨٢ هـ.
٦٣ ديوان أبي نواس: نشر دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢ هـ.
٦٤ ديوان الأعشى: دار صادر بيروت.
٦٥ ديوان جميل بثينة: نشر دار صادر بيروت.
٦٦ ديوان الهذليين: نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ.
٦٧ ذم الكلام: تأليف عبدالله الأنصاري الهروى ـ مصور بالجامعة الإسلامية برقم ٥٧٨.
٦٨ ذم الملاهي: لابن أبي الدنيا ـ نشر دار الاعتصام.
٦٩ ذم الهوى: تأليف عبد الرحمن بن الجوزى ـ دار الكتب الحديثة ط ١، ١٣٨١ هـ.
٧٠ ذيل طبقات الحنابلة: تأليف عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي

ـ نشر دار المعرفة بيروت.
٧١ ذيول العبر: تأليف محمد بن أحمد الذهبي والحسيني ـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
٧٢ الرد على الزنادقة والجهمية: تأليف أحمد بن حنبل ـ نشر دار اللواء بالرياض سنة ١٣٩٧ هـ.
٧٣ الرد الوافر: تأليف محمد بن أبي بكر ناصر الدين الدمشقي ـ نشر مطبعة كردستان العلمية، القاهرة.
٧٤ رسالة إلى كل مسلم: تأليف ابن قيم الجوزية ـ نشر مطبعة المدني، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
٧٥ الرسالة التبوكية: تأليف ابن قيم الجوزية ـ نشر مكتبة المنار ودار الهجرة الأردن، بيروت.
٧٦ الرسالة القشيرية: تأليف عبد الكريم بن هوزان القشيري ـ نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان.
٧٧ الرهص والوقص لمستحل الرقص: تأليف إبراهيم بن محمد الحلبي مجموع دار الكتب المصرية فهرس الخزانة التيمورية ٦٨٠ مصورة بالجامعة الاسلامية برقم ٣٨٢٧.
٧٨ الروض الأنف: تأليف عبد الرحمن السهيلي ـ نشر دار الكتب الحديثة مصر.
٧٩ روضة المحبين: تأليف ابن قيم الجوزية ـ نشر دار الكتب العلمية بيروت.
٨٠ زاد المسير في علم التفسير: تأليف عبد الرحمن بن على الجوزى نشر المكتب الإسلامي.
٨١ زاد المعاد في هدى خير العباد: تأليف ابن قيم الجوزية ـ نشر المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت.
٨٢ الزهد: تأليف عبدالله بن المبارك ـ نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨٣ الزهرة: تـأليف محمد بن صـالح العلوي ـ نشر مكتبـة المنار في الأردن ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
٨٤ سبل السلام: تأليف أحمد بن حجر العسقلاني ـ نشر جامعة الإمام سنة ١٣٩٧ هـ.
٨٥ سنن أبي داود: تأليف أبي داود سليمان السجستاني الأزدى نشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٨٦ سنن ابن ماجة: تأليف محمد بن يزيد القزويني ـ نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٨٧ السماع: تأليف محمد بن طاهر القيسراني ـ نشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة سنة ١٣٩٠ هـ.
٨٨ سلسلة الأحاديث الصحيحة: تأليف محمد بن ناصر الدين الألباني نشر الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤ هـ ـ المكتبة الاسلامية الأردن.
٨٩ سنن الدارقطني: تأليف علي بن عمـر الدار قـطني ـ نشر دار المحاسن للطباعة، القاهرة ١٣٨٦ هـ.
٩٠ سنن الدارمـي : تأليف عبدالله بن عبد الرحمن الـدارمي ـ نشر دار إحياء السنة النبوية.
٩١ السنن الكبرى: تأليف أحمد بن الحسين البيهقي ـ نشر دار الفكر بيروت.
٩٢ سنن النسـائي بشرح الحافظ جـلال الدين السيـوطي ـ نشر دار الفكـر بيروت.
٩٣ سير أعلام النبلاء: تأليف محمد بن أحمد الذهبي ـ نشر مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ.
٩٤ شعب الايمان للبيهقي: مصورة بالجامعة الاسلامية برقم ٧١٤.
٩٥ شجرة النور الزكية في طبقات المالكيـة: تأليف محمـد بن محمد مخلوف ـ نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
٩٦ شذرات الذهب: تأليف عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ نشر دار الآفـاق الجديدة، بيروت.

٩٧ شرح ديوان المتنبي: تأليف عبد الرحمن البرقوقي ـ نشر المكتبة التجارية بمصر.
٩٨ الشعر والشعراء: تأليف عبدالله بن مسلم بن قتيبة ـ مدينة ليدن، ط ابريل ١٩٠٣ م.
٩٩ الصارم المسلول على شاتم الرسول: تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية نشر مكتبة تاج بطنطا.
١٠٠ صحيح البخاري: تأليف محمد بن اسماعيل البخاري ـ نشر مطابع الشعب.
١٠١ صحيح الجامع الصغير: تأليف محمد ناصر الدين الألباني ـ نشر المكتب الإسلامي، بيروت ط ٢ سنة ١٤٠٦ هـ.
١٠٢ صحيح مسلم بشرح النووي ـ نشر دار الفكر بيروت ط ٢ سنة ١٣٩٢ هـ.
١٠٣ صحيح مسلم: تأليف مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
١٠٤ صفة الجنة: تأليف أبي نعيم الاصبهاني ـ نشر دار المأمون للتراث.
١٠٥ صفة الفتوى والمستفتي: أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي ـ نشر المكتب الإسلامي ط ٤، ١٤٠٤ هـ.
١٠٦ ضعيف الجامع الصغير: تأليف محمد بن ناصر الدين الألباني نشر المكتب الاسلامي.
١٠٧ الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة: تأليف ابن قيم الجوزية ـ طبعة الجامعة الاسلامية ١٤٠٧ هـ.
١٠٨ طبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى ـ نشر دار المعرفة بيروت.
١٠٩ طبقات الشافعية: تأليف علي بن عبد الكافي السبكي ـ نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٨٤ هـ.
١١٠ طبقات فحول الشعراء: تأليف محمد بن سلام الجمحى ـ نشر مطبعة المدني القاهرة.

١١١ طبقات المفسرين: تأليف محمد بن علي الداودي ـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤٠٣ هـ.
١١٢ الطبقات الكبرى: تأليف ابن سعد ـ نشر دار صادر بيروت.
١١٣ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: تأليف ابن القيم ـ نشر المكتبة العلمية بالمدينة.
١١٤ طريق الهجرتين: تأليف محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ نشر مطابع الدوحة بقطر.
١١٥ العبر: تأليف الحافظ الذهبي ـ نشر دار الكتب العملية بيروت ط، ١٤٠٥ هـ.
١١٦ عدة الصابرين: تأليف ابن القيم ـ نشر دار الباز ـ مكة المكرمة.
١١٧ العلل: تأليف عبد الرحمن بن الجوزى ـ نشر دار العلوم الأثرية فيصل آباد باكستان ط ٢، ١٤٠١ هـ.
١١٨ عوارف المعارف ذيل أحياء علوم الدين: تأليف السهرودي ـ نشر المكتب التجارية الكبرى بمصر.
١١٩ عون المعبود: تأليف محمد شمس الحق العظيم آبادي ـ نشر محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية.
١٢٠ غزو في الصميم: تأليف عبد الرحمن حبنكه الميداني ـ نشر دار القلم دمشق ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
١٢١ الغيلانيات: تحقيق مرزوق بن هياس الزهراني.
١٢٢ الغنيه لطالبي طريق الحق: تأليف عبد القادر الجيلاني الحسيني نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط ٣ - ١٣٧٥ هـ.
١٢٣ فتح الباري: تأليف أحمد بن علي بن حجر ـ نشر المطبعة السلفية.
١٢٤ الفتح الرباني: تأليف أحمد بن عبد الرحمن البنا ـ نشر دار الحديث القاهرة.
١٢٥ فتيا في ذم الشبابة والرقص والسماع: تأليف عبدالله بن أحمد ابن قدامه ـ نشر مطبعة الجبلاوي ١٣٩٧ هـ.

١٢٦ فصل الخطاب في الرد على أبي تراب: تأليف حمود بن عبدالله التويجري، ط ٢ سنة ١٣٩٦ هـ.
١٢٧ القاموس المحيط: تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ نشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة.
١٢٨ قوت القلوب: تأليف أبي طالب المكى ـ نشر المكتبة الحسينية بمصر ط ١ ـ ١٣٥١ هـ.
١٢٩ قول على قول: تأليف حسن سعيد الكرمى ـ نشر دار لبنان للطباعة والنشر بيروت، ط ٥ ـ ١٤٠١ هـ.
١٣٠ الكامل في ضعفاء الرجال: تأليف عبدالله بن عدى الجرجانى ـ نشر دار الفكر بيروت، ط ١ ـ ١٤٠٤ هـ.
١٣١ الكبائر: تأليف محمد بن عثمان الذهبي ـ نشر المكتبة الأموية بدمشق سنة ١٣٨٩ هـ.
١٣٢ كشف الاستار عن زوائد البزار: تأليف علي بن أبي بكر الهيثمى ـ مؤسسة الرسالة ط ٢ -١٤٠٤ هـ.
١٣٣ كشف الخفاء ومزيل الإلباس: تأليف اسماعيل بن محمد العجلوني نشر دار أحياء التراث العربي بيروت.
١٣٤ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون: تأليف مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجى خليفة ـ نشر مكتبة المتنبي بغداد.
١٣٥ كف الرعاع عن محرمات السماع: تأليف أحمد بن محمد الهيتمي نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
١٣٦ الكنى والأسماء: تأليف محمد بن أحمد الدولابي ـ نشر المكتبة الاثرية باكستان ط ٢.
١٣٧ لسان العرب: تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ـ نشر دار صادر بيروت.
١٣٨ لسان الميزان: تأليف أحمد بن حجر العسقلاني ـ نشر مؤسسة الأعظمى للمطبوعات بيروت ـ ط ٢، ١٣٩٠ هـ.

١٣٩ مجمع الأمثال: تأليف أحمد بن محمد النيسابوري الميداني - نشر المكتبة التجارية بمصر، ط ٢ ١٣٧٩ هـ.
١٤٠ مجموعة الرسائل الكبرى: تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية - مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده.
١٤١ مجمع الزوائد: على بن أبي بكر الهيثمي - نشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط ٢ - ١٤٠٢ هـ.
١٤٢ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية: نشر الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود - طبع بمكتبة المعارف زنقه باب شاله، الرباط المغرب.
١٤٣ المحلى: تأليف ابن حزم - نشر مكتبة الجمهورية العربية سنة ١٣٨٩ هـ.
١٤٤ مدارج السالكين: تأليف ابن قيم الجوزية - نشر مكتبة المعارف بالرياض.
١٤٥ المدهش: تأليف عبد الرحمن بن الجوزى - نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط ٢ سنة ١٤٠٥ هـ.
١٤٦ المستدرك على الصحيحين في الحديث: تأليف محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم - نشر مكتبة المعارف بالرياض.
١٤٧ المسند: تأليف الإمام أحمد بن حنبل - نشر المكتب الإسلامي.
١٤٨ مسند أبي يعلى: مصورة بالجامعة الاسلامية برقم ١٤٦.
١٤٩ مصارع العشاق: تأليف جعفر بن أحمد السراج - نشر مكتبة الانجلو المصرية ط ١ سنة ١٣٧٥ هـ.
١٥٠ المصنف: تأليف عبد الرزاق بن همام الصنعاني - نشر المكتب الاسلامي ط ١ سنة ١٣٩٠ هـ.
١٥١ مصنف ابن أبي شيبة: تأليف أبي بكر بن أبي شيبة - نشر الدار السلفية، ط ١ - ١٤٠٠ هـ.
١٥٢ المعجم لأبي سعيد: مصور في الجامعة الإسلامية برقم ٣٢٩
١٥٣ معجم البلدان: تأليف ياقوت بن عبدالله الحموى - نشر دار صادر - بيروت ١٤٠٤ هـ.

١٥٤ المعجم الصغير: سليمان بن أحمد الطبراني ـ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٨ هـ.
١٥٥ المعجم الأوسط للطبراني ـ مصورة في الجامعة الاسلامية برقم ١٢٥٩ عن مكتبة بتركيا.
١٥٦ المعجم الكبير: تأليف سليمان بن أحمد الطبراني ـ نشر الدار العربية بغداد ط ١، ١٣١٩ هـ.
١٥٧ المعجم المختص: تأليف الحافظ الذهبى ـ مصورة بالجامعة الاسلامية برقم ٢/١٤٥.
١٥٨ معجم المصطلحات العلمية : إعداد يوسف خياط ـ نشر دار العربي.
١٥٩ المعجم الوسيط: تأليف ابراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر محمد النجار ـ نشر دار أحياء التراث العربي.
١٦٠ المغنى: تأليف عبدالله بن أحمد بن قدامة ـ نشر مكتبة القاهرة.
١٦١ مفتاح دار السعادة: تأليف ابن قيم الجوزية ـ نشر زكريا على يوسف ـ طبع بمطبعة الإمام بمصر.
١٦٢ مقاتل الطالبين: لأبي الفرج الاصفهاني ـ نشر دار المعرفة بيروت.
١٦٣ منازل السائرين: تأليف عبدالله الانصاري الهروى ـ القاهرة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٦٢ م.
١٦٤ مناقب الشافعي: تأليف أحمد بن الحسين البيهقي ـ نشر مكتبة دار التراث القاهرة ط ١ ـ ١٣٩١هـ .
١٦٥ المنتظم: تأليف عبد الرحمن بن على بن الجوزى ـ دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ.
١٦٦ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: تأليف علي بن أبي بكر الهيثمى ـ نشر دار الكتب العلمية بيروت.
١٦٧ ميزان الاعتدال: تأليف محمد بن أحمد الذهبي ـ نشر دار المعرفة بيروت لبنان.
١٦٨ نزهة السماع: تأليف عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ـ نشر دار طيبة ط ١٤٠٧ هـ.

١٦٩ النجوم الزاهرة: تأليف يوسف بن كغرى بـردى الاتابكى ـ نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومى بمصر.
١٧٠ نفح الطيب: تأليف أحمد بن محمد المقري التلمسـاني ـ نشر دار صادر بيروت.
١٧١ النهاية في غريب الحديث: تأليف المبارك بن محمـد الجزري ابن الأثـير ـ نشر دار الفكر ط ٢ سنة ١٣٩٩ هـ.
١٧٢ نيل الوطـر: تأليف محمـد بن محمد بن يحيى الصنعـاني ـ نشر المطبعـة السلفية القاهرة ١٣٤٨ هـ.
١٧٣ هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصـارى: تأليف ابن قيـم الجـوزية ـ نشر الجامعة الاسلامية.
١٧٤ هدية العارفين: تأليف اسماعيل باشا البغدادي ـ نشر وكالة المعارف في مطبعة استانبول سنة ١٩٥٥ هـ.
١٧٥ الوافي بالـوفيات: تـأليف خليل بن آيبـك الصفدي ـ نشر فـراز شايز بقسياون.
١٧٦ وفيات الأعيان: تأليف أحمد بن أبي بكـر بن خلكان ـ نشر دار صـادر بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٦٨ ـ فصل في الرد على احتجاج صاحب الغناء بقوله: أن أصحاب الصفة سمعوا يوما فتواجدوا	٣٢٥
٦٩ ـ فصل في الرد على احتجاج صاحب الغناء بما قال أبو طالب، المكى في كتابه القوت	٣٢٦
٧٠ ـ فصل في الرد على احتجاج صاحب الغناء بقوله: حسن الصوت مما أنعم الله به على صاحبه من الناس	٣٥٢
٧١ ـ فصل في الرد على احتجاج صاحب الغناء بقوله: استلذاذ، القلوب الأصوات الطيبة واستروحها إليها مما لا يمكن جحوده	٣٥٤
٧٢ ـ فصل في الرد على احتجاج صاحب الغناء بقوله أن النبي ﷺ اخبر عن ربه أنه يستمع للصوت الحسن	٣٧٦
٧٣ ـ فصل في الرد على احتجاج صاحب الغناء بقوله: أن الصوت الحسن يطيب السير ويقطع المشاق	٣٧٨
٧٤ ـ فصل في الرد على احتجاج صاحب الغناء بقول الجنيد	٣٨٢
٧٥ ـ فصل في الرد على احتجاج صاحب الغناء بقول أبي على الدقاق	٣٨٦
٧٦ ـ في الرد على احتجاج صاحب الغناء بقول ذي النون المصري	٣٨٨
٧٧ ـ في الرد على احتجاج صاحب الغناء بأن هذه الشواهد التي ذكرتها لا ندري ما تعلقها بمسألة السماع	٤٠٥
٧٨ ـ في الرد على احتجاج صاحب الغناء بأثر نافع عن ابن عمر في سد اذنيه	٤٠٦

الموضوع	الصفحة